



# لأفكار الرياض في أخبار عياص

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التمساني

الجزء الأول

أعيد طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي  
بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة



# تقديم

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبعد فان كتاب « أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض » الذي يسرنا أن نقدمه للقراء والباحثين، يعتبر من الذخائر العلمية التي تزدان بها مكتبتنا الاسلامية، ذلك لأن مؤلفه شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، وان كان وضعه للتعريف بالقاضي عياض على نحو ما فعله في «نفع الطيب» الذي أنشأه في ترجمة لسان الدين ابن الخطيب، الا أنه جمع فيه من أصناف العلوم وألوان المعارف التاريخية والأدبية واللغوية وغيرها ما جعله من المراجع المتخصصة الهامة.

واعتباراً لهذه الأهمية البالغة، قام بيت المغرب في القاهرة ، منذ ما يقرب من نصف قرن من الزمن بإصدار ثلاثة أجزاء من هذه المعلة برعاية سمو الأمير مولاي الحسن بن المهدي الخليفة السلطاني سابقاً بالمنطقة الشمالية من المملكة والتي كانت تعرف فيما مضى بالمنطقة الخليفية، غير أن الظروف لم تسمح بإخراج بقية أجزاء الكتاب مما حرك الهمم مرة أخرى لاتمام ما بدأه بيت المغرب فصح العزم على أن يتم ذلك في اطار الاتفاقية الثقافية المبرمة بين المملكة المغربية، ممثلة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ودولة اتحاد الامارات العربية، ممثلة في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف، والممولة من طرف الصندوق المشترك لاحياء التراث : وهكذا بدأ العمل على أساس :

1 - تحقيق وطبع ما بعد الجزء الثالث الى نهاية الكتاب.

2 - اعادة طبع الأجزاء الثلاثة التي سبق أن أصدرها بيت المغرب بالقاهرة ، حرصاً على توفير المجموعة كاملة، وتيسيراً للانتفاع بها سيما بعد أن نفذت الطبعة الأولى، واختفى الكتاب تماماً من السوق ، حتى بات في حكم المخطوط.

وقد حافظنا على اخراج هذه الأجزاء في شكلها القديم، بحيث لم ندخل عليها أي تعديل الا مالا بد منه من اضافة تصويبات وتصحيحات، فات المحققين التنبيه عليها .

نسأل الله سبحانه أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ييسر النفع والانتفاع به لطلاب المعرفة ورجال العلم الباحثين ، آمين.

صندوق أحياء التراث الاسلامي  
المشارك بين المملكة المغربية  
ودولة الإمارات العربية المتحدة

الرباط في 27 جمادى الأولى 1398 الموافق 5 مايو 1978



# استدراكات وتصويبات على الجزء الأول

س. س.

د 16 - ألف المقرئ ازهار الرياض فى المدة التى بين سنتى -  
( 1013 و 1027 للهجرة ) .

ربما كان هذا صحيحا بالنسبة للشروع فى تأليف الكتاب،  
أما بالنسبة للانتهاء منه ، فسيأتى للمؤلف فى الجزء  
الرابع - وهو نصف الكتاب - أنه فى ربيع عام 1027 هـ -  
كان يعمل فى تحرير مناقب أبى اسحاق البلغيتي ، ولم  
تمض ستة أشهر على هذا التاريخ ، حتى غادر المغرب الى  
المشرق ، وهذا يدل على أن انتهاء الكتاب كان بالشرق  
لا بالمغرب ، وأنه بعد تاريخ 1027 - برمان ، أي فى حدود  
سنة ( 1038 ) .

د 18 - وجاء فى نفس الصفحة س 18 - ( عياض عالم المغرب  
الاولى ) - وهو سبق قلم ، والصواب : عالم المغرب  
الاقصى .

ز 14 - ( .. والروضة السابعة والحادية ... تأتى فى جزء  
خامس ) - ينبغى التنبيه على أن الروضتين السادسة  
والسابعة ، لم يحررها المؤلف ، بل بقي مكانهما بياضا فى  
سائر النسخ - كما سنوضح ذلك فى مقدمة الجزء الخامس

2. 9 - ( التمييز لمن له استذكار الموطأ ) - الأنسب لقوله الموطأ -  
( التمهيد ) - بدل التمييز ، وهو ما في نسخة ت ،  
والتمهيد والاستذكار شرحان لابن عبد البر على الموطأ .
- 2 28 - وفي نفس الصفحة س 28 - ( والمنتقى اسم لعدة كتب ) - لا  
يخفى أن قوله ( الموطأ ) - قرينة على أنه أراد به منتقى  
الباجي ، وهو من أهم شروح الموطأ .
- 21 10 - ( سند المهتدين ) - صوابه ( سنن المهتدين ) ، ولعله  
خطأ مطبعي .
- 29 3 - ( أسبتي - سبته ) - يشكلها المحققون بالوجهين : فتح  
السين وكسرها ، والمعروف الفتح ، وهو الذي يقتضيه  
صنيع ياقوت في معجم البلدان : ( سبته - بلفظ الفعلة من  
الاسبات ) . ونص بعضهم على أنها بالفتح والنسبة اليها  
بالكسر - ولعل هذا جاء من التخرج من أن تفهم النسبة الى  
يوم السبت وبذلك قد يعرض المنسوب لأن يكون من أهل  
السبت اليهود فهي تفرقة وان لا تكون القاعدة العامة تقرأها،  
فان الاعتبار فيها وجيه . اما كسر سين سبته فيوافق أصل  
الكلمة اللاتينية Septeur أي سبعة ، وهي عدد التلال.
- 32 6 - ( فاعرة الافواه ) - والصواب : فاعرة - بالفين المعجمة -  
وهو خطأ مطبعي .
- 34 21 - ( 5 ) نسب هذان البيتان في تقويم البلدان - لابن  
عياض ) . - ينبغي ان يزداد بعد هذا : ونسبهما المؤلف في  
الفتح لابي عبد الله بن مجبر .
- 34 23 - وفي نفس الصفحة س 23 ( 7 ) في الاصلين - : ابي  
حيان ، وهو تحريف ) - لعل الصواب : ما في الاصلين :  
( ابو حيان ) ، لانه هو الذي يمكن ان ينقل المؤلف مسن  
خطه .

36 16 - ( 1 ) ( 1 ) في ت الشاوي ) - ينبغي التنبيه على انه تحريف .

38 22 - ( 3 ) ( 3 ) النذب : الخفيف في الحاجة الظريف ) - هذا التفسير غير مناسب - هنا ، والانصب : نذب : من نذب ظهره ندبا وندوبة ، فهو نذب - اذا صار ذا ندوب : جروح . وسكن الدال لضرورة القافية . وربما كانت الكلمة عامية في مقصودها المعنوي .

45 4 - ( ذكرناه ) - والصواب ذكرناه - بالدال المعجمة ، وهو خطأ مطبعي .

46 9 - ( وكان اخذ سبعة ... سنة ( 819 هـ ) ) - ينبغي التنبيه على ان اخذ سبعة كان - على الاصح - سنة ( 818 هـ ) - كما في غير ما مرجع .

55 14 - ( المحبة ) - شكلها المحققون يكون الحاء المهملة ، وفتح الباء الموحدة المخففة ، وهو - وان صح في اللفظ - فالمشهور في الاستعمال ( المحبة ) - بفتح الحاء وتشديد الباء - من التحبب ، وهو الذي يأتي للمؤلف بعد هذا ص 68 .

58 1 - ( الائمة ) - شكلت بتشديد الدال المعجمة ، والصواب : انها بتشديد الميم لا الدال - كما لا يخفى ، وهو خطأ مطبعي .

59 12-13 - ( .. رسمها فجعله » حدثني شيخنا القاضي .. - هكذا جاء قوله : حدثني شيخنا بعد شد القوسين - وكأنه ليس من تمة كلام ابن عاصم ، والصواب : حذف القوسين من هنا ، واثباتهما بعد قوله ... بحفظ الموائد .

66 10 - ( الوائسري ) - هكذا بزيادة الالف بعد الواو ، وثبت في بعض النسخ بحذفها ( الوائسري ) - وهو الصحيح - كما وجد بخط يد المؤلف في بعض كتبه .

73 9 - ( لا تأخذنا بأقوال الوشاة ولم  
تذنب ولو كثرت أقوال ذي الوخم ) -

ينبغي التنبيه على أنه من قول كعب بن زهير في قصيدته :  
( بانت سعاد ) - :

( لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم  
أذنب ولو كثرت في الأقاويل )

105 21 - ( يريد بالقلقال - هنا - الفصيح اللسن - كما هو شائع على  
السنة المغاربة حتى اليوم ) . ما فسر به المحققون القلقال  
- هنا - وذكروا أنه الشائع على السنة المغاربة - حتى  
اليوم - غير معروف ، ولا ندري ما مستندهم في ذلك . ١٩ !  
وكانه من تكرير قال حكاية دخلت عليها أداة التعريف ،  
وربما كان القيل من هذا القبيل في أصل استعماله كما  
يقال القيل والقال ) .

119 12 - ( والكدية : شدة الدهر ) - الانسب تفسير الكدية - هنا -  
بالاستعطاء - كما يدل على ذلك قوله : ( شيخي ساسان

120 18 - ( يليان أمير المغرب ) صوابه حاكم سبتة .

124 17 - ( من أهل مائة ) - صوابه : من أهل مائة ، وهو خطأ  
مطبوعي .

129 17 - ( المضارب - هنا - الخيام تضرب على ساحل البحر ... )  
والصواب : أنها جمع مضرب ، وهو المكان المعد لاصطياد  
السماك - ب ( الشباك ) : قارب كبير - كما يدل عليه قوله :  
( ونادت بحرية الشباك - إلى المضارب ) - وهو المعروف  
بين الناس إلى اليوم .

153 5 - ( للتواظر ) - بالياء ، والصواب : ( للتواظر ) - بالنون ،  
وهو خطأ مطبعي .

- 180 3-4 - ( ابن ... وكان (1) ما ... ) والصواب وضع رقم (1) على ابن ... وكان ما .. وهو خطأ مطبعي .
- 180 19 - ( الابن : الاعياء ) - هكذا - بالباء الموحدة ، وهو نصحيح عن ( الابن ) - بالياء المثناة تحت . وفسره المحققون بالاعياء ، والانصب تفسيره بالمكان أي من غير أن يحيط به مكان ولا زمان .
- 188 9 - ( ابن شيرين ) صوابه : ابن شبرين - بالباء الموحدة ، ولعله خطأ مطبعي .
- 188 17 - وفي نفس الصفحة س 17 : ( المنتشافي ) - هكذا - بالفاء ، والصواب المنتشافي - بالقاف - كما في النفع وغيره - نسبة الى منتشافر Monte Sacro في مقاطعه اكثونبسة .
- 205 10 - ( عرائب ) - هكذا بالعين المهملة ، والصواب : غرائب بالفين المعجمة ، وهو خطأ مطبعي .
- 209 15 - ( الاعياض ) - هكذا بالضاد المعجمة ، والصواب الاعياض - بالصاد المهملة - كما في نسخة ( ت ) .
- 222 5 - ( غيبة الجاهلية ) - هكذا بالفين المعجمة ، والصواب : عيبة الجاهلية - بالعين المهملة .
- 224 17 - ( الاعياض ) - هكذا بالضاد المعجمة ، والصواب : الاعياض - بالصاد المهملة - كما سبق التنبيه على ذلك .
- 230 3 - ( لاعياض ) - خطأ ، والصواب : لاعياض - بالصاد المهملة .
- 234 18 - ( قصر باديس - : فرضة بينها وبين سبتة مائة ميل ، ويقابلها من الاندلس مالقة - عن تقويم البلدان ) - يعني بادس الريف - قرب الحسيمة ، وهذا خطأ توارد عليه كثير من الكتاب والباحثين ، والصواب انه قصر باديس الصنهاجي - صاحب فرناطة - كما في النفع .

- 237 25 - ( ... السوس كورة بالمغرب ، مدينتها طنجة ... ) وهذا التعريف ليس بصحيح - بالرغم من تردده في القديس - وخصوصا في هذا العصر الذي عرفت فيه جغرافية المغرب بالضبط ، فسوس بجنوب المغرب ، وطنجة بشماله ، فكيف تكون من مدنه ؟ !
- 294 19 - ( 1 ) كذا وردت هذه الكلمة في الاصلين ( الدلاء .. ولم نفهم المراد منها .. ) . وواضح ان المراد منها المكان الذي أسس به أبو بكر المذكور زاويته المعروفة حتى الآن - بـ ( الراوية الدلائية ) .
- 301 17 - ( 3 ) يريد طبقا عليه مأكول .. ) - المعروف بالمغرب والاندلس أن كلمة « طيفور » يراد بها خوان طعام ذو قوائم .
- 305 8 - ( في عراض ... ) - هكذا بالصاد المعجمة ، والصواب : عراض - بالصاد المهملة - كما في النسخ الصحيحة من النفح .
- 312 10 - ( اني لمبلى .. ) - هكذا في سائر نسخ أزهار الرياض : ( اني ) بكسر الهمزة والتون ، ( لمبلى ) بالباء الموحدة ، والانساب : ( اني ) - بفتح الهمز والتون ، ( لمبلى ) - بالثاء المثناة ، وقد تكرر هذا في كثير من الابيات .
- 314 9 - ( رب ليل ظفرت .. ) - ينبغي التنبيه على أن هذا الموشح أورده المؤلف في النفح ، كما هي عادة المحققين في الإشارة إلى ذلك ، بل اعتبروا النفح من الاصول المعتمدة في تحقيق كتاب « أزهار الرياض » ، وأدرجوا في النص زيادات انفردت بها نسخة النفح . والكتابان متداخلان نجد في كل منهما نصا على بعض ما ورد في الآخر .
- 315 22 - ( كم ليوم الفراق من فسه .. ) - هذا الموشح أورده المؤلف كذلك في النفح ، ولم يشر اليه المحققون .
- 316 6 - ( ومنها - وهو آخرها ) ، في النفح : ( ومنه في آخره ) ، ولم ينبه عليه المحققون .

---

مطبعة فضالة — المحمدية ( المغرب )









المعهد الخلفي للأبحاث والمغربية  
بيت المغرب

---

# ازكيا الناض في جنابك

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني

الجزء الأول

ضبطه وحققه وعلق عليه

عبد الحفيظ شاذلي

المدرس بالمدارس الأميرية

أبراهيم الأبياري

المدرس بالمدارس الأميرية

مصطفى السقا

المدرس بجامعة فؤاد الأول

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٩٣٩ - ١٣٥٨ هـ



## مقدمة الناشرين

كتاب «أزهار الرياض في أخبار عياض» ، من خير ما أُلّف في أدب المغاربة ، نرجو أن ننشر بنشره آية فَخَار من مجد علماء الإسلام ، وأن نضيف إلى الأدب العربي الخالد ، صفحة مُشرِقة من الأدب المغربي الزاهي الألوان ، وأن نضع بين يدي العلماء والنقاد خير الوثائق وأنفس المصادر التي يُعتمد عليها في تاريخ الآداب .

أما مؤلفه فهو حافظ عصره في علوم الدين ، وحُجة زمانه في علوم الدنيا ، وخاتمة أدباء المغرب ، الذي جمع الشعر والكتابة والخطابة ، والمحاضرة والمسامرة ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التِّلْسانِي ، صاحب «فتح الطيب» وغيره من الكتب الممتعة . تُوِّفَى سنة إحدى وأربعين وألف للهجرة بالقاهرة .

وأما المؤلّف في ترجمته وسيرته فهو قاضي المغرب الأجل ، وحافظه الأكبر ، الإمام الطائر الصيت ، عياض بن موسى اليَحْصِي السَّبْتي صاحب الشفاء ومشارك الأنوار وكثير من المصنفات الجليلة في الدين وعلوم اللغة والنحو والأنساب . تُوِّفَى سنة ٥٤٤ هـ بمراكش .

وكتاب أزهار الرياض في أخبار عياض ، هو كصنوه فتح الطيب ، في أخبار لسان الدين بن الخطيب ، كلاهما قد تضمن ترجمة واسعة خِصبة النواحي ، لعلّ مفرد من أفذاذ الرجال في المغرب والأندلس ، وقد استطاع مؤلفهما أبو العباس المقرئ أن يجعل كلا من صاحبي الترجمة مركزاً لدائرة معارف تاريخية وأدبية ، تحوى أخبار عصره ومصره ، لا ، بل تستوعب كثيراً من أخبار الأجيال التي تعاقبت في الأندلس والمغرب إلى زمان وجوده ، وهما لذلك جديران أن يُعَدّا من أعظم الأركان التي يقوم عليها تاريخ تلك البلاد .

وبين الكتّابين وجوه من الشبه ، وتشابه في المزاج ، لا نريد إحصاءها في هذه المقدمة الموجزة ، وبحسبنا أن نذكر هنا المنهج الذي اتقده به دون أكثر كتب التراجم العربية القديمة ، فإن مؤلفنا الشيخ المقرئ يرسم للترجمة خطة واضحة ، ويرتب عناصرها ترتيباً حسناً ، ويتغلغل في التفاصيل ويتعمق ، ويتبع أخبار المترجم حتى قبل ولادته ، ويتجسس عن أوليته وأسرته ، ويبحث عن نشأته في صباه وشبابه وكهولته ، ثم يذكر شيوخه الذين أخذ العلم عنهم ، في كثير من التفصيل والعناية بذكر مؤلفاتهم ، ويخص بالعناية النتاج الأدبي للمترجم ، ويذكر تأليفه ، وتصرفه في الحياة ، وعمله في خدمة السلطان ، ووفاته ، وآراء الناس فيه .

منهج المؤلف في أزهار الرياض ونفح الطيب متأثر تأثراً ما بمنهج لسان الدين ابن الخطيب في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة ، فإن هذه الكتب تتشابه في العناصر التي تتألف منها الترجمة ، وفي أسلوب الإنشاء ، إلا أن لسان الدين كان أميل إلى مجانبة الاستطراد الذي فشا في تواليف المقرئ ، وطبعاً بهذا الطابع الخاص .

ألف المقرئ كتاب أزهار الرياض في مدينة فاس ، في المدة التي بين سنتي ١٠١٣ و ١٠٢٧ للهجرة ، إذ كان قد نزع عن وطنه لأسباب سياسية ، واتخذ فاس مقراً له ، وكان الباعث له على تأليفه رغبة أهالي بلده تلمسان في التعريف بالقاضي عياض ، عالم المغرب الأوسط وقاضيه الأشهر ، وقد أَلَمَّ في هذه الترجمة بكثير من شئون بلاد الأندلس ، وذكر طائفة من أخبار لسان الدين بن الخطيب وأحوال المسلمين في عصر الجلاء عن الأندلس ، على سبيل الاستطراد ، ثم ألف كتاب نفح الطيب بعد سنة ١٠٢٨ في القاهرة ، استجابة لرغبة بعض أعيان دمشق وعلمائها في التعريف بلسان الدين بن الخطيب ، فذكر كثيراً من شئون

الأندلس في تفصيل وترتيب عجيبين . ومن أجل هذا يظهر للمتأمل أن المؤلف كان مضطراً أن يكرر في نفع الطيب طائفة من الأخبار التي ذكرها من قبل في أزهار الرياض ، لبعد ما بين الأقفين اللذين ظهر فيهما الكتابان .

وقد يمتاز أزهار الرياض ، فوق اشتاله على ترجمة القاضي عياض ، بطائفة كبيرة من الأخبار والنصوص المغربية والأندلسية ، التي لم ترد في نفع الطيب ولا في غيره من الكتب المطبوعة حتى الآن ، وإنما بادت أصولها ، أو هي لا تزال سرا مطويا في خزائن الكتب لم تنشره المطابع بعد . ولذلك يُعَدُّ نشر هذا الأثر الجليل اليوم ثروة جديدة تضاف إلى ما سبق نشره من آثار المغرب والأندلس في عالم الدراسات العربية .

وكان الفضل في إخراج هذا الكتاب الجليل ، على هذا الوضع الأنيق ، « لمكتب التبادل الثقافي » التابع للمعهد الخليفي بتطوان ، الذي أسسه سمو الخليفة المعظم مولاي الحسن بن المهري ، فقد اختط خطة موفقة في نشر الكتب النفيسة ، التي تحيي آثار السلف ، وكان هذا الكتاب با كورة أعماله ، وأول ثماره . ولما عُهِد إلينا في تحقيق هذا الكتاب ، بالأسلوب العلمي الذي يجري عليه علماء المشرقيات ، ففُسِّنا عما يوجد من أصوله المخطوطة والمطبوعة في دار الكتب المصرية ، فعثرنا منه على النسخ الآتية :

الطُّرَى : النسخة المخطوطة الرموز لها في حواشي هذه الطبعة بالحرف (ط) ، ورقمها في دار الكتب المصرية (٢٠١٣ تاريخ) وهي في ألف ومئة وسبعين صفحة ، من القطع المتوسط ، طول الجزء المكتوب في كل منها عشرون سنتيمتراً وعرضه عشرة . وهي مخطوطة بخطوط مختلفة ، فالست والأربعون صفحة الأولى بخط منربى جميل ، وما بعدها إلى صفحة ١٠٥٨ بخط نسخي معتاد ، ويتلو ذلك

اثنتا عشرة صفحة ومئتان تتضمن الروضة الثامنة، وهي بخط مغربي مختلف النوع، أقل جودة من الخط الذي بدى به الكتاب.

وبهذه النسخة خرم في موضعين :

الأول في الروضة الرابعة ، عند صلاة سيدى حسين الزرويل وترجة الشيخ أبى إسحاق بن الحاج ، وقد ترك الكاتب صفحتين خاليتين جاء بعدها تمة ترجمة ابن الحاج ، ثم وصل الكلام بذكر صلاة الجبلانى صفحة ٨٣٤ ، والثانى بعد تمام الروضة الخامسة ، ويشمل الروضتين السادسة والسابعة جميعهما ؛ ولا نعلم فى كم ورقة تكونان .

وجاء فى آخر هذه النسخة بالخط المغربى ما نصه :

« انتهى التأليف المبارك بحمد الله وتوفيقه ، وعلى نهج السلف الصالح وطريقه ، ليلة الاثنين من شهر الله المعظم رمضان ، بعد ما مضى منه عشرون يوماً ، من سنة ثلاث وأربعين بعد المئتين والألف ، غفر الله لكاتبه ولما لكه » .  
وبعد ذلك كلام قد طمس طمساً فلم نتبينه ، يحوى اسم المالك والناسخ للكتاب .

وهذه النسخة كما قدمنا ليست من خط كاتب واحد ، كما أنها ليست كاملة ولا جيدة التصحيح .

الثانية : نسخة الجزء الأول المطبوع بتونس ، بالمطبعة الرسمية العربية سنة ١٣٢٢ هـ ، وهى التى زمرنا لها فى الحواشى بالحرف (ت) وهذا الجزء فى ٣٤٠ صفحة من القطع المتوسط ، فى كل صفحة عشرون سطراً ، وتنتهى بترجمة لسان الدين ابن الخطيب ، وهذه الطبعة خالية من الحواشى والشروح والفهارس ، وفيها كثير من مواضع النقص ومن التحريف والخطأ الطبعى .



الثالثة : النسخة المحفوظة بالخزانة التيمورية في دار الكتب المصرية ، ورقها (٧٩٤ تاريخ) ، وهي في أربعة أجزاء :

الجزء الأول منها هو المطبوع بتونس المقدم ذكره ، المرموز إليه في حواشي طبعتنا بالحرف (ت) .

والجزء الثاني مخطوط يحتوي على بقية الروضة الأولى ، وتبقى منها بقية تأتي في الجزء الثالث .

والجزء الثالث يتضمن بقية الروضة الأولى كلها وتنتهي في الصفحة ٤٣ ، والروضة الثانية كلها إلى الصفحة ١٠٥ ، ثم الروضة الرابعة جميعها إلى نهاية هذا الجزء في صفحة ٤٤٢ .

والجزء الرابع يحوى الروضة الرابعة من أوله إلى الصفحة ٣٠٥ ثم الخامسة إلى الصفحة ٤٥٠ .

وهذا الجزء ينتهى بآخر رحلة أبي عبد الله المقرئ . وفي نهايته بخط المرحوم أحمد تيمور باشا ما نصه :

« والروضة السادسة والسابعة والثامنة تأتي في جزء خامس » . وليس لهذه النسخة جزء خامس في الحقيقة ، وهي أجود خطأً من النسخة (ط) .

وجاء في آخرها أيضاً أنها نقلت من نسخة قديمة في مكتبة الملك الظاهر بدمشق ، وأن كاتبها هو محمد صادق فهمى المالح سنة ١٣٤٥ هـ .

والنسخ الثلاث من هذه الأصول متشابهة في كثرة ما بها من الخطأ والتعريف والكلمات الغامضة ، التي تصعب قراءتها أو تحار في فهمها المقول .

وقد جعلنا النسخة (ط) أساساً للطبع ، وعارضنا بها الجزء الأول المطبوع بتونس ، وأثبتنا ما وجدناه من خلاف بينهما بالزيادة والنقص ، وصححنا الأخطاء

اللغوية والنحوية والمجاثية الكثيرة ، ولم نكتف بهذا ، بل كنا نقش عن كل خبر في مظانه من الكتب المطبوعة ، مثل نفع الطيب المؤلف ، والإحاطة لابن الخطيب ، وتاريخ ابن خلدون ، والاستقصا للسلاوى ، كما كنا نلجأ في شرح الكلمات الأندلسية والمغربية التي لم ترد في المعجمات العربية ، إلى تكملة المعجمات العربية للعلامة دُوزى ، وجعلنا كل ملاحظتنا حواشى في أسفل صفحات الكتاب إشاراً لتعجيل الفائدة للقارى . ولم نشرح من مفردات الألفاظ إلا ماظننا أنه يفض على القارى المتوسط ، وما اعتقدنا أن معجماته ليست في أيدي جميع الناس ، وتركنا بعد ذلك الفرصة لذهن القارى ، لينشط إلى البحث عما يروم البحث عنه من معانى الأشعار ، ولم نشرح شيئاً من ذلك إلا ما كان ضرورياً لا بد منه .

وقد وضعنا في الهوامش الجانبية الخارجية عناوين للمعاني الجزئية ، لتجزئة الموضوع الواحد المطول ، إلى عناصره التي يتألف منها ، وفي ذلك إراحة للذهن ، وتفصيل لمجمل الموضوع ، وتنبيه على مواضع الانتقال ؛ ووضعنا في الهوامش التي في الجهة الداخلية أرقام صفحات النسخة المخطوطة المرموز إليها بالحرف (ط) أمام السطر الذى تبدأ عنده الصفحة الجديدة من الأصل المخطوط ، لنسهل المضاهاة على من أراد أن يتتبع ذلك الأصل ، ويعارض به طبعتنا هذه . وقد عملنا لهذا الجزء فهرس مُنَوَّعة ، تيسيراً للبحث والمراجعة .

والله نسال أن يوفق المعهد الخلقى ويوفقنا إلى إخراج البقية من أجزاء هذا السفر الجليل ، إنه أكرم مسئول ، وهو حسبنا ونم الوكيل ما

مصطفى السقا      إبراهيم الأبياري      عبد الحفيظ سليمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

## [ مقدمة المؤلف ]

[٢] الحمد لله الذى أَعْلَى مراتب العلماء الأعلام ، وزَكَّى منهم العقول الواجحة والأحلام ، وَمَنَحَهُمْ مَا تَرْتَقِصُ عَنْ جَمْعِهَا <sup>(١)</sup> التجاربُ والأقلام ؛ وَمَغَاخِرَ طَارَات كلِّ مَطَّار . وجعل معاليهم زاهرة زاهية ، وأضواء فهمهم نامية سامية ، وأنواء <sup>(٢)</sup> علومهم هامة هامية <sup>(٣)</sup> ؛ يَوَافِكُ الأمطار <sup>(٤)</sup> ، وأطلعتهم على دقائق الأسرار . وهَدَّاهُمْ وَهَدَى بهم إلى ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ؛ وَجَلَّى بِمَشَارِقِ الأنوار مِنْ مَعَارِفِهِمْ وَأَدَابِهِمْ ، عَمَّنْ تَمَسَّكَ بِأَذْيَالِهِمْ وَأَهْدَاهُمْ ، غِيَاهِبَ الْجَهْلِ الْحَوَالِكِ <sup>(٥)</sup> ؛ فَأَضَاءَتْ الْأَقْطَار . وعَرَّفَهُمُ الْمَقَاصِدَ الْحَسَنَ ، وَالْوَسَائِلَ الْمُغْتَبَطَةَ وَالْإِلْمَاعَ <sup>(٦)</sup> ، بِأَصُولِ الرِّوَايَةِ وَالسَّمَاعِ ؛ وَالْإِعْلَامَ ، بِمَحْدُودِ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى التَّنْذِيرَاتِ الْمُسْتَنْبَطَةِ السَّامِيَةِ الْأَخْطَارِ ؛ حَتَّى رَفَّلُوا مِنْ حُلُلِ التَّحْقِيقِ السَّابِقِ ، فِي مَطَارِفِ <sup>(٧)</sup> وَبُرُودِ ؛ وَوَرَدُوا مِنْ مَنَاهِلِ التَّوْفِيقِ السَّائِقِ ، كُلِّ عَذْبٍ

(١) في ت : « عن فهمها » .

(٢) الأنواء : النجوم ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى ظهورها ، فيقولون مثلاً : مطرنا بنوء الثريا .

(٣) هامة هامية : أى تسيل في غزارة وانصباب .

(٤) وَاكْفُ الأمطار : هاطلها .

(٥) غِيَاهِبُ الْجَهْلِ : ظلماته . وَالْحَوَالِكُ : الشديدة السواد .

(٦) الْإِلْمَاعُ : التنويه والإشارة .

(٧) الْمَطَارِفُ : أردية من خز مربع ذى أعلام ؛ الواحد : مطرف كعبر ومقعد .

برُود<sup>(١)</sup> ؛ وتَسَمَّوا من حُجَج الحقِّ البالغهِ ، الرُّوضِ المِطَارِ ؛ واجتَنَوْا  
أَزَاهِرَ<sup>(٢)</sup> ، أُنَحَّتْ مُنْيَةُ الطَّالِبِ ، وَبُغِيَّةُ الرَّائِدِ<sup>(٣)</sup> ؛ واجتَلَوْا<sup>(٤)</sup> جَوَاهِرَ<sup>(٥)</sup> ، نَظَّمَتْ  
مِنْهَا الدُّرَرُ والفَرَائِدَ ؛ فِي أَجْيَادِ<sup>(٦)</sup> الأَسْطَارِ . فَإِنَّ أَهْلَهُمْ نَاقِصٌ عَدِيمٌ ، أَلَنِي لَدَيْهِمْ  
الْفَنِيَّةَ وَالْإِكْمَالَ ؛ أَوْ قَصَدَهُمْ عِلِيلٌ سَقِيمٌ ، وَجَدَ فِي يَدَيْهِمُ الشِّفَاءَ ، فَنَالَ غَايَةَ  
الْآمَالِ ، وَظَفِرَ بِمُنْتَهَى الْأَوْطَارِ<sup>(٧)</sup> . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ  
أَفْضَلِ الْعَالَمِينَ بِإِطْلَاقِ ، سِرَاجِ الْمُرِيدِينَ ، وَكَتَرِ الْعَارِفِينَ ، الَّذِي لَا يُحْشَى  
مَعَهُ إِمْلَاقٌ ، عُثِدَتْنَا الثُّغْلَى ، وَوَسَّيْلَتُنَا الْكُبْرَى عِنْدَ الْمَلِكِ الْخَلَّاقِ ؛ صَاحِبِ  
الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ ، الَّتِي اهْتَدَى بِهَا ذَوُو الْأَفْكَارِ ، وَالآيَاتِ الظَّاهِرَةِ ، الَّتِي  
حَصَلَ بِهَا التَّمْيِيزُ<sup>(٨)</sup> لَمَنْ لَهُ أَسْتَذْكَارٌ ؛ الْمَوْطَأُ الْأَكْنَافُ<sup>(٩)</sup> وَالْأَخْلَاقُ ، الْمُنْتَقَى  
مِنْ أَعْظَمِ الذِّخَائِرِ ، وَأَنْفَسِ الْأَعْلَاقِ<sup>(١٠)</sup> ، الْمُخْتَارُ مِنْ قَبْلِ نَشْأَةِ آدَمَ وَالْكُونِ

(١) البرود : البارد .

(٢) في ط : « أزهارا » .

(٣) الرائد : الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلا ومساقط النيت .

(٤) اجتلى : نظر .

(٥) في ت : « بواهر » .

(٦) في ت : « بأجياد » .

(٧) الأوطار : جمع وطر « بالتحريك » ، وهو الحاجة .

(٨) في ت : « التمهيد » .

(٩) الموطأ الأكناف : الكريم الدث الأخلاق .

(١٠) الأعلاق : جمع علق ، وهو النفيس من كل شيء .

وقد ذكر المؤلف هنا — على سبيل التورية — أسماء طائفة من الكتب ، لقاضي  
عباس وغيره ، وهي : « الروض الميطار » في أخبار الأقطار « لأبي عبد الله الحلي » ؛  
و « منية الطالب » لأخيه الطالب « لم يعلم مؤلفه » ؛ و « بغية الرائد » لما تضمنته حديث  
أم زرع من الفوائد « ؛ و « الفنية » و « الإكمال لكتاب المعلم » في شرح صحيح  
مسلم « ، وهذه الثلاثة للقاضي عباس « ؛ و « سراج المرادين » لأبي بكر بن العربي .  
و « كنز العارفين » لم يعلم مؤلفه « ؛ و « الذخائر والأعلاق » في آداب النفوس  
ومكارم الأخلاق « لأبي عبد الله الباهلي الإشبيلي « ؛ و « الموطأ » للإمام مالك .  
و « المنتقى » اسم لمعدة كتب .

لم تفتح له أغلاق ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عليه وعلى آله وأصحابه ، الذين لُجُومهم في سماء الحق أُنثلاق ؛ صلاةً وتُسلياً دائمتين ، ما أُنشئت في ثنائه الأحمدي ، وأنشدت بِنفائه الحمدي ، القصائدُ والأبياتُ والأشطار . وبعد <sup>(١)</sup> :

فيقولُ أحمدُ ذو القُصو رِ المَقَرِّي إذا انتسب <sup>(٢)</sup>  
جَبَرَ المُهمينُ صَدْعَهُ وَقَفَاهُ سَيِّئاً ما اكتسب  
وَحَبَاهُ مِنْحَةً مُؤْمِنٍ مَحْضَ العبَادَةِ وَأُحْتَسِب <sup>(٣)</sup>

وأُسدَى إليه من التواهب أسنانها ، ومن العواقب حُسْنُها :

إنه لما سبق القضاء وَجَرَتِ الأقدار ، بارتحالي عن الوطن المَحْبُوب  
والقَرَار ، بعد أن شَمِمتُ عَرَارَهُ <sup>(٤)</sup> النَّجْدِي ولا أشجانَ ولا أكدار <sup>(٥)</sup> ، في عَشِيَّةٍ  
لم يكن بعدها من عَرَارٍ ؛ وَتَرَحَّتُ عن بلد ، به الوالدُ وما وَلَدَ ؛ مَحَلٌّ قَطَعَ  
التَّامُّمَ <sup>(٦)</sup> ، وَفَتَحَ السَّكَّامَ <sup>(٧)</sup> ، سَقَى اللهُ عِبَادَهُ <sup>(٨)</sup> صَوْبَ النِّعَامِ ؛  
بِلَدٍّ تَحَفُّ به الرِّياضُ كَأَنَّهُ وَجْهٌ جَمِيلٌ والرياضُ عِدَارُهُ <sup>(٩)</sup>

(١) في ت : « أما بعد » .

(٢) القصور : المعجز .

(٣) محض العبادة : أخلصها . واحتسب : نوى بعمله وجه الله .

(٤) الررار : بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ؛ يشير إلى قول الصفة القشيري :

تفتح من شميم مزار نجد فبا بعد الشية من مزار

(٥) في ط : « بعد أن شمت حرارة النجد من الأشجان والأكدار » ؛ ولا يستقيم

بها الكلام .

(٦) التامم : خرزات كان الأمراء يملقونها على أولادهم يتقون بها النفس والمعين بزعمهم .

يريد بقطع التامم : وقت أن شب وترمرع .

(٧) السكَّام : أغظية الزهر . يريد وقت تفتح زهرة صباه .

(٨) يريد « بالعباد » : جمع عهد ، وهو الزمان . وفي كتب اللغة أن العباد جمع العهد ،

وهو المطر بعد المطر . أما العهد الزمان لجمعه عهود .

(٩) العذار : جانب الحقبة . وهذا البيت والذي بعده لسان الدين بن الخطيب .

وكأننا واديه مِعَصْمٌ غَادِيَةٌ وَمِنْ الْجُسُورِ الْحِكَمَاتِ سِوَارُهُ  
 وكانَ ذلكَ وَغَضْنَ النَّشَاطُ يَانَعُ<sup>(١)</sup> ، وَبُرْدَ الشَّبَابِ قَشِيبٌ ؛ وَشَمَلَ النَّفْسَ  
 مَجْتَمِعَ دُونَ مَانَعٍ ، وَكَأْسُ<sup>(٢)</sup> الْأَنْسِ مُنْزَجٌ بِتَسْنِيمِ الْقُرْبِ وَشَيْبِ<sup>(٣)</sup> ؛ وَفُودُ<sup>(٤)</sup>  
 الرَّأْسِ غَيْرُ خَاضِعٍ وَلَا خَانِعٍ ، إِذْ<sup>(٥)</sup> لَمْ تَطْرُقْ سَاحَتُهُ وَلَمْ تَجُسْ خِلَالَهُ جِيُوشُ  
 الْمَشِيبِ ؛ حَلَّتْ الْحَضْرَةُ الْفَاسِيَّةُ — حَاطَهَا اللَّهُ — حَيْثُ الْمَجَالِسُ غَاصَّةٌ ، بِالْعَامَةِ  
 وَالْخَاصَّةِ ؛ وَالْمَسَاجِدُ آهَلَةٌ مَقْمُورَةٌ ، وَالشَّاهِدُ بِالزُّوَارِ مَقْمُورُهُ ؛ وَحَالَ الْمَعَارِفُ  
 فَضْفَاضَةً ، وَالْعَوَارِفُ<sup>(٦)</sup> . الْجَلِيلَةُ مُقَاضَةٌ ؛ حَضْرَةُ دِيْبَاجُهَا رَبِيعِيٌّ ، وَامْتِزَاجُهَا  
 بِالنَّفُوسِ طَبِيعِيٌّ ، وَلَمْ لَا ، وَقَدْ نَظَمْتَ الْمَفَاخِرَ وَنَسَقْتَهَا ، وَجَمَعْتَ الْمَآثِرَ وَوَسَقْتَهَا ،  
 جَادَتْهَا غُرُّ الشُّعْبِ<sup>(٧)</sup> وَسَقَتْهَا :

بِلَادُهَا الْحَصْبَاءُ دُرٌّ وَتُرْبُهَا عَبِيرٌ وَأَنْفَاسُ الرِّيحِ شَمُولُ<sup>(٨)</sup>  
 تَسْلَسُلُ مِنْهَا مَآوِهَا وَهُوَ مُطْلَقٌ وَصَحَّ نَسِيمُ الرِّوْضِ وَهُوَ عَلِيلٌ  
 فَأَلْقَيْتُ بِهَا عَصَا التَّسْيِيرِ ، وَقَاهَا اللَّهُ مِنَ الْآفَاتِ وَالْأَغْيَارِ ، وَأَقْتَفَيْتُ فِي  
 ذَلِكَ سَنَنَ بَعْضِ سَلَفِي الْأَخْيَارِ ؛ إِذْ كَانَ أَشْهَرُ أَسْلَافِنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ — صَاحِبُ  
 التَّصَانِيفِ الشَّهِيرَةِ ، الَّتِي اقْتَادَتِ الْمَحَاسِنُ بِرِمَامٍ ؛ الْقَاضِي الْأَشْهَرُ ، الْعَلَامَةُ

(١) الْأَسْلُ فِي الْيَنْعِ : نَضِجَ الثَّمَارُ .

(٢) فِي ط : « وَكَأْسٌ » .

(٣) تَسْنِيمٌ : مَاءٌ فِي الْجِنَةِ . وَشَيْبٌ : خَلِطٌ (بِالْبَاءِ لِلْمَجْهُولِ فِيهَا) . وَلَمْسُهُ رَاعِي  
 الْمَضَافِ إِلَيْهِ فَذَكَرَ الْقَمَلَيْنِ .

(٤) الْفُودُ : مَعْظَمُ شَعْرِ الرَّأْسِ مِمَّا يَلِي الْأُذُنَ . وَيرِيدُ بِخُضُوعِهِ وَخُنُوعِهِ : لِإِمَالَتِهِ  
 مِنْ كِبَرٍ وَضَعْفٍ .

(٥) فِي ط : « إِذَا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) الْعَوَارِفُ : جَمْعُ عَارِفَةٍ ، وَهِيَ الْمَرْوُوفُ .

(٧) فِي ت : « السَّحَابُ » .

(٨) الْمِيرُ : الزَّعْفَرَانُ ، أَوْ هُوَ أَخْلَاطُ الطَّيِّبِ . وَانْشَمُولُ : الْخَرُّ ، أَوْ مَا يَرُدُّ مِنْهَا .

الأظهر ، سيدي أبو عبد الله محمد [بن محمد<sup>(١)</sup>] بن أحمد التميمي القرشي ،  
التلّساني النشأة والقبر ، أفاض الله سبحانه<sup>(٢)</sup> الرحمة على مثوى ذلك الحبر -  
انتقل إليها أيام السلطان المرحوم أبي عنان فارس ، فولّاه قضاء جماعتها ، وبقي  
له<sup>(٣)</sup> المتوكلية أعظم المدارس ، حسناً ذكره غير واحد من أهل القهارس ،  
وأشار إليه الوزير ابن الخطيب في كتاب « الإحاطة » التي أُخِيت من التاريخ  
الرسم الدّارس .

ولم تزل كُتُب الأقارب والإخوان ترد على ، وتثني عنانَ أعتنائها إلى ؛  
وتسكّر وتعدّد ، وتنتاب وتتردّد ، وتنوّع وتتجدّد ؛ فأرتاح إليها ارتياح  
الْقُصْن عند هزّته ، وأحِن إليها حنين كثير إلى معاها عزّته :

[٤] يا مَنْ يُذَكِّرُنِي حَدِيثَ أَحَبِّبِي طابَ الحديثُ بِذِكْرِهِمْ وَيَطِيبُ  
أَعِدَ الحديثَ عَلَيَّ مِنْ جَنَبَاتِهِ إِنَّ الحديثَ عن الحبيب حبيب<sup>(٥)</sup>  
وكثيراً ما يحرك ذلك مِنِّي كَامِنَ شوق ، شَبَّ عَمْرُهُ عن الطوق<sup>(٦)</sup> ؛ وأجد  
من لَوَاعِجِ الأَوَارِ<sup>(٧)</sup> ، ما وجده الفرزدق عند<sup>(٨)</sup> مُبَايَنَةِ النُّوَارِ :

(١) زيادة عن الإحاطة ونفع الطيب .

(٢) جمع سبيل ، وهي الدلو الضخمة المملوءة بالماء .

(٣) في ت : « وبغله » وهو تحريف .

(٤) جنباته : نواحيه .

(٥) أي جاوز حد الاحتال ؛ مأخوذ من التل : « كبر عمرو عن الطوق » . قاله  
جذبة لعمرو بن عدى ، ابن أخته رقاش ، حين رأى عليه طوقاً من ذهب كان له  
في صفرة ، وقد طوقته به أمه بعد غيبة غالبا عنها ، في حديث طويل ، ذكره  
الميداني في أمثاله وصاحب القاموس في مادة « طوق » .

(٦) لواعج الأوار ، أي حرق نار الشوق .

(٧) في ت : « من » .

(٨) يشير إلى ندم الفرزدق لما طلق امرأته النوار في قوله :

ندمت ندامة الكسي لما غدت مني مطلقاً نوار

بَلَدُ الْجَزَائِرِ مَا أَمْرُهُ نَوَاهَا      كَلَفَ الْفَوَادُ بِحُبِّهَا وَهَوَاهَا  
يَا عَاذِلِي فِي حُبِّهَا كُنْ عَاذِرِي      يَكْفِيكَ مِنْهَا مَاوُهَا وَهَوَاهَا

والحنين إلى الوطن مجال لكل حُرٍّ ومِضْمَار !

إِنَّهُ أَحَادِيثُ نَعَانٍ وَسَاكِينِهِ      إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْأَخْبَابِ أَسْمَارُ  
وَلَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ حَنِينُ النَّابِ<sup>(١)</sup> إِلَى عَطْنِهِ<sup>(٢)</sup> ، وَلِالرَّءِ إِلَى مَحَلِّ نَشْأَتِهِ وَوُطْنِهِ .  
وَقَدْ رَوَيْنَا فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَنِينِ سَيِّدِ الْوُجُودِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ  
إِلَى مَكَّةَ ، مَا لَا يَجْهَلُهُ إِلَّا مَنْ هُوَ عَنِ الْعُلُومِ بِمَغْزِلٍ . وَمِنْ الْأَبْيَاتِ السَّائِرَةِ :  
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى<sup>(٣)</sup>      وَحَيْنِيهِ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلٍ  
وَرَبِّ ذِكْرِي أَنْارَتِ الْأَشْوَاقُ وَحَرَ كَتَمَهَا ، وَأَثْنَبَتِ الْفُؤُوسَ فِي حَبَائِلِ  
الْبُؤْسِ وَتَرَكْتُهَا ؛ وَكَمْ مِنْ مَاجِدٍ بَكَى لَفَقْدِ الشَّاهِدِ ، وَأَهْتَمَّ لُبْعَدِ الْعَالَمِ  
وَالْمَعَاهِدِ :

سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ إِنَّهَا      مَرَاتِعُ أُلَافِي وَعَهْدِ صِحَابِي  
وَيَا سَرَّحَةَ الْحَيِّ أَنْعَمِي فَلَطَالَمَا      سَكَبْتُ عَلَى مَثْوَاكِ مَاءَ شَبَابِي  
فَلَهُ تِلْكَ الْمَعَاهِدِ ، مَا أَبْهَجَ مُحْيَاها ! وَحَاطَ<sup>(٤)</sup> بَيْنَ كَلَاءَتِهِ تِلْكَ الْمَشَاهِدَ ،  
مَا أَطْيَبَ<sup>(٥)</sup> رَيَاها ، حِينَ بَاكَرَهَا الْوَسْمِيُّ<sup>(٦)</sup> وَحَيَاها :

(١) النَّابُ : النَّافَةُ الْمَسْنَةُ ؛ وَهِيَ مَوْثِقَةٌ . وَقَدْ أَعَادَ الضَّمِيرُ عَلَيْهَا مَذْكَرًا ، كَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى الْأَصْلِ ، وَهُوَ النَّابُ مِنَ الْعَظْمِ ، فَهُوَ مَذْكَرٌ فِي الْأَشْهُرِ .

(٢) الْمَطْنُ : وَطْنُ الْإِبِلِ وَمَبْرَكُهَا حَوْلَ الْمَاءِ .

(٣) كَذَا فِي طَوْدِيَوَانَ أَبِي تَمَامٍ . وَفِي ت : « كَمْ مِنْ مَنْزِلٍ كَانَ يَأْلَفُهَا الْفَتَى » .

(٤) فِي ت : « وَبَيْنَ كَلَاءَتِهِ » .

(٥) فِي ت : « فَا أَطْيَبُ » .

(٦) الْوَسْمِيُّ : مَطَرُ الرَّيِّحِ الْأَوَّلِ ؛ لِأَنَّهُ يَسْمُ الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ . وَيْلِيهِ « الْوَلِي » وَهُوَ الْمَطَرُ الثَّانِي .



حَيَّا تِلْسَانَ الْحَيَّا فَرُبُّوعَهَا صَدَفٌ يَجُودُ بِذُرِّهِ الْمَكُونِ<sup>(١)</sup>  
 مَا شِئْتَ مِنْ فَضْلِ عِمِّمٍ إِنَّ سَقَى أَرْوَى وَمَنْ لَيْسَ بِالْمَعْمُونِ  
 أَوْشِئْتَ مِنْ دِينَ إِذَا قَذَحُ الْهَدَى أَوْزَى وَدُنْيَا لَمْ تَكُنْ بِالْذُونِ<sup>(٢)</sup>  
 وَرَدَّ النَّسِيمُ لَهَا بِنَشْرِ حَدِيقَةٍ قَدْ أَزْهَرَتْ أَفْنَانُهَا بِفُنُونِ<sup>(٣)</sup>  
 وَإِذَا حَبِيبُهُ أُمَّ يَحْيَى أَتَجَبَّتْ فَلَهَا الشُّفُوفُ عَلَى عُيُونِ الْعُونِ<sup>(٤)</sup>

طالما ذكَّرتِ الأُبْلَةَ وشُعبَ بَوَانَ<sup>(٥)</sup>، وَأَنْتِ صُرُوفَ الزَّمانِ الْخَوَانِ،  
 وَأَنْبَتِ أَزْهَارَ أَنْسِ ذَاتِ أَلْوَانِ، وَثَمَارَ نَخْلٍ مِنَ الْقُرْبِ<sup>(٦)</sup>، صِنَوَانٍ وَغَيْرِ  
 صِنَوَانِ<sup>(٧)</sup>، وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ بِالْجِيرَانِ<sup>(٨)</sup> وَالْإِخْوَانِ؛ وَالرُّوضُ مَطْلُولُ  
 النَّبَاتِ<sup>(٩)</sup>، مُخَضَّرُ الْمَذْبَكَاتِ<sup>(١٠)</sup>، مُخَضَّلُ الْجَنَبَاتِ<sup>(١١)</sup>، مُعَوِّفُ الْحَائِلِ<sup>(١٢)</sup>،

(١) الحيا : المطر . وهذه الأبيات لسان الدين بن الخطيب .

(٢) أوري : أثار وأضاء .

(٣) نصر الحديقة : ما ينتصر عنها من رائحة طيبة .

(٤) حبيبة أم يحيى : عين ماء تلسان ماؤها عذب . (عن هامش الأصل المخطوط) .

والشفوف : الرقة . والعون : البقرا الوحشى . أى أن ماءها أصنى وأرق من  
 عيون المون .

(٥) الأُبْلَةُ : بلدة على شاطئ دجلة البصرة . وشُعبَ بَوَانَ : بفارس ، وهو والأُبْلَةُ  
 من متنزعات الدنيا ، التى سار ذكرها .

(٦) فى ت : « من العزب » .

(٧) الصنوان : المجتمعة ، أو التى أصلها واحد .

(٨) فى ت : « بالأقارب » .

(٩) مطلول النبات : مندى بماء الظل .

(١٠) المذبات ، أى أطراف الأغصان .

(١١) مخضَّل : مبتل . والجَنَبَات : التوامى ؛ أى إنه غير جاف ولا متصوح .

(١٢) معوف : فيه يياض . والحائِل : جمع خيلة ، وهى الأرض ذات النبات ؛ يصف

نبات هذه الحائِل وقد ظهر عليه النور الأبيض .

مُتَضَوِّعُ الشَّمَالِ<sup>(١)</sup> ؛ مُنْسَابُ الْمَاءِ ، مُنْجَابُ السَّمَاءِ<sup>(٢)</sup> ؛ وَالْفُصُونُ مُتَأَوِّدَةٌ  
الْأَعْطَافُ<sup>(٣)</sup> ، دَانِيَةُ الْجَنَى وَالْقِطَافِ ، وَالتَّسِيمُ يَتَّبِقُ نَشْرًا ، وَالْجَوُّ يَتَأَلَّقُ رَوْنَقًا  
وَبَشْرًا ؛ فَتَقْصُرُ عَنْهُ أَوْصَافُ ذَوِي<sup>(٤)</sup> الْإِنْصَافِ :

وَالزَّهْرُ حَيَاتَانَا بَتَقَرُّ بِاسْمِهِ وَالنَّهْرُ قَابِلُنَا بِقَلْبِ صَافِي  
وَلَا لِي الْأَنْدَاءُ<sup>(٥)</sup> فِي النَّدِيرِ غَرْقِي ، وَدُمُوعُ النَّهْرِ لَا تَرْتَقَا<sup>(٦)</sup> ؛ وَالزَّهْرُ  
يَسْقُطُ ، وَأَكْفُ الرِّيحِ تَكْتَبُ ، وَالنَّهَامُ يُنْقَطُ :

كَأَنَّ أَكْفَ الرِّيحِ تَكْتَبُ أُسْطَرًا عَلَى النَّهْرِ إِلَّا أَنْ أُخْرِفَهَا رُزْقُ  
فَتَحْنِي عَلَيْهِنَ الْفُصُونُ قُدُودَهَا لَتَقْرَأَهَا جَهْرًا مِنَ الْوَرَقِ الْوُزْقِ<sup>(٧)</sup>  
وَالْوَرَقَاءُ تَهْتِفُ لَفَقْدِ الْإِلْفِ نَازِحَ ، فَهَيِّجْ شَجْوُ الْجَادِ وَالْمَازِحَ :

[٥]

رُبَّ وَرَقَاءٍ هَتَفَ بِالضُّحَى ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنَنِ  
ذَكَرَتْ إِلْقَاً وَدَهْرًا صَالِحًا فَبَكَتْ شَجْوًا فَهَاجَتْ حَزَنِي  
فُبَكَائِي رَبِّمَا أَرْقَاهَا وَبُكَاهَا رَبِّمَا أَرْقَانِي  
فَإِذَا تَبَدُّوْنِي أُسْعِدُهَا وَإِذَا أُبْدُوْهَا تُسْعِدُنِي<sup>(٨)</sup>  
وَلَقَدْ تَبَكَّيْ فَمَا أَفْهَمُهَا وَلَقَدْ أَبْكَيْ فَمَا تَفْهَمُنِي  
غَيْرَ أَنِّي بِالشَّجَا أَعْرِفُهَا وَهِيَ أَيْضًا بِالشَّجَا تَعْرِفُنِي

(١) التَضَوِّعُ : انْتِشَارُ الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ . وَالشَّمَالُ : جَمْعُ شَمَالٍ وَهِيَ الرِّيحُ . أَيْ أَنَّ الرِّيحَ  
تَنْبِثُ مَطَرَةً بِأَرْيَحِ هَذَا الرُّوْضِ .

(٢) كَذَا فِي ط . وَمِنْجَابُ السَّمَاءِ ، أَيْ سَمَاوُهَا صَافِيَةٌ . وَفِي ت : « مِنْجَافٌ » .

(٣) مُتَأَوِّدَةٌ : تَهْتَزُّ وَتَتَمَلَّلُ . وَالْأَعْطَافُ : جَمْعُ عَطْفٍ ، وَهُوَ الْجَانِبُ .

(٤) فِي ت « ذِي » .

(٥) كَذَا فِي ت . وَفِي ط : « الْأَنْوَاءُ » . وَهِيَ النُّجُومُ ، وَقَدْ يَرَادُ بِهَا الْمَطَرُ .

(٦) لَا تَرْتَقَا (بِالْمُزْزَمِ وَسَهْلٍ) : لَا تَسْكُنُ .

(٧) الْوَرَقُ : الْحَمَامُ ؛ الْوَاحِدَةُ : وَرَقَاءٌ .

(٨) أُسْعِدُهَا : أَعْيِنُهَا عَلَى الْبُكَاءِ .

فَأَكْرِمَ بِهَا مِنْ ذَاتِ طَوْقٍ ، عَبَّرَتْ عَمَّا فِي ضَمِيرِهَا مِنْ جَوَى وَشَوْقٍ ،  
فَسَاقَتْ لَوَاعِجَ الْأَفْكَارِ أَيْ سَوَّقَ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الصَّبِّ فَرَقٌ ، عِنْدَ ذَوَى الدَّوْقِ :

وَتَرَنَّتْ ذَاتُ الْجَنَاحِ بِسُحْرَةٍ بِالْوَادِيَيْنِ ضَمِيحَتِ أَشْوَاقِي  
وَزَقَا تَعَلَّمَتِ الْبُكَاءَ وَالْبَثَّ مِنْ يَمْقُوبَ وَالْأَلْحَانَ مِنْ إِسْحَاقِ<sup>(١)</sup>  
أَنْ تَضَاهِيَنِي هَوَى وَصَابَةَ وَأَسَى وَفَرَطَ جَوَى وَفَيْضَ مَا قَى<sup>(٢)</sup>  
وَأَنَا الَّذِي أُمْلِي الْمَوَى مِنْ خَاطِرِي وَهِيَ الَّتِي تُنْثِي مِنَ الْأَوْرَاقِ

فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ تَمْزِيقِ ذَلِكَ الْإِهَابِ ، وَحُصُولِ شَمْلِهِ فِي يَدِ الْإِتِهَابِ ،  
وإنشاد لسان حاله عند الذهاب :

أَلَا إِنَّ هَذَا الدَّهْرَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ<sup>(٣)</sup> يَكُرَّانِ مِنْ سَبَبَتْ عَلَيْكَ إِلَى سَبَبَتْ  
فَقُلْ لَجْدِيدِ الْقَيْشِ لَا بُدَّ مِنْ بَلَى وَقُلْ لاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ لَا بُدَّ مِنْ شَتٍ<sup>(٤)</sup>  
وهكذا الدنيا إخلاء وإمرار ، وإقرار وإنكار<sup>(٥)</sup> ، وإعلان وإسرار ؛  
تَعَفَّى كُلَّ رَبْعٍ عَامٍ<sup>(٦)</sup> ، وَتَبَدَّدَ شَمْلُ كُلِّ مَأْمُورٍ وَأَمْرٍ :  
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَبْجُونِ إِلَى الصَّفَا أُنَيْسٌ وَلَمْ يَسْتَمِرَّ بِمَكَّةَ سَامِرٌ<sup>(٧)</sup>  
بعدما تَعَمَّنَا بَرْهَةٌ مِنْ [الزَّمان ، فِي ظِلَالِ]<sup>(٨)</sup> الْأَمَانِ ؛ وَقَطَعْنَا نُبْذَةً مِنْ

(١) يعقوب : هو يعقوب النسي والد سيدنا يوسف عليهما السلام . وإسحاق : هو

ابن إبراهيم الموصلي ؛ من شيوخ الغنم في الدولة العباسية .

(٢) تضاهيني : تشاكلي . والمآقي : مجاري الدموع من العيون .

(٣) في ت : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ » .

(٤) شت : تفرق .

(٥) في ط : « وَإِنْكَارٌ وَإِقْرَارٌ » .

(٦) تعف : تطمس وتفتت ، والربع : المنزل والنار .

(٧) الحبجون والصفا : جبلان بمكة . وهذا البيت لعمرو بن الحارث بن مضاير .

(٨) زيادة عن ت .

الشباب ، في مواطن الأحباب ؛ ما بين دراسة ودراية ورواية ، وممارسة أمور  
تُبعد عن طرق الفَوَاية ؛ وتخيير طُروس ، وملازمة دروس ، ومُثول بين يدي  
أشياخ مجالسهم نامية القُروس ؛ وخصوصاً شيخهم الذي [فضله<sup>(١)</sup>] لا يفتقر إلى  
دلالة ، عَمَّا مُقَّتِيهَا سیدی سعيد بن أحمد المقرئ ، شَكَرَ الله خِلَالَهُ ، فهو شيخ  
أُولَئِكَ<sup>(٢)</sup> الأعلام الذين وَرَثُوا العلم عن غيرِ كَلَالِهِ<sup>(٣)</sup> ، وعَمَرُوا ربوع المجد ،  
وتَقَيَّتُوا ظِلَالَهُ ، وأرشدوا إلى سُبُل الهدى ، وأزاحوا عن الضلالة ، وعَمَرَت  
أَرْضُهُمْ بكل مجد وجَلَالِهِ ، وإن نَبَتَ<sup>(٤)</sup> بي لا عن جَفْوَةٍ ومَلَالَةٍ ؛ فَأَهَا على  
بِذَلِكَ القَصْر ما أبْهَاه وأَجْهَلَه ! وأَتَمَّه وأَكَلَه ؛ عصر يكاد يُكَلِّمُنَا فيه الجُمَادُ ،  
وتُرْوِينَا التَّمَادُ<sup>(٥)</sup> ؛ وتُحَيِّنَا العُشَيَاتِ والبُكْرَ ، ولا تَنْتَابِنَا التَّعَلَّاتِ ولا الفِكرَ ؛  
فإن سألنا فَمَنَّهُ في الحقيقة ، وإن صرَّحنا أو كُنَّينا ، فنعني حِمَاهُ وعَفِيقَهُ :

نُسَائِلُ عَنْ ثَمَامَاتٍ بِحُزْوَى      وَبِأَنَّ الرَّمْلَ يَسْلُمُ مَا عَنَيْنَا<sup>(٦)</sup>  
وَقَدْ كُشِفَ النِّطَاطُ فَمَا نُبَالِي      أَصَرَّحْنَا بِذِكْرِي أَمْ كُنَّيْنَا  
وَلَوْ أَنِّي أَنَادَيْتُ يَا سُلَيْمَى      لَقَالُوا مَا أَرَدْتَ سِوَى لُبَيْنَى  
أَلَا لِلَّهِ طَيْفٌ كَانَ يَسْقِي      بِكَاسَاتِ الْكَرَى زُورًا وَمَيْنَا  
فَأَمْسِينَا كَأَنَّا مَا افْتَرَقْنَا      وَأَصْبَحْنَا كَأَنَّا مَا التَّقَيْنَا

[٦]

وَكُنَّا نَحْسِبُ أَنَّ الدَّهْرَ لَا يَدُورُ ، وَأَنَّ الْأَعْبَازَ صُدُورُ ، وَالْأَهْلَةَ مُدُورُ ؛

(١) - زيادة عن ت .

(٢) في ط : « هؤلاء » .

(٣) عن غير كلاله : أى باستحقاق . وفي ت : « لا عن كلاله » .

(٤) في ت : « نبت » .

(٥) التمام ( ككتاب ) : جمع تمد ، وهو الماء القليل .

(٦) التمام : نبت قصير ضعيف لا يطول . وحزوى (بالضم) : جبل من جبال الدهناء .

والبان : السكتيب من الرمل .

حتى ضرب الدهرُ ضَرَبَاتَهُ<sup>(١)</sup> ، وبَدَّدَ الرِّفِيقَ من ذلك الفريق وأَبَانَهُ ؛ فلم تَتَأَوَّدْ قُدُودَ الأغصان ، ولم تَتَرَنَّحْ أعطافَ البان ؛ وانقطعت الأسباب ، عن مواصلة الجيران والأحباب ؛ الذين :

جَرَى<sup>(٢)</sup> بعضهم ذاتَ المِمين وبعضهم شِمَالاً وقلبي بينهم مُتَوَزِّعٌ  
فَوَالله ما أَدْرَى بَلِيشَ وقد مَضَتْ حُمُولُهُمُ أَيَّ الفريقين . أَتَبْعُ ؟  
وهأنا الآن أحاول إطفاءَ لهيبِ بالضلوع وَقَدْ<sup>(٣)</sup> ، وأعالج أدواء سُقْمٍ جَلَّ  
وكيف لا وَقَدْ :

رَوَّعْتُ بالبَيْنِ حتى ما أَرَاعُ بِهِ وبالتصائبِ في أهلي وجيرانِي  
لم يتركِ الدهرُ لِي عِلْقًا أَضْنُ بِهِ<sup>(٤)</sup> إِلَّا رَمَاهُ بِقَدِّ أَوْ بِهَجْرَانِ  
وفي هذا التاريخ الغريب ، وردتْ كُتُبٌ من تلك الناحية حركتْ شَجْوَ  
الغريب ؛ والشوقُ إلى لقائهم ، والتَّوَقُّؤُ إلى ما يَرِدُ من تِلْقَائِهِمْ ، يقتادان  
القلبَ بِزِمَامٍ فَيَنقَادُ ، وَيُقَدِّدَانِ نارَ الوجدِ بين الضلوعِ أَيَّ إيقاد :

هي الدارُ لا أضْحُوها عن علاقة [ لأمر لنا بين الجوانحِ مُضْمَرِ  
بِحَادَةٍ عَلَى أَرْجَائِهَا النَيْثُ إِنَّهَا منازلُ جيرانِ كرامٍ وَمَقْشَرِ<sup>(٥)</sup>  
وكان من مُجَلَّةِ فُصُولِهَا ، وفُرُوعِ أَصُولِهَا ؛ طلبُ التَّعْرِيفِ والإِلمامِ ، ببعضِ  
أحوالِ الشيخ الإمام ، قاضي الأئمة وعلم الأعلام ، عُمدَةُ أربابِ الخابر والأقلام ،  
وَمُفَخَّرُ علماء الإسلام ، ذِي القِصَالِ التي استقلتْ رسومُها<sup>(٦)</sup> ، فلم تحتجِ إلى إعمالِ

(١) ضرب الدهر ضرباته : أحدث حوادثه .

(٢) في ت : « حذا » .

(٣) وقد : اتقد واشتمل .

(٤) في ت : « أظن » ، وهو تحريف .

(٥) ما بين القوسين ساقط في ت .

(٦) استقلت : علت فبانت وظهرت . والرسوم : جمع رسم ، وهي الآثار التي لا تزل لها .

الأعلام<sup>(١)</sup> ؛ والتحاسن التي بهرت أقدارًا وشموسًا ، سيدي أبي الفضل عياض  
ابن موسى ؛ الشهير الصيت في كل قطر ، صبَّ الله على مثواه من الرحاحات  
شأيب القطر :

هو الإمام الذي سارت مآثره في الشرق والغرب سير الشمس والقمر  
وكم له من تأليف قد اشتهرت بكل قطر فقلّ تنبيك عن خبر

قلت : مالى بهذا الأمر يدان ، ولو أيدنى كل قاص ودان ؛ وماذا عسى  
أن أصف من جلالته يهلل بشرها ، وجزالة يتضوع نشرها ؛ وبلاغة تبدّ بلاغة  
سحبان ، وبراعة تقاس عن رتبها<sup>(٢)</sup> الشيب والشبان ، وعلم أظهر غوامض  
الحقائق وأبان ، وحلم أرسخ من رضوى وأبان<sup>(٣)</sup> ؛ ومحاسن ، ماؤها غير آسن ،  
وحلى ، حازت مراتب الملى ، ومصنفات ، مقرّطات مُصنّفات<sup>(٤)</sup> ، أعلاق  
لا تعدلها الأثمان ، ولا تُشدّ على مثلها الأيمان<sup>(٥)</sup> .

على أنى لست من رجال هذا المجال ، ولا من فُرسان مئيدان الإحسان ؛  
إذ الباع قصير ، والقفل بقواعد العلم<sup>(٦)</sup> غير بصير ؛ والقلب حليف أشجان  
وأوصاب ، والفكر أليف غصص تجرّع منها جنى حنظل أو صاب<sup>(٧)</sup> ؛

(١) الأعلام : العلامات يهتدى بها في الطريق ؛ الواحد : علم .

(٢) في ت : « وثبتها » .

(٣) رضوى : جبل بالمدينة . وأبان : جيلان ، الأبيض والأسود ، بينهما نحو فرسخ ،  
الأبيض لبني جريد من فزارة ، والأسود لبني وائلة من بني الحارث بن ثعلبة . (انظر  
مجمع ما استعجم للبكري) .

(٤) مقرّطات : ذات أقرط . ومشتفات ذات شنوف ، وهي الأقرط توضع في  
أعلى الأذان .

(٥) الأيمان : جمع يمين ، وهي اليد اليمنى .

(٦) في ت : « العلوم » .

(٧) الصاب : شبر مر .

[٧] لا أستطيع إنشاء قول ، ولا أفكر<sup>(١)</sup> إلا في همٍّ أو هول ؛ إلى ما دهم من الفتن ،  
التي تحت ما بالدهر<sup>(٢)</sup> من ازديان ؛ وطرق من الحن ، التي يُغنى عن خبرها العيان ؛  
ففتوت منها الأعداد ، إلى أفراد وأزواج ؛ وكثر الترداد ، من الخطوب ذات  
الجموع والأفواج ؛ وتقام ازداد ، هول بحورها المتلاطمة الأمواج :

حملنا من الأيام ما لا نطيقه كما حل العظم الكسير المصائب<sup>(٣)</sup>  
وعصر رجونا منه إيداء منحة فأبدي ولكن بحنة ومصائب<sup>(٤)</sup>  
وما حال من قرّت<sup>(٥)</sup> المصائب عيونه دموعا وجوانحه جوى ، ورمته  
النوائب<sup>(٦)</sup> عن قسيّ النوى ؛ نفع على الكواكب كراه ، وبرح به الشوق  
وبراه . وقطع ودج<sup>(٧)</sup> صبره وفراه<sup>(٨)</sup> ، واعتراه من دهره ما اعتراه ، وضاعف  
ما به كذب حاسد<sup>(٩)</sup> افتراه ؛ بأكل المحاسن ، ويجهل بمساويه أن يحاسن ؛  
ويعيد الحق باطلا ، والحال عاطلا ؛ ويقلب المنحة محنه ، ويرى المصافة  
إحنه ؛ يخال مخاتلة الذيب ، ويكدر مناهل الخلوص والتهذيب ، ويقابل الحق

(١) في ت : « ولا فكر » .

(٢) في ت : « إل فادح من الفتن التي تحت ما بال الدهر » . وهو تحريف .

(٣) الكسير : المكسور . والمصائب : جمع عصابة ، وهي ما يلف حول الجبيرة ونحوها .

(٤) رواية هذا البيت في ت :

وعصر رجونا أن يجود بمنحة وإدراك آمال فأسدى المصائب

(٥) كذا في ط . وقرت : زودت ، من القرى ، وهو الطعام يقدم للضيف . وفي ت :

« وقرت » . ووقرت ، أي حملت (بالتضعيف) . والمروف في هذا المعنى : أوفر .

(٦) في ط : « ورمته سهام النوائب » .

(٧) كذا في ط . والودج (محرّكة) : عرق في النقى . وفي ت : « وجد » .

(٨) فراه : قطعه .

(٩) في ت : « خاسر » .

الواضح بالكذب ؛ ويشتمل بما لا يعنيه ، ويُعرض عما يقربه إلى ربه  
ويُزلفه ويُدنيه<sup>(١)</sup> :

لى حيلة فيمن ينمّ وليس للكذاب حيلة  
من كان يخلق ما يقو لُ خيلتي فيه قليله  
إلى الله المشتكى من هذا وأضرابه ، بمن لم تصف موارد شرابه :  
مضت أعمارنا ومضت سنونا ولم تظفر بذى نقة يدان  
وجربنا الزمان فلم يُفدنا سوى التخويف من أهل الزمان  
ولا عرو أن كان لأهل الزمان به اشتباه ، والله قول بعض أهل الذكاء  
والتيقظ والانتباه :

والناس مثلُ زمانهم قدوا<sup>(٢)</sup> الحذاء على مثاله  
ورجال دهرك مثل دهرك فى تقلبه وحاله  
ولذا إذا فسد الزمان جرى الفساد على رجاله  
أستغفر الله ، هذه نقة مَصْدُور ذى ألم ، أو هفوة مغمور ساعدها طغيان القلم :  
نذمُ زمانًا ما له من جناية ونشكوه لو تُفنى عن المرء شكواه  
ولا ذنب فينا للزمان وإنما جئنا فُتُوقبنا بما قد جئناه  
هو القدر الجارى على الكره والرضا فصبرًا وتسلية لما قدر الله  
وتقوسنا أولى باللوم ، لو سلكنا سبيل خيار القوم ؛ واقتفينا سنن التقوى ،  
وتمسكنا بحبل التوفيق الأقوى :

(١) فى ت : « يقربه لربه لذى ويدنيه » .

(٢) كذا ط ولعلها محرفة عن : « حذو » أو « قد » وكلاما مصدر بمعنى قطع  
الشيء على مثال شيء آخر .



وما دارنا إلا مَوَاتٌ لَوْ أَنَّا نَفَكَّرُ وَالْآخِرَى هِيَ الْحَيَوَانُ  
شَرِينًا<sup>(١)</sup> بها عَزَاءٌ بِهِوْنٌ جِهَالَةٌ وَشَتَانٌ عَزٌّ لِلْفَتَى وَهَوَانٌ  
وَحَقٌّ لِمَنْ عِلْمٌ تَقْلِبَاتِ الدَّهْرِ بِأَهْلِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ ، أَنْ يَسْتَعْمَلَ مَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِهِ  
فِي مَا يُوصِلُهُ إِلَى مَنَازِلِ النِّعَمِ الْمُقِيمِ وَغُرُفَاتِهِ :

لِلدَّهْرِ قَوْمٌ لَا تَزَالُ سِيَاهُهَا تُضَعِي الْأَنَامَ أَصَاغِرًا وَأَكْبَرًا  
طُوبَى لِمَنْ هَجَرَ الْقَبِيحَ وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا عَلَى فِعْلِ الْجَبِيلِ مَثَابِرًا  
جَعَلْنَا اللَّهَ تَمَنَّى نَابِرٍ عَلَى فِعْلِ الْجَبِيلِ ، وَبَلَغَ مِنْ خَيْرِ الدَّارَيْنِ غَايَةَ التَّأْمِيلِ .

[٨] وحين ورد على هذا الخطاب الذي تقدم ، وألقى ركن الاضطراب كاد يتهدم  
أو تهدم ؛ أضربت عن جوابه حيناً من الدهر ، وماطلت مُقْتَضِي دَيْنِهِ مِنْ  
يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ ، وَمِنْ شَهْرٍ إِلَى شَهْرٍ ؛ وَالْأَرْضُ تَمِيدُ اضْطِرَابًا وَاخْتِلَالًا ، وَالْأَحْوَالُ  
تَزِيدُ دَفْقًا وَاعْتِلَالًا ؛ وَأَنَا أَحُومُ عَلَى مَنَاهِلِ الْجَوَابِ حَوْماً ، وَأُرُومُ الْوُرُودِ فِي  
مَشَارِبِهَا الْقَذْبَةِ يَوْماً فَيَوْماً ؛ وَالْأَيَّامُ لَا تَسْمَحُ بِنَهْلِهِ ، وَلَا تَفْسَحُ<sup>(٢)</sup> إِلَيْهَا فَسْحَةً ،  
وَلَا تَوْسِعُهَا مُنْهَلَهُ ؛ ثُمَّ وَقَعَ الْعَزْمُ وَالتَّصَمُّيمُ عَلَى جَوَابِ هَذَا السَّائِلِ ، رَاجِعًا مِنْ  
اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبِ وَأَعْظَمِ الْوَسَائِلِ ؛ وَدَخَلْتُ مِنْ هَذَا  
الْبَابِ بَعْدَ أَنْ قَرَعْتُ ، وَأَخَذْتُ فِي هَذَا الْفَرْضِ وَشَرَعْتُ ، وَشَرِبْتُ مِنْ مَاءِ  
التَّصْنِيفِ وَكَرَّعْتُ ، وَبَذَرْتُ فِي أَرْضِ التَّأْلِيفِ وَزَرَعْتُ ، هَذَا<sup>(٣)</sup> مَعَ أَفَى  
مَا مَهَرْتُ وَلَا بَرَعْتُ ؛ وَلَا أَتَقَنَّتُ لِمَصْنَاعَةِ التَّأْلِيفِ عَمَلًا :

لَكِنْ قَدْرَةٌ مِثْلِي غَيْرُ خَافِيَةٍ وَالنَّمْلُ يُبْذَرُ فِي الْقَدْرِ الَّذِي حَمَلَا  
وَكَثِيرًا مَا خَرَجْتُ مِنَ الشَّيْءِ إِلَى مَا يَنْسَابُهُ وَيَدَانِيهِ ؛ وَبِمَا أَبْعَدْتُ

(١) شرينا (هنا) : بنا .

(٢) ق ت : « تفتح » .

(٣) هذه الكلمة « هذا » : ساقطة في ت .

النَّجْمَةُ<sup>(١)</sup>، ثم وقعت الأوبة والرجعة ؛ على رَغَمِ أَنْفِ قَالِي ذَلِكَ وشأنه ،  
وقرّبت بذلك كلّهُ شاسعاً ، كي تسهل مثنوته على مُعَانِيهِ ، وهَصَرَتْ أَفْنَانُ  
أَلْقَاظِهِ وَمُعَانِيهِ ؛ لِتَقْرُبَ اقْتِطَافُهُ لْجَانِيهِ ؛ وَصِمِيته<sup>(٢)</sup> « بأزهار الرياض ، في أخبار  
عياض ، وما يناسبها مما يحصل به ارتياح وارتياض » ؛ تسمية وافقت إن شاء الله  
مَعْنَاهُ ، وناسبت منزله وَمَعْنَاهُ ؛ لِأَنَّهُ جَمَعَ أَزْهَرَ ذَاتِ أَلْوَانٍ ، مِنْ وَرْدٍ وَأَنْحَوَانٍ ؛  
وَبَهَارٍ<sup>(٣)</sup> ، عَرَفَهُ ذُو انْتِشَارٍ<sup>(٤)</sup> ؛ وَمَنْشُورٍ ، رَوْضَهُ مَرِيحٍ<sup>(٥)</sup> مَمْطُورٍ ، وَنِسْرِينَ<sup>(٦)</sup> ،  
يَفُوقُ أَرْجَهُ مِسْكَ دَارِينَ<sup>(٧)</sup> ؛ وَأَسَاسٍ<sup>(٨)</sup> ، عَاطِرِ الْأَنْفَاسِ ؛ وَشَقِيقٍ<sup>(٩)</sup> ، خَلِيقٍ  
بِالْمَدْحِ حَقِيقٍ ؛ وَنِيلُوفَرٍ<sup>(١٠)</sup> ، حَازَ مِنَ الْحَاسَنِ النِّصِيبَ الْأَوْفَرَ ؛ وَأَجْرِيَتْ  
جَدَاوِلُ أَنْهَارٍ ، مِنَ الْحِكَايَاتِ لَسْتِي هَذِهِ الْأَزْهَارِ ؛ فَأَيْنَعَ النَّوَارِ ، وَتَأَلَّقَتْ الْأَنْوَارِ ،  
وَتَقَنَّ النَّظَرُ بَيْنَ أَنْجَادٍ وَأَغْوَارٍ ، وَلَمْ يَذَرِ وَقَدْ انْتَقَلَ مِنْ أَطْوَارٍ إِلَى أَطْوَارٍ ،  
وَتَأْمَلَ صَرَخًا<sup>(١١)</sup> بُنِيَ عَلَى غَيْرِ [شفا<sup>(١٢)</sup>] جُرْفٍ هَارٍ :

أُضِيَاهُ هَدَى أُمَ ضِيَاهِ نَهَارٍ      وَشَذَا الْمَحَامِدِ أُمَ شَذَا الْأَزْهَارِ

- ( ١ ) النجمة (بضم النون) : الارتياح والطلب .
- ( ٢ ) كذا في ت وهو موافق للمصدر الذي بعده . وفي ط : « ووصيته » .
- ( ٣ ) الأقحوان : نبت طيب الريح ، له نور أبيض كأنه نقر جارية حديثة السن ، وهو البابونج بالفارسية . والبهار : نبت جمعه له فقاصة صفراء ، طيب الرائحة .
- ( ٤ ) في ت : « ذو اشتهار » .
- ( ٥ ) صريع : خصب .
- ( ٦ ) النسرين ( بكسر النون ) : ورد أبيض عطرى الرائحة .
- ( ٧ ) دارين : فُرْصَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ ، يَجِبُ إِلَيْهَا الْمِسْكُ مِنَ الْهِنْدِ . (عن معجم البلدان) .
- ( ٨ ) الآس : الریحان .
- ( ٩ ) الشقيق : نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سود . وفي ط : « والشقيق » .
- ( ١٠ ) النيلوفر (بفتح النون المشددة وكسرهما) : نبات مائي ، له ساق أملس ، فإذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر زهراً أبيض ، وسطه زعفراني اللون .
- ( ١١ ) في ت : « سرخا » بالسين .
- ( ١٢ ) زيادة عن ت .

وقد أفصح تَرْجُمان التراجم عن عدّها<sup>(١)</sup> وسَرِّدها ، ولوّح لُنُكْتة الاختتام  
بنيْلوفرها والافتتاح بوَزدها .

وهي هذه الترجمة :

الأولى : روضة الورد ، في أولية هذا العالم الفرد .

الثانية : روضة الأخوان ؛ في ذكر حاله في التمشأ والشنفوان .

الثالثة : روضة البهار ، في ذكر جملة من شيوخه الذين فضّلهم أظهر من  
شمس النهار .

الرابعة : روضة المنثور ، في بعض ماله من منظوم ومنثور .

الخامسة : روضة النّسرين ، في تصانيفه العديمة النظير والقرين .

السادسة : روضة الآس ، في وفاته وما قابله به الدهر الذي ليس لجُرْحه  
من آس . [١]

السابعة : روضة الشّقيق ، في جَمَل من [فوائده ، ولَمَع من<sup>(٢)</sup>] فرائده ،  
المنظومة نظم الدرّ والعقيق .

الثامنة : روضة النيْلوفر ، في ثناء الناس عليه وذكر بعض مناقبه التي هي  
أعطر من المسك الأذفر .

فدونك أيها الناظر<sup>(٣)</sup> روضات أزهار ، وجنات تجري من تحتها الأنهار ؛  
أبوابها ثمانية ، وقطوفها دانية ؛ تَعَطَّر منها نسيم الصّبَا بزهر الآداب ، وصما إلى

(١) في ط : « عددها » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) في ت : « أيها الأَخ الناظر » .

محاسنها من تعلق من التاريخ بأهداب<sup>(١)</sup> ؛ لم أَسْبِقْ إلى مثلها فيما رأيت ، وإن  
بَدَأْتُ فيها عن التمهيع التطروق ونأيت ؛ والإنسان مُغْرَمٌ<sup>(٢)</sup> بَيْنَيَاتِ أفكاره ،  
وإن قُوبِلَ ما صدر منه بإنكاره ؛ وقد أَتَشَدَّتْ بلسان حالها ، مخاطبة من رضى  
باتسائها وانتجالها :

سَرَّحْ جُفُونَكَ فِي الْحَدَا      ثِقِ وَأَجْنِ أَزْهَارَ الرِّيَاضِ  
مِنْ وَرْدٍ أَوْ شَقَا      ثِقِ أَوْ بِهَارٍ ذِي بَيَاضِ  
وَأَشْرِبْ بِكَاسَاتِ الرَّفَا      ثِقِ مِنْ عُيُونٍ أَوْ حِيَاضِ  
وَانْظُرْ مَنَاقِبَ ذِي الْحَقَا      ثِقِ عَالِمَ الدُّنْيَا عِيَاضِ

واكرع بماء التعريف زُلَلا ، وأدِرْ كَأْسَ التَّشْرِيفِ حَلَالَا ؛ وأرَوِّ من هذا  
النهر ، واقطِفْ ما شئت من أصناف الزَّهْرِ ؛ وأخْطِرْ هذه الروضة بِيَالِكَ ، وأدرِ  
إليها وجهَ قَبُولِكَ وإِقْبَالِكَ ؛ فثَوَّلَهَا وإن لم يكن بمُصِيب ، ولا بمن له في  
الإجادة حظٌّ وافر ولا نصيب<sup>(٣)</sup> ، فَمَنْ أَلْقَتْ فِيهِ تَحَسَّنَ بِإِحْسَانِهِ وتَنَال<sup>(٤)</sup>  
المرعى الخَصِيبَ :

سَلامٌ مِثْلُ عَرَفِ الْمِسْكِ طَيِّبَا      وَحُسْنًا مِثْلُ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ  
عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ وَالْعَالَى      إِمَامَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عِيَاضِ<sup>(٥)</sup>  
إِذَا مَا قَيْسٍ بِالْأَلْمَاءِ طُرًّا      غَدَا بَحْرًا وَأَصْحَوَا كَالْحِيَاضِ

(١) في ت : « قطعاً إلى محاسنها من تعلق من التاريخ الأهداب » . وهي  
ظاهرة التعريف .

(٢) في ت : « يجرع » وهو تحريف .

(٣) في ط : « وافر ونصيب » .

(٤) أشير في هامش ط فوق هذه الكلمة إلى رواية نسخة أخرى ، وهي : « وترعى » .

(٥) رواية الشطر الثاني من هذا البيت في ت : « ومعنى المجد والعليا عياض » .

وكننت حين شرعت في هذا المجموع السامى ، وأطلعت على بعضه صاحبنا  
الفقيه العلامة الأصيل الحاجّ الرجال ، أبا الحسن سيدى على بن أحمد الخزرجي  
الشامى ، حفظ الله كماله ، وبلغه آماله ، خاطبني بقصيدة من نظمه ، أسماه الله ،  
ألم فيها بذكر هذا الموضوع بما يقتضيه شرفُ خِلاله ، وكرمُ جلاله ؛ وأشار فيها  
إلى نقض عزم الرحلة التي نَوَيْتُ إذ ذاك <sup>(١)</sup> للمكان الشريف ، لأحرمتنا <sup>(٢)</sup> الله  
من <sup>(٣)</sup> مشاهدته عن قُرب ، في حفظ وعافية ، بِنْتِه وبُيْنَتِه . وهى هذه ، وأنشدنيها  
من لفظه ، وكتبها بخطه ، وأرسلها إلى ، شكر الله صَليْعه .

أُمْنِي الغرب أبْدَعْتُمْ طَرَاظًا      نَثَرْتُمْ فِيهِ أَزْهَارَ الرِّيَاضِ <sup>(٤)</sup>  
وَنَظَّمْتُمْ عُقُودًا مِنْ لَآلٍ      لَجِيدَ حُلَى الْمَآثِرِ مِنْ عِيَاضِ  
وَأَوْرَقْتُمْ غُصُونَهُ لَمَّا      سَقَاها فِكْرُكُمْ سَقَى الْحِيَاضِ <sup>(٥)</sup>  
وَتَقْتُمُ مَطَارِفَ مَا رَأَيْنَا      كَطَرُهَا سَوَادًا فِي بَيَاضِ <sup>(٦)</sup>  
وَنَادَيْتُمْ عَقَائِلَهُ فَذَلَّتْ      شَوَامِهَا إِلَيْكُمْ بَارِئِيَاضِ <sup>(٧)</sup>  
وَأَسْتَمْتُمْ مِنَ الْآثَارِ طُرًّا      قَوَاعِدَ لَا تُسَاوِمُ <sup>(٨)</sup> بِانْتِقَاضِ  
لَكَ التَّبَرُّزِ فِي الْعُلْيَاءِ فَاقْضِ      عَلَى عُلَمَائِهَا مَا أَنْتَ قَاضِي

[١٠]

(١) ف ت : « ذلك » .

(٢) ف ت : « لا أحرمتنا » .

(٣) السموع أن الفضلين (حرم ، وأحرم) يعمدان بنفسهما إلى مفعولين .

(٤) الطراز : علم الثوب ، أى ما فيه من نقش .

(٥) جاء بالفعل « أورك » هنا متعديا ، وهو لازم .

(٦) الطرة : نقش في الثوب يخالف لونه ، يمتد على الجانبين .

(٧) العقائل : جمع عقيلة ، وهى التبيبة الكريمة ، والشوامس : جمع شامسة ، وهى المتتعة .

(٨) كذا في ط . ولا تساوم بانتقاض ، أى لا يطمع في نقضها ، من المساومة ، وهى

المجاذبة بين البائع والمشتري . وف ت : « لا تسام » ، إلا أن الوزن لا يستقيم بها .

تَبَدَّيْتُ بِهَا بَدْرًا وَحُزْمَ خِصَالِ سَبَاقِكُمْ<sup>(١)</sup> دُونَ اعْتِرَاضٍ  
نَعِيمٌ بِالْكَمَالِ بِمَنْزِلِ عَطْفٍ وَكُلُّهُمْ بِذَلِكَ النَّعْتِ رَاضٍ  
وَمَا وَفَوْا بِحَقِّكُمْ وَلَكِنْ يُودَى الْبَعْضُ مِنْ بَعْضِ افْتِرَاضٍ  
بِعِلْمِكُمْ شَفِيتُمْ أَرْضَ غَرْبٍ وَكَانَتْ ذَاتَ أَحْشَاءٍ مِرَاضٍ  
وَلَمَّا أَنْ بَدَأَ مِنْكُمْ فِرَاقٌ تَوَقَّعْتَ أَنْ يَثُولَ إِلَى اقْتِرَاضٍ  
وَأَنَّ نُجُومَهَا بِالْبُعْدِ يُخْشَى عَلَيْهَا مِنْ سُقُوطٍ وَأَنْقِضَاضٍ  
فَارْسَلْ شَافِعًا خِلَ حَسَّاهِ بِهَذَا الْبُعْدِ أَمْسَتْ فِي انْقِضَاضٍ  
يَذْكُرُكُمْ لِيَالِي تَبَرَاتٍ بِأَنْسِكُمْ تُبِيرُ دُجَى الْمُنَاضِ<sup>(٢)</sup>  
يَوَدُّ الطَّرْفُ يَجْعَلُهَا اكْتِحَالًا مَكَانَ سَوَادِهِ دُونَ اغْتِيَاضٍ  
بِحَقِّ اللَّهِ لَا تُبْدِي دُجَاهَا بِغَيْبَةٍ بِذُرِّكُمْ بَعْدَ ائْتِمَاضِ<sup>(٣)</sup>  
وَلَا تَهْمِلْ شِفَاعَةَ مُسْتَهَامِ صَدُوقِ الْوَدِّ فِي آتٍ وَمَاضٍ  
وَدُمْ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا إِمَامًا وَبَحْرَ هُدًى عُلُومِكُمْ فِي افْتِيَاضٍ  
يَعْمُ الْأَرْضَ مَا لَاحَتْ<sup>(٤)</sup> بُدُورُ وَمَا فَاحَتْ أَزَاهِرُ فِي رِيَاضٍ  
يَكْرَعُ مِنْهُ الْمُلُوكُ عَلًّا وَنَهْلًا ، وَيَضْرَعُ فِي الْجَوَابِ قِمْلًا لَا قَوْلَا ؛ وَيُعِيدُ  
السَّلَامَ التَّامَ ، الزَّكِيَّ الْعَامَّ ، عَلَى الْمَجْلِسِ الْعَلِيِّ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ .  
اتَّهَى مَا كَتَبَ بِهِ صَانَهُ اللَّهُ ، وَأَضْفَى عَلَيْهِ حُلَّ الْمَجْدِ .

(١) في ط : « سباقهم » .

(٢) المناض (بالضم) : وجع يصيب العين (كما في شرح القاموس) ؛ ويريد بدعي المناض : ما يجده المريض ببغيه من سواد حاله .

(٣) ائتماض : بريق ولعان ؛ وهو اعتمال من ومنى . وفي ط « ائتماض » ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) في ت : « ما دامت » .

وقد ذكرتُ في هذا الكتاب حكاياتٍ مختلفة ، وفنوناً مفيدة<sup>(١)</sup> ، يزداد الناظر بها معرفة [حسباً<sup>(٢)</sup>] جرت بذلك عادة كثير من الأئمة في مُصنّفاتهم ، ومجالس دَرَسهم . وقد قال الماوردي ، أفضى القضاة في كتاب آداب الدين والدنيا<sup>(٣)</sup> : القلوب تَرْتاح إلى الفنون المختلفة ؛ وذَكَر أن المأمون كان ينتقل في قَصْره من موضع إلى موضع ، ويُنشد قول أبي العتاهية :

لا يُصلحُ النفسَ إذ كانت مُدْبِرَةً إلا التَّنقُلُ من حالٍ إلى حالٍ<sup>(٤)</sup>  
وقال أبو حنيفة : الحكايات عن العلماء أحبّ إلى من كثير من الفقه ، لأنها آداب القوم . وقال الشيخ سيّدنا أبو القاسم الجُنيد ، رضى الله عنه ، وقمنا ببركاته : الحكايات جُند من جنود الله ، يُقَوِّى الله بها أبدانَ المُريدين . وقال الإمام المَوَاقِ<sup>(٥)</sup> في كتابه المسمّى «سند المهتدين»<sup>(٦)</sup> عن شيخه المَنَتَوَرى ، بسنده إلى أبي العباس بن العريف ، قال : كنت في مجلس أستاذي أبي علي الصّدَقِ<sup>(٧)</sup> أقرأ عليه الحديث ، فقرأ يوماً الحديث ثم أغلق الكتاب وجعل

(١) في ت : « حكايات عظيمة ، وفنون بديعة » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) هو كتاب « أدب الدنيا والدين » كما في كتب الفهارس .

(٤) النفس المدبرة : المشغولة بالتفكير في الأمور .

(٥) كذا في ط . والمواق ، هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم خطيب

غمرناطة . وفي ت : « المواق » وهو تحريف .

(٦) كذا في ط . وهو « سند المهتدين في مقامات الدين » . والكتاب محفوظ

بدار الكتب المصرية برقم ٨٣٥ تصوف . وفي ت : « سنن المهتدي »

وهو تحريف .

(٧) هو القاضي أبو علي حسين بن محمد بن حيون بن فيرة الصديقي السرقسطي ، يعرف

بأبن سكرة وبأبن الدراج . لم يكن بشرق الأندلس في وقته مثله في تهديد الحديث

وضبطه ، والمالوف روايته . توفي سنة ٥١٤ هـ . (راجع بقية المتن للفتي ،

وفتح الطيب للؤلؤف ، والصلة لابن بشكوال) .

يحكى حكايات<sup>(١)</sup> الصالحين ، فوقع في نفسه : كيف يُعجز الشيخُ أن يَقطع حديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحكي الحكايات ؟ قال : فأتيتُ لي الخاطرُ حتى نظرتُ إلى<sup>(٢)</sup> الشيخِ شَرْرًا ، وقال : يا أحمد ، الحكاياتُ جُندٌ من جنود الله يثبَّت الله بها قلوبَ العارفين من عباده . قال : فما بقي في جَسدي شِعرَةٌ إلا قَطَر منها العرق . فلما رَأَيْتُ دَهْشَت ، قال لي : يا أحمد ، أين مُضدُّك ذلك من كتاب الله ؟ قلت : الشيخ أعلم ؛ قال : قوله تعالى : « وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ » الآية . انتهى .

وهذا آوانُ الشُّروع ، وعلى الله قَصْدُ السَّبِيل ، وهو حَسْبِي ونعم الوكيل .

(١) كذا في ن و سند المهتدين . وفي ط : « حكاية » .

(٢) كذا في سند المهتدين ، وفي الأصلين : « نظرتني » .



روضة الورد في أولية هذا الإمام الفرد<sup>(١)</sup>

أقول ، وعلى الله أعتمد ، ومن بحر كرمه أَسْتَدِد :  
 هذه ترجمة نذكر فيها أصله وتَحْتَدَه ، وأوَّلِيَّتَه ومولده .  
 قال الشيخ الإمام الرِّحَال أبو عبد الله محمد بن جابر الوادئ آثئ<sup>(٢)</sup> ، الملقب عند الوادئ آثئ  
 بِشَمْس الدين ، رحمه الله وَرَضِي عنه :

هو عِيَاض بن موسى بن عِيَاض بن عَمْرُون بن موسى بن عِيَاض بن محمد  
 ابن عبد الله بن موسى بن عِيَاض الْبَحْصِي السَّيْتِي . هكذا ذكر نسبَه الشيخُ  
 أبو القاسم اللَّاحِي . وَعَمْرُون ، ثبت عنده بنون بعد الواو .

ووقع في مُعْجَم أَمْحَاب الصَّدَقِي ، للإمام الشهير القاضي أبي عبد الله محمد بن  
 عبد الله الْقَضَائِي ، المعروف بابن الأَبَار : « عمرو » ، دون نون .

قلت : ونحوه لابن خاتمة<sup>(٣)</sup> في الكتاب المسمى بـ « مَرْيَةِ التَّرِيَّة » ، على غيرها  
 من البلاد الأندلسية .

وقال الشيخ أبو القاسم بن المَلْجُوم :

إجتاز علينا القاضي عِيَاض عند انصرافه من سُبَّة قاصدا إلى الحَضْرَة ،  
 زائراً لأبي بداره<sup>(٤)</sup> عشية يوم الاثنين الثامن لرجب ، سنة ثلاث وأربعين وخمس

(١) فيما سبق عند الكلام على تقسيم الروضات (ص ١٧ من هذا الجزء) : « العالم الفرد » .

(٢) هو محمد بن أحمد بن علي الهواري ، من أهل المرة ، كان كفيف البصر ، وهو من  
 شيوخ لسان الدين بن الخطيب ، وصاحب البديعة المعروفة يديعية العميان . وقد  
 رحل إلى المشرق في طلب الحديث . والوادي آثئ : نسبة إلى وادي آثئ ( ويقال  
 فيه : وادي الأشات ) . وهي مدينة جليلة من أعمال غرناطة . ( عن فتح الطيب ) .

(٣) ابن خاتمة : هو أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري ، من  
 أهل المرة ، يكنى أبا جعفر . ( راجع الإحاطة وفتح الطيب ) .

(٤) في ت : « في داره » .

عند ابن الملقوم

مَنَّةً ، وفي هذه العشية استجَرَّتْهُ <sup>(١)</sup> ، وسألته عن نسبه ؛ فقال لي : إنما أحفظ : « عِيَاضُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيَاضِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مُوسَى بْنِ عِيَاضٍ . وأحفظ أيضا بعد ذلك : محمد <sup>(٢)</sup> بْنُ عَبْدِ اللَّهِ <sup>(٣)</sup> بْنِ مُوسَى بْنِ عِيَاضٍ . ولا أعرف أن محمدا هذا هو أبو عِيَاضٍ أو بينهما أحد » . انتهى كلام ابن الملجوم .

وقوله « اجتاز علينا » يعني بمدينة فاس ، وقوله « قاصدا إلى الحضرة » [١٢] يعني مَرَّاكُش .

وأفادني الشيخُ العارفُ الْمُتَبَيِّلُ ، الرَّبَّانِيُّ الْبَرَكَةُ ، سيدي حُسَيْنُ الزَّرَوِيلِيّ تزوله بدار ابن الفرديس أن بقي الله بركاته ، وأدام وجوده والنفع به :

أن القاضي عِيَاضًا ، رضى الله عنه ، لما دخل الحضرة الفاسية ، حاطها الله ، نزل بدار ابن الفرديس التَّغْلَبِيّ <sup>(٤)</sup> بِرَقَّةَ حِجَامَةٍ ، حسبما أشار إليه ابن الأحرر ، ولم نزل هذه الدار إلى الآن بيد أولاد ابن الفرديس .

وقال نجلُ عِيَاضِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عِيَاضٍ ، قاضي دانية <sup>(٥)</sup> ، على ما قال ابن خَلِّكَانَ ؛ وقاضي غَرْنَاطَةِ ، على ما قال <sup>(٦)</sup> ابنُ قُفْطُذٍ وغيره . ولعله تَوَلَّى القضاء فيهما معا رحمه الله ، المتوفى سنة خمس وسبعين وخمس مئة :

- 
- (١) استجرت: طلبت منه أن يجيزني ، أى يأذن لي بقراءة مؤلفاته ومروياته .  
 (٢) كذا في ت ومعجم أصحاب الصدفى لابن الأبار ، وفيه سيأتى في الأصلين . وفي ط هنا : « أحد » وهو تحريف .  
 (٣) لم يذكر ابن الأبار « عبد الله » في أجداد القاضي عِيَاضٍ .  
 (٤) هو محمد بن الفرديس قاضى فاس إذ ذاك . (انظر كتاب البستان لابن مريم طبع الجزائر صفحة ٥٤) .  
 (٥) دانية : مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية ، على شفة البحر شرقا . (عن مسجم البلدان) .  
 (٦) في ط : « ما قاله » .

« كان أبي يقول : لا أدري : هل محمد والد عياض ، أو بينهما رجل ؟ فهو جدّه » . انتهى .

وهو مثل ما حكى ابن الملقوم عن عياض ، كما سبق قريبا .  
ورأيت في تاريخ الشمس ابن خلكان ، المسمى بـ «وفيات الأعيان» ، عند ابن خلكان في تعداد آباء القاضي عياض ، خلاف ما سبق ؛ ولا أدري : هل ذلك تحريف من الناسخ أو وهم من المؤلف ؟ ونصه : « عياض بن موسى بن عياض بن موسى بن عياض بن محمد بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي » . انتهى .  
فأنت تراه قد أسقط « عمرو »<sup>(١)</sup> فيما بين عياض وموسى ، وأسقط أيضا « عبد الله » فيما بين « محمد » و « موسى » .

وقد واقفه على إسقاط « عبد الله » الشيخ العلامة ابن خاتمة في « مزيّة البرية » ، فإنه قال في باب العين ما نصه : « ومن الغُرَباء : عياض بن موسى ابن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي »<sup>(٢)</sup> . انتهى .

على أن ابن خلكان وغيره من المشارقة ربما يقع لهم الغلط في تاريخ أهل المغرب ، لبعد الديار ، ولغير ذلك ، مما لا يخفى على من مارس علم التاريخ ؛ كما أن كثيرا من المغاربة لا يحرمون تاريخ المشارقة ، لما ذكرناه ؛ ولذا قال شيخ الإسلام ابن حجر<sup>(٣)</sup> في تأليفه المسمى بـ « إنباء الغمر ، بأنباء العُمر » حين عرّف

(١) التي في وفيات الأعيان لابن خلكان المطبوع يخالف ما ذكره المؤلف ، إذ فيه :

« عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن

عياض اليحصبي السبق » بذكر « عمر » في مكان « عمرو » .

(٢) وواقفهما أيضا ابن الأبار في معجمه على إسقاط اسم « عبد الله » من نسب عياض .

(٣) هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي ، الشهير بابن حجر السفلاقي ،

المولود سنة ٧٧٣ هـ ، والمتوفى سنة ٨٥٢ هـ .

شيء عن ابن  
خلكان وابن  
خلدون

بشيخه وليّ الدين بن خلدون الحضرميّ القاضى القضاة المالكية ،  
بالديار المصرية ، وهو صاحب التاريخ الكبير المشهور ، الموسوم بـ «ديوان العبر» ،  
وكتاب المبتدأ والخبر ، فى تاريخ العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من  
ذوى السلطان الأَكْبَر<sup>(١)</sup> » مانصه :

« وصنف التاريخ الكبير فى سبع مجلدات ضخمة ، ظهرت فيه فضائله ،  
وأبان فيه عن براعته ، ولم يكن مطلقاً على الأخبار على جليتها ، ولا سبياً  
أخبار<sup>(٢)</sup> الشرق ، وهذا<sup>(٣)</sup> بين لمن نظر فى كلامه » . انتهى .

وأن هذا الكلام وقول<sup>(٤)</sup> الشيخ<sup>(٥)</sup> شمس الدين البغدادى فى الشيخ  
وليّ الدين عبد الرحمن بن خلدون المذكور ، رحم الله الجميع :

قاضى القضاة ابنُ خَلْدُونٍ أتى عَجَباً تاريخُهُ مُحَبَّرٌ عن سائر الدُّوَلِ  
قالوا وَلَيْتُ قُتِلْنَا من كرامتهِ وَكشَفَهُ جاء يُنَبِّئُنا عن الأوَّلِ<sup>(٦)</sup> [١٣]  
وليس يدعنا ولا فى الله مُمْتَنِعاً أن يجمع العالمُ الكُلِّيَّ فى رجلٍ<sup>(٧)</sup>  
وبالجملة فما ذكرنا أولاً فى تعداد آباء القاضى عياض ، رحمه الله ، هو الذى

(١) اسم الكتاب على النسخة المطبوعة ، وفى كشف الظنون ، وفى نفع الطيب :  
« كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ... الخ » .

(٢) كذا فى ط وإنباء النمر . وفى ت : « أخبار أهل المشرق » .

(٣) كذا فى ط وأنباء النمر المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٧٦ تاريخ .  
وفى ت : « وهو » .

(٤) فى ت : « من قول » .

(٥) هذه الكلمة : « الشيخ » ساقطة فى ت .

(٦) يشير بقوله : « ولي » إلى لقب ابن خلدون وهو : « ولي الدين » .

(٧) ينظر فى هذا البيت إلى قول أبي نواس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

عليه المولود ، وعليه أعتد ولده ، وابن اللجوم ، وابن بشكوال<sup>(١)</sup> ، وابن جابر ، وابن الخطيب في « الإحاطة » ، وغير واحد ؛ وكفى بهؤلاء حجة . وناهيك بولده وابن اللجوم ، الذي أخذ ذلك من لفظه ، حسبما سبق آتفا ؛ وهو الصواب الذي لا يُبدل عنه ، والله تعالى أعلم .

الكلام في ضبط  
« اليحصي »

وَالْيَحْصِيُّ ، بضم الصاد وكسر ها ، وزاد بعضهم فَتَحَهَا<sup>(٢)</sup> ، ونحوه لابن خلكان ؛ واقتصر بعضهم على الكسر قائلا : وهو الصواب ، بناء على أنها ، أعنى الْقَبِيلَةُ ، يَحْصِبُ ، بكسر الصاد ، كَتَلِبُ . ولا أشك أن النسب إليه إن كان بكسر الصاد : يَحْصِي ، بالكسر كَتَلِي<sup>(٣)</sup> ؛ وأما ضم الصاد في النسب ، فهو مبنى على أن « يَحْصِبُ » بضم الصاد<sup>(٤)</sup> في الحى . قال ابن سيده في مُحْكَمِهِ : وَيَحْصِبُ : قبيلة ، وإنما هى يَحْصِبُ ، يعنى بضم الصاد ، نُقِلَتْ من قولك : حَصَبَهُ بالحصى يَحْصِبُهُ ؛ قال ابن جابر : وليس بالقوى<sup>(٥)</sup> .

وَيَحْصِبُ : من حَمِير ، وهو يَحْصِبُ بْنُ مُذْرِك ، حسبما هو مذكور في كتب الأنساب .

قال القاضي أبو عبد الله محمد بن القاضي أبي الفضل عياض :

محمد بن عياض  
يخبر عن موطن  
أجداده

- (١) لم يذكر ابن بشكوال في الصلة غير : « عياض بن موسى بن عياض اليحصي » .
- (٢) زيد في هامش ط عند هذه الكلمة : « فيكون مثلثا ، ونقل الثالث الجبرى في شرح الشاطبية ، وابن مالك في مثلثاته ، وغيرها » .
- (٣) يجوز في النسب إلى تلب ونحوه كسر الثالث وفتحه . وزيد في هامش ط عند هذه الكلمة : « فيه نظر يعلم من شرح الشفاء للضباب . وفي كتب الصرف في التسهيل : الفتح ، وهو الجاري على قواعد النسب وإن كان بالكسر ، كأنه كسر ونحوه » .
- (٤) في ط : « يعنى بضم الصاد » .
- (٥) أى أن جعل الفعل من باب نصر ليس بالقوى ، وإنما القوى فيه أنه من باب ضرب .

« استقر أجدادنا في القديم بحجة بَسْطَة<sup>(١)</sup> ، من بلاد الأندلس ، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس ، وكان لهم استقرار بالقيروان ، فلا أدرى أكان قبل استقرارهم بالأندلس أم بعده ؟ ولذلك يقول عبد الله بن حكيم :

وكانت لهم بالقيروان مآثر عليها لمحض الحق أوضح برهان  
قال :

وكان « عمرو » والد جد أبي ، رحمة الله على جميعهم ، رجلاً خيراً صالحاً ، من أهل القرآن ، حجَّ إحدى عشرة حِجَّةً ، وغزا مع ابن أبي عامر<sup>(٢)</sup> غزوات كثيرة ، وانتقل من مدينة فاس إلى مدينة سَبْتَة ، بعد دخول بني عُبيد<sup>(٣)</sup> المغرب ، وكان سبب ذلك أنه كان له ولأبيه ناهية بمدينة فاس ، فأخذ ابن أبي عامر رهنًا من أعيان مدينة فاس ، فأخذ فيهم أخو « عمرو » : عيسى والقاسم ، فخرج عمرو إلى مدينة سَبْتَة ، ليقرَّب من أخبارها بمدينة قرطبة ، فاستحسن سُكنى مدينة سَبْتَة ، وكان مُوسِراً ، فاشترى [بها<sup>(٤)</sup>] أرضاً ، وهي المعروفة بالمتنارة ، فبنى في بعضها مَسْجِداً ، وفي بعضها داراً ، حَبَسَهَا على المسجد ، وهو حتى الآن منسوب إليه ، وَحَبَسَ باقي الأرض للدفن ، ولم يزل منقطعاً في ذلك المسجد إلى أن مات ، رحمه الله ، سنة سبع وتسعين وثلاث مئة . ووُلِدَ له قبل وفاته ببسيرا ابنه عياض ، ثم وُلِدَ لعياض ابنه موسى ، ثم ولد لموسى ابنه

[١٤]

(١) بَسْطَة : من أعمال جيان . (عن تقويم البلدان) .

(٢) هو النصور محمد بن أبي عامر الماغري الوزير الحاجب في دولة المؤيد هشام بن الحكم المستنصر الأموي . كان من أهل الفقه والحكمة والدهاء ، وأبلى في عمارة الإنسان أعظم البلاد .

(٣) يريد الفاطميين أولاد عبيد الله المهدي .

(٤) زيادة عن ت .

عياض ، أبى ، رحمهم الله أجمعين ؛ وذلك ، فيما رأيته بخطه ، فى النصف من شعبان عام ستة وسبعين وأربع مئة بسبته . انتهى .

والسبتي : نسبة إلى سبته ، مدينة بساحل بحر الزقاق ، مشهورة ، واختلف فى سبب تسميتها بذلك ، فقيل لانقطاعها فى البحر ، من قولك : سبت النعل : إذا قطعها <sup>(١)</sup> ، وقيل لأن تحتها هو سبت بن سام بن نوح ، وإلى هذا الأخير ينظر قول لسان الدين الوزير الشهير ، العلامة أبو عبد الله بن الخطيب السلماني الغرناطي ، رحمه الله ، من قصيدة :

حيث يا مختط سبت بن نوح بكل مؤن يفتدى أو يروح  
مغنى أبى الفضل عياض الذى أضحى برياه رياض <sup>(٢)</sup> تنوح  
وفيهما يقول الأديب أبو الحكم مالك بن المرحل ، من قصيدة طويلة بديعة <sup>(٣)</sup> جداً ، مطلعها :

سلام على سبته المغرب أخيه مكة أو يثرب  
وفى مدحها يقول أيضاً رحمه الله :  
إحيط على سبته وانظر إلى جمالها تصبو إلى حسنه  
كأنها عود غناء وقد ألقى فى البحر على بطنه  
وقال الجبارى فى الشهب :

« أول من سكن بر العدو وبر الأندلس من ولد نوح بعد الطوفان ، سبت وأندلس ابنا <sup>(٤)</sup> يافث بن نوح ، فنزل سبت فى آخر المعمور من بر العدو ،

(١) فى ط : « قطعه » . والمعروف أن النعل مؤنثة .

(٢) فى ت ونجح الطيب : « رياض » .

(٣) هذه الكلمة « بديعة » ساقطة فى ت .

(٤) فى ط : « ابن » وهو تحريف .

وبنى له منزلاً في موضع سَبْتَة ، فدُعيت <sup>(١)</sup> باسمه ، وتناسلت منه قبائل البربر ،  
واتسمت في بَرِّ الدَّوَة إلى أن بلغت إلى فِلَسْطِينَ ، وكان مَلِكُهُمْ يسمي  
جالوت ، وكان مَجُوسِيَا ، وهَزَمَهُ طَالُوت ، وقتله داوُد ، فانضمت البربر عن  
فِلَسْطِينَ ، وعن الديار المصرية ، واقتصرت من بَرِّقَة إلى آخر المعمور ؛ وسكن  
أَخُوهُ أُنْدَلُس [مقابلاً له في <sup>(٢)</sup>] انتهاء المعمور ، فعرفت باسمه « . انتهى .  
وأكثر بلاد الدَّوَة في الإقليم الثالث <sup>(٣)</sup> ، وفيه حَضَرَتَا مَرَّاكُش ، وما  
قارب منها الأندلس كسَبْتَة <sup>(٤)</sup> وما قرب منها في الإقليم الرابع .

قال ابن سعيد :

« ولا يُطالب في هذا البر بما صنعناه في الأندلس <sup>(٥)</sup> ، فأهل الأندلس إما  
عرب أو متعربون <sup>(٦)</sup> ، قد توارثوا قوام اللسان <sup>(٧)</sup> وحافظوا عليه ، وأهل بَرِّ الدَّوَة  
إما بَرَبَرٌ أو مُتَعَرِّبُونَ » . اهـ .

وفي وصفها يقول لسانُ الدين بن الخطيب في مقامة وصف البلدان :

« قلت : فمدينة سَبْتَة ؟ قال : تلك عروس السَّجْلَى <sup>(٨)</sup> ، وثَنِيَّة الصَّبَاح الأَجَلَى ؛

وصف ابن  
الخطيب لسبته

(١) في ت : « عرفت » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) هذا حسب التقسيم الجغرافي القديم . ( انظر تقويم البلدان لأبي الفداء ، ومالك الأصبهار  
العسري ، ونزهة المشتاق للإدريسي ) .

(٤) كذا في ط . وفي ت : « وما قاربها منها الأندلس . كسبتة في الإقليم الرابع » .

(٥) في ت : « في هذا الفن عما صنعنا بالأندلس » .

(٦) كذا في نفع الطيب ( ج ١ ص ٦٣ طبع مصر ) . وفي الأصلين : « فكان أهل  
الأندلس إما عرب أو متعربون » .

(٧) كذا في نفع الطيب وفي ط : « أقوام الأندلس » . وفي ت : « قدام الأندلس »  
ولا يستقيم بهما الكلام .

(٨) في ط : « سَجْلَى » .



تبرجت تبرج العقيلة ، ونظرت وجهها من البحر في المرأة الصعيلة ، واختص ميزان حسناتها بالأعمال الثقيلة ؛ وإذا قامت بيض أسوارها <sup>(١)</sup> ، وكان جبل بليونش <sup>(٢)</sup> كشماعة أزهارها <sup>(٣)</sup> ، والمنارة منارة أنوارها ؛ فكيف <sup>(٤)</sup> لا ترغب النفوس في جوارها ، وتهم الخواطر بين أتجاده وأغوارها ؛ إلى الميناء الفلكية ، والمرافق الملكية <sup>(٥)</sup> . والزركية <sup>(٦)</sup> الزركية ، غير المنزورة <sup>(٧)</sup> ولا البكية <sup>(٨)</sup> . ذات <sup>(٩)</sup> الوقود الجزل ، الممد للأزل <sup>(١٠)</sup> ، والتصور المقصورة على الجذ والهزل ؛ والوجوه الزهر السحن ، التصنن بها عن المحن ؛ دار الناشبه <sup>(١١)</sup> ، والحامية المضربة للحرب المناشبه <sup>(١٢)</sup> ؛ والأسطول المروهب ، المحطور الألهوب <sup>(١٣)</sup> ، والسلاح المكتوب المحسوب ، والأثر المعروف المنسوب ؛ كرسى الأمراء والأشراف ، والوسيطه ، لخامس أقاليم البسيطه ، فلا حظ لها في الانحراف ؛

[١٥]

- (١) في ت : « أسوارها » وهو تحريف .
- (٢) كذا في توم البلدان لأبي الفداء إسماعيل ، والمغرب ، في بلاد إفريقية والمغرب ، للبكري ، وفي نفع الطيب للمؤلف في بعض مواضع ، وفي الاستبصار ، في عجائب الأمصار ، عند الكلام على سبتة ، وفي الأصلين هنا وفيما سيأتي : « بليونش » .
- (٣) الشماعة : ما ينشم من الأرواح الطيبة . يريد أن جبل بليونش أعطر رياضها .
- (٤) في الأصلين ونفع الطيب : « كيف » .
- (٥) في ت : « الفلكية » .
- (٦) الركية : البثر . ورواية هذه الكلمة في الأصلين « الذكية » وظاهر أنها محرفة عما أئتمناه . وسين عليه قريننا « المنزورة والبكية » بعده .
- (٧) للمنزورة : القليلة للماء .
- (٨) البكية : القليلة للماء . ورواية هذه الكلمة في الأصلين : « المبكية » وظاهر أنها محرفة عما أئتمناه .
- (٩) يريد سبتة .
- (١٠) الأزل : الضيق والشدة .
- (١١) كذا في ت . والناشبة : القوم الذين يرمون بالناشاب ، أى النيل .
- (١٢) يقال : ناشبه الحرب ، أى نابهذه .
- (١٣) الألهوب (هنا) : السطو والبطش ، مأخوذ من ألهوب الفرس ، وهو اضطرامه في عدوه .

بَصْرَةَ علوم اللسان ، وصَنْعَاء الحُلل الحسان ، وثمرَة امتثال قوله : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ  
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ » ، الأمانة على الأختزان ، القويمَة السَّكِيال والميزان ،  
مَحْشَرُ أنواع الحيّتان ، وَمَحْطَ قوافل العَصِير والحَرِير والسَّكَّتَان ، وكفاها  
السكى بَبْلْيُونَش في فصول الأزمان ، ووجود المساكن النبيهة بأرخص  
الأثمان ؛ والمدفن المرحوم غير المرحوم ، وخزانة كتب العلوم <sup>(١)</sup> ، والآثار  
المُنْبِئَة عن أصالة الحُلوم ؛ إلا أنها فاعرة الأفواه للجنوب <sup>(٢)</sup> ، للنيث  
المصبوب ، عُرْضَة للرياح ذات الهبوب ، عَدِيمَة الحَرث فقيرة من الحُبوب ،  
ثغر تَنْبُو فيه المضاجع بالجنوب ، وناهيك بِمَحْسَنَة تُعَدّ من الذنوب ؛ فأحوال أهلها  
رقيقه ، وتكلفتهم ظاهرهما ظهرت وَلِيمَة أو عَقِيقَة <sup>(٣)</sup> ، واقتصادهم لا تلتبس  
منه طريقه ، وأنساب نفقاتهم في تقدير الأرزاق عريقه ؛ فهم يَمَصُّون البَلالَة  
مصّ الصّاحج <sup>(٤)</sup> ، ويعملون الخبز في الولائم بقدد الجاحج ، وفتنتهم ببلدهم فتنه  
الواجم ، بالبشير المهاجم <sup>(٥)</sup> ، ورأى الجَدِيد بالمطر الساجم <sup>(٦)</sup> ؛ فلا يفضّلون على  
مدينتهم مدينة ، الشك عندى في مكة والمدينه . انتهى .

قلت : ولعله عرّض بقوله : « الشك عندى في مكة والمدينه » ، بقول  
مالك بن النُرحَل : « أُخِيَّة مكة أو يَثْرِب » . والله أعلم .

وكان لسان الدين بن الخطيب كثيراً ما ينزل في وجهاته المتفرّبة ، عند  
الشريف الشهير ، سيدى أبى العباس أحمد بن سيدى محمد ، ابن سيدى أحمد ،

الشريف أبو  
العباس وحفاته  
بأبن الخطيب

(١) هذه العبارة : « وخزانة كتب العلوم » . ساقطه في ت .

(٢) في ت ونفع الطيب : « أفواه الجنوب » .

(٣) العقيقة : الطعام يدعى إليه الناس عند حلق شعر المولود .

(٤) الجاحج : جمع محجم ، أو محجمة ، وهى شبه الكأس يمس به الدم من الجسم .

(٥) في ت : « المهاجم » .

(٦) المطر الساجم : القليل .

ابن سيدى طاهر<sup>(١)</sup> ، ابن سيدى رفيع ، ابن سيدى على المدعو بالمكين ، ابن سيدى أحمد ، ابن سيدى على ، ابن سيدى أبى الطاهر ، ابن سيدى الحسين ، ابن [سيدى<sup>(٢)</sup>] مَوْهوب ، ابن سيدى أحمد ، ابن سيدى محمد ، ابن سيدى طاهر ، ابن سيدى الحسين ، ابن مولانا على ، المدعو بالهادى ، ابن مولانا محمد ، المدعو بالجواد ، ابن مولانا على الرضا ، ابن مولانا موسى ، المدعو بالكافى ، ابن مولانا جعفر الصادق ، ابن مولانا محمد الباقر بن زين العابدين ، ابن مولانا على ، ابن مولانا الحسين الشهيد<sup>(٣)</sup> ، ابن مولانا أمير المؤمنين ، مولانا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وتقعنا ببركة هؤلاء السادات ، الذين سرّونا أسماءهم تبرّكا بها . قال صاحب كتاب « السكواكب الوقادة » ، فى ذكر من دُفِنَ فى سَبْتَةِ<sup>(٤)</sup> من العلماء والصلحاء القادة :

« كان هذا السيّد الشريف يُوسّع ابن الخطيب إكراما ، وكان من عادة الشريف المذكور أن يخرج إلى بساتينه فى المصيف بقرية بَلْيُونَش ، كمُنية العبا ، وجَنَّة الخافه ، ويجلس فى القبة السامية المُطَلَّة على البحر بجَنَّة الخافه ، ويجعل الطريقَ تحته ، فإذا رأى جماعةً سائرِينَ من أىِّ صِنْف كانوا ، من التجار أو الغرباء أو البلديين ، يوجّه رجاله إليهم ، ويقدم لهم الطعام ، ويرتاح إلى ذلك ، ويُسرّبه ، ويؤنسُ كُلًّا بما يُناسبه ، من ذِكر عيون أخبار بلده<sup>(٥)</sup> ، وخاصيّة قُطره ، وما يجرُّ إلى ذلك ويرجع إليه ، من بديع الحكايات ، ولطيف

(١) فى ت : « الطاهر » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) فى ط : « القهير » .

(٤) فى ت : « بسبّة » . واسم هذا الكتاب فى البستان لابن صريم (ص ٣١٤) :

« السكواكب الوقادة » ، فبين كان بسبّة من العلماء والصلّحين القادة .

(٥) فى ت : « بلاده » .

النوادر ؛ ثم يأمر بإدارته على تلك البساتين ، ورؤية ما بها من المصانع <sup>(١)</sup> ، ثم يبعث وراء آخرين ، ويُنزل كل واحد منزلته ؛ وينيب <sup>(٢)</sup> عن يُحجّله حضوره ؛ ويُغضّي عن مُداعبة إن وقعت ، ويتجاهل الحقوة إن بدرت . وكان يُخرج الوزير ابن الخطيب — عند نزوله عنده — إلى هذه القرية البليونشية .

شعر لابن الخطيب  
في بليونش

ومن بديع نظم ابن الخطيب فيها :  
بليونش أسنى الأماكن روضةً وأجل أرض الله طراً شائناً  
هي جنة الدنيا التي من حلّها <sup>(٣)</sup> نال الرضا والروح والريحاناً  
قالوا القُرد بها فقلت فضيلة حيوانها قد قارب الإنساناً <sup>(٤)</sup>  
وفيها يقول القاضي عياض <sup>(٥)</sup> :

شعر لعياض  
فيها أيضاً

بليونش جنة ولكن طريقها يقطع النياطاً  
كجنة الخلد لا يراها إلا الذي <sup>(٦)</sup> جاوز الصراطاً  
ونقلت من خط ابن حيّان <sup>(٧)</sup> — بعد كلام في سبّته — ما نصّه :  
« ومتنزهاتها أعظمها بليونش ، تحتوى على مياه عيون ، وأودية ، ومتنزهات ،  
وأبنية عظيمة ؛ وفيها من جميع الأشجار والثمار » .

وصف ابن  
حيان لها

- (١) المصانع : جمع مصنع ، أو مصنعة (يفتح النون وضماً) ، وهي شبه الحوض يجمع فيها ماء المطر ؛ والمصانع (أيضاً) : الباني من القصور ونحوها .  
(٢) في ت : « وينيب » .  
(٣) في ت : « من شأنها » . ولا يستقيم بها الكلام .  
(٤) قال في الاستبصار : « وعلى قرية بليونش المذكورة جبل عظيم فيه القردة » .  
وسيعرض المؤلف لهذا بعد قليل .  
(٥) نسب هذان البيتان في تقويم البلدان لابن عياض .  
(٦) كذا في تقويم البلدان . وفي الأصلين : « إذا » ، وما أبتناه أظهر .  
(٧) في الأصلين : « أبي حيّان » وهو تحريف .

شعر المنصفي  
فيها أيضا

وفيها يقول أبو الحجاج المنصفي<sup>(١)</sup> :

بَلْيُونُشْ شَكْلُهَا بَدِيعٌ أَفْرِغْ فِي قَالِبِ الْجَمَالِ<sup>(٢)</sup>  
فِيهَا الَّذِي مَا رَأَتْهُ عَيْنِي يَوْمًا وَلَمْ يَحْتَطِرْ بِيَالِي<sup>(٣)</sup>  
طَرِيقُهَا كَالصَّدُودِ لَكِنْ تَعَقُّبُهُ لَذَّةُ الْوِصَالِ<sup>(٤)</sup>

شعر الكلي فيها

قال ابن رشيد :

وَأَنْشَدَنِي الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكَمَيْلِيُّ<sup>(٥)</sup> قَاضِي  
أَزْمُور<sup>(٦)</sup> فِيهَا :

بَلْيُونُشْ كُلُّهَا عَذَابٌ<sup>(٧)</sup> فَالْتَمَشْ فِي سُبُلِهَا عِقَابٌ<sup>(٨)</sup>  
يَكْنُفُهَا شَامِخٌ مُنِيفٌ كَأَنَّهُ فَوْقَهَا عُنَابٌ  
وَهَذَا الشَّامِخُ يَعْرِفُ بِجَبَلِ مُوسَى . [وإليه أشار المنصفي في محمسة :  
وَطَوَّدُ مُوسَى<sup>(٩)</sup>] لَهَا تَاجٌ عَلَى الرَّاسِ

وبهذا الجبل متعبد مبارك ، وبساحله منقطع المرجان ، ومن عجائب هذا  
للمتعبد أن من دخله من ليس له أهلاً فإنه يجد في عنقه<sup>(١٠)</sup> صفعاً إلى أسفل الجبل ؛  
وهو مسيرة ثلاثة أميال ، وهو من سبته على تسعة أميال ، وبهذا الجبل منشأ

(١) نسبة إلى « منصف » بفتح الميم والصاد ، من قرى بلنسية .

(٢) في ط : « في قالب كمال » .

(٣) لم ترد صيغة « اختطر » في القاموس وشرحه ولا في اللسان ولا في الأساس .

(٤) في ط : « من الصدود لكن » وهو تحريف .

(٥) في ت : « الألبى » .

(٦) أزموور (بفتح الهززة والزاي للمعجمة وتشديد الميم ثم واو وراء ههـلة) : من مدن

بر الدوة على ميلين من البحر . (عن تقويم البلدان) .

(٧) في ط : « عقاب » .

(٨) في ط : « عذاب » .

(٩) زيادة عن ت .

(١٠) في ط : « في شقه » .

القُرود ، وهو مستشف على بعض الأندلس . وبسببته مدرسة بناها أبو الحسن الشاربي<sup>(١)</sup> ، ووقف بها كتباً عظيمة .

وبموضع يقال له التوتة يوجد كثير من الياقوت الأحمر<sup>(٢)</sup> دقيق<sup>(٣)</sup> . ومن عجائبها أن البلّارج<sup>(٤)</sup> لا تعشش فيها<sup>(٥)</sup> ، ولعلها تخطر عليها . ويقال إنها<sup>(٦)</sup> بناها سبت بن سام بن نوح ، وإنه دعا لها باليمن والبركة ، ورووا في ذلك حديثاً عن مالك عن نافع عن ابن عمر . قال عياض : وأبرأ أنا من عُهدته ، وقد خرّجه في الفُنية ، ولذلك قال بعض الشعراء :

فكل جبار إذا ما طغى      وكان في طغيانه يُسرفُ  
أرسله الله إلى سبتة      فكل جبار بها يُقصفُ  
أنشدها أبو عبد الله محمد بن حمادة [البرنسي<sup>(٧)</sup>] ، قال أبي لأمه<sup>(٨)</sup> ، في كتابه المسمى بـ «المقتبس» ، في أخبار المغرب والأندلس .

شعر المصنف فيها

ومن نظم المصنف في بليونش من قصيدة :  
انظر إلى نضرة زهر الربا      كأنه وشى على كاعب  
ومتّع الطرف بيليونش      ومائها الثمنع الساكب  
تشارك الحسن في وصفها      تشارك العين مع الحاجب

(١) في ت : « الشاوي » .

(٢) في ت : « كسر من الياقوت السم » .

(٣) كذا في ت : وقد وردت هذه الكلمة مطموسة في ط .

(٤) البلارج : اللقالق . (عن تكملة للمجاهد العربية لدوزي) .

(٥) في ت : « بها » .

(٦) في ت : « إنه » .

(٧) زيادة عن ت . والبرنسي : نسبة إلى برنس (بوزن قنفذ) : قبيلة من البربر ، سميت

بهم ساكنهم .

(٨) في ت : « قال أبي لأمه » . وهو تحريف .

وقد أَرْتَنَا<sup>(١)</sup> اليومَ من حُسْنِها ما لم يكن في زَمَنِ الحَاجِبِ  
— والحاجِبُ : أخذ<sup>(٢)</sup> ملوك سبته ؛ [وله عمل ابن مِرْاثَة<sup>(٣)</sup> قصيدة في

السكواث والحواث<sup>(٤)</sup>] —

فَعَالَةٌ بِالطَّبْعِ فِي أَهْلِهَا ما تَعْمَلُ الفَهْوَةُ بِالشَّارِبِ  
تُذَكِّرُ الشَّيْخَ زَمَانَ الصَّبَا وتُفْسِدُ<sup>(٥)</sup> التَّوْبَةَ لِلتَّائِبِ  
وله :

انظر إلى بَهْجَةِ بَلْيُونُشٍ وحُسْنِ ذاكِ المَنْظَرِ اللامِعِ  
تَحْكِي الثَّرِيًّا عندما أُسْرِجَتْ بَلِيلَةُ الخَتْمَةِ في الجامع<sup>(٦)</sup>

مثل من كرم  
الشريف  
أبي العباس

ولما قَتَلَ السلطان الأشهر أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الأخر من المغرب ،  
حين رجوعه إلى بلده<sup>(٧)</sup> مع قاضي حَضْرَتِهِ غَرْثَاطَة ، أبي الحسن علي بن الحسن ،  
المعروف بالنَّبَاهِي شَيْخِنَا ، ووزيره أبي عبد الله بن الخطيب ، صنع له ضيافة  
مُلُوكِيَّةً<sup>(٨)</sup> بالْمُنِيَّةِ ، من قرية بَلْيُونُش المشار إليها ، حيثُ القصر هناك ، وعُنْصَرِ

(١) في ت : « رَأَتَا » .

(٢) في ت : « آخَر » .

(٣) كذا في معجم البلدان طبعة أوربة عند الكلام على سبته . وفي ت : « مِرَاثَة »  
بالتاء المثناة الفوقية .

(٤) زيادة عن ت .

(٥) في ط : « وتكسر » .

(٦) في ت : « بالجامع » . ولعله يريد بليلة الختمة ما يفعله أهل المغرب من الاحتفاء  
بحتم حفظ القرآن أو تفسيره أو ختم صحيح البخاري في حفل عام بالمساجد تضاه له  
الأنوار ، ويحضره الناس خاصتهم وعامتهم . وقد أفاض في شيء من ذلك ابن أبي دينار  
في كتابه « اللوس » في أخبار إفريقية وتونس .

(٧) في ت : « ملكة » .

(٨) كذا هنا وفي سياتي . والنسبة إلى الملوك : « ملكي » ، وشاع على أقلام بعض  
الكتاب كالجاحظ : « ملوكي » .

الماء المختص بها . ومن هناك ركب البحر ليلا ، وذلك في جُمادى الأخرى<sup>(١)</sup> من عام ثلاثة وستين وسبع مئة . وفي الحادى والعشرين من الشهر المذكور دخل دار ملكه حمراء غرناطة ، وأكل من فضل هذه الضيافة مُعظم من كان بالقرية ، من قوى وضعيف ، ورفيع ووضيع .

ثناء ابن الحسن  
النباهى على  
العزيز وفى  
قته

وكان شيخنا القاضى أبو الحسن المذكور يُنثى عليه ، ويُعظمه تعظيما يليق بمثله ، ويقول فى أثناء حديثه : فعل أبو العباس الشريف صاحب سبته كذا ، وصنع كذا . ولم تزل حالته هذه ، رحمة الله عليه ، إلى أن أسنَّ وأقعد ، فلم ينزله ثلاث سنين ، من غير أن ينقص ذلك من منصبه شيئا ، ولا من انتفاع الناس به ؛ وكان أبيض اللون ، حسن الهيئة والملبس ، يخضب بالحناء ؛ وتوثق فى زمانته وقد نيّف على<sup>(٢)</sup> الثمانين ، عام ستة وسبعين وسبع مئة ، وله الآن قرابة بمدينة فاس بقيد الحياة .

[١٧]

انتهى كلام صاحب الكواكب الوقادة باختصار ، وبعضه بالمعنى .

ومن نظم هذا الشريف ، مما أمر به أن ينقش بالقبة المذكورة آنفاً فى معنى الاستعاذة :

شعر للعزيز

وَتَيْتُ بِاللّهِ رَبِّي وَحَسْبِيَ اللَّهُ حَسْبِي  
وَاللَّهُ كَانِ وَوَاقٍ وَدَافِعُ كُلِّ خَطْبٍ  
وَلَسْتُ أَخْشَى إِذَا مَا وَتَيْتُ بِاللّهِ رَبِّي  
بَلَيْتُ فِيهَا مُرَادَى مُهَنَّاً مَعَ صَحْبِي  
وَالْخَمْسُ تَفَقَّأَ عَيْنًا لِكُلِّ حَاسِدٍ نَدْبٍ<sup>(٣)</sup>

(١) فى ط : « الآخر » .

(٢) فى ط : « عن » وهو تحريف .

(٣) الندب : الحفيف فى الحاجة الطريف .



حفاوة أبي عنان  
بالشريف أبي  
العباس وسئلته  
في سبته

وكان السلطان المرحوم أبو عنان فارس ، ابن السلطان أبي الحسن الترميني<sup>(١)</sup> يُجِلُّ هذا الشريف ، ويعترف له بالفضل ، ويعطيه المطاء الجزل ، وكان يستدعيه كل سنة إلى حضرته فارس ، لحضور المولد السعيد ، الذي منته ببلاد المغرب الشيخ أبو العباس القرظي ، وتلك السنة باقية إلى الآن بحسن نيته ، واعتناؤه بالجناب العالي<sup>(٢)</sup> ، نفعه الله بذلك ، ويَجْلَع عليه الخلع الملوكتي ، ويُدُّ له ديناراً مسكوكاً يُصْنَع بمدينة مراكش ، زنته مئة دينار ذهباً ، يدفع له ذلك مع جائزته ، إلى غير ذلك مما كان يُتَحَفُّ به ، رحمه الله ، ويصحبه في وجهته تلك من الضعفاء والتجار ما لا يُحصى كثرة ، ويتولى هو الإنفاق على الجميع من ماله ، ويرفع<sup>(٣)</sup> عنهم اللوازم المخرّنية ، فكان التجار لأجل ذلك يرصدون وقت سفره وقفوله . وقدمه السلطان أبو عنان المذكور ناظراً على بلده سبته ، وأمر صاحب قصبته ألا يقطع أسراً إلا بمشورته ، فكان العمال يخافونه ويشاورونه ، فإذا رأى من أحدهم خروجا عن العادة ، أو خيافاً على الرعية ، كتب إلى السلطان في شأنه ، فيقرّله من قوّره ، ويعوّضه بغيره . وكان يقول للسلطان : لعلك تحسبني خديماً<sup>(٤)</sup> ، لست كذلك ، وإنما نحن معشر أهل البيت شفعاء في الدنيا ، وشفعاء في الآخرة . فكان أهل سبته في أيامه في عيش هنئ ، ونعمة شاملة ، بقي على هذه الحالة المَرْضِيَّة مدة عشرين سنة . وله بسبته آثار تحكي الآثار القرظية<sup>(٥)</sup> ، كالرياض<sup>(٥)</sup>

[١٨]

(١) في ت : « العالي » .

(٢) في ت : « يدفع » .

(٣) يريد : « خادماً » . ولم تغل المامج : « الخديم » بمعنى الخادم ، لكن شارح القاموس ذكر هذه العبارة : « والخدمان (بالضم) : جمع خادم ، هكذا تقول العامة ، وكأنهم تصوروا فيه جمع خديم » .

(٤) في ت : « الرعية » .

(٥) كذا في الأصلين هنا وفيما سياتي ، يريد به القصر وما يحيط به من بساتين ، وقد يجري في لسان الفارسية حتى اليوم استعمال لفظ الرياض مفرداً مذكراً بهذا المعنى .

الأعظم ، الذى أمام باب الميناء الأسفل الذى تأتى فى بُنيانه وأبذع صَنعته ، وجلب إليه الماء بالدواليب حتى أوصله إلى القبة ذات الأعمدة ؛ وكالرياض الذى بالصَّغَارين ، حيث كان قعوده مع خواص الناس وعامتهم .

قال صاحب السكواكب الوقادة :

« سمعت أحد كتّابه الخاصَّ به ، الملازمَ له ليلاً ونهاراً ، مع مرور الأيام والسنين ، يقول : ما أَسْرَنِي قطَّ سيدي ومولاي الشريف بكتَّب شيء مخالف للشرع ، بل فى رفع المظالم ، وإنهاء الشفاعات ، وتوجيه الأمانات ، وما فى معنى ذلك ، مما نَدَبَ إليه الشرعُ ، وحضَّ عليه ، ووعد بالثواب على فعله . وطالما سمعت الكاتب المذكور يُقسم على ذلك ، نعمة الله [ به ] » <sup>(١)</sup> . انتهى .

وصف أحد  
كتاب  
الشريف له

قلت : تذكرت بهذا الفعل الجميل ما كتب [ به ] <sup>(١)</sup> على دواة أمير المؤمنين أبي عَنان ، رحمه الله ، وهو :

دواة أبي عَنان  
وشعر مكتوب  
عليها

أنا دواة فارس أبي عِنانَ المتمدُّ  
حَلَفْتُ مَنْ يَكْتُبُ بِي بالواحد القَرْد الصَّد  
أَنْ لَا يَمُدَّ مَدَّةً فى قَطْع رِزْقٍ لآخِد

وقد رأيت فى هذه الأيام دواةً فى غاية ما يكون من الإتقان والصنعة والتذهيب ، وفيها مكتوب البيتان الأخيران ، وهى عند بعض أصحابنا الكُتَّاب بالحَضْرَةِ الفاسِيَّة — حاطها الله — وأظنها هى الدواة التى كانت لأبي عَنان ، والله أعلم .

## رجع إلى ذكر الشريف

وكان الشريف المذكور يصنع أنواع الطعام الرفيعة ، ويتبسط في ألوانها ،  
 ويطعمها الفنى والفقير ، والقوى والضعيف ، ممن يحضر مجلسه أو يأتي إليه ، وبالجملة  
 فهو قُطب الجود الذى عليه الدار ، وإمام الأدب الذى لا يجاريه الرضى ولا مِثَار ؛  
 ومن نظمه ، وقد سافر قاضى الجماعة بحضرة غرناطة ، أبا البركات البلقينى<sup>(١)</sup> الشهير  
 بابن الحاج السلمى ، من ولد العباس بن مراداس رضى الله عنه ، زمن الشيبة  
 فى بعض أسفاره ببر الأندلس ، فلما اتها إلى قرية بزليانة<sup>(٢)</sup> وأدركهما النصب ،  
 واشتد عليهما حرّ الحجير ، نزلا وأكلا من باكر التين الذى هنالك ، وشربا من  
 ذلك الماء العذب ، واستلقى أبو البركات على ظهره تحت شجرة مستظلا بظلها ،  
 ثم التفت إلى الشريف وقال :

ماذا تقول ، قد تكّ النفس فى حالى      يفنى زمانى فى حلّ وترحال<sup>(٣)</sup>  
 وأرتجّ عليه ؛ فقال لأبى العباس : أجز ؛ فقال بديها :

كذا<sup>(٤)</sup> النفوس اللواتى العزّ تصحبها      لا ترضى بمقام دون آمال [١٩]

(١) البلقينى : نسبة إلى بلقين (بالفتح) ، ويرى بتشديد اللام المكسورة مع كسر

الوحدة) : حصن بالمرة . (عن تاج الروس) .

(٢) كذا فى معجم البلدان . وزليانة (بكسرتين وسكون اللام) : بلدة قريبة من مالقة

بالأندلس . وفى ط وفتح الطيب (ج ٤ ص ٢٤٩ طبعة مصر) : « زليانة » . وفى

ت : « قرليانة » .

(٣) فى ت : « فى حل وترحال » .

(٤) كذا فى ط وفتح الطيب . وفى ت : « إن » .

أعراف سبته

دَعَمًا تَجُوبُ الْغِيَايَ وَالْفَقَارَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ السُّؤْلَ أَوْ تَفْنَى بِتَجَوُّالٍ<sup>(١)</sup>  
 وكان عطاء هذا السيد الشريف للرسوم له من بيت المال ، ثلاثين ديناراً من  
 الذهب المين<sup>(٢)</sup> في رأس كل شهر ، وهو خاتمة الشرفاء العظام بمدينة سبته .  
 وهؤلاء الشرفاء بمدينة سبته نحو الثلاثين قَبْرًا ، في روضتهم المنسوبة إليهم ، بالجانب  
 الشرقي من رابطة الفصال . وهؤلاء الشرفاء من ذُرِّيَةِ أَبِي الطَّاهِرِ الَّذِي خَرَجَ  
 مِنْ جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ ، وَكَانَتْ لَهُمْ بِسَبْتِهِ وَجَاهَةٌ<sup>(٣)</sup> وَسِيَادَةٌ ، وَجَلَالَةٌ وَبَجَادَةٌ ؛ لِمَكَانِ  
 بَيْتِهِمُ الشَّرِيفِ ، وَنَسَبِهِمُ الْعَالِي الْمُنِيفِ ؛ مَا مِنْهُمْ وَاحِدٌ إِلَّا غَذَاهُ الْعِلْمُ بِلَبَانِهِ ،  
 وَالْأَدَبُ بِلَبَانِهِ . وَوَلَّى مِنْهُمْ قَضَاءَ بَلَدِهِمْ سَبْتَةَ رَجُلَانِ ، لَمْ يُطْلَعْ مِثْلُهُمَا الْمَلَوَانِ ؛  
 تَقَى وَعِلْمًا ، وَأَنَاةً وَحِلْمًا ؛ أَوَّلُهُمَا الْقَاضِي أَبُو الشَّرَفِ<sup>(٤)</sup> رَفِيعٌ ، وَالثَّانِي ابْنُهُ الْقَاضِي  
 أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ . وَكَمْ نَشَأَ عَنْ هَذَا الْأَصْلِ الطَّاهِرِ مِنْ جِهْدٍ نَحْرِيرٍ ، وَعَالَمٍ مَاهِرٍ ؛  
 وَسَخَى جَوَادٌ ، لَهُ إِلَى الْإِعْطَاءِ<sup>(٥)</sup> ارْتِيَا حٍ وَإِلَى الْكِرَمِ اسْتِنَادٌ<sup>(٦)</sup> ؛ وَنَاهِيكَ  
 بِخَاتَمَتِهِمْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمَذْكُورِ .

وكان فائِدَ مَضْرِبِ<sup>(٧)</sup> الميناء لهذا الشريف أبي العباس الحسيني ، دون  
 أَنْ يَشْرَكَهُ غَيْرُهُ ؛ وَكَانَ لَهُ بِمَضْرِبِ أَوْيَاتٍ يَوْمَ يَضْرِبُ فِيهِ ، وَيَوْمَانِ لِبَيْتِ الْمَالِ ،

دخل الشريف  
 من مضرب الميناء  
 وما كان يظفقه فيه

(١) رواية هذا البيت في فتح الطب :

دَعَمًا تَسُرُّ فِي الْغِيَايِ وَالْفَقَارِ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ السُّؤْلَ أَوْ مَوْتًا بِتَجَوُّالٍ  
 وَزَادَ بِيَدِهِ :

الْمَوْتُ أَهْوَى مِنْ عَيْشٍ لَدَى زَمَنِ يَبْلُغُ الْآثِمَ وَيَذِي الْأَشْرَفَ الْمَالِي

(٢) فِت : « ذَهَبًا » .

(٣) فِت ط : « وَجْهَةً » .

(٤) فِت ط : « الْمَرْفِيفِ » .

(٥) فِت : « الْعَطَا » .

(٦) فِت ط : « اسْتِنَاح » وهو تحريف .

(٧) المضرب ( كما هو ظاهر من السياق هنا ) : سوق يتخذها حاكم الميناء لبيع ما يستخرج  
 من السمك ونحوه .

وكانت عادة عامل التضارب ، الناظر في فوائدها وما تحتاج إليه من نفقة وآلة ، أن يأمر رجاله وأعوانه ، حين يُقعد النَوَاتِيَةُ الكيسَ ، بالوقوف إليه ، والدفاع عنه ، بعد أن يُحضر الشهود ، خفراً وضبطاً لما يحصلُ من فائد<sup>(١)</sup> المضرب المالى فى يوميه<sup>(٢)</sup> ؛ فإذا كان يوم [ السَّيِّد<sup>(٣)</sup> ] الشريف يأمر رجاله وخدامه وأعلاجه<sup>(٤)</sup> الإسلاميين ، بإباحة المضرب للمساكين ، وتفريق الحوت على من لا يصل إليه ، ممن يحضر متنزّها ، إما لحفظ مروءة ، وإما لغير ذلك . ولا يزال الناظر من قبله ، وهو القائد فارح أحد أعلاجه ، واقفاً على حصانه ، وقد أحاطت به رجاله ، إلى أن يرضى كل من يحضر ، وما فضل عن ذلك فهو له . وأما السيد الشريف فلا يحضر ، إذ همته أرفع من ذلك ، وقدره أعظم ، ومكانته بسببته مكانته ، بحيث يأتى إليه فى الموضع الذى أعدده لجلوسه برياضه الذى بالصقارين صبيحة كل يوم صاحب القصبه ، كأننا من كان ، مسلماً<sup>(٥)</sup> عليه ، ثم ينصرف ، ثم يأتى الوالى على قبض الجباية مسلماً ، ثم ينصرف بعد تقبيل قدمه ، ثم يأتى صاحب الشرطة ، وكذا جميع أمراء سبته ، إلا القاضى ، لمكان خُطَّته ، فيعاملُ كلاً بما يستحق من إكرام وإهانة ، وإغلاظ ومجاملة ، فلا يتخلف أحد عن غرضه ، ولا يتصدّر إلا عن رأيه ونظره . وهذا كله مع النصيحة للمسلمين ، وجلب المنفعة لهم بالقول والفعل ، وإطعام الطعام الذى لا يقدر عليه الأمير فنّ دونه ، ورفع المظالم ، ومنح الجاه ، إلى غير ذلك ، نفعه الله . فكان من حكمة الله عز وجل وبركة أهل البيت ،

(١) فى ط : « فوائد » .

(٢) فى ت : « فى يومه » .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) أعلاجه : مواليه من غير العرب ؛ مفردة : عليج (بوزن ملح) .

(٥) العبارة من « عليه » إلى « مسلماً » : ساقطة فى ت .

وفضل الجود والكرم ومكارم الأخلاق ، وإيصال المنفعة للعباد ، أن يخرج في اليوم الذى له بالْمَضْرِب من الحوت ، أى نوع كان من الجارى ، أضعافُ ما يخرج في اليومين ، ويحصل له من القائد أكثر مما يحصل لمتولى النظر فيهما ، فيتصل<sup>(١)</sup> بيده من قائد يومه خمس مئة دينار<sup>(٢)</sup> وسبع البئة ، وربما يزيد وينقص ؛ وقد انتهى في بعض الأحيان إلى أنى دينار في اليوم ، حسبما يُسَنِّيهِ<sup>(٣)</sup> الله عز وجل ؛ هذا بعد العادة التى عودَها نفسه النفيسة ، من الإيثار والبذل ، للسرّى والنذل . ولم تكن له همة ، رحمه الله ، في احتكار المال وجمعه ، بل يصرف ذلك كله في إطعام الطعام ، الخاصّ العام ، وفي تشييد البُنْيَان ، والإنفاق على الفعلة والصَّنَاع والخدّام ، وآثاره ومَصانمه بداخل سبته وخارجها شاهدة بذلك مدى الأيام ؛ وكَم في أثناء هذا التصرف من مُؤاساة فقير ، وإعانة ضعيف ، وإغاثة ملهوف ، برفع<sup>(٤)</sup> لازم أو وظيف<sup>(٥)</sup> ، حسبما هو معلوم معروف منقول .

وكان ملوك بني مرّين يعتنون به أتم اعتناء ، ويبادرون إلى موافقة أغراضه ، وقبول شفاعته ، وما كان يتلقاه حين وروده على حضرتهم فاس إلا الملكُ بنفسه ، إلى غير ذلك من مناقبه رضى الله عنه ، ونفعنا به ، وبسلفه الطاهر .

حفاوة ملوك  
بني مرّين به

قلت : وإنما ذكرت التعريف بهذا الشريف الفتيّاض ، تغاؤلا بالابتداء [٢١] به بعد عياض ، لأنى اشترطت أنى أخرج من الشئ إلى ما يناسبه ، فبدأت

سبب تعريف  
المؤلف بهذا  
الشريف

(١) في ت : « ويحصل » .

(٢) في الأصلين : « الخمسمائة دينار ، والسبعمائة » .

(٣) يسنيه الله : يسهله ويسيره .

(٤) برفع : يحمل .

(٥) يريد : « الوظيفة » وهى الراتب الجارى من الأرزاق ونحوها .

في ذلك بهذا السيد الشريف ، الذى عظمت مجادته <sup>(١)</sup> ، وكرمت مناصبه ، وزكت مآثره ، وعلت مناصبه <sup>(٢)</sup> ؛ والأعمال بالنيات ، والله يُبلغنا في الدارين غاية الأمنيات .

استيلاء العدو  
على سبعة

و بعد أن بلغت سبته ما ذكرناه من أحوالها ، وبقيت مدة أمنة من شرور الدنيا وأهوالها ؛ وأطلعت في سماها نجومها ، كانت علومها <sup>(٣)</sup> للمردة رجوما <sup>(٤)</sup> ؛ كعياض المؤلف فيه هذا الكتاب ، وهؤلاء الشرفاء الذين لا يُسترى في فضلهم ولا يرتاب ؛ وبنى القزفي المشاهير ، الذين برّزوا في ميدان السبق على الخاصة <sup>(٥)</sup> والجاهير ؛ وحازوا رياسة الدين والدنيا ، وفازوا بالمكانة السامية والمرتبة العليا ؛ وغيرهم ممن لا يحصى كثرة ، ممن كان لهم تقديم وأثره ؛ عدا عليها الدهر بقُدوانه ، وسقط شرفها من إوانه ؛ واستولى عليها العدو الكافر ، في قضية يطول شرحها ، وعظم على أهل الإيمان قُرُوحها ، وأعزل أطباء الملوك إلى الآن جُرُوحها ، ولم يزل بنفوس المؤمنين شجّوها وبرّحها .

أخبرني الفقيه الطيب العذل الفرّسي ، سيدي أبو القاسم بن محمد الوزير النسائي رحمه الله : أنه لما دخل سبته ، حين وجّهه أمير المؤمنين ، مولانا المنصور ، رحمه الله ، إليها ، في شأن فداء الكفار المأخوذين بالفزوة الشهيرة ، ذهب إلى المدرسة التي كان بناها أحد ملوك بني مرّين رحمهم الله ، وأظنه أبا عنان <sup>(٦)</sup> ،

(١) في ط : « مآثره » .

(٢) في ت : « وهداه مناصبه » .

(٣) في ت : « علومهم » .

(٤) في ت : « نجومها » .

(٥) في ت : « الخواص » .

(٦) هذه العبارة : « وأظنه أبا عنان » ساقطة في ت .

وهي من أجل المدارس وأعظمها ، فرأى في محرابها ناقوساً وصلياً ، قال : فساد في ذلك ، فرفت بصرى فإذا كتابة بخط رائق ، في تلك النقوش فوق ذلك الناقوس ، فيها قوله تعالى : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِئِينَ بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » ، إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ . وكان ذلك الكتّ قديماً فيها من جملة ما كتب المسلمون بها حين بنائها ، على ما جرت به عادة الملوك من كتب الآيات القرآنية في النقوش بالزليج<sup>(١)</sup> والمرمر . قال لي رحمه الله : فتمعّجت<sup>(٢)</sup> من ذلك الاتفاق ، وسلّاني ذلك بعض التسلي ، وإلى الله ترجع الأمور .

وكان أخذ سبته ، أعادها الله ، سنة تسع عشرة وثمان مئة ، بعد ما استولى العدو الكافر على معظم بلاد الأندلس ، مثل قرطبة ، ومُرْسِيَة ، وطلَيْطَلَة ، وبلَنْسِيَة ، وغيرها ، مما يطول تعدّاده .

وقد قال بعض الشعراء حين أخذت طليطلة ، وكانت من أول ما أخذ من رثاء طليطلة القواعد العظام ، يخاطب أهل الأندلس :

يأهل أندلس شُدُّوا رَحَالَكُمْ      فإِلى المَقَامِ بِهَا إِلَّا مِنَ الْغَلَطِ  
السَّكَّ يُنْتَرُ مِنْ أَطْرَافِهِ وَأَرَى      سَلَكَ الْجَزِيرَةَ مَنُتَوَرّاً مِنَ الْوَسَطِ  
مَنْ جَاوَرَ الشَّرَّ لَا يَأْمَنُ بِرَأْوَتِهِ      كَيْفَ الْحَيَاةُ مَعَ الْحَيَاتِ فِي سَفَطِ

[٢٢]

(١) الزليج : نوع من الخزف الفاخر الأملس ، تلبط به الأرض أو يلقق على الجدران للزينة ، وهو ما يسمى في لسان العامة « القاشاني » . (عن جملة المجمع للسكري لغة الرية) . وقد وردت هذه الكلمة في نفع الطيب (ج ١ ص ٩٤) ، كما وردت في صبح الأعشى (ج ٥ ص ١٥٦) مصروحة بما لا يخرج عن هذا المعنى .  
(٢) في ت : « فمعجت » .



قصيدة الرندي  
فرثاء الأندلس

ولله در الإمام العالم<sup>(١)</sup> العلامة خاتمة أدباء الأندلس ، أبي الطيّب<sup>(٢)</sup> صالح  
ابن شريف الرندي [ رحمه الله ]<sup>(٣)</sup> إذ قال يندُب بلاد الأندلس ، ويبعث العزائم  
ويحرّكها من أهل الإسلام لنصرة الدين ، وإتقاذ البلاد من يد الكافرين ،  
ولسان الحال ينشده « لقد أسمعت لو ناديت حيا » :

لكل شيء إذا ما تم نقصانٌ      فلا يُغرَّ بطيب العيش إنسانٌ  
هي الأمور كما شاهدتهم أدولٌ      من سرّه زمن ساءته أزمانٌ  
وهذه الدار لا تُثبِق على أحدٍ      ولا يدوم على حالٍ لها<sup>(٤)</sup> شانٌ  
يُمزّق الدهرُ حتماً كل سَابِقةٍ      إذا نَبَت مَشْرِفِيَّاتٌ وخرِصانٌ<sup>(٥)</sup>  
وَيَنْقُضِي كلَّ سَيْفٍ للِفناء ولو      كان ابنُ ذِي بَرْنٍ والغنْدُ عُمدانٌ<sup>(٦)</sup>  
أين الملوك ذوو التَّيجان من يَمَن      وأين منهم أكاليل وتيجانٌ  
وأين ما شاده شَدَادٌ في إِرَم      وأين ما ساسه في الفُرس ساسانٌ  
وأين ما حازه قارون من ذهبٍ      وأين عادٌ وشَدَادٌ وقحطانٌ  
أتى على الكلِّ أمرٌ لا مَرَدَّ له      حتى قَضَوْا فكَانَ القوم ما كانوا  
وصار ما كان من مُلكٍ ومن مَلِكٍ      كما حكي عن خيال الطَّيفِ وسنانٍ  
دارَ الزمانِ على دارا وقَاتَلَهُ      وأمَّ كِسْرَى فما آواه إيوانٌ<sup>(٧)</sup>

(١) في ت : « الأديب » .

(٢) في فتح الطيب : « أبو البقاء » .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « قوم بها » .

(٥) السابقة : البرج الكاملة . والشرفيات : السيوف النسوبة إلى المشارف ، وهي  
قرى من أرض العرب تدنو من الريف . والخرصان ( بكسر الخاء ) : الرياح ،  
الواحد : خرص .

(٦) سيف بن ذِي بَرْن : من ملوك البين . ومحمدان : قصره .

(٧) دارا : أحد ملوك الفرس .

كَأَنَّمَا الصَّعْبُ لَمْ يَسْهَلْ لَهُ سَبَبٌ      يَوْمًا وَلَا مَلَكَ الدُّنْيَا سُلَيْمَانُ  
فَجَانِعُ الدَّهْرِ أَنْوَاعُ مَنَوَعَةٍ      وَلِلزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانُ  
وَالْحَوَادِثُ <sup>(١)</sup> سُلُوفَانُ يَهُوُّنَهَا      وَمَا لَمَّا حَلَّ بِالْإِسْلَامِ سُلوَانُ  
دَهَى الْجَزِيرَةِ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ      هَوًى لَهُ أَحَدٌ وَانْهَدَّ مَهْلَانُ <sup>(٢)</sup>  
أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الْإِسْلَامِ فَازْتُرَّتْ <sup>(٣)</sup>      حَتَّى خَلَتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبُلْدَانُ  
فَأَسْأَلَ بِلَنْسِيَّةٍ مَا شَأْنُ مُرْسِيَّةٍ      وَأَيْنَ شَاطِئَةِ أُمِّ أَيْنَ جَبَّيْنُ  
وَأَيْنَ قُرْطُبَةٍ دَارِ الْعَالُومِ فَكَمْ      مِنْ عَالَمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ  
وَأَيْنَ جِخْصٍ <sup>(٤)</sup> وَمَا تَخْوِيهِ مِنْ زُرِّهِ      وَنَهْرَهَا الْقَذْبُ قَيَاضُ وَمِلَّانُ  
قَوَاعِدُ كُنْ أَرْكَابُ الْبِلَادِ فَا      عَمَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقِ أَرْكَانُ <sup>[٢٣]</sup>  
تَبْكِي الْحَنِيفِيَّةُ الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسْفٍ      كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْإِلَافِ هَيْمَانُ  
عَلَى دِيَارٍ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِيَةٍ      قَدْ أَسْلَمْتُ <sup>(٥)</sup> وَلَهَا <sup>(٦)</sup> بِالْكَفْرِ عِرَانُ  
حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ كَنَائِسَ مَا      فِيهِمْ إِلَّا نَوَاقِيسُ وَصُلْبَانُ  
حَتَّى الْحَارِيبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ      حَتَّى <sup>(٧)</sup> الْمَنَابِرُ تَرْفِي وَهِيَ عِيدَانُ  
يَا غَافِلًا وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ      إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ فَالْدَّهْرِ يَنْقِظَانُ  
وَمَا شَيْئًا مَرَحًا يُلْهِمِيهِ مَوْطِنُهُ      أَبْقَدَ جِخْصُ تَقَرُّ الْمَرْءِ أَوْطَانُ

(١) في ت : « وللمصائب » .

(٢) أحد ومهلان : جبلان في بلاد العرب .

(٣) كذا في ت : ونفع الطيب . وفي ط : « فامتحن » .

(٤) يريد جخص : « إشبيلية » لأن الذين سكنوها عند الفتح كانوا من أهل حمص بالشام .

(٥) في نفع الطيب : « أقفرت » .

(٦) في ط : « قلها » .

(٧) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « حيث » .

تلك المصيبة أنست ما تقدّمها      وما لها مع طول الدهر نسيان  
يا أيها الملك البيضاء رايتك      أدرك بسيفك أهل الكفر لا كانوا<sup>(١)</sup>  
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة      كأنها في مجال السبق عقبان  
وحاملين سيوف الهند مرهفة      كأنها في ظلام النقع نيران  
وراتمين وراء البحر في دعة      لهم بأوطانهم عز وسلطان  
أعندكم نبأ من أهل أندلس      فقد سرى بجديث القوم رُكبان  
كم يستغيث بنو المستضعفين<sup>(٢)</sup> وهم      أمرى وقتلى فاستهتر إنسان  
ما ذا التقاطع<sup>(٣)</sup> في الإسلام بينكم      وأنتم يا عباد الله إخوان  
ألا نفوس أبيات لها هم      أما على الخير أنصار وأعوان  
يا من<sup>(٤)</sup> لذلة قوم بعد عزهم      أحال حالهم كفر<sup>(٥)</sup> وطغيان  
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم      واليوم هم في بلاد الكفر عبّدان  
خلو<sup>(٦)</sup> تراهم حيارى لا دليل لهم      عليهم من ثياب الذل ألوان  
ولو رأيت بكلام عند بيّتهم      لهالك الأمر واستهوتك أحزان  
يا رب أم وطفل حيل بينهما      كما تفرق أرواح وأبدان

(١) هذا البيت ساقط من نفع الطيب .

(٢) في ت : « بنا المستضعفون » .

(٣) في ط : « التنافر » .

(٤) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « من ذا » .

(٥) في ت : « قهر » .

(٦) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « ولو » .

وطفلة ما رأتها الشمس إذ<sup>(١)</sup> برزت كأنما هي يا قوت ومرتجان  
يقودها العليج للسكره مكرهة والعين باكية والقلب حيران  
لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان  
اتهي<sup>(٢)</sup> .

وكان الشيخ [الإمام]<sup>(٣)</sup> العلامة الفقيه الوزير الكاتب أبو يحيى بن عاصم [٢٤]  
صاحب الشرح على تحفة أبيه ، رحم الله الجميع ، عند ما رأى اختلال أمر الجزيرة  
— أعادها الله — وأخذ النصارى — دمرهم الله — لمعظها ، ولم يبق إذ ذاك بيد  
المسلمين إلا غرناطة ، وما يقرب منها ، مع وقوع قن بين ملوك بني نصر حينئذ ،  
ثم أفضى الملك إلى بعضهم ، بعد تمحيص وأمور يطول بيانها ، ألف كتابا سماه :  
« جنة الرضى ، في التسليم لما قدر الله وقضى » ، وهو كتاب عجيب جدا غريب ،  
رأيت بعضه يتلصسان ، ونقلت منه ما نصه :

« من استقرأ التواريخ المنصوبة ، وأخبار الملوك المقصودة ، علم أن  
النصارى — دمرهم الله — لم يدركوا في المسلمين نارا ، ولم يرحضوا<sup>(٤)</sup> عن<sup>(٥)</sup>  
أنفسهم عارا ، ولم يخرّبوا من الجزيرة منازل وديارا ، ولم يستولوا عليها بلادا  
جامعة وأصارا ، إلا بعد تمكينهم لأسباب الخلاف ، واجتهادهم في وقوع  
الافتراق ، بين المسلمين والاختلاف ؛ وتضريرهم<sup>(٦)</sup> بالمكر والخديعة بين ملوك

(١) في ت : « قد » . ورواية هذا الشطر في نفع الطيب :

« وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت »

(٢) أشار المؤلف في نفع الطيب بعد ذكر هذه القصيدة إلى أنها قد زيد عليها أبيات  
آخر ليست منها ، وأنه نقلها على هذه الصورة ممن يوثق به وليس فيها تلك الزيادة .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) كذا في نفع الطيب ، ورحض : غسل . وفي الأصلين : « لم يدحضوا » .

(٥) في ت : « على » .

(٦) كذا في ت : ونفع الطيب . وفي ط : « وتصريفهم » .

ابن عاصم وبعض  
ما جاء في كتابه  
عن انحلال أمر  
الأندلس

الجزيره ؛ وتحريشهم بالكيد والخلافة بين مُحامتها في الفتن المبيّهه ؛ ومهما كانت الكلمة مؤتلفه ، والأهواء لا مفترقة ولا مختلفه ، والعلاء بمعاناة اتفاق القلوب إلى الله مزدقه ؛ فالحرب إذ ذاك سجال ، والله في إقامة الجهاد في سبيله رجال ، وللممانه<sup>(١)</sup> في غرض الدافعة<sup>(٢)</sup> ميدان رحب ومجال ، وروية<sup>(٣)</sup> وارتجال .

ثم قال : وتناولت الأيام ما بين مهادنة ومقاطعه ، ومضاربة ومقارعه ، ومنازلة ومنازعه ، وموافقة وممانه ، ومحاربة وموادعه ؛ ولا أمل للطاغية إلا في التمرس بالإسلام والمسلمين ، وإعمال الحيلة على المؤمنين ، وإضمار المكيدة للموحدّين ، واستبطان الخديعة للمجاهدين ؛ وهو يظهر أنه ساع للوطن في العاقبة الحسنى ، وأنه منطو لأهله على المقصد الأسنى ؛ وأنه مهتم بمراعاة أمورهم ، وناظر بنظر المصلحة لخاصتهم ومُجهورهم ؛ وهو يُسرّ حسناً في أرتقائه<sup>(٤)</sup> ، ويُقبل الحيلة في التماس هلك الوطن وأتقائه . فتبّاً لعقول تقبل مثل<sup>(٥)</sup> هذا الحال ، وتصدّق هذا الكذب بوجه أو بحال<sup>(٦)</sup> ؛ وليت العُرو الذي يقبل هذا لو فكّر في نفسه ، وعرض هذا المسوع على مدركات حسّه ، وراجع<sup>(٧)</sup> أوليات عقله وتجربيات<sup>(٨)</sup> حدسه ، وقاس عدوّه الذي لا تُرجى مودته على أبناء جنسه ؛ فأنا أناشده<sup>(٩)</sup> الله ، هل بات قطّ بمصالح النصارى وسلطانهم مُتَمَتّاً ، وأصبح من خَطْبِ طَرَقهم مُتَمَتّاً ؛ ونظر لهم نظراً المفكّر في العاقبة الحسنه ، أو قصّد لهم قصد

[٢٠]

(١) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « وللمبالغة » .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الموافقة » . وهو تحريف .

(٣) الحسو : شرب السائل شيئاً بعد شيء . والارتقاء : احتساء الرغوة . وهذا مثل يضرب لمن يظهر أسماً وهو يريد غيره ، أو لمن يظهر طلب القليل وهو يسر أخذ الكثير .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « تقبل هذا الحال » .

(٥) في ط : « حال » .

(٦) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « ورجع » .

(٧) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « تجربات » .

(٨) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « أناشده » .

المدير في المعيشة<sup>(١)</sup> المستحسنه ؛ أو خطر على قلبه أن يحفظ في سبيل القرية<sup>(٢)</sup> أربابهم وصلبانهم ، أو عمر ضميره من تمكين عزهم بما ترضاه أخبارهم ورهبانهم ؛ فإن لم يكن ممن يدين بدينهم الخبيث ، ولم يشرب قلبه حب التثليث ؛ ويكون صادق اللهجة ، مُنصفاً عند قيام الحجة ؛ فسيترف أن ذلك لم يخطر له قط على خاطر ولا مرّ له ببال ، وأن عكس ذلك هو الذي كان به ذا اغتباط وبفعله ذا أهتبال<sup>(٣)</sup> ، وإن نسب لذلك المعنى<sup>(٤)</sup> ، فهو عليه أثقل من الجبال ، وأشدّ على قلبه من وقع النبال ؛ هذا وعقده<sup>(٥)</sup> التوحيد ، وصلاته التحميد ؛ وملته القراء ، وشريعته البيضاء ؛ ودينه الحنيف القويم ، ونبيه الرؤوف الرحيم ، وكتابه القرآن الحكيم<sup>(٦)</sup> ، ومطلوبه بالهداية الصراط المستقيم ؛ فكيف نعتقد هذه المزية الكبرى ، والمنقبة الشهري ؛ لمن عقده التثليث ، ودينه المثلث<sup>(٧)</sup> ؛ ومعبوده الصليب ، وتسميته التصليب ؛ وملته المنسوخة ، وقضيته المنسوخة ؛ وختانه التفتيس ، وغافر ذنبه القسيس ؛ وربّه عيسى المسيح ، ونظره ليس البين<sup>(٨)</sup> ولا الصحيح ، وأن ذلك الرب قد ضُرّج بالدماء ، وسُقّي الخل عِوضَ الماء ؛ وأن اليهود قد<sup>(٩)</sup> قتلته مصلوباً ، وأدركته مطلوباً<sup>(١٠)</sup> ، وقهرته<sup>(١١)</sup>

- ( ١ ) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « العيشة » .
- ( ٢ ) كذا في ت ونفع الطيب . والقرية : التقرب . وفي ط « القرية » .
- ( ٣ ) الاحتيال : تخين الشيء واغتنامه .
- ( ٤ ) كذا في نفع الطيب ، وفي ط : « وإن نسب ذلك لا معنى » . وفي ت : « وإن نسب ذلك للمعنى » . وما أثبتناه أولى بالسياق .
- ( ٥ ) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « وعظه » .
- ( ٦ ) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « العظيم » .
- ( ٧ ) مليث : مختلط أمره . يقال : رأس مليث إذا اختلط شعره الأبيض والأسود .
- ( ٨ ) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « لا آيين » .
- ( ٩ ) هذه الكلمة : « قد » ساقطة في ت ونفع الطيب .
- ( ١٠ ) هذه العبارة « وأدركته مطلوباً » ساقطة في ت .
- ( ١١ ) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « وقتلته » .

مغلوبا ؛ وأنه جَزِعَ من الموت وخاف ، إلى سَوَى<sup>(١)</sup> ذلك مما يُناسب هذه  
الأقاويل السَّخَاف ؛ فكيف يُرَجَى من هؤلاء الكثرة من الخير مثقال<sup>(٢)</sup> الذرة ،  
أو يُطَمَّع<sup>(٣)</sup> منهم في جَلْبِ المنفعة أو دفع المضرة ؛ اللهم احفظ علينا العقل  
والدين ، واسلك بنا سبيل المهتدين . انتهى .

ومنه أيضاً ما نصه :

« كانت خزانة هذه الدار النَّصْرِيَّة<sup>(٤)</sup> ، مشتملة على كل نفيسة من الياقوت ،  
وبيضة من الجوهر ، وفريدة من الزُّمُرَّد ، وثمينة من التَّيْرُوزِج ، وعلى كل  
واقٍ من الدُّرُوع ، وحامٍ من العُدَّة ، وماضٍ من الأسلحة ، وفاخر من الآلة ،  
ونادر من الأمتعة ، فمن عقود فَدَّة<sup>(٥)</sup> ، وسلوك حَجَّة ، وأقراط تُفَضِّل على قُرْطَى  
مارِيَّة<sup>(٦)</sup> ، نفاسة فائقة ، وحُسْنًا رائقًا ، ومن سيوفٍ شواذٍّ في الإبداع ، غرائب  
في الإعجاب ، منسوبات<sup>(٧)</sup> الصَّفاح في الطَّبَع ، خالصة<sup>(٨)</sup> الحَلَى من التَّبَرُّ ؛ ومن  
دُرُوع مُقَدَّرَة<sup>(٩)</sup> السَّرْد ، متلاحمة النسيج ، واقية للبأس<sup>(١٠)</sup> في يوم الحرب ،  
مشهورة النَّسبة إلى داود نبي الله ؛ ومن جَواشِن<sup>(١١)</sup> سابعة اللَّبسة ، ذهبية الحلية ،

[٢٦]

( ١ ) في ت : « غير » .

( ٢ ) في نفع الطيب : « مقدار » .

( ٣ ) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « يطلب » . وهو تحريف .

( ٤ ) النصيرية : نسبة إلى بني نصر ، وهم بنو الأحمر أصحاب غرناطة .

( ٥ ) في هامش نفع الطيب : « عدة » .

( ٦ ) هي مارية بنت ظالم بن وهب الكندية ، زوجة الحارث الأكبر الفسائي ؛ وكان  
في قرطبتها لؤلؤتان عجبتان ضربت العرب بنفاستهما المثل .

( ٧ ) معروفة بصانعيها .

( ٨ ) في ت ونفع الطيب : « خالصات » .

( ٩ ) في ط : « القدودة » ، وهو تحريف .

( ١٠ ) في ط ونفع الطيب : « للناس » .

( ١١ ) الجواشن : الدروع .

هندية الصَّرب ، دِيْباجِيَّة الثوب ؛ ومن بَيَضَات عسجدية الطوق <sup>(١)</sup> ، جوهريّة التنضيد <sup>(٢)</sup> ، زَبَرَجْدِيَّة <sup>(٣)</sup> التقسيم ، ياقوتية المركز ؛ ومن مَنَاطِقُ لُجَيْنِيَّة الصوغ ، عَرِيضَة <sup>(٤)</sup> الشكل ، مُزَجَّجَة <sup>(٥)</sup> الصَّحح ؛ ومن دَرَقٍ لَمَظِيَّة <sup>(٦)</sup> ، مُصَمَّتة المسام ، لَيِّنَة المَجَسَّة ، معروفة النَمَّعة ، صافية الأديم ؛ ومن قَبِيٍّ ناصعة الصَّبغة ، هلالية الخلقة ، منعطفة الجوانب ، زَارِيَّة بالحواجب ، إلى آلات فاخرة ، من أَتَوَار <sup>(٧)</sup> نُحَاسِيَّة ، ومَنَاور <sup>(٨)</sup> بِلُورِيَّة ، وطِيفِير <sup>(٩)</sup> دِمَشْقِيَّة ، وَسُجُحات <sup>(١٠)</sup> زُجَاجِيَّة ، ومِخَاف صِدِينِيَّة ، وَأَكواب عِرَاقِيَّة ، وأَقْدَاح طِبَاشِيرِيَّة <sup>(١١)</sup> ، وَسِوَى

( ١ ) في نفح الطيب طبع مصر : « الطرق » .

( ٢ ) في ط : « التنضيش » وهو تحريف .

( ٣ ) كذا في ت : وتفتح الطيب . وفي ط « يجرديّة » وهو تحريف .

( ٤ ) كذا في ت وتفتح الطيب . وفي ط : « عرصة » . وهو تحريف .

( ٥ ) كذا في نفح الطيب . وفي ت : « فرجية » وفي ط « برعة » .

( ٦ ) نسبة إلى لمطة مدينة من المغرب الأقصى ينسب إليها الدرق ، لأنهم يتقمعون الجلود في الحليب سنة ، فيعملونها ، فينبو عنها السيف القاطع .

( ٧ ) كذا في ت . والأوتار : آتية يشرب فيها ، وأحدها تور . وفي نفح الطيب : « أوتار » . وفي ط : « أتواق » ولا معنى لهذه الأخيرة .

( ٨ ) للناور : جمع منارة ، وتجمع على منائر ومناورات . وهي ما يوضع عليه السراج . وقد ذكرها دوزي نقلا عن أبي إسحاق الشيرازي في عبارة نصها : « في آتية مختلفة الأعلى والأوسط والأسفل كالآباريق والأسطان الضيقة الرؤوس والنارات (النائر) » .

( ٩ ) الطيفير : كلمة مولدة لم ترد في معاجم اللغة . وذكرها دوزي في كتابه تكملة المعاجم العربية : « وهي أطباق مستديرة عميقة ، قاعها مستو ، وحافتها مرتفعة نحو ثلاث بوصات أو أربع ؛ الواحد : طيفور ، ويقال فيه « تيفور » وتجمع أيضا على طيفاروطوافير . وقد وردت أيضا ضمن عبارة في صبح الأعشى ( ج ٥ ص ٢٠ ) هذا نصها : « فيد لهم السباط ثرائد في جفان حولها طوافير ، وهي الخافق ، فيها أطمعة ملونة متنوعة » . وظاهر من عبارة صبح الأعشى أنها آتية ذوات أغطية .

( ١٠ ) كذا في الأصلين وتفتح الطيب . والسبحات : جمع سبعة ، وهي خرزات تنظم في خيط للتسبيح ، وهي مولدة . وذكرها هنا بين أسماء آتية الطعام ووصفها بالزجاجية ، يشتر بأنها محرفة عن لفظ آخر .

( ١١ ) كذا في نفح الطيب . وفي الأصلين ورواية أخرى في نفح الطيب : « طباشيرية » ، ولعل المراد بالطباشير هنا : مادة خزفية أو نحوها .



ذلك مما لا يحيط به الوصف ، ولا يستوفيه القد ؛ وكل ذلك ألّهيه <sup>(١)</sup> شواظ <sup>(٢)</sup> الفتنة ، والتقمه تيار الخلاف والفرقة ؛ فرزئت الدار منه بما يتعذر إتيان الدهور بمثله ، وتقتصر ديار الملوك المؤتلة النعمة عن بعضه فضلا عن كله . انتهى .  
وسنذكر من كلامه رحمه الله بمد هذا ، زيادة على ما جلبناه الآن ، والله المستعان .

وكانت غرناطة منتهى الآمال ، ووسطى قلادة الأمصار ، ولم تزل محاسنها  
تجولة على منصة الدهور والأعصار . وقد استولى <sup>(٣)</sup> وصفها لسان الدين الوزير  
أبو عبد الله بن الخطيب في كتاب الإحاطة ، ويرحم الله القائل :  
غرناطة ما لها نظير ما مضر ما الشام ما العراق ؟  
ما هي إلا العروس تجلى والأرض من جملة الصداق <sup>(٤)</sup>

قال الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن [ أحمد بن ] الحداد الشهير  
بالوادي آشي ، نزيل نيلسان :

تقرظ لابن  
عاصم على كتاب  
الإحاطة

كان على ظهر النسخة الرائعة الجمال ، الفاتنة الكمال ، من الإحاطة ، في  
تاريخ غرناطة ، المحبسة على المدرسة اليوسفيه ، من الحضرة الملية <sup>(٥)</sup> ، بخط  
قاضي الجماعة ، ومنفذ الأحكام الشرعية المطاعه ، صدر البلغاء ، وعلم العلماء ،  
ووحيد الكبراء ، وأصيل الحسباء ، الوزير الرئيس المعظم أبي يحيى بن عاصم ،  
رحمة الله عليه ، ما نقه :

[ ٢٧ ]

- (١) كذا في إحدى روايتي نفع الطيب . وفي الأصلين ورواية أخرى نفع الطيب « التبه » . ولم يرد هذا الفعل متعديا في كتب اللغة . ولعله محرف عن « التبه » .
- (٢) الشواظ : لهب النار .
- (٣) يريد : « تولى » . ولم يرد في المعجم « استولى » متعديا إلا بالحرف .
- (٤) رواية الشطر الثاني من البيت في نفع الطيب : « وتلك من جملة الصداق » .
- (٥) زيادة عن الإحاطة .
- (٦) في ط : « العالمة » .

« الحمد لله ، الاستدلالُ بالأثر على المؤثر مما سلَّه الأعلام ، وشهدت به العقول الراجحة والأحلام ؛ وهو الحُجَّةُ الْمُعْتَمَدَةُ حين تفاضل الأبواب ، وتنقاصر الأفهام ، وبه الاستمسك إن طَرَقَت الشكوك ، أو عرضت الأوهام . وحسبك بما يُسَلَّم في هذا المقام المتعالى من الأدلة ، وما يُعْتَمَد في هذا المجال المتضايق من البراهين المستَقْلَةِ ؛ تحقيق أن يُتَلَقَّى هذا النوع من الاستدلال فيما دون الفن المشار إليه بالقبول ، ويُستَقْبَل المُتَتَدِي لاستنباطه لما فيه من التبادر إلى الأفهام والتسابق للعقول ؛ وإذا ثبت أن المستدل بهذه الأدلة سالك على سواء سبيل ، ومنتمٍ من صحة النظر إلى أكرم قبيل ، فلا خفاء أن كتاب « الإحاطة » للشيخ الرئيس ذي الوزارتين <sup>(١)</sup> أبى عبد الله بن الخطيب رحمه الله ، من أثر هذه الدولة النُصْرِيَّة — أدامها الله — بكل اعتبار ، ومآثرها التي هي عبرة لأولى الأبواب ، وذكرى لأولى الأبصار .

أما الأول فلأن الأنبياء التي أظهرت صحتها <sup>(٢)</sup> ، وأوضحت حجتها ، وشرّفت مقصدها ، وكرّمت مصعدّها ، إنما هي مناقب ملوكها الكرام ، ومكارم خُلَفائها الأعلام ، وأخبار <sup>(٣)</sup> من اشتملت عليه دولتهم الشريفة من صدور سحمة السيوف والأقلام ؛ وأفذاذ حفظة الدين والدنيا ، والشرف والعليا ، والمُلك والإسلام ؛ أو ما يرجع إلى مفاخر حضرة المُلك ، ويُنتظم <sup>(٤)</sup> نظم الجُمان <sup>(٥)</sup> في ذلك السلك ، من حَصَانَةِ قَلَمِهَا ، وأصالة <sup>(٦)</sup> مَنَعَتِهَا ؛

(١) في ط : « ذي الوزارة » . وهو تحريف .

(٢) في ت : « ظهرت بجهتها » .

(٣) في ت : « أو أخبار » .

(٤) في ت : « ينتظم » .

(٥) في ت : « المجال »

(٦) في ط : « وأصانة » . وهو تحريف .

وقَدِيم اختطاطها ، وكرِيم جهادها ورباطها ؛ وحُسْن ترتيبها ووَضْعها ، وما اشتمل عليه من مقاصد الأنس أهلُ رُبْعها ؛ وما سوى هذه الأقسام الثلاثة فن قَبِيل القليل ، ومما يرجع إلى شرف الحضرة ، ممن انتابها<sup>(١)</sup> من أهل الفضل الواضح والمجد الأثيل .

وأما ثانياً فإن راسم آياتها المتلوة<sup>(٢)</sup> ، ومُبدع محاسنها المجلوة ، وناقل صورتها من الفعل إلى القوة ، إنما هو حسنة من حسنات هذه الدولة النصرية الكريمة ، ونشأة<sup>(٣)</sup> من نَشَأَت جودها الشامل النعمة ، الهامل الديمة ؛ فما ظهر عليه من كمالات الأوصاف ، على الإنصاف ، فأخلاف<sup>(٤)</sup> هذه المكارم النَّصْرِيَّة أَرْضَعته ، وعنايتها الجميلة أَسْمَته ، فوق الكواكب ورفقته ؛ وإليها ينسب إحسانه إن انتسب ، ومن كَرِيم تشريفها اكتسب ، من الفضل الظاهر ما اكتسب . والحضرة هي منشؤه الذي عظم فيه قدره ، بل أَفقه<sup>(٥)</sup> الذي أشرق فيه بדרه ؛ والتشريفات السلطانية هي التي فَتَحَتِ اللَّهِي بِاللَّهِ<sup>(٦)</sup> ، وأَحَلَّتْ من مراقي العزِّ فوق الشَّهَابِ<sup>(٧)</sup> ؛ وأمكنَّت الأيدي<sup>(٨)</sup> من الذَّخَائِرِ والأَعْلَاقِ ، وطَوَّقَتِ اللَّيْنَ كالْقَلَانِدِ في الأعناق ؛ وقلَّدتِ الرِّيَاسَةَ والأَقْلَامُ أَقْلَامَ ، وثَنَّتِ الوِزَارَةَ والأَعْلَامُ أَعْلَامَ ؛ فبهرت أنواعُ الحامس ، وورد معين البلاغة غير التطروق ولا الآسن ؛ وبرَعَتِ التَّوَالِيفُ ، في الفنون المتعددة ، واشتهرت التصنيف ، ومنها هذا التصنيف المشار إليه ، لما له

[٢٨]

(١) كذا في ط . وانتابها : قصدتها . وفي ت : « انتهى بها » .

(٢) في ط : « الناصرة » . وهو تحريف .

(٣) النشأة : السحابة الناشئة

(٤) الأخلاف : جمع خلف ، وهو من ذوات الحنف بمنزلة الثدى للإنسان .

(٥) في ط : « بالفقه » وهو تحريف .

(٦) اللهي (بالفتح) : جمع لهة ، وهي اللحمة المرفقة على الحلق ، واللهي (بالضم) :

جمع لهية ، وهي العطية .

(٧) السها : كوكب خفي من بنات نَشْ ، ويضرب به المثل في العلو والارتفاع .

(٨) في ط : « الأيادي » .

من الأذمة التأكده . وإذا <sup>(١)</sup> ظهر هذا الاستدلال ، وأوضح البيان ما كتبه الإجمال ، فلنفصح <sup>(٢)</sup> الآن بما قصد ، ولنحقق من أنجُم السعادة ما رصَد ، وذلك أن لمولاي <sup>(٣)</sup> أمير المؤمنين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، الغالب بالله ، المؤيد بنصره أبي عبد الله ، محمد بن الخلفاء النصريين — أيده الله ونصره ، وسقَى له الفتح المبين ويستره — ما تَرَّ لم يسبق إليها ، ومكارم لم يَجْرِ أحد ممن وُسِمَ بالكرم عليها ، لجلالة قدرها ، وضخامة أمرها ؛ من ذلك هذا القصد الذي آثر لها كالكتاب المذكور وسواه ، مما هو واحد وقَدْ <sup>(٤)</sup> في معناه ؛ عقَد في جميعها التحبيس على أهل العلم والطلبة بحضرته العلية <sup>(٥)</sup> هنالك ، ليشمل به الإمتاع ، ويم به الانتفاع ؛ والله ينفع بهذا القصد الكريم ، ويتولى الثوبة على هذا العقد الجسم .

وهذه النسخة في اثني عشر سِفْراً ، متفقة الخط والعمل ، اكْتُتِبَ هذا على ظهر الأول منها بتاريخ <sup>(٦)</sup> رجب الفرد ، عام تسعة وعشرين وثمان مئة ، عرف الله بركته بمَنه ، آمين <sup>(٧)</sup> . « انتهى .

وقال الوزير أبو يحيى بن عاصم المذكور ، قدس الله روحه الطيبة ، وسقَى <sup>(٨)</sup> مشواه غيث رحمة الصَّيْبِ ، في كتابه المسمى بـ « الروض الأريض » <sup>(٩)</sup> ، في ترجمة شمس العصر ، من ملوك بني نصر ، في اسم الغنى بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل ابن فرج بن نصر الخزرجي ، بعد كلام ما نصه :

نبذة من كتاب  
الروض لابن عاصم  
عن ابن يوسف

(١) في ط : « إذا » بدون واو .

(٢) في ت : « فالنصح » .

(٣) في ت : « لمولانا » .

(٤) في ت : « ... واحد في فنه وفي مناه » .

(٥) في ط : « العليا » .

(٦) في ط : « وبتاريخ » .

(٧) هذه الكلمة « آمين » ساقطة في ت .

(٨) في ط : « وسقاه غيث » .

(٩) بقية الإسم في فتح الطيب : « في تراجم ذوى السيوف والأقلام والفريش » .

« كان قد جرى عليه التمهيص الذي أزعجه عن وطنه ، إلى الدار البيضاء بالمغرب من إيالة بنى مرين ، فأفادته الحُنْكَةُ والتجربة هذه السيرة التي وقف شيوخنًا على حقيقتها ، واتهجوا واضح طريقتها ، وبلغنا منقولة بالسنة صدقهم ، معبرًا عنها في عرف التخاطب بالعادة ، فلم يكن الوزير الكيس ، والرئيس الجيهذيجريان من الاستقامة على قانون ، ولا يطرّدان من الصواب على أسلوب ، إلا بالحفاظة على ما رسم من القواعد ، والمطابقة لما ثبت<sup>(١)</sup> من العوائد ؛ وكان ذوو الثبل من هذه الطبقة ، وأولو الحذق من أرباب هذه المهن السياسية ، يتعجبون من صحة اختياره لما رسم ، وجودة تمييزه لما قد ، ويرون التفسدة بالخروج<sup>(٢)</sup> عنها ضربة لازب<sup>(٣)</sup> ، وأن الاستمرار على مراسمها آكد<sup>(٤)</sup> واجب ؛ فيتحرّونها بالالتزام كما تتحرّى السنن ، ويتوخّونها بالإقامة كما تتوخّى<sup>(٥)</sup> الفرائض ، وسواء تبادر لهم معناها ففهموه ، أو خفي عليهم وجه رسمها فجعلوه .

حدثني شيخنا القاضي أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الحسنى :  
 أن الرئيس أبا عبد الله بن زمر ك دخل على الشيخ ذى الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب يستأذنه في جملة مسائل ، مما يتوقف<sup>(٦)</sup> عادة على إذن الوزير ، وكان معظمها فيما يرجع إلى مصلحة الرئيس أبي عبد الله . قال الشريف : فأمضاها كلها له<sup>(٧)</sup> ، ما عدا واحدة منها تضمنت نقض عادة مستمرة ، فقال له ذوو الوزارتين

(١) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « أثبت » .

(٢) في ط : « في الخروج » .

(٣) في ط : « لازم » .

(٤) في ط : « واكد » .

(٥) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « تمام » .

(٦) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « توقف » ،

(٧) هذه الكلمة : « له » ساقطة في ت .

مثل من حرص  
 ابن الخطيب على  
 العوائد

[ابن الخطيب] <sup>(١)</sup> : لا والله يا رئيس أبا عبد الله ، لا آذن لك في هذا ، لأننا ما استقمنا في هذه الدار إلا بحفظ العوائد .

[ثم] <sup>(٢)</sup> قال صاحب الروض :

فلما نأذن الله [تعالى] <sup>(٣)</sup> للدولة بالاضطراب ، واستحكم الوهن يتمكن الأسباب ؛ عدل عن هذه القواعد <sup>(٤)</sup> الراسخة ، واستخف بتلك القوانين <sup>(٥)</sup> الثابتة ؛ فنشأ من الفساد ما أعوز رفعه ، وتعدّد وتره وشفعه ، واستحكم ضرره حتى لم يمكن دفعه ، وتعدّر فيه الدواء الذي يُرجى نفعه ؛ وكان قد صحبه من الجذ ما سنى آماله ، وأنجح — بإذن الله — أقواله وأعماله ؛ فكان يجري الأمر على رَسْم من السياسة واضح ، ونظر من الآراء السديدة راجح ؛ ثم يَحْتَفِ <sup>(٦)</sup> من الجذ سياج لا يفرقه ، إلى تمام الغاية المطلوبة من حصوله ، وتمكن مقتضى الإرادة السلطانية من فروعه وأصوله .

اتمى كلام ابن عاصم ، وإنما أتيت به لغرابته .

وقال أبو عبيد البكري رحمه الله :

اضطراب  
أمر الأندلس  
بالخروج على  
القواعد

وصف البكري  
للأندلس

« الأندلس شامية في طبيها وهوائها ، يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية [٣٠] في عطرها وذكاؤها ، أهوازية في عظم جبايتها ، صينية في جواهر معادنها ، عدنية في منافع سواحلها ، فيها آثار عظيمة لليونانيين » <sup>(٧)</sup> .

(١) زيادة عن نفع الطيب .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) زيادة عن نفع الطيب .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : تلك « العوائد » .

(٥) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « القواعد » .

(٦) كذا في ت . وفي ط : « يحبه » .

(٧) لكلام أبي عبيد البكري بقية ذكرها المؤلف في نفع الطيب ( ج ١ ص ٦٤ طبعة المطبعة الأزهرية ) .

وصف  
ابن الخطيب  
للأندلس

وقال ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب :

خص الله بلاد الأندلس من الربيع ، وغدق السقيا ، ولذاذة الأقوات ، وفراهة  
الحيوان ، ودرور الفواكه ، وكثرة المياه ، وتبخر العمران ، وجودة اللباس ،  
وشرف الآنية وكثرة السلاح ، وصحة الهواء ، وبيضاض ألوان الإنسان <sup>(١)</sup> ،  
ونبل الأذهان ، وقبول الصنائع ، وشهامة الطبائع ، وتقوؤ الإدراك ، وإحكام  
التمدن والاعتمار ، بما حرمه <sup>(٢)</sup> الكثير من الأقطار ، مما سواها .

ثم قال : وحديث الفتح ، وما فتح الله على الإسلام من المنح ، وأخبار  
ما أفاء الله من خير ، على موسى بن نصير ، وكتب من جهاد ، لطارق بن زياد ،  
كتمول قصاص وأوراق ، وحديث أفلو وإشراق ، وإرعاد وإبراق ؛ وعظم <sup>(٣)</sup>  
أمتشاش <sup>(٤)</sup> ، وآلة معلقة في دكان قشاش <sup>(٥)</sup> . انتهى .

ولا خفاء بما كان الملوك المسلمين بالأندلس والعُدوة على النصارى — دمرهم  
الله — من الاستطالة والغلبة ، حتى وقع التخاذل والتدابير ، فانعكس الأمر . وقد  
حكى غير واحد أن دُنْ جانجه <sup>(٦)</sup> بن دُنْ ألفتش ، استنصر على أبيه بالسلطان  
المجاهد أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق البريني ، ولاذ به ، ورهن عنده  
تاجه <sup>(٧)</sup> ذخيرة النصارى ، ولقيه بصخرة عباد ، من أخواز رُنْده ، فسلم عليه ،

(١) كذا في ط ونجح الطيب . وفي ت : « الأسنان » .

(٢) في ت : « أحرمه » .

(٣) كذا في ت ونجح الطيب . وفي ط : « وأعظام » .

(٤) امتشاش العظم : مصه مضموضا لاستخراج ما فيه . يريد أن الحديث في هذا  
مفروغ منه كالعظم الذي امتش ، فلم يبق فيه شيء .

(٥) القشاش : الذي يبيع القديم اليلالي من سقط المتاع . (عن دوزي)

(٦) كذا في ط . وفي الاستقصا للسلوى (ج ٢ ص ٢٧ طبع مصر) : « شانجه »

وفي ت : « تانجه » . ثم إن السلوى ذكر أن المستنصر هو هراوند أبو شانجه .  
على العكس مما ساق المؤلف هنا .

(٧) في ط : « تاج » .

ويقال إن أمير المسلمين <sup>(١)</sup> لما فرغ من ذلك ، طلب بلسان زَنَانَةَ <sup>(٢)</sup> الماء ، ليفسل يده به من قُبْلَةِ الْفُنْشِ ، أو مصاغته <sup>(٣)</sup> .

ابن الخطيب :

تغيب لابن  
الخطيب على  
قصة أبي يوسف

« والشئ يذكر بالشئ » ، فَأُثْبِتُ حكاية اتفقت لى بسبب ذلك ، أَسْتَدْعِي بها الدماء ممن يحسن عنده موقعها ، وهى أن اليهودى الحكيم ابن زَرْزَار ، على عهد مَلِكِ النصارى ، حفيد هذا الْفُنْشِ المذكور ، وصل إلينا بفرناطة فى بعض حوائجه ، ودخل إلى بدار سكنائى ، مجاوراً لقصر السلطان بمحمراء غرناطة ، وعندى القاضى اليوم بفرناطة وغيره من أهل الدولة ، ويده كتاب من سلطان المغرب محمد بن أبى <sup>(٤)</sup> عبد الرحمن بن السلطان الكبير المولى أبى الحسن ، وكان محمد هذا قد فرّ إلى صاحب قَشْتَالَةَ ، واستدعى من قَبْلِهِ إلى الْمَلِكِ ، فَسَهَّلَ له ذلك ، وشرط عليه ما شاء ؛ وربما وصله خطابه بما لم يُقْنِعْهُ فى إطرائه ، فقال [ لى <sup>(٥)</sup> ] : مولاي السلطان دُنْ بطره يُسَلِّمُ عليك ، ويقول لك : أنظر مخاطبة هذا الشخص ، وكان بالأمس كلباً من كلاب بابه ، حتى ترى خسارة الكرامة فيه . فأخذت الكتاب من يده ، وقرأته وقلت له : أبلغه عنى أن هذا الكلام ما جرّك إليه إلا خُلُوْ بَابِكَ من الشيوخ ، الذين يُعَرِّفُونَك بالكلاب وبالأسود ، وبين تُفْسَلِ الأيدي منهم إذا قَبَّلُوها ، فتعلم من الكَلْبِ الذى تُفْسَلِ اليد منه ، ومن لا ، وأنَّ جَدَّ هذا الولد هو الذى قَبَّلَ جَدُّكَ يده ،

(١) فى ط : « المؤمنين » .

(٢) فى ط : « الزنانية » .

(٣) فى ت : « ومصاغته » .

(٤) كذا فى ت والاستقصا . وفى ط : « محمد بن عبد الرحمن » وهو تحريف .

(٥) زيادة عن ت .



واستدعى الماء لغسل يده منه بمحضّر النصارى والمسلمين ؛ ونسبة الجدة إلى الجدّ كنسبة الحفيد إلى الحفيد ؛ وكونه لجأ إلى بلادك ليس بمار عليه ، وأنت مُعرّض إلى اللّجأ إليه ، فيكافئك بأضفاف ما عاملته <sup>(١)</sup> به . فقام ابن الحسن المستقضى يبكى ، ويُقبّل يدي ، ويصفني بوليّ الله ، وكذلك من حضرني . وتوجّه إلى المغرب رسولا ، فقصّ على بنى مرّينَ خبر ما شاهده مني ومعه ؛ وبالخضرة اليوم من تلقى منه ذلك كثير ، جعل الله ذلك خالصاً لوجهه . انتهى .

ولما تقلّص ظل <sup>(٢)</sup> الإسلام بالجزيرة ، أعادها الله للإسلام ، واسترد الكفار ، دمرهم الله ، أكثر أمصارها وقراها ، على وجه القنوة والصلح والاستسلام ، لم يزل العلماء والكتاب والوزراء يحركون حميات <sup>(٣)</sup> ذوى البصائر والأبصار ، ويستنهضون عزماتهم من كل الأمصار .

فمن ذلك ما كتب به الكاتب الرئيس أبو عبد الله بن زمرّك رحمه الله لابن زمرّك لما نزل المسلمون بأخر مرّج غرناطة ، متوجهين لفتح خير :

« اعلّموا أنا نذّركم ما لا يغيب عن أديانكم وأحسابكم ؛ إن هذا الجهاد وليمة دعا الله عباده إليها ، وحضّهم عليها ؛ فالآيات في المصاحف مسطورة ، والأحاديث مشهورة ؛ لبيع النفوس فيها من الرّخمن ، وبذل المهج رغبة في حصول ثواب الملك الدّيان ، ينزل الله فيها الملائكة السّومين . وتفرح الحُور العين ، وتَسبح الرحمة من رب العالمين ، ويباهى الله ملائكته <sup>(٤)</sup> بالجهاديين ؛ وقد

(١) في ط : « ما عملته » .

(٢) في ط : « ذيل » .

(٣) في ط : « حاة » .

(٤) في ت : « الملائكة » .

بعض ما كتب  
في استنهاض  
الهمم ضد  
النصارى

تضافرت على ذلك النصوص ، وكفى شرفاً القور بمحبة الله في قوله ( إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ مُبْتَلَانًا مَرَّضُونَ ) ؛ فينبغي فيه الاستغفار من سالف الذنوب ، وتطهير السرائر والقلوب ، واجتماع الأيدي [٢٧] والكلمة في مَرَضَاتِ عَلَامِ النِّيُوبِ .

وأبلغ منه ما كتب به ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب في الحب على الجهاد ، والترغيب فيه ، وهو :

«أيها الناس ، رحمكم الله ، إخوانكم المسلمون قد دهم العدو — قَصَمَهُ اللَّهُ — ساحتهم ، ورام الكفر — قَبَحَهُ اللَّهُ — استباحتهم ؛ وزحفت أحزاب الطواغيت عليهم <sup>(١)</sup> ، ومد الصليب ذراعيه إليهم ؛ وأيديكم بعزة الله أقوى ، وأتم المؤمنون أهل البر والتقوى ؛ وهو دينكم فأنصروه ، وجواركم القريب فلا تغفروه ، وسبيل الرشد قد وضح فلتبصروه . الجهاد الجهاد ، فقد تَعَيَّنَ الجارَ الجارَ ، فقد قرر الشرع حقه وَيَنَ : الله الله في الإسلام ، الله الله في أمة محمد عليه السلام ؛ الله الله في المساجد المعمورة بذكر الله ، الله [الله في <sup>(٢)</sup>] وطن الجهاد في سبيل الله ؛ قد استغاث بكم الدين فأغيثوه ، قد تأكد عهد الله وحاشاكم أن تنكثوه ؛ أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة ، أعانكم الله عند الشدائد ، جددوا عوائد الخير ، يصل الله لكم <sup>(٣)</sup> جميل العوائد ؛ صلوا رحم الكلمة ، وأسوا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المُسَلِّمة ؛ كتاب الله بين أيديكم ، وألسنة الآيات تنادىكم ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم ، والله يقول فيه : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ ) . ومما صح عنه قوله : « من اغيَّرت قدماه في سبيل

(١) في ط : « إليهم » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) في ط : « إليكم » .

الله حَرَّمَهَا اللهُ عَلَى النَّارِ . « لَا يَجْتَمِعُ غِبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ » (١) .  
 « وَمَنْ جَهَّزَ غَازِيَاً فِي سَبِيلِ اللهِ قَدْ غَزَا » . أَذْرِكُوا رَمَقَ الدِّينِ قَبْلَ أَنْ يَفُوتَ ،  
 بَادِرُوا عِلِيلَ الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ؛ احْفَظُوا وَجُوهَكُمْ مَعَ اللهِ يَوْمَ يُسْأَلُكُمْ  
 عَنْ عِبَادِهِ ، جَاهِدُوا فِي اللهِ بِالْأَلْسُنِ وَالْأَمْوَالِ حَقَّ جِهَادِهِ :

مَاذَا يَكُونُ جَوَابُكُمْ لِنَبِيِّكُمْ وَطَرِيقُ هَذَا الْمُنْذِرِ غَيْرُ مُمَهَّدٍ  
 إِنْ قَالَ لِمَ فَرَقْتُمْ فِي أُمَّتِي وَرَكَبْتُمُوهُمُ لِلْعُدُوِّ الْمُعْتَدِي  
 تَاللهُ لَوْ أَنَّ الْمُقُوبَةَ لَمْ تُخَفَّ لَكُنِيَ الْحَيَا (٢) مِنْ وَجْهِ ذَلِكَ السَّيِّدِ

[٣٣] اللهم اعطف علينا قلوب المباد ، اللهم بُثْ لَنَا الْحَيَمَةَ فِي الْبِلَادِ ، اللهم دافع  
 عَنِ الْمَحْرِمِ الضَّعِيفِ وَالْأَوْلَادِ ؛ اللَّهُمَّ انصُرْنَا عَلَى أَعْدَائِكَ بِأَحْبَابِكَ وَأَوْلِيائِكَ  
 يَا خَيْرَ النَّاصِرِينَ ، اللَّهُمَّ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ  
 الْكَافِرِينَ . وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا [وَمَوْلَانَا] (٣) مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ  
 تَسْلِيمًا . انتهى .

واستمر الأمر بالجزيرة على هذه الحالة مدة ، والمسلمون لا يزدادون إلا ضعفا  
 والعدو تَكَلُّبًا وَشِدَّةً ؛ حَتَّى اسْتَوْلَى عَلَى الْجَزِيرَةِ بِأَسْرَهَا ، وَشَرَحَ ذَلِكَ يَطُولُ .  
 وَكَانَ اسْتِيلَاؤُهُ عَلَى حِمْرَاءِ غَرْنَاطَةَ ، وَدَخَلَ جَيْشُهُ [لَهَا] (٤) ثَانِي رَبِيعِ النَّبَوِيِّ ،  
 مِنْ عَامِ سَبْعَةٍ وَتِسْعِينَ وَثَمَانِ مِئَةً . هَكَذَا رَأَيْتُهُ فِي تَأْلِيفِ لِبَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ ، ضَمَّنَهُ  
 الْقَضِيَّةَ ، وَآلَفَهُ بِسَبِيحِهَا ؛ عَلَى أَنِّي رَأَيْتُ بِحُطِّ الْفَقِيهِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْوَادِي أَشَى  
 مَا يَخَالَفُ ذَلِكَ ، وَهُوَ (٥) أَنَّهُ أَوْرَدَ رِسَالَةَ لَابْنِ الْخَطِيبِ يَخَاطَبُ بِهَا السُّلْطَانَ أَبَا سَالِمٍ

(١) تَمَّةُ الْحَدِيثِ كَمَا فِي سَنَنِ النَّسَائِيِّ : « فِي مَنْخَرِي مِثْلُ أَمْبَا » .

(٢) الْحَيَا : مَقْصُورٌ مِنَ الْحَيَاءِ .

(٣) زِيَادَةُ عَنْ ت .

(٤) فِي ت : « وَذَلِكَ » .

التبريقي ، نصَّ محل<sup>(١)</sup> الحاجة منها :

« ولا شك عند عاقل أنكم إن انحلت غروة تأميلكم ، أو أعرضتم عن ذلك الوطن ، استولت عليه يد عدوه » . انتهى .

فكتب بطرُقه أبو عبد الله الوادى آشى المذكور<sup>(٢)</sup> ما نصه :

« كذلك وقع آخر الأمر . وكان الاستيلاء على غرناطة آخر ما بقى من بلاد الأندلس للإسلام ، في محرّم [ عام ]<sup>(٣)</sup> سبعة وتسعين وثمان مئة ، فرحم الله ابن الخطيب ، العاقل اللبيب ، وغفر له برحمته » . انتهى كلام الوادى آشى .

على أنه قد يظهر من كلام بعضهم أن الصلح كان في محرّم ، ودخول الجيش القصبه الحمراء كان في ربيع ، فلا منافاة ، والله أعلم .

ورأيت بخط الإمام الوائشري<sup>(٤)</sup> سيدى عبد الواحد رحمه الله ما نصه :

« استولى العدو على جبل الفتح سنة ست وستين وثمان مئة ، وعلى الحمة<sup>(٥)</sup> »

تاسع الحرم يوم الخميس عام سبعة وثمانين وثمان مئة ؛ وفي عام خمسة وتسعين وثمان مئة استولى العدو على جميع [ بلاد ]<sup>(٦)</sup> الأندلس ماعدا غرناطة وبشرتها<sup>(٧)</sup> ، وكان قبله في عام اثنين وتسعين استولى على مالقة في رمضان منه ، وفي عام سبعة وتسعين استولى على غرناطة » . انتهى .

(١) هذه الكلمة « محل » ساقطة في ت :

(٢) هذه الكلمة : « المذكور » ساقطة في ت .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) كذا في نفع الطب طبعة أوربة . والوائشري : نسبة إلى والائشريش (بالتون وشينين مسجعين وراء ثم ياء) : جبل بين مليانة وتلسان من نواحي المغرب .

وفي الأصلين وهامش نفع الطب : « والوائشري » .

(٥) الحمة : من أعمال مرسية . (عن تكملة كتاب الصلة) .

(٦) كذا في نفع الطب وفيما سياتى في الأصلين . وظاهر من سياق نفع الطب أنها

سواح لغرناطة أو مواضع بها . وفي الأصلين هنا : « وبشارتها » .

خروج أمير  
الحمراء ابن  
أبي الحسن  
إلى فاس

ولما دخل النصارى إلى الحمراء خرج أميرها أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن  
على النصارى ، واشترط المسلمون على العدو الكافر شروطاً أظهر قبولها ، وبسط  
[٣٤] لهم جناح العدل ، حتى بلغت بزعمهم نفوسهم مأمولها ؛ وكان من جعلتها أن من  
شاء البقاء عنده أقام في ظل الأمان<sup>(١)</sup> مُسَكِّمًا ، ومن أراد الخروج إلى برّ  
العدوة أنزل بأى بلاد شاء منها ، من غير أن يُعطى كِراء ولا مَنُعمًا ؛ وأظهر  
للمسلمين العناية والاحترام ، حتى كان النصارى يَحْسُدُونهم في ذلك ، ويقولون  
لهم : أتم عند ملكنا أمرًا وأكرم مِنّا ؛ ووضع عنهم التمارم ، حيلة منه وكيدًا ،  
ليُفرِّم بذلك ، ويُبَيِّطهم عن الجواز . فوقع الطمع لكثير من الناس ، وظنوا أن  
ذلك البرق ليس بخُلْب ، فاشتري كثير من المقيمين الرباع العظيمة ، ممن أراد  
الذهاب للعدوة ، بأرخص الأثمان ، وأمر — لعنه الله — بانتقال سلطان غرناطة  
أبي عبد الله إلى قرية أندَرَس<sup>(٢)</sup> ، من قُرى البُشرة ، فارتحل أبو عبد الله بعِياله  
وحشمه ، وأقام بها ينتظر ما يُؤمِّرُ به ، ثم ظهر للطاغية أن يُجِيزه إلى العدوة ،  
فأمره بالجواز ، وأعدَّ له التراكِيب العظيمة ، وركب معه كثير من المسلمين ، ممن  
أراد الجواز ، حتى نزلوا بِمَلِيلَة<sup>(٣)</sup> من ريف المغرب ، ثم ارتحل السلطان أبو عبد الله  
إلى مدينة فاس — حرمها الله — وما زال أعقابه بها إلى الآن من جملة الضغفاء  
الشُّوال ، بعد الملُك الطويل العريض ، فسبحان المعزّ المذلّ ، السامح المانع ،  
لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

(١) هذه العبارة : « في ظل الأمان » ساقطة في ت .

(٢) كذا في ط ونسخ الطيب وتقوم البلدان . وفي ت : « أندرس » بالين للهمة ،  
وهو تصحيف .

(٣) مَلِيلَة (بوزن سفينة) : مدينة قديمة مسورة على بحر الزقاق (انظر المغرب في ذكر  
بلاد إفريقية والمغرب) .

وكان خلع أبيه أبي الحسن يوم الأحد ثالث جمادى الأخرى من عام تسعين  
وثمان مئة ، خله أخوه <sup>(١)</sup> ، ودخل أبو عبد الله المذكور ، ابن أبي الحسن <sup>(٢)</sup> ، رُبَصَ  
البَيَّازِينَ سَادَسَ عَشَرَ شَوَّالَ عام واحد وتسعين ، وافتكَّ مُلْكُ أبيه من يده ،  
وَوُفِّيَ رحمه الله بفاس عام أربعة وعشرين وتسع مئة ، ودفن بإزاء المُصَلَّى ،  
خارج باب الشريعة ، وخلف ولدين ، اسم أحدهما يوسف ، والآخر محمد <sup>(٣)</sup> ،  
وعقبه الآن بها كما ذكرناه ، والله وارث الأرض ومن عليها ، والله خير الوارثين .

وفاته وشي . عنه  
وعن عقبه

وكان من قَدَرِ اللَّهِ تعالى أنهم لما وصلوا مدينة فاس أصاب الناس بها شدة  
عظيمة ، من الجوع والفلاء والطاعون ، حتى فرَّ كثير منها بسبب ذلك ، ورجع  
بعض أهل الأندلس إلى بلادهم ، فأخبروا بتلك الشدة ، فتعاضد من أراد الجَوَّازَ ،  
وعزَمُوا على الإقامة والدَّجْنَ <sup>(٤)</sup> ، ولم يُجْزِ النصارى أحدا بعد ذلك إلا بالكَرَاءِ  
والمَغْرَمِ وعُشْرَ المال ، فلما رأى الطاغية أن الناس قد تركوا الجَوَّازَ وعزموا على  
الاستيطان والمُقام في الوطن ، أخذ في نقض الشروط التي اشترط عليه المسلمون أولَ  
مرة ، ولم يزل ينقضها فصلا فصلا ، إلى أن نَقَضَ جميعها ، وزالت حُرْمَةُ المسلمين ،  
وأدركهم الهوان والدَّيْلَةُ ، واستطال عليهم النصارى ، وفُرِضَتْ عليهم المغارم الثقيلة ،  
وقُطِّعَ عنهم الأذان في الصوامع ، وأمرهم بالخروج من غِرَناظَةِ إلى الأرباض  
والقُرَى ، فخرجوا أَذِلَّةَ صاغرين ، ثم بعد ذلك دعاهم إلى التَّنَصُّرِ ، وأكرههم  
عليه ، وذلك سنة أربع وتسع مئة ، فدخلوا فيه كَرَّها ، وصارت الأندلس كلها

حال المسلمين  
بعده بالأندلس

[٣٥]

(١) في ط : « وكان أبوه أبو الحسن خلع سنة تسعين وثمان مئة ، خله أخوه يوم  
الأحد ثالث جمادى الأخرى من العام . »

(٢) هذه العبارة : « ابن أبي الحسن » : ساقطة في ت .

(٣) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « أحمد » .

(٤) الدجج : الإقامة .

دار كُفر ، ولم يبق من يَجْهر بكلمة التوحيد والأذان ، ونَجَلت في المساجد والمآذن النواقيسُ والصلبان ، بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، لا راد لما قضاه الله الملك الديان .

رسالة في ذكر  
ما جرى للمسلمين  
في الأندلس

وقد رأيت لبعضهم رسالة ببعض شرح ذلك ، ونصها :

« وتعرفنا من غير ما طريق ، وعلى لسان غير فريق ، أن قُطر الأندلس . —  
نظر اللهُ إليه ، وعاد بنوره عليه — طَرَقَ أَهْلَهُ حُطْبٌ لم يَجْرُ في سالف الدهر ،  
وذلك أنهم أُكْرِهوا بالقتل إن لم يقع منهم النطق بما يقتضى في الظاهر الكفر ،  
ولم يُقْبَل منهم الأُسر ؛ وكان الابتداء في ذلك من أهل غرناطة — جدد الله  
رُسمها ، وأعاد إلى بلاد المسلمين <sup>(١)</sup> اسمها — وخصوصاً أهل واسطتها ، لقلة الناس ،  
وكونهم من الرعية الدماء ، مع عدم العصبية ، بسبب اختلاف الأجناس ؛ وعلم  
النصارى — دترهم الله — بأن من بقي بها <sup>(٢)</sup> من المسلمين إنعام أسارى في أيديهم ،  
وعيال عليهم ؛ وبعد أن اتزعوا منهم <sup>(٣)</sup> الأسلحة والمعاقل ، وعتوا فيهم بالخروج  
والجلاء ، فلم يبق من المسلمين طائرل ؛ ونقض اللعين طاغية النصارى عهوده ،  
ونشر بمحض النذر بُنوده ؛ من غير مُعذرة لَفَقَهَا ، ولا كَذْبة في مَقْرِضِ العُذر  
نسَمُها ، إلا أعجازا من الكفر ، وصدورا من الفیظ والمكر ، وخالص النذر ،  
حَمَمَها وفرَمَها ؛ وكان الطاغية إذ ذاك بِأَسْبِيلِيَّة — جبرها الله ، وجعل بها قبره ، ووقى  
المسلمين والإسلام شره — وبعد أن كان [ قبل <sup>(٤)</sup> ] قد انسل إلى غرناطة انسلال

(١) في ت : « الإسلام » .

(٢) في ت « منها » .

(٣) في الأساين : « لهم » .

(٤) زيادة عن ت .

التَّطَا إلى الماء ، وطلع إليها طلوع الرقيب على خلوات الأحياء ؛ وأسر بإخلاء  
الأرباض ، وأذن في السفر في البحر للأباض ، ولم يحضر من الأجفان<sup>(١)</sup> إلا القليل ،  
وما كان قصده إلا التفريق والتهويل ؛ على ما عهد من غدر النصارى وطمعانيهم ،  
وفعلهم النعم مع المسلمين وتوكرانهم ؛ والإعلان بمحنتهم ؛ والحرص على ارتدادهم [٢٦]  
وفتنهم ؛ وأقام بعد انصرافه عنها ، وخروجه منها ، بإشبيلية مُدَيَّدة ، وعقاربه  
لأشباعه من النصارى بغرناطة تَدَبَّ وتسرى ، ونفسه انطبعة بالماب<sup>(٢)</sup> تَفَرَّى ؛  
ثم انتقل عن الواسطة للبيازين ، حيث الحميمية ، والنصرة الإيمانية<sup>(٣)</sup> ، مع  
السراجة والنجيه<sup>(٤)</sup> ، والعقل الرصين ، والدين اللتين ؛ فجعل صعبها ذُلُولا ،  
وأعاد للكفر كرها من كان يحضرتها ، وتمتّع أحزاب الشيطان — قصمهم الله —  
بنصرتها ، نسأل الله تعالى أن يجعل تتمهم قليلا .

وزيادة<sup>(٥)</sup> الخبر :

تكيل طاغية  
قشتالة وأرغون  
بالمسلمين

« أن طاغية قشتالة وأرغون — قصم الله — صدم غرناطة صدمه ،  
وأكره على الكفر من بقي بها من الأئمة ؛ بعد أن هيض جناحهم<sup>(٦)</sup> ، وركدت  
رياحهم ؛ وجعل بعد جنده الخاسر على جميع جهات الأندلس ينثال ، والطاغية  
يزدهى في الكفر ويختال ؛ ودين الإسلام تُنْتَر بالأندلس نجومه ، وتطمس  
معالمه ورُسومه ؛ فلورأيتم ما صنع الكفر بالإسلام بالأندلس وأهليه ، لكان

(١) الأجفان : كلمة أندلسية ، بمعنى الفن . ذكرها دوزي في معجمه .

(٢) كذا في ط . وفي ت : « بالماب » .

(٣) في ط : « الأمانة » .

(٤) كذا في ط . وفي ت : « مع السداجة والنفحة » ولا معنى للروايتين .

(٥) في ت : « وزبدة » .

(٦) في ت : « جنابهم » .



كل مسلم يَنْدُبُهُ وَيُكَيِّه ؛ فَقَدْ عَيْثَ الْبَلَاءِ بَرُسُومُهُ ، وَعَفَى عَلَى أَقَارِهِ وَنَجُومِهِ ؛  
ولو حضرتم من جَبْرٍ بِالْقَتْلِ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَتَوَعَّدَ بِالنَّكَالِ وَالْمُهَالِكِ الْعِظَامِ ؛  
ومن <sup>(١)</sup> كَانَ يُعَذِّبُ فِي اللَّهِ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ ، وَيُدْخِلُ بِهِ مِنَ الشَّدَةِ فِي بَابٍ  
وَيُخْرِجُ مِنْ بَابٍ ؛ لِأَنَّا كَمْ مَصْرُوعُهُ ، وَسَاءَ كَمْ مَقْطَعُهُ ؛ وَسَيُوفُ النَّصَارَى  
إِذَا ذَاكَ عَلَى رِءُوسِ الشَّرْزِمَةِ الْقَلِيلَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَسْلُوكُهُ ، وَأَفْوَاهُ الذَّاهِلِينَ  
مَحْلُولُهُ ؛ وَهُمْ يَقُولُونَ : لَيْسَ لِأَحَدٍ بِالتَّنَصُّرِ أَنْ يُمْتَطَّلَ ، وَلَا يَلْبِثُ حِينًا وَلَا يُنْهَلَ ؛  
وَهُمْ يَكَاذِبُونَ تِلْكَ الْأَهْوَالَ <sup>(٢)</sup> ، وَيَطْلُبُونَ لُطْفَ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالٍ . انتهى .

وكان جماعة من علماء الأندلس خرجوا إلى تِلْغَسَانَ ، منهم القاضي الشهير  
أبو عبد الله بن الأزرَق ، صاحب الشرح العجيب على مختصر خليل ، وكتاب  
السِّيَاسَةِ الْمَخْصُصَةِ مِنْ مَقْدَمَةِ تَارِيخِ ابْنِ خَلْدُونِ ، وفيه زيادات بديعات <sup>(٣)</sup> ،  
وكتاب روضة الإعلام ، بمنزلة العربية من علوم الإسلام ، وغير ذلك ، وأرتحل  
من تِلْغَسَانَ إِلَى الْمَشْرِقِ ، وَسُئِلَ بِذِكْرِهِ . ومنهم بنو داود المذكورون في قَهْرَسَةِ  
الشيخ ابن غازي ، وهؤلاء خرجوا من الأندلس قبل أخذ غرناطة <sup>(٤)</sup> ؛ وَلَكِنْ  
لَمَّا رَأَوْا اسْتِطَالَ الْعَدُوَّ عَلَيْهَا ، وَأَنَّهُ أَخَذَهَا لَا مُحَالَةً ، قَوَّضُوا رِحَالَهُمْ عَنْهَا ،  
فَنَزَلُوا بِتِلْغَسَانَ الْحَرُوسَةِ ، وَأَخَذَتِ الْحَضْرَةُ الْغَرْنَاطِيَّةُ <sup>(٥)</sup> بِمَدَارِ تَحَالُمِ بَقَرِيْبٍ ،  
رَحِمَهُمُ اللَّهُ . ومنهم الفقيه الأديب ، حَازِرُ قَصَبِ السَّبْقِ فِي كَثْرَةِ النَّسَخِ وَالْكِتَابَةِ ،  
أبو عبد الله محمد بن الحَدَّادِ الشَّهِيرِ بِالْوَادِي آتِيٍّ ، وسنذكره إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، رَحِمَ

[ ٣٧ ]

(١) فِي الْأَسْلَيْنِ : « وَلَنْ » .

(٢) فِي ط : « الْأَحْوَالِ » .

(٣) فِي ت : « زِيَادَةُ بَدِيعَةٍ » .

(٤) فِي ت : « أَخَذَهَا » .

(٥) فِي ت : « وَأَخَذَتِ غَرْنَاطَةُ » .

بعض من خرج  
من علماء  
الأندلس

الله الجميع<sup>(١)</sup> . ومن خرّج بفاس من العلماء ، الفقيه أبو العباس البقّيّ<sup>(٢)</sup> ، ثم رجع إلى غرناطة ، وقضيته معروفة .

كتاب ابن الأحرر  
لصاحب فاس

ولا بأس أن نُورد كتاب السلطان أبي<sup>(٣)</sup> عبد الله بن الأحرر الخلويع المذكور ، الذي بعث به لصاحب فاس<sup>(٤)</sup> في ذلك العهد ، تمهيداً لمؤدّره ، وتوطئة لمقصده ؛ وتطارُحاً على تلك الأبواب وتملقاً ، وتمسكاً بذلك الجناب وتملقاً ؛ وهو في الغاية<sup>(٥)</sup> من الفصاحة والبلاغة ، من إنشاء الفقيه الأديب ، الشاعر الناطم ، النائر الكاتب ، المُجيد البازع البليغ ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله العربيّ العقيليّ رحمه الله ، ومما بالروض العاطر<sup>(٦)</sup> الأنفاس ، في التوسل إلى الولي الإمام سلطان فاس ؛ ونصّه بعد الافتتاح<sup>(٧)</sup> :

« مَوْلَى الْمُلُوكِ مَلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ رَعِيًّا لِمَا<sup>(٨)</sup> مِثْلُهُ يُرْعَى مِنَ الذَّمِّ  
بك استجرتنا ونعم الجار أنت لمن جار الزمان عليه جوار مُنتَقِمٍ  
حتى غدا مُلكُهُ بِالرَّغْمِ مُسْتَلَبًا وَأَقْطَعُ الْخُطْبِ مَا يَأْتِي عَلَى الرَّغْمِ  
حُكْمٌ مِنْ اللَّهِ حَتْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ وَهَلْ مَرَدٌّ لِحُكْمٍ مِنْهُ مُنْتَقِمٍ<sup>(٩)</sup> »

(١) في ت : « جميعهم » .

(٢) في ط : « الفقائي » .

(٣) في ط : « أبا » وهو تحريف .

(٤) هو الشيخ الوطاسي سلطان فاس .

(٥) في ت : « وفي الغاية » .

(٦) كذا في ت ونفع الطيب ، وفي ط : « العطر » .

(٧) كذا في ت ونفع الطيب ، وفي ط : « افتتاح » .

(٨) في نفع الطيب : « لمن » .

(٩) كذا في الأصلين وإحدى روايتي نفع الطيب ، ولم ترد صيغة « انعم » في المعاجم

التي بين أيدينا . وفي رواية أخرى لنفع الطيب : « منعم » .

وَمَنْ اللَّيَالِي وَفَاكَ اللَّهُ صَوَلَتَهَا  
 كَفَا مُلُوكًا لَنَا فِي أَرْضِنَا دُولُ  
 فَأَيُّقَلْتُنَا سِهَامٍ لِلرَّدَى صُيْبُ  
 فَلَا تَمَّ تَحْتَ ظِلِّ الْمُلْكِ نَوْمَتْنَا  
 يَبْكِي عَلَيْهِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَعْرِفُهُ  
 كَذَلِكَ الدَّهْرُ لَمْ يَبْرَحْ كَمَا زَعَمُوا  
 وَصِلْ أَوَامِرَ قَدْ كَانَتْ لَنَا اشْتَبَكَتْ  
 وَابْسُطْ لَنَا الْخُلُقَ الْمَرْجُوَّ بَاسِطُهُ  
 لَا تَأْخُذْنَا<sup>(١)</sup> بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ  
 فَسَا أَطَقْنَا دِفَاعًا لِلْقَضَاءِ وَمَا<sup>(٢)</sup>  
 وَلَا رُكُوبًا بِإِزْعَاجِ لِسَابِحَةِ  
 وَالْمَرَّةِ مَا لَمْ يُعْنِهِ اللَّهُ أَضْيَعُ مِنْ  
 وَكُلِّ مَا<sup>(٣)</sup> كَانَ غَيْرَ اللَّهِ يَحْرُسُهُ<sup>(٤)</sup>  
 تَصُولُ حَتَّى عَلَى الْآسَادِ فِي الْأَجَمِ  
 نَمْنَا<sup>(٥)</sup> بِهَا تَحْتَ أَفْنَانٍ مِنَ النَّعَمِ  
 يُرْمَى بِأَفْجَعِ خَتَمٍ مِنْ بَيْنِ رُمَى  
 وَأَيُّ مَلِكٍ بَظَلِ الْمُلْكِ لَمْ يَنْمِ  
 بِأَدْمَعٍ مَزَجَتْ أَمْوَاهُمَا بِدَمِ  
 يُشِيمُ بَوَّ الصَّفَارِ<sup>(٦)</sup> الْأَنْفَ ذَا الشَّمِ<sup>(٧)</sup>  
 فَالْمُلْكِ بَيْنَ مَلُوكِ الْأَرْضِ كَالرَّحِمِ  
 وَاعْطِفْ وَلَا تَنْحَرِفْ وَاعْذِرْ وَلَا تَلَمْ  
 نَذِيبُ وَلَوْ كَثُرَتْ أَقْوَالُ ذِي الْوَنَمِ  
 أَرَادَتْ أَنْفُسُنَا مَا حَلَّ مِنْ نِقَمِ  
 فِي زَاخِرٍ بِأَكْفِ الْمَوْجِ مُلْتَطِعِ  
 طِفْلٍ تَشْكَى بِفَقْدِ الْأُمِّ فِي الْيَمِّ  
 فَإِنَّ مَحْرُوسَةَ لَحْمٍ عَلَى وَضَمِّ<sup>(٨)</sup>

[٣٨]

(١) فِي ت « نَمَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) الْبُورُ : جُلْدُ الْحَوَارِ يَحْمِي تَبْنًا وَنَحْوَهُ لِيُطْفَأَ عَلَيْهِ أَمَةٌ تَنْدُرُ . وَالصَّفَارُ : الْقَذَلُ .

(٣) فِي ط « ذُو الشَّمِ » .

(٤) كَذَا فِي ط وَنَفَحَ الطَّيْبُ طَبْعَةُ أُورِيَّةٍ . وَفِي ت وَنَفَحَ الطَّيْبُ طَبْعَةُ الْمَطْبَعَةِ الْأَزْهَرِيَّةِ : « لَا تَأْخُذُونَا » .

(٥) فِي ت : « وَلَا » .

(٦) كَذَا فِي ط : وَنَفَحَ الطَّيْبُ . وَفِي ت : « مِنْ » .

(٧) كَذَا فِي ت وَنَفَحَ الطَّيْبُ . وَفِي ط : « مَا كَانَ غَيْرَ اللَّهِ يَحْرُسُهُ فَإِنَّ مَحْرُوسَهُ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٨) الْوَضَمُ : خَوَانُ الْقَصَابِ ، وَهُوَ مَا يَقْتَضِمُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ وَيَهْبِشُهُ .

كُنْ كالسمول إذ سار الهام له      في جَحْفَلٍ كسواد اللَّيْلِ مُرْتَكِمٌ<sup>(١)</sup>  
 فلم يُبَيِّحْ<sup>(٢)</sup> أَذْرُعَ الْكِنْدِيِّ وَهَوَيْرَى      أن ابنه البرَّ قد أَشْنَى عَلَى الرَّجَمِ<sup>(٣)</sup>  
 أو كالمُعَلَّى<sup>(٤)</sup> مع الضِّلِيلِ الْآرْوَعِ إِذ      أجاره من أَعَارِيْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ  
 وصار يشكره شكرًا يكافئ ما      أَسْدَى إِلَيْهِ مِنَ الْآلَاءِ وَالنِّعَمِ  
 ولا تعاتب على أشياء قد قُدِّرَتْ      وَخُطَّ مَسْطُورُهَا فِي اللُّوحِ بِالْقَلَمِ  
 وَعَدَّ عما مضى إذ لا ارتجاع له      وَعُدَّ أَحْرَارَنَا فِي جُمْلَةِ الْخَدَمِ  
 إليه حنانيك يا بن الأكرمين على      ضَيْفٍ أَلَمْ يَفَاسِ غَيْرِ مُحْتَشِمٍ<sup>(٥)</sup>  
 فأنت أنت ولولا أنت ما نهضت      بِنَا<sup>(٦)</sup> إِلَيْهَا خُطَا الْوَحَادَةِ الرَّؤْمِ<sup>(٧)</sup>  
 رُحْمَاكَ يَا رَا حَا يُنْتَمَى إِلَى رُحْمَا      فِي النَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَالْإِتْبَاعِ وَالْحَشَمِ  
 فكم مواقف صِدْقٍ فِي الْجِهَادِ لَنَا      وَالْخَلِيلُ عَالِكَةُ الْأَشْدَاقِ لِلْعُجَمِ  
 وَالسِّيفُ يَخْضِبُ بِالْحَمَرِ مِنْ عِلَاقِي      مَا أَيْضَ مِنْ سَبَلٍ وَأَسْوَدَ مِنْ لَيْمٍ<sup>(٨)</sup>  
 وَلَا تَرَى صَدْرَ عَضْبٍ غَيْرَ مُنْقَصِفٍ      وَلَا تَرَى مَتْنٍ<sup>(٩)</sup> لَدَنْ غَيْرِ مُنْخَطِمٍ

(١) الجحفل : الجيش الجرار . ومرتكم : متراكم .

(٢) في ط : « فلا » .

(٣) الرجم : جمع رجمة ، وهي الحجارة توضع على القبر ، ويريد القبر نفسه .

(٤) المعلى : هو أحد بني تيم ، وكان قد أجار اسرأ القيس من المنذر بن ماء السماء .

(٥) إليه : أى حسبك .

(٦) كذا في ت وفتح الطيب . وفي ط : « منا » .

(٧) الوحادة : السريعة السير . والرسم : جمع رسوم ، وهي النافذة التي تؤثر في الأرض

من شدة الوطء .

(٨) يريد بالسبل : شعر اللحية . واللمم : جمع لمة ، وهي شعر الرأس الذي يلم بالمنكبين .

(٩) في ت « مثل » .

حتى دُهينا يدُهيا لا اقتدارَ بها<sup>(١)</sup> سيوى على الصون للأطفال والحرَم  
فقال من لم يشاهدْها فرُبَّتْما يُخال جاعحها يُقتاد بالغُطْمِ  
هيئات لو زَبَنَتْه الحرب كان بها أعيادها من يد جالت على زَلَم<sup>(٢)</sup>  
تالله ما أضمرت غشا ضمائرنا ولا طَوَتْ صِحَّةَ منها على سَقَم  
لكن طلبنا من الأمر الذي طلبت ولأُنَّا<sup>(٣)</sup> قبلنا في الأعصر الدُّهُم  
نخافنا عنده الجَدُّ العَثُون ومن تَقَعَّدْ به نكبات الدهر لم يَقُمْ  
فاسود ما خضر من عيش دَهْتَه عدا بالأسمر اللذن أو بالأبيض الغَدَم<sup>(٤)</sup>  
وشئت البين شَمَلًا كان منتظما والبين أقطع للوصول من جَلَم<sup>(٥)</sup>  
فرُب مَبْنَى شديد قد أناخ به رَكْب البَلَا فقرَّه أدمع الدِّيم<sup>(٦)</sup>  
قنا لديه أصـيـلانا نسائله أعيادها وما بالربع من أَرَم<sup>(٧)</sup>  
وما ظننا بأن نبقى إلى زمن نرى به غُرر الأحباب كالحَمَم<sup>(٨)</sup>  
لكن رِضًا باقتضا الجارى وإن طُوِيَت منا الضلوع على بَرَح من الألم

[٣٩]

(١) فت . « يدى لا اقتدار بنا » .

(٢) كذا في ت . والزلم ( بفتحين ، أو بضم ففتح ) : سهام كانوا يستقسمون بها في الجاهلية . وفي ط ونفع الطيب طبعة المطبعة الأزهرية : « رحم » . وفي نفع الطيب طبعة أوربة « رحم » . وما أثبتناه أوضح ، فهو يريد أن يد هذا اللأم أضعف من يد تحيل قدام اليسر .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ت : « ولاته » . وفي ط : « ولاية » .

(٤) الأسمر اللذن : الرمح . والأبيض الحزم : السيف القاطع .

(٥) الجلم : اللقراض .

(٦) الديم : جمع ديمة ، وهي السحابة يدوم مطرها أياما .

(٧) أصيلا : قرب الأصل . وما بالربع من لرم : أى من أحد .

(٨) الفرر : جمع فرمة ، وهي يابس الجبين . والحلم الفحم الأسود ، الواحدة حمة (بالضم) .

لَبَّيْكَ يَا مَنْ دَعَانَا نَحْوَ حَضْرَتِهِ      دَعَاءُ إِبْرَاهِيمَ الْحُجَّاجِ لِلْحَرَمِ  
وَأَعْطِ الْأَمْنَ<sup>(١)</sup> الَّذِي رُصِّتْ قَوَاعِدُهُ<sup>(٢)</sup>      عَلَى أَسَاسٍ وَفَاءٍ غَيْرِ مُنْهَدِمٍ  
خَلِيفَةَ اللَّهِ وَافَاكَ الْعَبِيدُ فَكُنْ      فِي كُلِّ فَضْلٍ وَطَوَّلْ عِنْدَ ظَنِّهِمْ  
وَبَيْنَ أَسْلَافِنَا مَا قَدْ عَلِمْتَ بِهِ      مِنْ اعْتِقَادٍ بِحَكْمِ الْإِثْرِ مُقْتَسَمٍ  
وَأَنْتَ مِنْهُمْ كَأَصْلِ مُطْلِعِ غُصْنًا      أَوْ كَالشَّرَاكِ الَّذِي قَدْ قُدَّ مِنْ أَدَمِ  
وَقَدْ خَطَوْتَ خُطَاهُمْ فِي مَا تَرَمُّ      فَلَمْ يُدْعُوا إِذَنْ فِيهَا وَلَمْ تُدَمِّ<sup>(٣)</sup>  
وَصِيَّتْ مُوَلَّى الْوَرَى الشَّيْخَ الْإِمَامَ غَدَا      فِي النَّاسِ أَشْهُرَ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمِ  
سُلَالَةِ الْأُمَرَاءِ، الْجِلَّةِ الْكَبَرَا      ءِ، الْعِلْيَةِ الظُّهَرَاءِ، الْقَادَةِ الْبُهُمِ<sup>(٤)</sup>  
بَنُو مَرَيْنَ لِيُوثَ فِي عَرِينِ آبَوَا      رُؤْيَا قَرِينٍ لَمْ فِي الْبَأْسِ وَالْكَرَمِ  
النَّازِلِينَ مِنَ الْبِيضَاءِ<sup>(٥)</sup> وَسَطَحِي      أَتَحَى مِنَ الْأَيْلَقِ السَّامِيِّ وَمِنْ إِزَمِ  
وَالْجَانِسِينَ بِدُهُمِ الْخَلِيلِ كُلِّ ذَرَى      وَالْدَّاعِسِينَ بِسُتْرِ الْخَطِّ كُلِّ كَيْمِي<sup>(٦)</sup>  
يَرِيكَ فَارْسُهُمْ إِنْ هَزَّ عَامِلَهُ<sup>(٧)</sup>      فِي مَازِقٍ<sup>(٨)</sup> بَلْغَلَى الْمُهَيْجَاءَ مُضْطَرَمِ

(١) فِي نَفْحِ الطَّيْبِ : « وَاعْطِ الْأَمَانَ » .

(٢) فِي ت : « رَسَتْ » :

(٣) لَمْ تَتَم : لَمْ تَتَب . يُقَالُ : ذَامَهُ يَذِمُّهُ : إِذَا عَابَهُ .

(٤) الظُّهَرَاءُ : جَمْعُ ظَهِيرٍ ، وَهُوَ النَّصِيرُ . وَالْبُهُمُ : جَمْعُ بُهْمَةٍ (بِالضَّمِّ) وَهُوَ الْبَاطِلُ الشَّجَاعُ .

(٥) الْبِيضَاءُ : فَاسٌ الْجَدِيدَةُ .

(٦) الْجَانِسِينَ : الَّذِينَ يَتَرَدَّدُونَ خِلَالَ الدُّوَرِ وَالْبُيُوتِ فِي الْمَارَةِ . وَكُلُّ ذَرَى : كُلُّ نَاحِيَةٍ .

وَالْدَّاعِسِينَ : الطَّاعَتِينَ . وَسُتْرُ الْخَطِّ : الرِّمَاحُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى الْخَطِّ ، وَهُوَ مَرْفُوعٌ بِالْبَحْرَيْنِ .

وَالْكَيْمِي : الْبَطْلُ الْمُنْتَقَرُ فِي سِلَاحِهِ .

(٧) حَامِلُ الرَّمْحِ : صَدْرُهُ .

(٨) فِي الْأَصْلَيْنِ وَنَفْحِ الطَّيْبِ : « مَارِقٌ » وَلَمَّا هِيَ مَحْرُفَةٌ عَمَّا أُتِمَّتْ .

- لَيْتَ عَلَى أَجْدَلٍ عَارٍ مِنْ أَجْنَحَةٍ يَسْطُو بِأَرْقَمٍ لَدَاغٍ بِفِيرٍ فَمِ (١)  
 فِي اللَّامِ يُدْغِمُ مِنْ عَسَالِهِ أَلْفَا وَلَمْ نَجِدْ أَلْفَا أَصْلًا بَمَدِّغَمِ (٢)  
 أَهْلُ الْحَفِيزَةِ يَوْمَ الرُّوعِ يَحْفَظُهُمْ مِنْ عَصْمَةِ اللَّهِ مَا يُرْبِي عَلَى الْعِصَمِ (٣)  
 بَأْسٌ (٤) تَطِيرُ شَرَارُهُ مِنْهُ مَحْرَقَةٌ لِكُلِّ مَدَّرَعٍ بِالْحَزْمِ مُحْتَزِمٌ  
 هُمْ (٥) بِطَائِفَةِ التَّثْلِيثِ قَدْ فَتَكُوا كَمَثَلِ مَا يَفْتِكُ السَّرْحَانُ بِالْفَنَمِ (٦)  
 وَإِنْ يُلْتَمِسُهُمْ يَوْمَ الْوَعَى رَهْجٌ أَنْسَوْكَ مَا ذَكَرُوهُ عَنْ ذَوَى الْأَلَمِ (٧)  
 تَضَى آرَاؤُهُمْ فِي كُلِّ مُعْضَلَةٍ إِضَاءَةُ السَّرْجِ فِي دَاخِرٍ مِنَ الظُّلَمِ  
 هَذَا وَلَوْ مِنْ حَيَاءٍ ذَابَ مُحْتَشِمٌ لَذَابَ مِنْهُمْ حَيَاءٌ كُلُّ مُحْتَشِمٍ  
 طَابَتْ مَدَائِحُهُمْ إِذْ طَابَتْ أَنْفُسُهُمْ فَاشْتَقَّتْ النَّسَاتُ اسْمًا مِنَ النَّسَمِ  
 لِلَّهِ دَرُّهُمْ وَالشَّخْبُ بَاخِلَةٌ بِدَرَّهِنَّ عَلَى الْأَنْعَامِ وَالنَّعَمِ  
 بَحِثِ الْأَفْقُ يَرَى مِنْ لَوْنٍ مُخَرَّتِهِ كَالشَّيْبِ يُخَضَّبُ بِالْحِنَاءِ وَالْكَمِّ (٨)

- (١) الأجدل : الصقر ، شبه به الحصان في سرعة انقضائه . والأرقم : الثعالب ، شبه به الرمح .  
 (٢) اللام : مسهلة عن اللام ، جمع لأمة ، وهي الدرّاع . والعسال : الرمح اللدن ، وقد شبهه في استقامته بالألف . وفي البيت توريه .  
 (٣) العصم : ما يتصم به الناس في الحرب من مفاصل وشبهها . يريد أنهم محوطون من عناية الله وحياطته بما لا تقى بمثله الماقل والحصون .  
 (٤) في ت ونفع الطيب : « يامن » .  
 (٥) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ت : « وم » .  
 (٦) السرحان : الذئب .  
 (٧) كذا في ت ونفع الطيب . والرهج : الفبار تثيره الحرب . وفي ط : « وهج » . وذوو الألف : يريد اللذين ، قبائل من البربر عرفوا بالشجاعة .  
 (٨) الكم : ( كعب ) : نيت يستعمل في خضاب الشعر . يصفهم في هذا البيت والذي قبله بالجود في أزمان القحط والشدة .

- هناك تَهَلُّ أيديهم بصوب حَيَّا يُحْيِي بِالْأَجْدَاثِ مَا فِيهَا مِنَ الرِّمِّ (١)
- وإنَّ بَيْتِي زِيَادٌ طَلَمًا ذُكِرَا إِذَا أَلَّتْ أَحَادِيثُ بَذِكْرِهِمْ (٢)
- « أَخْلَامُ عَادٍ وَأَجَادُ مُطَهَّرَةٌ مِنْ التَّمَقُّةِ وَالْآفَاتِ وَالْإِثْمِ » (٣)
- يَرَوْنَ حَقًّا عَلَيْهِمْ حَفَظَ جَارِهِمْ فَلَمْ يُضَرَّ نَازِلٌ فِيهِمْ وَلَمْ يُضْمَ (٤)
- فَرُوعُهُ (٥) بِالْدَوَاهِي لَا يُرَاعَ وَلَا يُغْنَمُ مِنْهَا بِمَا يَعْرِوْنَ مِنَ النِّعَمِ (٦)
- مِ الْبَحَارِ سَمَاحًا غَيْرَ أَنَّ بِهَا مَا قَدَّ أَنْفَ عَلَى الْأَطْوَادِ (٧) مِنْ مِمْ
- وَلَيْسَ يَسْلَمُ مِنْ خُتْفِ مَحَارِبِهِمْ حَتَّى يَكُونَ إِلَيْهِمْ مُلْقَى السَّلَمِ (٨)
- كَمْ فِيهِمْ مِنْ أَمِيرٍ أَوْحَدٍ نَدَسٍ يُقَرِّطُ الْفَرَضَ الْمَقْصُودَ بِالْفَهْمِ (٩)
- وَلَا كَسِبْتُ أَبِي حَسُونٌ مَنْ حَسَنْتَ أَمْدَاحَهُ حُسْنٌ مَا فِيهِ مِنَ الشِّمِّ (١٠)
- هَذَا كُمْ ابْنُ أَبِي زَكْرَى الْهَمَامُ قُلْتُ فِي أَصْلِهِ الْمُنْتَقَى مِنْ مَجْدِهِ الْعَمِّ (١١)

- (١) تَهَل : تفيض . وصوب الحيا : ماء المطر . والأجداث : القبور .
- (٢) زياد : هو النابتة الدياني .
- (٣) التمة : المقوق . والإثم : جمع إثم ، وهي الإثم . وهذا البيت من مقطوعة للنابتة آياتها أربعة في مدح الفاسنة ، وقبله :
- مِ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ فِي اللَّأْوَاءِ وَالنِّعَمِ وَلَعَلَّ النَّازِلَ يَنْقُضُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ .
- (٤) كذا في الأصلين . وفي فتح الطيب : « فروعهم » .
- (٥) الروع : موضع الفرع من القلب .
- (٦) كذا في ت وفتح الطيب . وفي ط : « الأطراء » .
- (٧) الندس ( كعقد وكنتف وسهم ) : الفطن الفهم . ويقرطس الفرض : يصيبه .
- (٨) أبو حسون : هو أبو الحسن علي بن محمد الشيخ بن أبي زكريا يحيى بن زيان الوطاسي ، يعرف بأبي حسون البافسي ، يبيع بفاس أول مرة سنة اثنتين وثلاثين وتسع مئة . ( انظر بقية أخباره في الاستقصا للسلوى ) .
- (٩) زكري : يريد زكرياء وفيه لفات ، منها زكري ( كرمي ) بتشديد الباء وتخفيفها ، وبهذه الرواية الأخيرة جاء هنا مع إسكان الكاف ، ليستقيم الوزن .
- (١٠) العمم : التام .



خليفة الله حقا في خليقته      كنائب ناب في حكم عَنِ الْحَكَمِ  
 مهما تُنَزَّ قَسِمَاتٌ<sup>(١)</sup> منه نيرةٌ      تُنَزِّلُ بَنَانٌ لَهُ مَا جَلَّ مِنْ نِعَمٍ<sup>(٢)</sup>  
 فَوَجْهُهُ بِدُجَى وَكُفُّهُ بِجَدَا      أَبْهَى مِنَ الزَّهَرِ أَوْ أُنْدَى مِنَ الدَّيَمِ<sup>(٣)</sup>  
 وفضله وله الفضل المبينُ جرى      كجرى الأمثال في الأقطار والأمم  
 وجوده المتوالى للبرية ما      وجوده بينها طرأ بمنهدم  
 إذا ابتغت نِعْمًا منه العُفَاةُ لَهُ      لم يسمعا كلمة منه سِوَى نَعَمٍ  
 وإن يُعَبِّسَ زَمَانٌ فِي وُجُوهِهِمْ      لم يُبْصِرُوا غَيْرَ وَجْهِهِ مِنْهُ مُبْتَسِمٍ  
 وَجْهٌ تُبَيِّنُ سِمَاتُ الْمَكْرُمَاتِ بِهِ      كَمَا تُبَيِّنُ سِمَاتُ الصِّدْقِ فِي الْكَلِمِ  
 وراحةٌ لم تزل في كل آوِنَةٍ      فِي<sup>(٤)</sup> نَيْلِهَا رَاحَةُ الشَّاكِي مِنَ الْعُدْمِ  
 لِلَّهِ مَا التَزِمْتُهُ مِنْ نَوَافِلِهِ      أَيَّامٌ لَا فَرَضَ مَفْرُوضٌ بِلَتَزَمِ  
 أَنْتَى الْخِلَافَ فِي حِلْمٍ وَفِي شَرَفٍ      وَفِي سَخَاءٍ وَفِي عِلْمٍ وَفِي فَهْمٍ  
 فَجَازَ مَعْتَمِدًا مِنْهُمْ وَمُعْتَصِدًا      وَامْتِازَ عَنْ قَائِمٍ مِنْهُمْ وَمَعْتَصِمٍ  
 وَنَاصِرَ الدِّينِ فِي الْإِقْبَالِ فَاقٍ وَفِي      تَحَبُّةِ الْعِلْمِ أَرْزَى بِابْنِهِ الْحَكَمِ  
 أَعْمَالِ أَعْدَائِهِ مَعْتَلَةٌ أَبَدًا      مَتَى<sup>(٥)</sup> يَرُمُ جَزْمَهَا بِالْحَذَفِ تَنْجِزِمِ

(١) رواية هذا البيت في ط .

مهما نعم سمات منه نيرة      تنزل بنانله ما جل من نعم

(٢) قسِمَاتُ الْوَجْهِ : مَا أَقْبَلَ مِنْهُ ، أَوْ مَحَاسِنُهُ .

(٣) الْجِدَا : الْعَطَاءُ . وَالْدَّيَمِ : جَعْدِيَّةٌ ، وَهِيَ مَطَرٌ يَدُومُ أَيَّامًا .

(٤) كَذَا فِي ط وَنَفَحَ الطَّيِّبُ . وَفِي ت : « مِنْ » .

(٥) كَذَا فِي ت وَنَفَحَ الطَّيِّبُ . وَفِي ط : « حَتَّى » .

- فويل أهل الفلأمن حية ذَكَرَ<sup>(١)</sup> [لِلْمُتَلَتِّبِ<sup>(٢)</sup>] اللَّهُمَّ السَّجَرُ مُلْتَقِمٌ<sup>(٣)</sup> [٤١]
- رَأَوْا عداوة من إن شاء غادرهم مثل الأحاديث عن عاذٍ وعن إرم
- فسوف يأكلهم من جيشه لَجِبُ بكل قَرَمٍ إلى لَحْمَانِهِمْ قَرِمٌ<sup>(٤)</sup>
- وإن ألعرابَ إذ ساروا لفاجه لساترون إلى لَقَمٍ على لَقَمٍ<sup>(٥)</sup>
- وهم كما قاله ماض : أرى قَدَمِي بسعيه نحو حَتْفِي قد أَرَأَى دَمِي<sup>(٦)</sup>
- فقل إذن لِلْمُنَاوِي النَّوَارِي الْأَذَى يَأْغُرُ<sup>(٧)</sup> غَرَّكَ مَا أَبْصَرْتَ فِي الْحُلْمِ
- له صوارم لو ناجتكَ أَلْسِنُهَا لبشرك بَعُورٍ منك مُنْصَرِمٍ
- وإن رُوحَكَ عن قرب سَيَقْبِضُهُ قبضَ المُسَلِّمِ ما قد حاز من سَلَمٍ<sup>(٨)</sup>
- فهو الذي ما له نِدٌّ يشابههُ من كلِّ مُتَّصِفٍ بِالذَّهْنِ<sup>(٩)</sup> مُتَّسِمٍ
- يُذَبِّرُ الأمرَ تديبراً يَخْلُصُهُ مما عَسَى أَنْ يُرَى فِيهِ مِنَ الْوَهْمِ
- وَيُبْصِرُ الغيبَ لحظُ الذَّهْنِ منه إذا تَقَمَّى عَنِ أدراكه الحَظَّ كُلَّ عَمٍ

- (١) حية ذكر : شهم .
- (٢) كذا في نفع الطيب ، ويريد بالمتلطب : الجيش المتد . وفي ت : « للتلطب ، وهو تحريف . وسقطت هذه الكلمة من ط .
- (٣) اللهم والمجر : هما بمعنى الجيش العظيم .
- (٤) اللجبا الجيش الكثير ، والقرم : القرم . واللعمان . جمع لحم . وقرم ( ككتف ) : شديد الشهوة لأكل اللحم .
- (٥) كذا في ت ونفع الطيب . واللقم : الأكل ، ويريد به الافتراس ، واللقم ( بالتحريك ) وسط الطريق . وفي ط : « ... نم على لقم » .
- (٦) يشير إلى قول أبي الفتح البقي :
- إلى حَتْفِي سَمِي قَدَمِي أرى قَدَمِي أَرَأَى دَمِي
- (٧) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « يفر » .
- (٨) المسلم : السلف ، الذي يعطى ذهاباً أو قضة على سلمة معلومة إلى أجل معلوم .
- والسلم : البيع المبيع المؤجل قبضه .
- (٩) الدهي والدهاء : الفكر وجودة الرأي .

- وَيُنْعِمُ<sup>(١)</sup> النَّظَرَ الْمُفْضِي بِنَظَرِهِ لِبُصْبٍ وَجْهِ صَوَابٍ وَاضِحٍ اللَّقْمِ<sup>(٢)</sup>  
 ذُو مَنْطِقٍ لَمْ تَزَلْ تَجَاوِزْ نَتَائِجُهُ عَنْ مُبْطِلٍ بِخَصَامٍ الْمُبْطِلِ الْخَصِمِ<sup>(٣)</sup>  
 وَمِسْتَعْرِ لَيْسَ يُضْنَى لِلْوُشَاةِ فَلَمْ يَنْفُقْ لَدَيْهِ الَّذِي عَنْهُمْ إِلَيْهِ نُيى<sup>(٤)</sup>  
 مَقْلَهُ لَا تَوَازِيهِ الْعُقُولُ وَهَلْ يَزِيدُ جَمِيعَ الْوَرَى مِنْ بَدْوٍ أَوْ حَضَرٍ  
 شَدُّوا وَجِدُّوهُ وَلَا تَعْتَوُوا وَلَا تَهِنُوا قَدْ لَقَّاهَا اللَّيْلُ بِالسَّوَاقَةِ الْحَطَمِ<sup>(٥)</sup>  
 هَذَا الْأَمِيرُ<sup>(٦)</sup> الْمَرِيئِيُّ السَّعِيدُ لَهُ سَعْدٌ يُؤَيِّدُهُ فِي كُلِّ مُصْطَلَدَمٍ  
 قَدْ أَقْسَمْتُ أَنَّهُ الْمَنْصُورُ أَلْسِنَةُ مِنْ نُخْبَةِ الْأَوَّلِيَا مَبْرُورَةُ الْقَسَمِ  
 فَشَيِّعُوهُ وَوَالُوهُ تَرَوْنَا عَجَبًا وَتَنْظَرُوا مَعَهُ بِالْأَجْرِ وَالْغَنَمِ<sup>(٧)</sup>  
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ أَبْقَى خِلَافَتَهُ كَهْفًا لَنَا مَنْ يُخَيِّمُ فِيهِ لَمْ يَرَمِ<sup>(٨)</sup>  
 حِرْزُ حَرِيرٍ وَعِزُّ قَائِمٍ وَنَدَى عَمْرٍ دِرَاكٌ بِلَا مَنْزِلٍ وَلَا سَمَامٍ<sup>(٩)</sup>

(١) كذا في نفع الطيب . وإنعام النظر : تدقيقه . وفي الأصلين : يعمن . وهو يتعمد بحرف الجر . يقال : أعمن في الأمر ، أى أبعد فيه .

(٢) اللقم (كسب) : وسط الطريق .

(٣) الخصم (ككتف) : الجدل الشديد الخصومة . يريد أنه يبطل حجج خصمه بقوة بيانه .

(٤) ينفق : يروج . ونمى إليه : وصل إليه .

(٥) لا تنهوا : لا تخضعوا وتلوا . ولا تهنوا : لا تضعفوا . ولقها : جمعا ، والضمير في الأصل للإبل ، والسواقة : السواق ، والناء للبالغة . والحطم : الشنديد

السوق ؛ وهذا مثل . يريد أن متولى أمرهم ، وهو المدوح ، رجل قوى شديد .

(٦) في نفع الطيب : « الإمام » .

(٧) شيعوه : ناصروه . والغنم (بالتحريك) : الغنم ، كالغنم (بالضم) .

(٨) لم يرم : أى يعز على من يطلبه .

(٩) عمر : كثير . ودراك : متتابع متلاحق .

دامت ودام لها سَعْدُ يساعدها      في كل مُبتدأ منه <sup>(١)</sup> ومَحْتَمٍ  
 فالله — عز اسمه — قد زانها بحلّى      من غُرْ أمداحه كالذرّ في النّظم <sup>(٢)</sup>  
 الواهب الألف بعد الألف من ذهبٍ      كالجَمَرِ يلمع في مُستوقد الضّرَمِ <sup>(٣)</sup> [٤٧]  
 والفاعلُ الفعل لم يَهْمُ به أحد  
 ذاك هو الشيخ فاعجب إنه هَرَمَ <sup>(٤)</sup>  
 وحسبنا أن أَيْدِينَا به اعتصمت  
 من حَبْلِهِ بوَثيقٍ غيرِ مُنْقَصِمٍ  
 فإِ محالِّه يَوْمًا بِمُضْطَهَدٍ      ولا مَوَالِفِهِ يَوْمًا بِمَهْتَمِّمٍ  
 ولا موافيه في جَهْدٍ بِمُطَرَّحٍ      ولا مُصَافِيهِ في وَدِّ بِمُتَمِّمٍ  
 ولا مُحْيَا مُحْيِيهِ بِمُنْكَسِفٍ      ولا رَجَاءَ مُرَجِّيهِ بِمُنْخَرِمٍ <sup>(٥)</sup>  
 وما <sup>(٦)</sup> تَكْرُمُهُ سِرًّا <sup>(٧)</sup> بِمُنْكَشِفٍ      ولا تَنْكُرُهُ جَهْرًا بِمُكْتَمٍ  
 وليس لَامِحُ مَرَأَةٍ بِمُكْتَسِبٍ      وليس رَاضِعُ جَدَوَاهُ بِمُنْفَعِمٍ  
 ولا مُقْبَلُ يَمْنَاهُ الْكَرِيمَةِ فِي      محلِّ مُتَمَنِّينَ بِلِ دَسْتِ مُحْتَرَمٍ <sup>(٨)</sup>  
 وما وسيلتنا العُظْمَى إِلَيْهِ سَوَى      مَا لَيْسَ يُفَكِّرُ مَا فِيهَا مِنَ الْعِظَمِ  
 وَإِنَّمَا هِيَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ مِنْ      وَسِيلَةٍ رَدُّهَا أَذْهَى مِنَ الرَّحْمِ <sup>(٩)</sup>

(١) في نفع الطيب طبعة أوربة : « منها » .

(٢) النظم : جمع نظام ، وهو الخيط ينظم فيه الحُرُز ونحوه .

(٣) في ط : « الظلم » .

(٤) يريد أن المدح مثل هرم بن سنان ، ممدوح زهير بن أبي سلمى ، المزني .

(٥) في نفع الطيب طبعة أوربة : « الهرم » .

(٦) بمنخرم : أي بمنقطع .

(٧) في نفع الطيب (طبع في أوربة ومصر) : « ولا » .

(٨) في ط : « يوما » .

(٩) يريد بالذست : المكان الكريم ، مأخوذ من دست البيت ، وهو صدره .

(١٠) كذا في ط . والرحم : صخور عظام . وفي ت : « الوحش » .

نَبِيُّنا المصطفى الهادى بخير هُدًى      محمد خير خلق الله كلمه  
 داعى الورى من أولي خيم وأهل قرى      إلى طريق رشاد لاجب أمم<sup>(١)</sup>  
 عليه منا صلاة الله ما ذُكِرَتْ      « أمِنَ تذكُر جيرانِ بذي سلم »<sup>(٢)</sup>  
 وما تَشَفَّعَ فيها بالشَّفيع له      دَخِيلُ حُرْمته القلياء في الحَرَمِ<sup>(٣)</sup>  
 « رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ »  
 « أَنتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ » . « رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا  
 وَإِلَيْكَ أُنَبِّئُكَ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » . « ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ  
 لَا مَوْلَى لَهُمْ » . « نَعَمْ الْمَوْلَى وَنَعَمْ النَّصِيرُ » .

أما بعد حمد الله الذى لا يُحَدُّ على السَّراءِ والضَّرَّاءِ سِوَاهُ ؛ والصلاة والسلام  
 على سيدنا ومولانا محمد ، الذى طلع طلوع الفجر بل البدر فلاح ، يَدْعُو إلى سبيل  
 كل فلاح ، أولي قلوب غافلة ، ونفوس سَواء ؛ والرَّضا عن آله وأحبابه ، وعِترته  
 الأكرمين وأحزابه ، الذين تَلَقَّوْا بالقبول ما أوردته عليهم من أوامر ونواه ،  
 وعندهه ونصروه فى حَالِي قُرْبِهِ وَتَوَاه . [٤٣]

فيا مولانا ، الذى أولانا من النعم ما أولانا ؛ لاحِظَّ الله تعالى لكم من العزة  
 رِوَاقًا<sup>(٤)</sup> ، ولا أذوى لدُوحَةٍ<sup>(٥)</sup> دولتكم أغصانا ولا أوراقا ؛ ولا زالت مخضرة  
 العود ، [مبتسمة<sup>(٦)</sup>] عن زهرات البشائر مُتَّحِفَةً بثمرات السُّعود ، ممطورة

(١) أهل خيم : أى ساكني الحيام . واللاحب : الواضح . والأُمم : البين . وقد ورد  
 الشطر الأول من هذا البيت فى ط هكنا :

« داعى الورى من أولي من أهل خيم قرى »

(٢) هذا الشطر مطلع قصيدة البردة المشهورة للبوصيرى فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) الدخيل : اللابى . والحرمه : التمة .

(٤) الرواق : الخيمة . يدعو له بدوام ارتفاع المنزلة .

(٥) الدوحة : الشجرة الواسعة الظلال . وأذوى : أذبل وأضنف .

(٦) زيادة عن ت ونفع الطيب .

بسحاب البركات المتداركات دون برُوق<sup>(١)</sup> ولا رعود :

هذا مقام المائذ بَمَاقم ، المتعلق بأسباب ذِمَامكم ، المترجى لخواطف قلوبكم ،  
وعوارف إنعامكم ، المقبل الأرض تحت أقدامكم ، المتلجلج<sup>(٢)</sup> اللسان عند  
محاولة<sup>(٣)</sup> مفاتحة كلامكم ؛ وماذا الذي يقول مَنْ وجهه خجل ، وفؤاده وجل ،  
وقضيته المفضية عن التنصل والاعتذار تحل ؛ بيد أني أقول لكم ما أقوله لربي ،  
واجترأى عليه أكثر ، واجترأى<sup>(٤)</sup> إليه أكبر : اللهم لا برى ، فاعتذر ، ولا قوى  
فأنتصر ، لكني مُستقبل<sup>(٥)</sup> مُستنيل<sup>(٦)</sup> مستعتب<sup>(٧)</sup> مستغفر ؛ « وَمَا أُرَى  
نفسى ، إن النفس لأَمَارَةٌ بالسوء » . هذا على طريق التنزل والاتصاف ، بما  
تقتضيه الحال من تحيز إلى حيز الإنصاف ؛ وأما على جهة التحقيق ، فأقول ما قالته  
الأم ابنة الصديق<sup>(٨)</sup> : « والله إنى لأعلم أنى إن أقررت بما يقوله الناس ، والله يعلم  
أنى منه بريئة<sup>(٩)</sup> ، لأقولن<sup>(١٠)</sup> ما لم يكن ، ولئن أنكرت ما تقولون لا تصدقوننى ،  
فأقول ما قاله أبو يوسف<sup>(١١)</sup> : صَبْرٌ جَمِيلٌ ، والله المُسْتَعَانُ على ماتصفون » .

على أنى لا أنكر عيوبى ، فأنا مَعْدِنُ العيوب ، ولا أَجْحَدُ ذُنُوبى ، فأنا

( ١ ) فى ت ونفع الطيب : « برق » .

( ٢ ) فى ط : « والتلجلج » .

( ٣ ) كذا فى ط ونفع الطيب . وفى ت : « عند مفاتحة » .

( ٤ ) اجترأى : ذنبى .

( ٥ ) مستقبل : طالب الإفالة من العثرة .

( ٦ ) مستنيل : طالب النوال .

( ٧ ) مستعتب : طالب العتي ، وهى الرضا .

( ٨ ) يريد أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق .

( ٩ ) كذا فى نفع الطيب وسيرة ابن هشام . وفى الأصلين : « برى » .

( ١٠ ) كذا فى سيرة ابن هشام . وفى نفع الطيب وط : « لأقول » . وفى ت : « لأقول » .

( ١١ ) يريد سيدنا يعقوب عليه السلام .

جَبَلَ الذَّنُوبَ ؛ إِلَى اللَّهِ أَشْكُو عُجْرِي وَبُجْرِي <sup>(١)</sup> ، وَسَقَطَانِي وَغَلَطَانِي . نَعَمْ ،  
 كُلُّ شَيْءٍ وَلَا مَا يَقُولُهُ الْمُتَقَوِّلُ ، الْمَشْنَعُ الْمَهْوَلُ ، النَّاظِقُ بِفَمِ الشَّيْطَانِ الْمُسَوِّلِ .  
 وَمِنْ أَشْأَلِهِمْ : « سُبَّيْ وَاضْدُقْ » ، وَلَا تَقْتَرِ وَلَا تَخْلُقْ ؛ فَيَقْتُلُ كَانَ يَفْعَلُ أَشْأَلَهَا ،  
 وَيَحْمِلُ <sup>(٢)</sup> مِنَ الْأَوْزَارِ الْمَضَاعِفَةِ أَحْمَالَهَا ، وَيُهْلِكُ نَفْسَهُ وَيُحْبِطُ أَعْمَالَهَا ؛ عِيَاذًا  
 بِاللَّهِ مِنْ خُسْرَانِ الدِّينِ ، وَإِثَارِ الْجَاهِلِينَ وَالْمُعْتَدِينَ ، قَدْ ضَلَّتْ إِذَنْ وَمَا أَنَا مِنْ  
 الْمُهْتَدِينَ . وَأَيُّمُ اللَّهِ لَوْ عَلَتْ شُمْرَةٌ فِي فَوْدِي <sup>(٣)</sup> تَمِيلُ إِلَى تِلْكَ الْجَهَةِ لَقَلَعْتُهَا ، بَلْ  
 لَقَطَعْتُ <sup>(٤)</sup> مَا تَحْتَ عِمَامَتِي مِنْ هَامَتِي وَقَطَعْتَهَا ؛ غَيْرَ أَنَّ الرَّعَاعَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانَ ،  
 لِلْمَلِكِ أَعْدَاءٌ وَعَلَيْهِ أَحْزَابٌ وَأَعْوَانٌ ، كَانَ أَحَقَّ وَأَجَلَّ مِنْ ابْنِ تَرْوَانَ <sup>(٥)</sup> ،  
 أَوْ أَعْقَلَ وَأَعْلَمَ مِنْ أَشَجِّ بْنِ مَرْوَانَ <sup>(٦)</sup> ؛ وَرُبَّ مَنَّهُمْ بَرِيٌّ ، وَمُسْرِبِلٌ بِسْرِبَالٍ [٤٤]  
 وَهُوَ مِنْهُ عَرِيٌّ <sup>(٧)</sup> ؛ وَفِي الْأَحَادِيثِ صَحِيحٌ وَسَقِيمٌ ، وَمِنَ التَّرَاكِيِبِ الْمُنْطَقِيَةِ مُنْتَجَجٌ  
 وَعَقِيمٌ ، وَلَكِنْ تَمَّ مِيزَانُ عَقْلِ ، تُعْتَبَرُ بِهِ أَوْزَانُ النُّقْلِ ؛ وَعَلَى الرَّاجِحِ الْإِعْتِمَادُ <sup>(٨)</sup> ،  
 ثُمَّ إِشَاعَةُ الْإِحَادِ ، الْمُتَّصِلُ الْمُتَمَادُ ؛ وَلِلْمَرْجُوحِ الْأَطْرَاحُ ، ثُمَّ الذَّمُّ الصُّرَاحُ ،  
 بَعْدَ النُّفُضِ <sup>(٩)</sup> مِنَ الرَّاحِ ؛ وَأَكْثَرُ مَا تَسْمَعُهُ الْكُذْبُ ، وَطَبِيعُ جَهْوَرِ الْخُلُقِ إِلَّا مِنَ

(١) العجور والبحر (هنا) : العيوب والأخزان وما يبسدى المرء وما ينجى . والمعبر

(في الأصول) : العروق المتفردة الناشئة . والبحر : ما تعقد منها على البطن خاصة .

(٢) في ط ونفع الطيب : « ويحمل » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : من « فؤادي » .

(٤) كذا في ط . واللفظ : القطع . وفي ت : « بل لفاعت » ، وهو تحريف .

(٥) كذا في أخبار الحمقى والمفلقين لابن الجوزي ، والصفات والمنسوب للشعالي . وهو

هبة القيسي يزيد بن تروان ، المعروف بذي الودعات ، وهو مثل في الحق والجهل .

وفي ط : « من أبي ثوران » . وفي ت : « من أبي تروان » . وكلاما تحريف .

(٦) أشج بن مروان : هو عمر بن عبد العزيز ، لأنه كانت به شجة .

(٧) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « ومسربل بسربال عار وهو منه عري » .

(٨) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « وعلى الراجح على الاعتقاد » .

(٩) في ت : « النفاض » .

عصمه الله<sup>(١)</sup> إليه منجذب ؛ ولقد قُدِفْنَا من الأباطيل بأحجار ، ورُمينا بما لا يَرْتَمَى<sup>(٢)</sup> به الكُفَّار ، فضلا عن الفُجَّار ؛ وجرى من الأمر المنقول على لسان زيد وعمرو ، ما لکم منه حفظ الجُبَّار<sup>(٣)</sup> ؛ وإذا عظم الإنکاء<sup>(٤)</sup> ، فعلى نُكَاة التجلُّد الأُنکاء ؛ أَكْثَرَ للکثرون ، وجهد<sup>(٥)</sup> في تمثيرنا المتمثرون ؛ ورَمَوْنَا عن قوس واحدة ، ونظمونا في سلك الملاحِده ؛ أَكْثَرًا أَيضًا كُفْرًا ! غَفْرًا اللَّهُمَّ غَفْرًا ؛ أَعِذْ نَظْرًا يا عَبْدَ قَيْس ، فليس الأمر على ما خُيِّل<sup>(٦)</sup> لك لَيْسَ ؛ وهل زِدْنَا على أَنْ طَلَبْنَا حَقًّا ، مِمَّنْ رام مَحَقَّهُ ومَحَقَّنَا ؟ فطارَدْنَا في سبيله عُدَاة كانوا لنا غائِظين ؛ فانفتق علينا فَتَقٌ ، لم يَمَكَّنَا له رَتَقٌ ، وما كُنَّا للغيب حافِظين .

وبعد ، فاسأل أهل الحل والعقد ، والتمييز والنقد ؛ فعند جُهَيْتِهِمْ تلقى الخبر يقينا ، وقد رضينا بحكمهم يُؤَيِّمُنَا قِيَوِعُنَا ، أو يُبَيِّرُنَا قِيَقِينَا . إِيَّاهُ يَأْمَنُ أَشْرَابٌ إلى مَلَامِنَا ، وقَدَحَ حتى في إِسْلَامِنَا ؛ رَوَيْدًا رَوَيْدًا ، فقد وجدت قوة وأيدًا ؛ ويحك ، إنما طال لسانك علينا ، وامتد بالسوء إلينا ؛ لأن الزمان لنا مُضْغِرٌ ، ولك مُكْثِرٌ ، والأمر عليك مُقْبِلٌ ، وَعَنَّا<sup>(٧)</sup> مُذْبِرٌ ، كما قاله كاتب الحجاج المذْبَرُ<sup>(٨)</sup> .

(١) في ط : « إلامن عظم الله » .

(٢) في ت : « بما لم يرم » .

(٣) كذا في ت . ورواية هذه البارة في ط : « وجرى ... وعمرو ما يريكم منه حفظ الجار » . وفي نفح الطيب : « وجرى ... وعمرو مالدیکم منه حفظ الجار » ، وظاهر أنهما محرفتان عما أبتناه .

(٤) كذا في ت ونفح الطيب . والإنکاء : شدة النيل من العدو . وفي ط : « وإذا علم الإنکار » .

(٥) في ط : « وجهر » .

(٦) كذا في ت ونفح الطيب . وفي ط : « ما خيلت لك » .

(٧) في ت : « علينا » وهو تحريف .

(٨) كاتب الحجاج : هو يزيد بن أبي مسلم . يشير إلى رد يزيد على سليمان ابن =



وعلى الجملة ، فهبنا صِرْنَا إلى تسليم مقالك جدّلا ، وذهبنا فأقرّرنا بالخطأ  
في كل وَرْدٍ وَصَدَر ، فله دَرُّ القائل :

إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَأَخْطَا الْقَدَرُ<sup>(١)</sup>

وَكُنَّا<sup>(٢)</sup> بِمَعْتَسِفٍ<sup>(٣)</sup> إِذَا وَصَلَ إِلَى هُنَا ، وَعَدِمَ إِنْصَافَهُ يَمْلِكُهُ الْهِنَا<sup>(٤)</sup> ؛  
قَدْ أَزَوَّرَ مُتَجَانِفًا<sup>(٥)</sup> ، ثُمَّ افْتَرَّ مُتَهَانِفًا<sup>(٦)</sup> ، وَجَعَلَ يَتَمَثَّلُ بِقَوْلِهِمْ :  
« إِذَا عُبِّرُوا قَالُوا مَقَادِيرُ قَدَّرَتْ »

وبقولهم : « المرء يعجز لا محالة<sup>(٧)</sup> » ؛ فيعارض الحق بالباطل ، والحالى  
بالماطل ، وينزع بقول القائل : « رَبِّ<sup>(٨)</sup> مُسْنِعٌ هَائِلٌ ، وَلَيْسَ تَحْتَهُ مِنْ  
طَائِلٍ<sup>(٩)</sup> » . وقد فرغنا أَوَّلَ أَمْسٍ<sup>(١٠)</sup> من جوابه ، وتركنا الضَّنَّ يُلْصِقُ حَرَارَةَ

== عبد الملك حين دخل عليه فتقمصه سليمان وسب الحجاج : « إِنَّكَ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرَ

عَنِ مَدِيرٍ ، وَلَوْ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرَ عَلَى مَقْبَلٍ اسْتَغْلَمْتَ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَصَفَرْتَ » .

(انظر البيان والتبيين ج ١ ص ٢١٠ — ٢١١ طبعة الفتوح سنة ١٣٣٢ هـ) .

( ١ ) هذا مجزئ بيت لأبي العتاهية ، وصدره :

هِيَ الْمَقَادِيرُ فَلَنِي أَوْ فَنَرِ

( ٢ ) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « وَكَانَ » .

( ٣ ) فِي ت : « بِمَعْتَسِفٍ » .

( ٤ ) يُرِيدُ بِالْهِنَا : جَمْعُ هِنَةٍ ، وَهِيَ الْيَب . وَالَّذِي فِي كِتَابِ اللَّغَةِ أَنَّهَا تَجْمَعُ عَلَى هِنَاتٍ  
وَهِنَاتٍ .

( ٥ ) أَزَوَّرَ مُتَجَانِفًا : مَالٌ مُتَبَاغِدًا .

( ٦ ) كَذَا فِي ط وَنَفْحِ الطَّيِّبِ . وَافْتَرَّ مُتَهَانِفًا : أَيْ فَتَحَ فَاهَ ضَاحِكًا مُسْتَهْزِئًا . وَفِي ت :  
« مُتَهَانِفًا » وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

( ٧ ) فِي ط : « لَا الْمَحَالَةَ » .

( ٨ ) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ « ذِي » . وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

( ٩ ) كَذَا فِي ط . وَفِي ت : « وَلَيْسَ مِنْ تَحْتِهِ مِنْ طَائِلٍ » . وَفِي نَفْحِ الطَّيِّبِ :  
« وَلَيْسَ تَحْتَهُ طَائِلٌ » .

( ١٠ ) أَوَّلُ أَمْسٍ : أَيْ يَكْرَهُهُ وَيُبْتَدِئُهُ . وَالْمَسْمُوعُ مِنَ الْعَرَبِ عِنْدَ إِرَادَةِ الْيَوْمِ السَّابِقِ  
لِأَمْسٍ « أَوَّلُ مِنْ أَمْسٍ » .

الْجَوَى بِهِ ؛ وَسَنُفِّمُ<sup>(١)</sup> الْآنَ بِمَا يُوسِعُهُ تَسْكِينًا ، وَيَقْطَعُهُ تَبْكِينًا . فنقول له :  
 ناشدناك الله تعالى ، هل اتفق لك قَطُّ وعَرَضٌ ، خروج أمر ما على القصد منك  
 فيه والغرض ؛ مع اجتهادك أثناءه في إصدارك وإيرادك ، في وقوعه على وَفْقٍ  
 اقتراحك ومُرادك ؟ أو جميع ما تزاوله بإدارتك ، لا يقع إلا مطابقاً لإرادتك ؟ [٥٤]  
 أو كل ما تقصده وتنويه ، نُخْرِجُهِ كَمَا تَشَاءُ وتحويه ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يُقَرَّرَ اضطراباً ،  
 بأن مطلوبه يَشُدُّ عنه سِراراً ؛ بل كثيراً ما يُفْلِتُ صيده من أشرأكه ، ويطلبه  
 فيعجز عن إدراكه ؛ فنقول : ومساءلتنا من هذا القبيل : أيها النبي النَّبِيلُ ؛ ثم  
 نسرُدُ له من الأحاديث النبوية ما شِئْنَا ، مما يُسَائِرُنَا في غرضنا منه ويماشِينَا ،  
 كقوله صلى الله عليه وسلم : « كل شيء بقضاء وقدّر حتى العجز والكيس » .  
 وقوله أيضاً : « لو اجتمع أهل السماوات وأهل الأرض على أن ينفكوك بشيء ،  
 لم يَقْضِ اللهُ لك ، لم يَقْدِرُوا عليه ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يقضِ  
 اللهُ عليك ، لم يَقْدِرُوا عليه<sup>(٢)</sup> » ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم . فَأَخْلَقَ بِهِ أَنْ  
 يَلُودَ بِأَكْنَافِ الإِحْجَامِ ، وَيَرْمُ عَلَى نَفْثَةٍ فِيهِ كَأَنَّمَا أَلْجَمُ بِالْجَامِ ؛ حينئذ نقول  
 له ، والحق قد أبان وجهه وجلّاه ، وقهره بحجته وعَلَاهُ : ليس لك من الأمر شيء .  
 قل إن الأمر كله لله . وفي حاجة آدم موسى<sup>(٣)</sup> . ما يقطع لسان الخصم ، ويرْحَضُ<sup>(٤)</sup>  
 عن أثواب أعراضنا ما عسى أن يعلق بها من دَرَنِ الوَسْمِ ؛ وكيفما كانت الحال ،  
 وإن أساء الرأي والانتحال ، ووقعنا في أوجال وأحوال ؛ فثُلَّ عَرَشُنَا ، وطويت  
 قُرُونُنَا ، وَنُكِّسَ لَوَاؤُنَا ، وَمُلِّكَ مَثَوَانَا ، فنحن مثُل من سَوَانَا ؛ وفي الشر خيار ،

(١) كَذَا فِي تَوْفِيقِ الطَّيِّبِ . وَفِي ط : « وَنَسْلِمُ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) الَّذِي فِي الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ : « ... وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِاجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ  
 لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَإِنْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ  
 إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ » .

(٣) رَاجِعْ صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى « فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى » .

(٤) كَذَا فِي ط وَتَوْفِيقِ الطَّيِّبِ . وَيَرْحَضُ : يَغْسِلُ . وَفِي ت : « يَدْحَضُ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

ويد اللطائف تكسر من صولة الأغيار<sup>(١)</sup> ؛ فحتى الآن لم تنقد من اللطيف تعالى  
لطفًا ، ولا عَدِمنا<sup>(٢)</sup> أدوات أدعية تعطف بلا مُهْلة على جُمْلتنا المقطوعة مُجَلَّ  
النم الموصولة عطفًا ؛ وإلا فتلك بغداد دار السلام ، ومتبَوِّأ الإسلام ، المحفوفُ  
بُفرسان السيوف والأقلام ؛ مثابة الخلافة العباسية ، ومقر العلماء والفضلاء أولى  
السير الاقْسيَّة<sup>(٣)</sup> ، والعقول الإياسية<sup>(٤)</sup> ؛ وقد نُوزِلت بالجيوش ونُزِلت ،  
وزُوِلت بالزُحُوف<sup>(٥)</sup> ونُزِلت ؛ وتَحَيَّف<sup>(٦)</sup> جوانبها الحثيف ، ودخلها كفار التتار  
[عَنوة]<sup>(٧)</sup> بالسيف ، ولا تسل إذ ذاك عن كيف ؛ أيام تجلّت عروس المنية ،  
كاشفة عن ساقها مُبْدِيه ، وجرت الدماء في الشوارع والطرق [كالأنهار]<sup>(٨)</sup>  
والأودية ، وقيد الأئمة والقضاة تحت ظلال السيوف المنتضاة بالعائم في رقابهم  
والأردية ؛ وللنجيع<sup>(٩)</sup> سيول ، تخوضها الخيول ؛ فتخضبها إلى أرساغها ، وهَمُّ  
ظلوها بورِدها ، فتشكُل عن تَجْرِعها ومَسَاغِها ؛ فطاح عاصمها ومستعصمها ،  
وراح ولم يند ظالمها ومظالمها ؛ وخربت مساجدها وديارها ، واضطلم<sup>(١٠)</sup> بالحُسام  
أشرارها وخيارها ؛ فلم يبق من جمهور أهلها عين تطرِف ، حسبًا عرفت أو حسبًا  
تعرف ؛ فلا تكن مُتَشَكِّكًا متوقفا ، فحديث تلك الواقعة الشنعاء أشهر عند

[٤٦]

(١) يريد بالأغيار : ثقلبات الدهر وأحداثه .

(٢) في ت : « ولدمننا » وهو تحريف .

(٣) الأوبية : نسبة إلى أوبس بن عامر القرنى ، وهو من سادات التابعين زهدا وعبادة .  
وقد قتل بصفين .(٤) الإياسية : نسبة إلى إياس بن معاوية ، فاضى البصرة في عهد عمر بن النزير ، وكان  
معروفًا بشدة زكاته ، وحسن قضاائه ، وقوة جنانه ، وفصاحته لانه .

(٥) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « بالزحاف » .

(٦) تحيفه : تنقصه .

(٧) زيادة عن ت وفتح الطيب .

(٨) النجيع : الدم الأحمر .

(٩) اضطلم : استؤصل .

المؤرّخين من قفّا<sup>(١)</sup>؛ فأين تلك الحجاغل، والآراء المُدَارّة في المحافل؛ حين أراد الله تعالى بإدالة الكفر، لم تُجَد ولا قَلَامَةٌ ظُفِرَ؛ إذن فَمَنْ سَلِمَتْ له نفسه التي هي رأس ماله، وعياله وأطفاله، اللذان هما من أعظم آماله؛ وكلُّ أو جُلٍّ أو أَقْلٍ رِياشه، وأسباب معاشه، الكفيلة باتهاضه وانتعاشه؛ ثم وَجَدَ مع ذلك سبيلا إلى الخلاص، في حال مُيَاسرة ومساهلة، دون تصعب واعتياص<sup>(٢)</sup>، بعد ما ظن كل الظن أن لا تحيد ولا مناص؛ فما أحقه حينئذ وأولاه، أن يحمّد خالقه ورازقه ومولاه؛ على ما أسداه إليه من رفده وخيره، ومعاذاته مما ابتلي به كثير من غيره؛ ويَرْضَى بكل إيراد وإصدار، تتصرف فيهما الأحكام الإلهية والأقدار، فالدهر غدار، والدنيا دار مشحونة بالأكدار؛ والقضاء لا يُرَدُّ، ولا يُصَدِّ؛ ولا يغالب، ولا يطالب؛ والدائرات تدور، ولا بد من نقص وكمال للبدور؛ والعبد مطيع لا مُطاع، وليس يُطاع إلا المُسْتَطَاع، وللخالق التقدير جلت قدرته في خليفته علم غيب، للأذهان عن مداه انقطاع؛ ومالٍ والتكافء لما لا أحتاج إليه من هذا القول، بين يدي ذى الجلالة والمجادة والفضل والطول؛ فله من العقل الأرجح، ومن الخلق الأسجح، ما لا تَلْتَأَطُ<sup>(٣)</sup> معه تهتّى بصقره<sup>(٤)</sup>، ولا تنفق عنده وشاية الواشى، لا عدّ من نقره، ولا فاز قدحُه بظفره؛ والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب، وتجرب براحتها إلى المتاعب؛ وقديما للأكياس من الناس خدعت، وانحرفت عن وصالهم أعقل ما كانوا وقطعت،

(١) يشير إلى المثل المضروب : « أشهر من قفا نك » . وهي مطولة امرئ القيس المضمومة .

(٢) اعتاص الأمر عليه : اشتد والثبات ، فلم يهتد للصواب .

(٣) تلتأت : تلصق .

(٤) الصقر (بالتحريك) : اللب والعقل .

وفعلت بهم ما فعلت ، يَسَارُ الكواكب التي جَبَّتْ وَجَدَعَتْ<sup>(١)</sup> ، ولئن رَهَصَتْ وَهَصَرَتْ<sup>(٢)</sup> ، فقد نَهَتْ وَبَصَرَتْ ، ولئن قَرَعَتْ وَمَقَصَتْ<sup>(٣)</sup> ، لقد أَرَشَدَتْ وَوَعَضَتْ ؛ ويا وَيْلَنَا مِنْ تَنَكَّرْهَا لَنَا بِمَرَّةٍ ، ورميها لنا في عَمَرَةٍ أَيْ عَمَرِهِ ؛ أَيَّامٌ<sup>(٤)</sup> قَلَبَتْ لَنَا ظَهَرَ الْبَيْتِ ، وَغَيَّرَتْ أَمَقَهَا الْمُضْحَى وَأُدْجَنَ<sup>(٥)</sup> ؛ فَمَرَعَانِ مَا عَايَنَّا حِبَالَهَا مُنْبَتَّةً ، ورأينا منها ما لم نخسب كما تقوم الساعة بفته ؛ فَمَنْ استعاذ من شيء ، فليستعذ مما صِرْنَا<sup>(٦)</sup> إليه ، من الحَوَرِ بعد الكَوَرِ<sup>(٧)</sup> ، والأخطاط من التَّجْدِ إلى النور :

فبينا نَسُوسُ النَّاسَ والأمرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سَوْفَةٌ تَنْصَفُ<sup>(٨)</sup>  
فَأَفَّ لَدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلَّبُ تَارَاتٍ بِنَا وَتَصَرَّفُ  
وَأَيُّهَا لَقَدْ أَرَهَقْتَنَا إِرْهَاقًا ، وَجَرَّعْتَنَا مِنْ صَابِ<sup>(٩)</sup> الْأَوْصَابِ كَأَسَدِهَا<sup>(١٠)</sup> ؛  
ولم نَفِرْ إِلَى غَيْرِ بَابِكِ الْمَنِيعِ الْجَنَابِ ، الْمُنْفَتِحِ حِينَ سُدَّتِ الْأَبْوَابِ ، وَلَمْ نَلْبَسْ  
غَيْرَ لِبَاسِ أَفْئَاكِكُمْ حِينَ خَلَعْنَا مَا أَلْبَسَنَا الْمُلْكُ مِنَ الْأَثْوَابِ ؛ وَإِلَى أُمِّهِ يَلْبِغُ الطُّفْلُ  
لَجِبًا اللَّهُفَانِ ، وَعِنْدَ الشَّدَائِدِ تَمْتَازُ السِّيُوفُ مِنَ الْأَجْفَانِ<sup>(١١)</sup> ، وَوَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى

( ١ ) الجب والجدع : القطع . يشير بهذه العبارة إلى حادثة عبد يدعى يسارا راود بنت مولا

عن نفسها ، جَبَّتْ مَذَا كَبْرِهِ ( انظر كتاب المضاف والمنسوب للثعالبي ) .

( ٢ ) الرهص والمهصر : العصر والأخذ الشديد .

( ٣ ) مقصت : أغضبت .

( ٤ ) في ط : « وإن قلبت » .

( ٥ ) أدجن : أظلم .

( ٦ ) في ت : « صرنا » .

( ٧ ) الحور : النقص . والكور : الزيادة .

( ٨ ) تنصيف : نطلب النصفه ، وهي الإنصاف .

( ٩ ) كذا في ط ونفع الطيب . والصاب : عصارة شجر مر . وفي ت : « كاس » .

( ١٠ ) دهاقا : مملوءة .

( ١١ ) في ط : « تمتاز السيوف في الأجوان من الأجفان » . ويريد بالأجوان : جمع جون ،

وهو الظلام .

يبقى ، وكلُّ من عليها فان ، وإلى هنا ينتهى القائل ثم يقول : حسبى هذا <sup>(١)</sup> وكفان ؛ ولا ريب من اشتغال العلم الكريم ، على ما تعارفته الملوك بينها فى الحديث والقديم ؛ من الأخذ باليد عند رلّة القدم ، وقرع الأسنان وعض البنان من القدم ؛ دينا به تدبّث حتى مع اختلاف الأديان ، وعادة اطّردت فيهم على تعاقب الأزمان والأحيان .

ولقد عرّض علينا صاحب قشتالة مواضع معتبرة ، خير فيها وأعطى من أمانه ، المؤكّد فيه خطّه بأيمانه ؛ ما يقنع النفوس ويكفيها . فلم نر ، ونحن من سلالة الأحمر ، مجاورة الصّفّر ، ولا سوغ لنا الإيمان الإقامة بين ظهرائى الكفر ؛ ما وجدنا على ذلك مندوحة ولو شاسعه ، وأمنا من المطالب المشاغب حجة شرّ لنا لاسعه ؛ وأذكرنا أىّ أذكّار ، قول الله تعالى المنكر لذلك غاية الإنكار : « ألم تكن أرض الله واسعة » ؛ وقول الرسول عليه الصلاة والسلام ، المبالغ فى ذلك بأبلغ الكلام : « أنا برىء من مؤمن مع كافر لا تقرأى نارها <sup>(٢)</sup> » ؛ وقول الشاعر الحاثّ على حثّ المطيه ، المتثاقلة عن السير فى طريق منجاتها البعلية :

وَمَا أَنَا وَالتَّلْدَدَ نَحْوُ نَجْدٍ      وَقَدْ غُصَّتْ يَهَامَةُ بِالرَّجَالِ <sup>(٣)</sup>

(١) كذا فى ط ونفع الطيب . وفى ت : « الله » .

(٢) نص هذا الحديث فى النهاية لابن الأثير ولسان العربى (مادة رأى) : « أنا برىء من كل مسلم مع مشرك » قيل : لم يارسول الله ؟ قال : لا تقرأى نارها . أى لا يجعل للمسلم أن يسكن بلاد المفركين ، فيكون معهم بقدر ما يرى كل واحد منهم نار صاحبه .

(٣) التلد : التلفت . وفى الأصلين ونفع الطيب : « التلد » . وهو تصحيف .

ووصلت | أيضاً<sup>(١)</sup> | إلينا ، من الشرق<sup>(٢)</sup> كتب كريمة المقاصد لدينا ؛  
تستدعي الانحياز إلى تلك الجَنَبَات<sup>(٣)</sup> ، وتتضمن ما لا مَزِيد عليه من  
الرغبات ؛ فلم تَحْتَرِ إلّا دارنا ، التي كانت دار آبائنا من قبلنا ، ولم نرتض  
الانضواء إلّا لمن بحبله وَصِلَ حَبْلُنَا ، وبريش نبله رِيش نَبْلُنَا ؛ إدلّالا على محلّ  
إخاء متولّز لا عن كلاله ، وامتنالاً لَوْصَاةِ أجداد لأنظارهم وأقدارهم أصالةً  
وجلاله ؛ إذ قد رَوَيْنَا عن سلف من أسلافنا ، في الإيضاء لمن يخلف بعدهم  
من أخلافنا ؛ ألّا يَبْتَغُوا إذا دَمَهُمْ داهم بالحضرة القرينية بَدَلًا ، ولا يَجِدُوا  
عن طريقها في التوجّه إلى فريقها مَعْدِلًا . فاخترقنا إلى الرياض الأريضة  
الفجاج ، وركبنا إلى البحر الفُرات ظهر البحر الأجاج ؛ فلا غَرَو أن نرد منه  
على ما يُقَرُّ العين ، ويشفي النفس الشاكية من ألم البَيْن ؛ ومن تَوَصَّل هذا  
التوصّل ، وتوسل بمثل ذلك التوسّل ؛ تطارحاً على سُدّة أمير المؤمنين ، المحارب  
للمحاربين ، وللمؤمن المستأمنين ؛ فهو الخليق الحقيق ، بأن يُسَوِّغ أصنى  
مشاربه ، ويُبَلِّغ أوفى مآربه ؛ على توالى الأيام والشهور والسنين ، ويَخْلُص  
من الثُّبُور إلى الحُبُور ، ويخرج من الظلمات إلى النور خروج الجنين ؛ ولعلّ  
شعاع سعادته يفيض علينا ، ونفحة قَبُول إقباله تسرى إلينا ؛ فتخامرنا أريجحة  
تحملنا على أن نبادر ، لإنشاد قول الشريف الرضى في الخليفة القادر :

عَطَفًا أمير المؤمنين فإننا      في دَوْحة العلياء لا نَتَفَرِّقُ  
ما بيننا يوم الفَخار تفاوتُ      أبدًا كلانا في المعالي مُعَرِّقُ

(١) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٢) في ط : « الشرق » .

(٣) في ط : « الجهات » .

إلا الخلافةَ مَيَّرَنتَكَ فإني أنا عاقل منها وأنت مطوّق  
لا ، بل الأخرى بنا والأخجى ، والأنجح لسعينا والأرجى ؛ أن نعدل [٤٩]  
عن هذا المنهاج ، ويقوم وافدنا بين يدي علاه مقام الخاضع المتواضع الضعيف  
ال محتاج ، وينشد ما قال في الشيرازي ابن حجاج<sup>(١)</sup> :

الناس يَفْدُونكَ اضْطِرَّارًا      منهم وأفديك باختيارِ  
وبَعْضُهُمْ في جوارِ بعض      وأنتَ حتى أموتَ جاري  
فَمِشْ لَخُبْرِي وعش لِمائي      وعش لداري وأهلِ داري

ونستوهِب من المَنَّانِ الوَهَّابِ تَعَالَى وجلت أسماؤه ، وتعاطمت نماؤه ؛ رحمةً تجعل  
في يد الهداية أَعْيَنَتْنَا ، وعِصْمَةً تكون في مواقف الخواف جُنَّتْنَا ؛ وقَبُولًا يُعْطِفُ  
علينا نَوَافِرَ القلوب ، وصُنْعًا يُسَيِّئُ لنا كل مرغوب ومطلوب ؛ ونَسْأَلُهُ ، وطالما  
بَلَّغَ السائل سؤالا ومأمولا ، متابا صادقا على موضوع النَّدَمِ محمولا ، ثم عَزَاءَ حَسَنًا  
وصبرا جَمِيلًا ، عن أرض أورثها من شاء من عباده مُعَقِّبًا لهم ومُدِيلًا ، وسادِلًا  
عليهم من سُتُورِ الإِمْلَاءِ<sup>(٢)</sup> الطويلة سُدُولًا ، « سُنَّةَ اللَّهِ التي قد خَلَّتْ من قَبْلُ  
ولنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا » . فليطِرْ طائرُ الوَسْوَاسِ المَرْفُوفِ مُطِيرًا ،  
كان ذلك في الكتابِ مسطورًا ، ولم نستطع عن مورده صُدُورًا ، وكانَ أمرُ اللَّهِ  
قَدَرًا مَقْدُورًا .

(١) ابن حجاج : هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد الكاتب الشاعر . وهذه الأبيات  
من أبيات خُصَّةٍ قالها في أبي الفضل الشيرازي . (انظر بَيِّنَةُ الدهر للشمالي ، ووفيات  
الأعيان لابن خلكان) .

(٢) الإِمْلَاءُ : الإمهال .



ألا ، وإن لله سبحانه في مقامكم الملقى الذي أيده وأعانه ، سِرًّا من النصر ، يترجم عنه لسان من النُّصْل ، وترجع فروع البشائر الصادقة ، بالفتوحات المتلاحقة ، من قاعدته المتأصلة إلى أصل ؛ فيمثله يجب اللباز والعياذ ؛ ولشبهه يحق الالتجاء والارتجاء ، ولأمر ما آثرناه واخترناه ، بعد أن استرشدنا الله تعالى واستخرناه ؛ ومنه جلَّ جلاله نرغب أن يخير لنا ولجميع المسلمين ، ويؤوِّيناً<sup>(١)</sup> من حمايته ووقايته إلى مَعْقِلِ مَنِيْع ، وجناب<sup>(٢)</sup> [رفع] <sup>(٣)</sup> ، آمين ، آمين ، آمين .

[٥٠] نرجو أن يكون ربُّنا ، الذي هو في جميع الأمور حَسْبُنَا ؛ قد خار لنا حيثُ أَرشدنا وهدَّانا ، وساقنا توفيقه وحدَّانا ؛ إلى الاستجارة بِمَلِكٍ حَقِيٍّ ، كريمٍ وَفِيٍّ ؛ أَعَزَّ جارا من أبي دُوداد<sup>(٤)</sup> ، وأَحْمَى أنفا من الحارث بن عُبَاد<sup>(٥)</sup> ، يشهد بذلك الداني والقاصي والحاضر والباد ؛ إن أغاث مَلُوفًا فما الأسود ابن قَتان<sup>(٦)</sup> يذكر ، وإن أنش حُشاشة هالك فاكُفَّ بن مَامةٍ على فِعله وحِده<sup>(٧)</sup> يُشكر ؛

(١) في ط : « ويوردنا » . وفي نفع الطيب : « وشوب بنا » .

(٢) هذه الكلمة « وجناب » : ساقطة في ت .

(٣) زيادة عن نفع الطيب .

(٤) أبو دوداد : هو جارية بن الحجاج ، وقيل حنظلة بن المرقق الإيادي . كان بعض الملوك أخافه ، فصار إلى بعض ملوك اليمن فاجاره وأحسن إليه ، فضرب المثل بحسن هذا الجوار . وقيل غير ذلك . (انظر تفصيل ذلك في الشعر والشعراء لابن قتيبة عند الكلام على ترجمة أبي دوداد) .

(٥) يشير إلى حية الحارث بن عباد البكري في الحرب بين بكر وتغلب حين بلفه قتل مهلهل بجيرا ابنه وقوله له : يؤ بشع نعل كليب ، فنادى بالرحيل وقال قصيدته المروفة :

« قريا مربط النامسة منى      لفحت حرب وائل عن حيالي »

(٦) لم نجد شيئا عن الأسود بن قتان هذا في المظان التي رجعنا إليها .

(٧) يشير إلى ما أثر عن كعب بن مامة الإيادي من أنه أثر بنصيبه من الماء رفيقه الغري ، فأت عطشا ، وضرب به المثل في الإيثار . (انظر الشعر والشعراء ص ١٢٠ طبعة أوربة ، والمضام والمصنوع للنسوب للثعالبي) .

جَلِيسه كَجَلِيس القَعْقَاع بن شَوْر<sup>(١)</sup> ، ومُذاكره كَمُذاكر سُفْيَان<sup>(٢)</sup> المنتسب من الرِّبَاب<sup>(٣)</sup> إلى ثَوْر ؛ إلى التحلّي بِأَمّهَات الفضائل ، التي أضدادها أَمّهَات الرذائل ؛ وهي الثلاث : الحِكمة ، والعدل ، والعفة ، التي تشملها الثلاث : الأقوال ، والأفعال ، والشّمائل ؛ وينشأ منها ما شئت<sup>(٤)</sup> من عِزٍّ وحِزٍّ ، وعِلْمٍ وحِلْمٍ ، وتيقظٍ وتحفظ ، واتقاء وارتقاء ، وصَوَلٍ وطَوَل ، وسَمَاحٍ ونَائِل ؛ فبنور حلاه المُشْرِق ، يفتخر التَّغَرُّب على المَشْرِق ؛ وبمِجْدِهِ<sup>(٥)</sup> السامى خطره في الأخطار ، وبيته الذي ذكره في النَّبَاهَةِ والنَّجَابَةِ قد طار ، يُباهى جميع ملوك الجهات والأقطار ، وكيف لا وهو الرَفِيع المُنْتَمَى والنَّجَّار ، الراضع من الطَّهَّارَة ضِفْوُ أَلْبَان<sup>(٦)</sup> ، النَّاشِئُ من السَّرَاوَةِ وسطُ أَخْبَار ؛ في ضِئْفِي<sup>(٧)</sup> الجِدِّ ، ومُجْبُوح السَّكَرَم ، وسَرَاوَةِ أُمِّرَةِ المَمْلَكَةِ التي أكنافها حَرَم ، وذُؤَابَةِ الشَّرَفِ التي مُجَاذِبَتُهَا لم تُرَم ؛ مِنْ مَعَشَرٍ أَيْ مَعَشَرٍ ، بَخِلُوا إِنْ وَهَبُوا مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ ، وَجَبُّنُوا إِنْ لَمْ يَحْمُوا سِوَى ذِمَارِهِمْ ، بنو<sup>(٨)</sup> مَرَيْن ، وما أدراك ما بنو مَرَيْن :

(١) القَعْقَاع بن شَوْر : تابى يضرب به المثل في حسن المجاورة ؛ كان إذا جالسه واحد بالقصد إليه جعل له نصيباً من ماله ، وأعاناه على عدوه ، وشفع له في حوائجه . (انظر المضاف والنسب ، وشرح القاموس مادة قعقع) .

(٢) هو سُفْيَان بن سَعِيد بن مسروق الثوري ، تابى من كبار رجال الحديث .

(٣) الرِّبَاب (بالراء المشددة المكسورة) : الجماعات ، وتطلق على قبائل عوف وثور وأشيب وضبة عنهم ، سموا بذلك لتفرقهم .

(٤) كَذَا فِي تَوْفِيعِ الطَّيِّبِ وَالِاسْتِقْصَا لِلْسَّلَاوِي . وَفِي ط : « نَاشِئَةٌ » .

(٥) فِي تَوْفِيعِ الطَّيِّبِ : « وَمِجْدُهُ » .

(٦) فِي ت : « أَلْبَان » .

(٧) الضِّئْفِيُّ : الْأَصْل .

(٨) فِي ط : « فَبَنُو » .

سَمُّ الْقُدَاةِ وَآفَةُ الْجُرُزِ<sup>(١)</sup>

النَّازِلُونَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ

لَهُمْ مِنَ الْهَوَاتِ انْتِفَاءً ، وَعِنْدَهُم مِنَ السَّيْرِ النَّبْوِيَّةُ اكْتِفَاءً ؛ انْتَسَبُوا إِلَى  
بَرِّ بْنِ قَيْسٍ<sup>(٢)</sup> ، فخرجوا في البرِّ عن القَيْسِ<sup>(٣)</sup> ؛ مَا لَهُمُ الْقَدِيمُ الْمَعْرُوفُ ، قَدْ نَقِدَ  
فِي سَبِيلِ الْمَعْرُوفِ ، وَحَدِيثِهِمُ الَّذِي ثَقَلَتْهُ رِجَالُ الزُّحُوفِ<sup>(٤)</sup> ، مِنْ طُرُقِ الْقَنَا  
وَالسَّيُوفِ ، عَلَى الْحَسَنِ مِنَ الْمَقَاصِدِ مَوْقُوفٌ<sup>(٥)</sup> ؛ تَحَكَّمَتْ مِنْ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ ،  
ذَابِلُهُمْ وَلَذَنُهُمْ ، فَلَهُ أَبَاةٌ أَنْجَبُهُمْ ، وَأُمَمَاتٌ وَلَذَنُهُمْ :

سَمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ<sup>(٦)</sup>

إِلَيْهِمْ فِي الشَّدَائِدِ الْإِسْتِنَادُ ، وَعَلَيْهِمْ فِي الْأَزْمَاتِ الْمُعْوَلُ ، وَلَهُمْ فِي الْوَفَاءِ  
وَالصَّفَاءِ وَالِاحْتِفَاءِ ، وَالْعَنَاةِ<sup>(٧)</sup> وَالْحِمَاةِ وَالرَّعَاةِ ، الْخَطُّ الْوَاسِعُ ، وَالْبَاعُ الْأَطْوَلُ ،  
كَأَنَّما عَنَانُهُمْ بِقَوْلِهِ جَرَّوْلٌ<sup>(٨)</sup> :

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْيُسَى وَإِنْ عَاهَدُوا وَفَوْا وَإِنْ بَعَدُوا شَدُّوا

(١) هذا مجز بيت ، وصدوره : « لا يبعدن قومي الذين هم » . وهذا البيت والذي يليه من

قصيدة لخرنق بنت حفان ترى زوجها وابنها علقمة وأخويه . (راجع الأمالي ج ٢

ص ١٥٨ طبعة دار الكتب) .

(٢) هو بر بن قيس عيلان ، وإليه ينتسب البربر . (انظر شرح القاموس مادة بر) .

(٣) القيس : القياس والتقدير .

(٤) الزحوف : جمع زحف ، وهم الجماعة يزحفون إلى العدو بمرة .

(٥) في ط : « موصوف » .

(٦) هذا مجز بيت لحسان بن ثابت من قصيدة يمدح بها الفاسنة ، وصدوره :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم

(٧) هذه الكلمة : « العناية » ساقطة في ت .

(٨) جروول : اسم الحظيئة الناصر المحضرم المعروف .

وإن كانت النعاه فيهم جزوا بها<sup>(١)</sup> وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا  
وتعدلني أبناء<sup>(٢)</sup> سعد عليهم<sup>(٣)</sup> وما قلت إلا بالتي علمت سعد  
وبقوله الوثيق مبناه ، البليغ معناه :  
قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكرب<sup>(٤)</sup>  
يزيحون عن النزيل كل نازح قاصم ، وليس له منهم عائب ولا واصم ، فهم<sup>(٥)</sup>  
أحق بما قاله في منقري قيس بن عاصم<sup>(٦)</sup> :  
لا يفتنوني لبيب جارهم وهم لحفظ جواره فطن<sup>(٧)</sup>  
حلاهم هذه الغريزة التي ليست باستكراه ولا جعل ، أمير المؤمنين ، دام  
نصره ، قسيمهم فيها حدو<sup>(٨)</sup> النعل بالنعل ، ثم هو عليهم وعلى من سواهم  
بالأوصاف الملوكية مستعمل : ارفض مزئهم منه عن غيث ملث يحو أثار  
اللزبه<sup>(٩)</sup> ، وانشق غيلهم منه عن ليث ضار منقبض على برائنه للوثبة<sup>(١٠)</sup> ، فقل

(١) رواية هذا الشطر في مختارات ابن الشجري : « وإن كانت النعاه عليهم جزوا بها » .

(٢) في مختارات ابن الشجري : « أبناء » . والأبناء : الأخطا .

(٣) يروي : « وقد لامي أبناء سعد عليهم » .

(٤) العناج : عروة في أسفل الغرب من باطن ، تشد بوئاق إلى أعلى الكرب ، وهو  
الحبل الذي تعلق فيه الدلو من عرقوتها ، فإذا انقطع الكرب أمسك العناج الدلو  
أن تقع في البر . يريد أنهم إذا عقدوا عقداً لجارهم أحكموه .

(٥) كذا في ط . وفي ت ونسخ الطيب والاستقصا للسلاوي : « فهو » .

(٦) بنو منقر : من تميم ، منهم قيس بن عاصم هذا .

(٧) هذا البيت من أبيات قيس مظلما :

لأن امرؤ لا يسترى حسبي دلس يفتنه ولا أفن

(٨) كذا في ت ونسخ الطيب : وفي ط : « حدوك » .

(٩) اللزبة : الضيق والشدة .

(١٠) يشير إلى قول النابتة :

وقلت يا قوم إن الليث منقبض على برائنه للوثبة الضاري

لِسكَانِ الْفَلَاحِ : لَا تَعْرِفُكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ وَأَمْدَادُكُمْ ، فَلَا يُبَالِي السَّرْحَانِ الْعَوَاشِي ،  
سواء مشى إليها التَّقَرَّى أَوْ الْجَفَلَى <sup>(١)</sup> ؛ بَلْ يَصِدُّهُمْ صَدْمَةٌ تَحْطِمُ مِنْهُمْ كُلَّ  
عَرْنَيْنٍ ، ثُمَّ يَبْتَلَعُ بَعْدُ أَشْلَاهُمْ الْمُعَقَّرَةُ ابْتِلَاعَ التَّنِينِ <sup>(٢)</sup> ؛ فَهُوَ هُوَ كَمَا عَرَفُوهُ ،  
وَعَهْدُوهُ وَأَلْفُوهُ ؛ أَخُو <sup>(٣)</sup> الْمَنَايَا ، وَابْنُ جَلَالٍ <sup>(٤)</sup> وَطَلَاعُ الثَّنَائِيَا <sup>(٥)</sup> ، مُجْتَمِعُ أَشْدُّهُ ،  
قَدْ احْتَنَكَتْ سِنَتُهُ <sup>(٦)</sup> وَبَانَ رُشْدُهُ ؛ جَادٌ مَجْدٌ ؛ مُحْتَزَمٌ بِحِزَامٍ مِنَ الْحَزْمِ ، مُشْتَمِرٌ  
عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ :

لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا مِنْ قَلْبِ دَمٍ وَلَا يَبِيتُ لَهُ جَارٌ عَلَى وَجَلٍ <sup>(٧)</sup>  
[٥٢] أَسَدِيُّ الْقَلْبِ آدِرِي الرُّوَاهِ ، لَا بَسَ جِلْدَ الثَّمَرِ لِدَوَى الْعِنَادِ وَالنَّوَاهِ <sup>(٨)</sup> :

وَلَيْسَ بِشَاوِيٍّ عَلَيْهِ دَمَامَةٌ إِذَا مَا سَمَى يَسْعَى بِقَوْسٍ وَأَسْهَمٍ <sup>(٩)</sup>  
وَلَسَكُنَّتْ يَسْعَى عَلَيْهِ مُقَاضَةٌ <sup>(١٠)</sup> دِلَاصٍ كَأَغْيَانِ الْجَرَادِ الْمَنْظَمِ <sup>(١١)</sup>

( ١ ) مشى إليها التقرى أو الجفلى ، أى دهمها وحده أو مع غيره .

( ٢ ) التنين ( بكسر أوله ) : الحية العظيمة .

( ٣ ) فى ط : « وأخو » .

( ٤ ) يقال : هو ابن جلال : للسيد الشريف الذى لا يخفى مكانه .

( ٥ ) الثنايا : جمع ثنية ، وهى العقبة ؛ وطلاع الثنايا : من يسمو لمال الأمور .

( ٦ ) احتنكت سنه : قويت تجاربه .

( ٧ ) القلب : البئر . وهذا البيت من قصيدة لأبى سعيد الخزرمى . ( انظر الأمالى ج ١

ص ٢٥٩ طبعة دار الكتب المصرية ) .

( ٨ ) النوّاه : المناوأة ، وهى للمعادة .

( ٩ ) شاوى : صاحب شاء ، وهى الفم . ورواية هذا البيت فى اللسان مادة ( شوه ) :

ولست بشاوى عليه دمامة إذا ما غدا يفدو بقوس وأسهم

وهو والذى بعده ليزيد بن عبد اللان .

( ١٠ ) رواية هذا النظم فى اللسان مادة ( عين ) : « ولكننى أغدو على مقاضة » .

( ١١ ) المقاضة : الدرع . والدلاص : اللينة البراقة للماء .

فالنجاء النجاء سامعين له طائعين ، والوحاء الوحاء<sup>(١)</sup> لاحقين به خاضعين ؛  
 قبل أن تساقوا إليه مُقَرَّنِينَ في الأصفاد ، ويعيا القِداء بنفائس النفوس والأموال  
 على القاد<sup>(٢)</sup> ؛ حينئذ يَمُضُ ذو الجهل والقِدامه<sup>(٣)</sup> ، على يديه حسرة وندامة ؛ إذا  
 رأى أبطال الجنود ، تحت خوافق الرايات والبُنود ، قد لَفَحَتْهم نار ليست بذات  
 مُخمود ، وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم : عادٍ وعمود ؛ رَعَقَات  
 سَبَطانات<sup>(٤)</sup> تؤز<sup>(٥)</sup> الكتائب أَرَا ، وهزاً محققاً للخيل بعد المدّ المشبع للأعنة  
 همزاً ، وسلاً للهندية سلاً وهزاً للخطية هزاً ، حتى يقول النسر للذئب : هل  
 تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً<sup>(٦)</sup> . رُئِيَ خليفة الله بذلك ، في كل  
 من رام أذى رعيته أو أذاك<sup>(٧)</sup> ، فتلك عادة الله سبحانه وتعالى في ذوى الشقاق  
 والتفاق ، الذين يَشْتَقُونَ عصا المسلمين ، ويقطعون طريق الوفاق<sup>(٨)</sup> ؛ وَيَنْصَبُونَ  
 حَبَائِلَ البَغْيِ والفساد في جميع النواحي والآفاق ؛ فَلَنْ يَجْمَلَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ من  
 الآمنين ، أُنَّى وكيف وقد أفسدوا وخانوا ؟ وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين ،  
 ولا يهدى كيد الخائنين .

وها نحن قد وجهنا إلى كعبة مجدكم وُجوه صلواتِ التقديس والتعظيم ،  
 بعد ما زينا معاطفها باستعطافكم بدُرّ ثناء أبهى من دُرِّ العِقدِ النظيم ؛ منتظمين

(١) كذا في الأصلين . والوحاء : السرعة . وفي فتح الطيب : « والوجل الوجل » .

(٢) القاد : انقادی ، وهو من يقدمهم بالمال .

(٣) القدامه : التي عن الحجة مع ثقل ورخاوة وقلة فهم .

(٤) سبطانات : جمع سبطانة ، وهي آلة يرمى بها في الحرب ، (مولدة) .

(٥) تؤزّم : تحركهم بشدة .

(٦) ركزا : صوتاً خفياً .

(٧) كذا في ت وفتح الطيب . وفي ط : « وأذاك » .

(٨) في ت وفتح الطيب : « الوفاق » .

فِي سِلْكِ أَوْلِيَائِكُمْ<sup>(١)</sup> ، متشرفين بِمُخْدَمَةِ عَلِيَّائِكُمْ ؛ وَلَا فَقَدَ عِزَّهُ وَلَا عَدَمَهَا ،  
مَنْ قَصِدَ مَثَابَتَكُمْ الْعَزِيزَةَ وَخَدَمَهَا ؛ وَإِنْ اللَّتْرَامَى عَلَى سَنَائِكُمْ ، لَجَدِيرٌ بِمَحْرَمَتِكُمْ  
واعتنائِكُمْ ؛ وَكُلٌّ مَلْهُوفٌ تَبَوُّأً مِنْ كُنْفِكُمْ حِصْنًا حَصِينًا ، عَاشَ بَقِيَّةَ عَمْرِهِ مَحْرُوسًا  
مِنَ الضِّيمِ مَصُونًا ؛ وَقَدْ قِيلَ فِي بَعْضِ الْكَلَامِ : مِنْ قَعَدْتَ بِهِ نِكَايَةَ الْأَيَّامِ ،  
أَقَامَتْهُ إِغَاثَةُ الْكِرَامِ ؛ وَمَوْلَانَا أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلِيَّ مَا يَرْفُقُهُ إِلَيْنَا مِنْ مَكْرُمَةٍ بِكْرٍ ،  
وَيَصْنَعُهُ لَنَا مِنْ صَنِيعٍ حَافِلٍ يَخْلُدُ فِي صَحَائِفِ<sup>(٢)</sup> حَسَنِ الذِّكْرِ ، وَيَرَوِي مُعْنَعَنْ  
حَدِيثِ حَمْدِهِ وَشُكْرِهِ طَرَسُ عَنْ قَلَمٍ عَنْ بَنَانٍ عَنْ لِسَانٍ عَنْ فِكْرٍ ؛ وَغَيْرِهِ  
مِنْ يَنَامٍ عَنْ ذَلِكَ فِيُوقِظُ ، وَيَسْتَرْسِلُ مَعَ الْغَفْلَةِ حَتَّى يَذْكُرَ وَيُوعِظُ ؛ وَمَا عُهِدَ مُنْذُ  
وَجَدَ إِلَّا سَرِيعًا إِلَى دَاعِي النَّدَى وَالتَّكْرُمِ ، بَرِيثًا مِنَ الضَّجَرِ بِالْمَطَالِبَةِ وَالتَّبَرُّمِ ؛  
حَافِظًا لِلْجَارِ الَّذِي أَوْصَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِهِ ، مُسْتَفْرغًا وَسْعَهُ فِي  
رَعْيِهِ الْمُسْتَمِرِّ وَلَحْظِهِ ، آخِذًا مِنْ حَسَنِ الثَّنَاءِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَالْآثَاءِ بِحِفْظِهِ :

[٥٣]

فَهُوَ مِنْ دَوْحَةِ السَّنَا فَرَعُ عِزٍّ      لَيْسَ يَحْتَاجُ مُجْتَنِيَهُ لَهْرٌ  
كَفَّهُ فِي الْأَحْمَالِ أَغْزَرَ وَبَلَّ      وَذَرَاهُ فِي الْخُوفِ أَمْنَعُ حِرْزٍ<sup>(٣)</sup>  
حَلَمُهُ يُسْفِرُ اسْمَهُ لَكَ عَنْهُ      فَتَفْهَمُ يَا مَدْعَى الْفَهْمِ لُغْزِي<sup>(٤)</sup>  
لَا تَسْلُهُ شَيْئًا وَلَا تَسْتَدِلُّهُ      نَظْرَةٌ مِنْهُ فَيْكَ تُغْنِي وَتُجْزِي  
فَنَدَاهُ هُوَ الْقُرْآتُ الَّذِي قَدْ      عَامَ فِيهِ الْأَنَامُ عَوْمَ الْإِوْزِ  
وَحَمَاهُ هُوَ الْمَنِيْعُ الَّذِي تَرَى      جَمْعَ عَنْهُ الْخُطُوبَ مَرْجِعَ عَجْزِ

(١) فِي ط : « وَمُتَتَّظِينَ فِي سِلْكِ أَوْلَائِكُمْ » .

(٢) فِي ت : « الصَّحَائِفُ » .

(٣) ذَرَاهُ : كَفَّهُ .

(٤) لَمْ يَلَهُ يَرِيدُ أَنَّ الْحَمْلَ يَلْحَظُ فِي اسْمِهِ (الشَّيْخُ) ، لِأَنَّهُ مَعَ الشَّيْخُوخَةِ الرِّزَاةِ وَالْمَهْدُودِ .

فَدَعُوا ذَهَبَهُ يَزُولُ قَوْلِي      فهو أدرى بما تضمن رمزي  
دام يُخَيِّ بِكَلْ صُنْعٍ وَمَنْ      ويباعني من كل يؤس ويرجز

وكأننا به قد عمل على شاكلة جلاله ، من مدّ ظلاله ، وتمهيد خلاله ، وتلقى ورودنا  
بحسن تهلله واستهلاله ، وتأنيسنا بحمیل قبوله وإقباله ، وإيرادنا على حوض  
كؤثره المترع بزلاله . والله [ سبحانه ] <sup>(١)</sup> يُسَعِدُ مَقَامَهُ الْعَلِيِّ ، وَيُسَعِدُنَا بِهِ فِي  
حَلِّهِ وَارْتِمَالِهِ ، وَمَالِهِ وَحَالِهِ ؛ وَيُؤَيِّدُ جَنْدَهُ الْمُظْفَرَّ ، وَيُؤَيِّدُنَا بِتَأْيِيدِهِ عَلَى نَزَالِ  
عُدُوِّهِ وَاسْتِنْزَالِهِ ، وَهَزَّ الدَّوَابِلَ <sup>(٢)</sup> لِإِطْفَاءِ دُبَالِهِ ؛ وَهُوَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُسْتَوَلُ  
أَنْ يُرِيَهُ قُرَّةَ الْعَيْنِ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخُدَّامِهِ وَأَمْوَالِهِ ، وَأَنْظَارِهِ <sup>(٣)</sup> وَأَعْمَالِهِ ، وَكَافَّةً  
شُثُونِهِ وَأَحْوَالِهِ . وَأَحَقُّ مَا نَصَلَ بِالسَّلَامِ وَأَوْلَى ، عَلَى الْمَقَامِ الْجَلِيلِ مَقَامِ الْخَلِيفَةِ  
الْمَوْثِقِ : أَزَكَى الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى خَاتَمَةِ <sup>(٤)</sup> أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَأَرْسَالِهِ <sup>(٥)</sup> ، سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا  
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِهِ وَآلِهِ ، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ أَبَدًا ،  
مُوصُولَيْنِ بِدَوَامِ الْأَبَدِ وَاتِّصَالِهِ ، ضَامِنَيْنِ لِمُجَدِّدِيهَا وَمُرَدِّدِيهَا صَلَاحَ فَاْسِدِ أَعْمَالِهِ ،  
وَبُلُوغَ غَايَةِ آمَالِهِ ، وَذَلِكَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِذْنِهِ وَفَضْلِهِ وَإِفْضَالِهِ .

اتهى الكتاب ؛ وأوردته بطوله لما فيه من ذكرى واعتبار ، بما فعلته الدنيا  
مع الملوك الأعظم الكبار ، ولأن الكلام جر إليه ، والله تعالى الكفيل بخلاص  
من توكل عليه .

(١) زيادة عن نفع الطيب .

(٢) الدوابل : الرماح ، جمع ذابل .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب . والأنظار : جمع نظر ، وهو مصدر ، يراد به ما يتولى  
النظر عليه من الأعمال . وفي ت : « أنظاره » .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « خاتم » .

(٥) يريد رسله ، والأرسال : غير مسموع في هذا المعنى .



أبو عبد الله  
العربي وشي  
من نظمه

وصاحب هذا الإنشاء وصفه الإمام ابن داود بقوله : « الفقيه الخطيب  
الفاضل ، خاتمة الأدباء بالأندلس <sup>(١)</sup> » ، أبو عبد الله محمد بن الفقيه الصالح أبي محمد  
عبد الله العقيلي المعروف بالعربي .

ومن بديع نظمه هذه الأبيات <sup>(٢)</sup> :

جَزُ بالساتين والرياض فما أبهج مَرَّتِهَا <sup>(٣)</sup> وأجلده <sup>(٤)</sup>  
واعجب بها للنبات ولتلك في أسفله ناظرا وأعلاه  
وقدس الله عند ذلك وقُلْ سبحانه لا إله إلا هو

ورأيت بخط ابن داود المذكور أنه وقع بينه ، أعني ابن داود ، وبين الفقيه  
المدرس أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل بن إبراهيم البسطي ، نزاع في مسألة نحوية ،  
قال : وطال فيها الكلام <sup>(٥)</sup> بما تَقَيَّدَ عني في غير هذا ، فقال الفقيه الخطيب  
الأديب العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربي يُورَى بالقضية ، ويشير إلى  
قصة نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام :

نَدَدَ البسطي في مسألة لابن داود وقد أحكمها  
وقديما وقت مَعْضَلَةٌ وابن داود الذي فهمها <sup>(٦)</sup>

[٥٥] انتهى .

قصيدة الدقون  
في نذب الجزيرة

ومن نظم الشيخ الفقيه ، الأستاذ المقرئ الخطيب ، القُدَّ الأوحَد ، سيدي

(١) في ت : « أدباء الأندلس » .

(٢) في ت : « ومن بديع نظمه قوله » .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « مرأها » .

(٤) في نفع الطيب : « وأجلده » .

(٥) في ت : « القيام » .

(٦) يشير إلى قوله تعالى في قصة الغم والحرب : « ففهمناها سليمان وكلا آتينا  
حكماء وعلماء » .

أبي العباس أحمد الدقون<sup>(١)</sup> رحمه الله ، قصيدة في نَذْب<sup>(٢)</sup> الجزيرة ، تذكر النفوس بشجوها ، فترسل العيون دموعها الفزيرة ، افتتحها بنثر نصه :

الحمد لله على كل حال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله خير آل .  
أما بعد فيقول خديم<sup>(٣)</sup> أهل الله تعالى ، عبيد الله أحمد بن محمد الأندلسي ، الشهير بالدقون ، لطف الله به بمنه وكرمه :

إنه لما غابت شمس الجزيرة الخضراء ، بأخذ الحمراء ؛ قرَّعتُ باب النَّذْبِه ، لما تقدم من الصحبه ؛ فقلت أبيتنا صَدَرَتْ من قلب كئيب ، مُبْكِيَةٌ كل<sup>(٤)</sup> لبيب أريب ؛ وسميتها بالموعظة الفراء ، بأخذ الحمراء ، مبيحا لمن رغب فيها ، ولم يرغب عنها ، أو استحسن شيئا منها ، أن يحدث بها عني ؛ وذلك بعد إتقان لفظها وحفظها ، وفهم وعظها ولحظها ؛ وإن كنت لأحسن أن أقول ، وربما أعزى بها إلى المُضُول ؛ لكنني لأعَدَم المثليل ، وفي مثل هذا قيل :

وَمَنْ ذَا الَّذِي تَرْضَى سَجَايَاهُ كُلَّهَا كَفَى المرءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ معايبه  
والله حسبي وعُدَّتِي ، وهو مُقِيلُ عَثْرَتِي . وهذا مطلع صباحها ، ومنيع افتتاحها :

أَمِنْتَ من عكس آمال وأحوال وعشتَ ما بين أعمام وأحوال  
ولا ابتليت بما في القلب من نكد فالجسمُ مشغول من غير أشغال  
وكيف لا ويقاع الدين خالية من أرض أندلس من أجل أهوال

(١) هو أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي المصهور بالدقون ، توفي مستهل شعبان

سنة إحدى وعشرين وتسع مئة . ( انظر كتاب نيل الابتهاج ، بطريرك الديباج ،

لأحمد بابا التنبكي ) .

(٢) في ت : « ندبة » .

(٣) انظر حاشية رقم ٣ صفحة ٣٩ من هذا الجزء .

(٤) في ت : « لكل » .

عَمَّتْ فَفَمَّتْ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ فِيَا      لِّلْمُسْلِمِينَ مِنْ أَعْدَاءِ وَأَنْكَالِ  
جَاشَتْ بِهَا مِنْ جِيُوشِ الْكُفْرِ مَا ذَرَسَتْ      بِهِمْ مَعَالِمُ أَخْيَارِ وَأَقْيَالِ<sup>(١)</sup>  
أَهْلُ الشُّجَاعَةِ أَهْلُ الْعِلْمِ أَهْلُ تَقَى      أَهْلُ النَّفَاسَةِ فِي قَوْلِ وَأَفْعَالِ  
عَنْهُمْ وَفِيهِمْ أَحَادِيثُ النَّبِيِّ بَدَتْ      وَهُمْ مَعَاقِلُ قَوْلِ اللَّهِ لِلتَّالِي  
رُهْبَانِ لَيْلٍ وَفُرْسَانِ النَّهَارِ قَمَنْ      يُبْلِغُهُمْ بِسَاحَتِهِمْ يَظْفَرُ بِأَمَالِ  
لَا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أَنْ الْمُضَافَ لَهُمْ      يَسْلُو عَنْ أَهْلِ وَأَوْطَانِ وَأُمُومَالِ  
فَهَلْ تَرَى بِمَدِّ هَذَا النَّفْسِ سَائِلَةً      وَكَيْفَ تَسْأَلُ عَنْ وَصْفٍ وَعَنْ حَالِ  
تَالَهُ لَا زَالَ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ أَسْفِ      وَلَوْ أَكُونُ حَلِيفَ الْمَنْزِلِ الْخَالِي  
أَوْ يَفْتَحَ اللَّهُ فِي نَصْرِ يَمَنْ بِهِ      فَاللَّهُ بَاقٍ يَبْقَى مِنْ كُلِّ مُخْتَالِ  
قَدْ رَامَ إِطْفَاءَ نَوْرِ اللَّهِ بِمُجْتَهِدَا      وَبِإِذْلَاقِ كُلِّ مَا قَدْ حَازَ مِنْ مَالِ  
سَطَا بِجَيْشِ كُوجِ الْبَحْرِ فِي عُودِ      نَمِ ، وَفِي عَدَدٍ مِنْ رَهْطِ أَبْطَالِ  
مُؤَيَّدَا بِاجْتِمَاعِ الْمَصْرِ يَتَّبِعُهُ      شَرَّ الْخِلَاقِ مَسْرُورَا بِإِقْبَالِ  
يَسْبِي الْمَسَامِعَ بِالْأَنْقَاضِ<sup>(٢)</sup> مُشْبِهَةً      وَقَعَ الصَّوَاعِقُ فِي هَذِهِ وَزَلْزَالِ  
يَنْبَغِي لِيَهْدِمَ مَا الْإِسْلَامَ شَيْئُهُ      وَالْوَصْفَ يُعْجِزُ مَنْ يُدْعَى بِقُلُقَالِ<sup>(٣)</sup>  
فَهُوَ الْقَاتِلُ فِي الْأَبْرَاجِ مُنْتَقِلُ      إِلْفَ الثُّنُجُوسِ وَتَغْيِيرِ<sup>(٤)</sup> وَتَرْحَالِ  
فَاسْتَوْطِنَ الْمَرْجَ لَا يَنْوِي الرِّحِيلَ وَلَا      يَخْشَى الْمُنِيفَ بِسَهْلٍ أَوْ بِأَجْبَالِ  
وَالْمُسْلِمُونَ مِنَ الْأَضْعَانِ قَدْ مِلَّتْ      قُلُوبُهُمْ وَأَبْوَا تَسْدِيدِ أَخْلَالِ<sup>(٥)</sup>

[٥٦]

(١) الأقيال : جمع قيل ، وهو الملك دون الملك الأعظم .

(٢) كذا في الأصلين : ولعلها معرفة عن الأنقاط (بالطاء) ، يريد بها الآلات التي ترى بها الحصون والأسوار كالدفاع . ( انظر تكملة المعجم العربية لـ دوزي ) .

(٣) يريد بالقلقال (هنا) : الفصيح الحسن ، كما هو شائع على ألسنة الفارسية حتى اليوم .

(٤) ق ط : « الثنوس » .

(٥) الأخلال : نهم خلل ، وهي الثفرة في الصفوف ونحوها .

والحقُ مَخْتَلِفٌ والحقُّ مُؤْتَلِفٌ والكل منصرف عن نصر أبطالٍ  
 وهم لديه كطير وهو يَنْتَفُهُ والطير يرجو البقا مع كَيْدٍ قَتَالٍ  
 إِذَا تَجَرَّدَ<sup>(١)</sup> من ريش يطير به أنحى يدافع عن رُوح بأوصال<sup>(٢)</sup>  
 سَدُّوا مسالكَ أرزاقٍ ومنفعة كدودة القز في نَسْجٍ لِسِرِّالٍ  
 ثم استغاثوا : أَلَا فُرُسانَ عاديةٍ قال الصدى : لست ذا رمح ونَبَّالٍ  
 والصيفَ ضيعتَ ما أَمَلْتَ من ابنٍ قفاريّ الجَبَّيْحِ من تدخين نَحَّالٍ<sup>(٣)</sup>  
 وارْحَلْ بنحلك<sup>(٤)</sup> نحو القرب في كرم من قبل وضعك في قَيْدٍ وأغلالٍ  
 فاستمكن الرُّعْبُ في الأَكبادِ وانفقت بعد اختلاف على تأمين أُرْدالٍ  
 واحتلَّ غِرَناطَةُ الغُرَاءِ قد<sup>(٥)</sup> عَدِمْتَ حَبَّ الحصيد ونصرَ الله والآلِ  
 كأنها الشمس في أفقِ العُلَى كُفِفَتْ فهل على طَلَلٍ ترمى بأبطالٍ؟<sup>(٦)</sup>  
 وهل تعود لِيالٍ قد سَلَفْنَ بها ونحن لا نشتكى تنكيدَ ضُلَّالٍ؟  
 وهل يعود لها الدين الذي أُنِسَتْ به وقد أَيْسَتْ من فتح أبدالٍ؟<sup>(٧)</sup>  
 فأصبحوا لا تُرَى إلا مساكينهم كمثل عادٍ وما عادٌ بأشكالٍ  
 قد فُرِّقُوا كَسَبًا في كل منزلة وقد سبا عدّه من أيدٍ أو عالٍ<sup>(٨)</sup>  
 قد فُرِّقُوا كَسَبًا في كل منزلة

(١) كذا في ط . وفي ت : « تجدد » وهو تحريف .

(٢) الأوصال : مجتمع العظام . يريد الأطراف .

(٣) الجبج : خلية النحل . والنحال : القائم على خلايا النحل .

(٤) في ت : « بنحلك » .

(٥) في ت : « واستمكن » .

(٦) في ط : « مذ » .

(٧) كذا في ط . وفي ت : « توى بأطلال » ولا معنى له .

(٨) يشير إلى ما هو معروف في القرب من الاستنصار بالأولياء ، وهم الأبدال ، عند اشتداد الأزمان والخطوب .

(٩) كذا ورد هذا الشطر في الأصلين .

فلا المساجد بالتوحيد عامرة  
ولا المنابر للوعاظ بارزة  
ولا المكاتب بالصبيان آمنة  
آه على الدين والدنيا وما نفعت  
إننا إلى الله والرجعى له وبه  
وكان ما كان والألطف شاملة  
فلنكرم<sup>(٢)</sup> الآن من ينزل بمنزلنا  
وإذ ولا قدرة تدنى للنى فلهم  
نلقاهم ولنا بشر ومعدرة  
ولا نذعن ورود الحوض وارده  
إخوانكم رفعوا أيدي الضراعة مع  
وقل لوال تطف في مسارهم  
هذا التذير جهارا جاء ينذرنا  
ونحن في غفلة عما يراد بنا  
يا أهل فاس أما في الغير موعظة  
فقل تعالوا إلى نصح وتذكرة  
كيف الحياة إذ الحيات قد نفضت  
ولا سبيل إلى الترياق غير نُقى  
والأخذ بالجد في جمع القلوب على

إذ عمروها بناقوس وتمثال  
للأمر والتهى أو تذكير آجال  
تتلو القرآن بأسفار وأصال  
آه إذا صدرت من قلب بطل<sup>(١)</sup>  
تعلق القلب في تصحيح إعلال  
لاحت بنقطة نسوان وأطفال  
فالدهر ذو دول فاسمع لأمثال  
حق الجوار ولا توصف<sup>(٣)</sup> بإهمال  
ورحمة يا حمة التم والخال  
ولا ندع قول ذى نصح وإجمال  
كسر القلوب فلا يلقوا بإخمال  
يلطف بك الله إذ تدعى لأحمال  
والاذن في صم عن قيل أو قال  
نمشى على مؤلة من طول إهمال  
إب السعيد لموعوظ بأمثال  
فالأمر جد فلا تصحب لمكسال  
على السواحل أو همت بإرسال  
والخزم في سمة من قبل إهمال  
بذل النصيحة أو إبراء أذخال

[٥٧]

(١) في ط : « آه على الدين ... » \* إلا إذا صدرت ... الخ .

(٢) في ت : « فنكرم » .

(٣) في ت : « فلا يوصف » .

والزُّهد في هذه الدنيا وزُخرفها      والأمر بالعرف مع تحسين مقوال  
ولا تَرَمُ في أمان الروم منزلةً      خوفاً على الدين أو بعداً من أنذال  
فمن يَبْتَ في أمان الكلب منتصباً      لسطح مَوَلَى ولا عذرُ بأنقال  
وارباً بنفسك عن أرض تهان بها      خفيئاً كنت لا تخشى من أقال  
فالموت عندى خير من حياة فتى      قد اكتسى بعد عز ثوبٍ إذلال  
والمِجرة الآن قد عادت كما سبقتُ      فافهم تفاصيل أقوالٍ وإجمال  
واحتملْ بذهنك ولتسمع نصائحَ مَنْ      قد طَبَّ مَنْ حَبٍّ<sup>(١)</sup> لم يُوصَفْ بمُحتال  
في صدر سبعٍ على التسعين زائدة      شمسُ الجزيرة غابت بعد إكمال  
وبُلِّغَ الكلبُ ما قد شاء من أَرْبٍ      إذ لم يجد ذائداً عن ديننا العالى  
ليقضَى اللهُ أمراً كان قَدَره      والأمرُ لله في قول وأفعال  
وقد وعظتْ ولو أجمعتْ لا تشرتْ      سحابُ الدمع لم تتلع عن انزال  
فليشتغل كل مسكين بمهجته      والله يحفظنا من كل مهوال  
ثم الصلاة على المختار سيدنا      محمد والرضا عن آلٍ أو نال [٥٨]

ومما كتبه بعض أهل الجزيرة بعد استيلاء الكفر على جميعها للسلطان  
أبي يزيد<sup>(٢)</sup> خان التُّماني ، رحمه الله ، ما نصه بمد سطر الافتتاح :

مما كتبه بعض  
أهل الجزيرة  
لأبي يزيد

الحضرة العلية ، وصلَّ الله سعادتها ، وأعلى كلمتها ؛ ومهدَ أنظارها ، وأعزَّ  
أنصارها ، وأذلَّ عُداها ، حضرة مولانا ، وعمدة ديننا ودنيانا ، السلطان الملك  
الناصر ؛ ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، قانع أعداء الله

(١) من أمثال العرب في التوق في الحاجة وتحسينها : اصنعه صنعة من طب لمن  
حب . . . أى صنعة خالق لمن يحبه .

(٢) في ط : « بايزيد » .

الكافرين ؛ كهف الإسلام ، وناصر دين نبينا محمد عليه السلام ؛ محيي العدل ، ومنصف المظلوم ممن ظلم<sup>(١)</sup> ، ملك العرب والعجم ، والترك والدَّيْلَم ؛ ظل الله في أرضه ، القائم بسنته وفرضه ؛ ملك البرّين ، وسُلطان البحرين ؛ حامى الدّمار ، وقامع الكفّار ؛ مولانا وعمدتنا ، وكهفنا وغياثنا<sup>(٢)</sup> ، مولانا أبو يزيد ، لا زال ملكه موفور الأنصار ، مقروناً بالانتصار ، مُخلِّد المآثر والآثار ، مشهور المعالي والفخار ؛ مستأثراً من الحسنات بما يضاعف الله به الأجر الجزيل ، في الدار الآخرة والثناء الجليل ، والنصر في هذه الدار . ولا برحت عزّماته العلية مختصة بفضائل الجهاد ، مُجرّدة على أعداء الدين من بأسها ، ما يُروى صدور الشّمر والصفاح<sup>(٣)</sup> ، وألْسنة السّلاح ، باذلة نفائس الذخائر في المواطن التي تألف فيها الأخير مفارقة الأرواح للأجساد<sup>(٤)</sup> ، سالكة سبيل السابقين الفائزين برضا الله وطاعته يوم يقوم الأشهاد :

سلام كريم دائم متجدّد	أخص به مولاي خير خليفة
سلام على مولاي ذى المجد والثّلا	ومن ألبس الكفّار ثوب المدّة
سلام على من وسّع الله ملكه	وأيدّه بالنصر في كل وجهه
سلام على مولاي من دار ملكه	قُسْطِينِيّة أكرم بها من مدينة
سلام على من زين الله ملكه	بمجد وأتراك من أهل الرّعاية
سلام عليكم شرف الله قدركم	وزادكم ملكاً على كل ملة <sup>(٥)</sup>

(١) في ط : « من الظالم » .

(٢) في ط : « غوثنا » .

(٣) الصفاح : جوانب السيوف ، الواحد : صفح .

(٤) هذه العبارة ، من قوله : « باذلة نفائس » إلى قوله : « للأجساد » : ساقطة في ت .

(٥) رواية هذا الشطر في ط : « وزادكم ملكاً في كل ملة » وهو محرف .

سلام على القاضى وَهَنْ كَانَ مِثْلَهُ  
سلام على أهل الدِّيَانَةِ وَالتَّقَى  
سلام عليكم من عَبِيد تَخَلَّفُوا  
أحاط بهم بحر من الرُّومِ زَاخِرُ  
سلام عليكم من عَبِيد أَصَابَهُم  
سلام عليكم من شُيُوخ تَمَزَقَتْ  
سلام عليكم من وجوه تَكشَّفَتْ  
سلام عليكم من بناتِ عَوَاتِقٍ  
سلام عليكم من عَجَائِزٍ أَكْرَهَتْ  
تقبل نحن الكلُّ أَرْضَ بَسَاطِكُمْ  
أدام الإلهُ<sup>(٣)</sup> ملككم وحياتكم  
وَأَيَّدَكُمْ بالنصر والظَّفَرُ بِالْعِدَا  
شكونا لكم مولاى مَا قَدْ أَصَابَنَا  
عُدْرَنَا وَنَصَّرْنَا وَبَدَّلَ دِينَنَا  
وَكُنَّا على دينِ النَبِيِّ مُحَمَّدٍ  
وَنَلَقَى أُمُوراً فى الجِهَادِ عَظِيمَةً  
فَجَاءَتْ عَلَيْنَا الرُّومُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

مِنْ الْعَدَاءِ الْأَكْرَبِينَ الْأَجِلَّةِ  
ومن كَانَ ذَارِئِي مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَةِ  
بِأَنْدَلُسِ بِالْغَرْبِ<sup>(١)</sup> فى أَرْضِ غَرْبَةِ  
وبحر عميقٌ ذُو ظِلَامٍ وَلُجَّةٍ  
مُصَابٍ عَظِيمٍ يَالهَا مِنْ مُصِيبَةٍ  
شُيُوبِهِم بِالنَّفَسِ مِنْ بَعْدِ عِزَّةٍ  
على جِلَّةِ الْأَعْلَاجِ مِنْ بَعْدِ سِتْرَةٍ  
يُسَوِّقُهُم اللَّيْطُ قَهْرًا لَخْلَوَةٍ<sup>(٢)</sup>  
على أكل خِنْزِيرٍ وَلَحْمٍ لِحِيْفَةٍ  
وَنَدْعُو لَكُمْ بِالْخَيْرِ فى كُلِّ سَاعَةٍ  
وَعَافَاكُمْ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَغِيْنَةٍ  
وَأَسْكَنْكُمْ دَارَ الرِّضَا وَالْكَرَامَةِ  
مِنْ الضَّرِّ وَالتَّبْلَوَى وَعَظَمَ الرِّزْيَةِ  
ظَلَمْنَا وَعُومَلْنَا بِكُلِّ قَبِيْحَةٍ  
نَقَاتِلُ عُمَّالٍ<sup>(٤)</sup> الصَّلِيبِ بَنِيَّةٍ  
بِقَتْلِ وَأَسْرِ ثُمَّ جُوعٍ وَقَلَّةٍ  
بَسِيلٍ عَظِيمٍ جِلَّةٍ بَعْدَ جِلَّةٍ

(١) فى ط : « فى الغرب » .

(٢) اللَّيْطُ : من رجال الدين بالكيفية ، كما فى معجم دوزى . يشير إلى ما فعله

نصارى الأسبان من إكراه المسلمين على ترك دينهم .

(٣) فى ط : « إلهى » .

(٤) كَذَا فى ت . وفى ط : « أعمال » . وفى رواية : « عباد » .



ومالوا علينا كالجراد بجمعهم  
فكنا بطول الدهر نلّقي جوعهم  
وفرسانهم تزداد في كل ساعة  
فلما ضعضنا خيّموا في بلادنا  
وجاءوا بأفراط<sup>(٢)</sup> عظام كثيرة  
وشدوا عليها في الحصار بقوة  
فلما تغانت خيلنا ورجالنا  
وقلّت لنا الأقوات واشتدّ حالنا  
وخوفاً على أبنائنا وبناتنا  
على أن نكون مثل من كان قبّلنا  
ونُبتقي على آذاننا وصلاتنا  
ومن شاء منا البحر جاز مؤمناً  
إلى غير ذاك من شروط كثيرة  
فقال لنا سُلطانهم وكبيرهم  
وأبدى لنا كُتّباً بهد وموثق  
فكونوا على أموالكم ودياركم  
فلما دخلنا تحت عقد ذمامهم  
وخان عهوداً كان قد غرّنا بها

بجد وعزم من خيول وعدّة  
فنقتلُ فيها فرقةً بعد فرقة  
وفرساننا في حال<sup>(١)</sup> نقص وقلة  
ومالوا علينا بلدةً بعد بلدة  
تهدم أسوار البلاد المنيعة  
شهوراً وأياماً بجد وعزيمة  
ولم نر من إخواننا من إغاثة  
أطعنّاهم بالكربة خوف الفضيحة  
من أن يؤسروا أو يقتلوا شرقتلّة  
من الدّجن من أهل البلاد القديمة  
ولا نتركن شيئاً من أمر الشريعة  
بما شاء من مال إلى أرض عدوة  
تزيد على المحسن شرطاً بخسة  
لكم ما شرطتم كاملاً بالزيادة  
وقال لنا هذا أماني وذمّي  
كما كنتم من قبل دون أذية  
بدا غدرهم فينا بنقض العزيمة  
ونصّرنا كرها<sup>(٣)</sup> بعنفٍ وسطوة

(١) في ط : « في كل » .

(٢) كذا في ط . ويريد بالأفراط : الآلات التي ترمى بها الحصون والأسوار كالدافع . وفي ت : « بأفاض » وهو تحريف . (انظر الحاشية رقم ٢ صفحة ١٠٥ من هذا الجزء) .

(٣) في ط : « قهراً » .

وأحرق ما كانت لناسن مصاحف  
وكل كتاب كان في أمر ديننا  
ولم يتركوا فيها كتاباً لمسلم  
ومن صام أو صلى ويعلم حاله  
ومن لم يحيي ميتاً لموضع كفرهم  
ويطلع خديبه ويأخذ ماله  
وفي رمضان يفسدون صيامنا  
وقد أمرونا أن نُسب نبينا  
وقد سمعوا قوماً يقتنون باسمه  
وعاقبتهم حكامهم وولايتهم  
ومن جاء الموت ولم يحضر الذي  
ويترك في زبل طريقاً مجذلاً  
إلى غير هذا من أمور كثيرة  
وقد بدلت أسماءنا وتحولت  
فأها على تبديل دين محمد  
وأها على أسمائنا حين بدلت  
وأها على أبنائنا وبناتنا  
يعلمهم كفراً وزوراً وفرية  
وأها على تلك المساجد سوررت  
وأها على تلك الصوامع علقت  
وأها على تلك البلاد وحسنا

وخلطها بالزبل أو بالنجاسة  
ففي النار ألقوه بهزء وحقرة  
ولا مضحكاً يخطى به للقراءة  
ففي النار يلقوه على كل حالة  
يعاقبه اللبائس شر العقوبة  
ويجعله في السجن في سوء حالة  
بأكل وشرب مرة بعد مرة  
ولا نذكرنه في رخاء وشدة  
فأدركهم منهم أليم المصرة  
بضرب وتعزيم وسجن وذلة  
يدكرهم لم يدفونوه بحيلة  
كمثل حارميت أو بهيمة  
قباح وأفعال غزار ردية  
بنغير رضا منا وغير إرادة  
بدين كلاب الروم شر البرية  
بأسماء أعلاج من أهل الغباوة  
يروحون للباط في كل غدوة  
ولا يقدروا أن يمنعوم بحيلة  
مزابل للكفار بعد الطهارة  
نواقيسهم فيها نظائر الشهادة  
لقد أظلمت بالكفر أعظم ظلمة

وصارت لُمُباد الصَّليب مَعاقِلًا  
 وصِرنا عبيدًا لا أَسارى فَنُفَتَدَى  
 فَلَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ ما صَارَ حَالُنَا  
 فَيَا وَيْلَنَا ، يَا بُؤْسَ ما قَدْ أَصَابَنَا  
 سَأَلْنَاكَ يَا مَوْلَايَ بِاللَّهِ رَبَّنَا  
 وَبِالسَّادَةِ الْأَخْيَارِ آلِ مُحَمَّدٍ  
 وَبِالسَّيِّدِ الْعَبَّاسِ عَمَّ نَبِينَا  
 وَبِالصَّالِحِينَ الْعَارِفِينَ رَبِّهِمْ  
 عسى تَنْظُرُوا فِينَا وَفِيَا أَصَابَنَا  
 قَقُولُكَ مَسْمُوعٌ وَأَمْرُكَ نَافِذٌ  
 وَدِينُ النَّصَارَى أَصْلُهُ تَحْتَ حَكْمِكُمْ  
 فَبِاللَّهِ يَا مَوْلَايَ مُتَوًّا بِفَضْلِكُمْ  
 فَاتَمُّ أُولُو الْإِفْضَالِ وَالْمَجْدِ وَالْعَلَا  
 فَسَلِّ بِأَبْنِهِمْ<sup>(١)</sup> أَعْنَى الْمُقِيمِ بَرُومَةَ  
 وَمَا لَهُمْ مَالُوا عَلَيْنَا بِفَدْرِهِمْ  
 وَجَنَسُهُمُ الْمَغْلُوبُ فِي حِفْظِ دِينِنَا  
 وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَدِيَارِهِمْ  
 وَمَنْ يُغْطِ عَهْدًا ثُمَّ يَغْدِرْ بِهِدِهِ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَا سِيَّامًا عِنْدَ الْمُلُوكِ فَإِنَّهُ

وقد أَمِنُوا فِيهَا وَقُوعَ الْإِغَارَةِ  
 وَلَا مُسْلِمِينَ نَطَقُهُمْ بِالشَّهَادَةِ  
 إِلَيْهِ لَجَدَتْ بِاللُّهُمُوعِ الْغَزِيرَةِ  
 مِنَ الضَّرِّ وَالْبَلَوَى وَثُوبٍ لِلذَّلَّةِ  
 وَبِالْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ  
 وَأَصْحَابِهِ أَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ صَحَابَةِ  
 وَشَيْئَتِهِ الْبَيْضَاءُ أَفْضَلُ شَيْئَةٍ  
 وَكُلِّ وَلِيٍّ فَاضِلٍ ذِي كَرَامَةٍ  
 لَعَلَّ إِلَهَ الْعَرْشِ يَأْتِي بِرَحْمَةٍ  
 وَمَا قَلْتُ مِنْ شَيْءٍ يَكُونُ بِسُرْعَةٍ  
 وَمَنْ تَمَّ يَأْتِيهِمْ إِلَى كُلِّ كُوْرَةٍ  
 عَلَيْنَا بِرَأْيٍ أَوْ كَلَامٍ بِحُجَّةٍ  
 وَغُوثُ عِبَادِ اللَّهِ فِي كُلِّ آفَةٍ  
 بِمَاذَا أَجَازُوا الْقَدْرَ بَعْدَ الْأَمَانَةِ ؟  
 بِنِيرِ أَدَى مَنْ وَغِيرِ جَرِيْمَةٍ  
 وَأَمِنْ مُلُوكٍ ذِي وِفَاءٍ أَجَلَةٍ  
 وَلَا نَالِهِمْ غَدْرٌ وَلَا هَتَكَ حُرْمَةٍ  
 فَذَاكَ حَرَامُ الْفِعْلِ فِي كُلِّ مَلَّةٍ  
 قَبِيحٍ شَنِيعٍ لَا يَجُوزُ بِوَجْهِةٍ

(١) يريد البابا رئيس الدين المسيحي .

(٢) في ط : « ثم يفتد بهده » .

وقد بلغَ المكتوب منكم إليهم  
وما زادهم إلا اعتداءً وجُرأةً  
وقَدْ بَلَغَتْ أَرْسَالُ<sup>(١)</sup> مِصْرَ إِلَيْهِمْ  
وقالوا لتلك الرُّسُلِ عِنا بَأَنَّا  
وساقوا عقود الزور من أطاعهم  
لقد كَذَّبُوا في قَوْلِهِمْ وَكَلَامِهِمْ  
ولكنْ خَوْفُ الْقَتْلِ وَالْحَرْقِ رَدَّنَا  
وَدِينُ رَسُولِ اللَّهِ مَا زَالَ عِنْدَنَا  
ووالله ما نَرْضَى بِتَبْدِيلِ دِينِنَا  
وإن زَعَمُوا أَنَا رَضِينَا بِدِينِهِمْ  
فَسَلِّ وَحَرِّا عَنِ أَهْلِهَا كَيْفَ أَصْبَحُوا  
وَسَلِّ بَلْقِيَا عَنِ قَضِيَةِ أَسْرَهَا  
وَمَنِيَاةً<sup>(٢)</sup> بِالسَّيْفِ مَرَقَ أَهْلِهَا  
وَأَنْدَرَشَ<sup>(٣)</sup> بِالنَّارِ أَحْرَقَ أَهْلِهَا  
فَهَا نَحْنُ يَا مَوْلَايَ نَشْكُو إِلَيْكُمْ  
عَسَى دِينُنَا يَبْقَى لَنَا وَصَلَاتُنَا  
وَإِلَّا فَيُجْلَوْنَا جَمِيعًا مِنْ أَرْضِهِمْ  
فَيُجْلَاؤُنَا خَيْرَ لَنَا مِنْ مَقَامِنَا  
فَهَذَا الَّذِي نَرْجُوهُ مِنْ عِزِّ جَاهِكُمْ

فَلَمْ يَعْمَلُوا مِنْهُ جَمِيعًا بِكَلِمَةٍ  
عَلَيْنَا وَإِقْدَامًا بِكُلِّ مَسَاءَةٍ  
وَمَا نَأْلَمُ غَدْرَ وَلَا هَتَكَ حُرْمَةٍ  
رَضِينَا بِدِينِ الْكُفْرِ مِنْ غَيْرِ قَهْرَةٍ  
وَوَاللَّهِ مَا تَرْضَى بِتِلْكَ الشَّهَادَةِ  
عَلَيْنَا بِهَذَا الْقَوْلِ أَكْبَرَ فِرْيَةٍ  
تَقُولُ كَمَا قَالُوهُ مِنْ غَيْرِ نِيَّةٍ  
وَتُوحِيْدُنَا لِلَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ  
وَلَا بِالَّذِي قَالُوا مِنْ أَمْرِ الثَّلَاثَةِ  
بَغَيْرِ أَذَى مِنْهُمْ لَنَا وَمَسَاءَةٍ  
أَسَارَى وَقَتْلَى تَحْتَ ذُلٍّ وَمَهْنَةٍ  
لَقَدْ مَرَّقُوا بِالسَّيْفِ مِنْ بَعْدِ حَسْرَةٍ  
كَذَا فَعَلُوا أَيْضًا بِأَهْلِ الْبُشَيْرَةِ<sup>(٤)</sup>  
بِمَجَامِعِهِمْ صَارُوا جَمِيعًا كَفْحَمَةٍ  
فَهَذَا الَّذِي نَلْتَمِسُ مِنْ شَرِّ فِرْقَةٍ  
كَمَا عَاهَدُونَا قَبْلَ نَقْضِ الْعِزْمَةِ  
بَأَمْوَالِنَا لِلْغَرْبِ دَارَ الْأَحْبَةِ  
عَلَى الْكُفْرِ فِي عِزٍّ عَلَى غَيْرِ مِلَّةٍ  
وَمِنْ عِنْدِكُمْ تُقْضَى لَنَا كُلُّ حَاجَةٍ

[٦٢]

(١) يريد بالأرسال (هنا) : جمع الرسول .

(٢) وحرا ، ومنيافة : اسماء بلدين ، ولم نعتز عليهما في المعاجم .

(٣) البصرة : جهة تنتظم قرى كثيرة تزدها قرب غمرناطة .

(٤) أندرش (أندراش) : بلدة بالأندلس من كورة ألبيرة .

وَمِنْ عِنْدِكُمْ نَرْجُو زَوَالَ كُرُوبِنَا      وَمَا نَالْنَا مِنْ سُوءِ حَالٍ وَذِلَّةٍ  
 فَأَتَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ خَيْرَ مُلُوكِنَا      وَعِزَّتُكُمْ تَعْلُو عَلَى كُلِّ عِزَّةٍ  
 فَتَسْأَلُ مَوْلَانَا دَوَامَ حَيَاتِكُمْ      بِمُلْكٍ وَعِزٍّ فِي سُرُورٍ وَنَعْمَةٍ  
 وَتَهْدِينَ<sup>(١)</sup> أَوْطَانٍ وَنَصْرَ عَلَى الْعِدَا      وَكَثْرَةَ أَجْنَادٍ وَمَالَ وَثَرَةٍ  
 وَتُمْ سَلَامَ اللَّهِ تَعْلُوهُ رَحْمَةً      عَلَيْكُمْ مَدَى الْأَيَّامِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ  
 انتهت الرسالة بحمد الله ، وكتبتها وإن كانت ألفاظها غير بليغة ، تكميلاً  
 للفائدة ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

بلاغة  
 أهل الأندلس

وكان أهل الأندلس في عَفْوَانِ أَمْرِهِمْ فِي غَايَةِ الْبَلَاغَةِ ، حَتَّى قَالَ الرَّيْسُ  
 ابْنُ الْجِيَّابِ يَفْتَخِرُ<sup>(٢)</sup> بِذَلِكَ :

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْيَدُ الْعُلْيَا      لِأَنْدَلُسٍ مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَلَا نُنْيَا<sup>(٣)</sup>  
 وَإِنْ هِيَ عَظَمَتْهَا نِيَابُ نَوَائِبِ      فَصَيَّرَتِ الشَّهْدَ الْمَسُورَ بِهَا شَرِيَا<sup>(٤)</sup>  
 فَمَا عَدِمَتْ أَهْلَ الْبَلَاغَةِ وَالْحِجَا      يَقِيمُونَ فِيهَا الرِّسْمَ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا  
 إِذَا حَظَبُوا قَامُوا بِكُلِّ بَلِيغَةٍ      تُجَلِّي<sup>(٥)</sup> الْقُلُوبَ الْغُلْفَ وَالْأَعْيْنَ الْعُمْيَا  
 وَإِنْ شَعَرُوا جَاءُوا بِكُلِّ غَرِيبَةٍ      تَخَالُ النَّجُومَ النَّيِّرَاتِ لَهَا حَلْيَا  
 فَسَأَلُ فِي الدُّنْيَا مِنْ اللَّهِ سِتْرَةً      عَلَيْنَا ، وَفِي الْآخِرَى إِذَا حَانَتِ اللَّقْيَا

[ ٦٣ ]

ولعمري ، لقد صدق قائل هذه الأبيات ، فَإِنَّ الْبَلَاغَةَ لَمْ تَزَلْ شَمْسُهَا  
 بِالْأَنْدَلُسِ بَاهِرَةً الْإِيَاءَ<sup>(٦)</sup> ، ظَاهِرَةً الْآيَاتِ ، إِلَى أَنْ اسْتَوَلَى عَلَيْهَا الْمَدُو ، وَعَطَّلَ

(١) كَذَا فِي ت . وَالتَّهْدِينَ : التَّسْكِينُ وَفِي ط : « وَتَهْدِيب » .

(٢) فِي ط : « مَفْتَخِرًا » .

(٣) وَلَا نُنْيَا : وَلَا اسْتِثْنَاءَ .

(٤) الْعُرَى : الْحُنْظَلُ .

(٥) فِي ت : « تَجَلَّى قُلُوبَ الْقُلُوبِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) إِيَاءَةُ الشَّيْءِ : ضَوْؤُهَا .

من أهل الإسلام الروح إليها والقُدْوُ ، وفي أهلها بقية لسان وبراعة<sup>(١)</sup> ،  
وتصرف في فنون الإجابة وبراعة ، وقد قصصنا عليك آفاق الرسالة التي كتبها  
الملك<sup>(٢)</sup> المخلوع لصاحب المغرب فيما سردناه ، واطلعت منها على ما يؤيد  
ما [قلناه<sup>(٣)</sup>] ، من الغرض الذي انتحينا وأوردناه : وقد كان ذلك الكاتب  
وطبقته تلقفوا كُرَّة البلاغة من يد طبقة أخرى حازت<sup>(٤)</sup> مُعَلَّى القِداح ، وتبرجت  
لها من الفصاحة كل خَوْدَر داح<sup>(٥)</sup> ، كالفقيه الكاتب أبي عبد الله الشَّران ، المبرز  
في أدواته على الأنداد والأقران ، وكالأديب الشهير [الفقيه عمر ، الذي لم تزل  
أخباره إلى الآن سَمَر ، وكفارِس تلك الحلبة ، الكاتب القاضي الرئيس ،  
الوزير<sup>(٦)</sup>] [الفقيه ، أبي يحيى بن عاصم ، الذي حَلَّيْتُ بعلومه اللَّبَّات والمعاصم ،  
وغيرهم من الجهابذة الثَّقاد ، والأعلام الذين تخضع لهم المحاسن وتنفاد ، إن جَدُّوا  
وصلوا مقطوع الأسباب ، وإن هَزَلُوا ، على عادة الأفاضل في مثل هذا الباب ،  
ملكوا النفوس ، وسحروا الألباب ؛ وقد سبق من كلام ابن عاصم ما يصحح  
ما ادعيناه ، ولنورد زيادة إذا أبصرها للنصف المستفيد تَقَرَّ عيناه ، فنقول :

أما الفقيه عمر فهو أشهر من نار على عَلم ، وأزجاله ومنظوماته ومقاماته عند  
العامة محفوفة ، وعند الخاصة مرفوضة ، إلا القليل الذي يُسمح في مثله لصاحب  
القلم ، كقامته<sup>(٧)</sup> التي سماها بتسريح النَّصال ، إلى مقاتل الفَصَّال ، ونصها :

مقامة الفقيه  
عمر : تسريح  
النصال إلى مقاتل  
الفصائل

(١) البراعة : قصة القلم . والمراد أنهم أهل فصاحة إذا تكلموا أو كتبوا .

(٢) في ط : « كتب ملكها » .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) في ط : « جازت » .

(٥) الخود : الحسة الخلق الثابتة أو الناعمة ؛ والرداح : التغطية الأوراك والمآكم .

(٦) زيادة عن ت .

(٨) في ط : « مقاماته » .

يا عباد السالكين ، ومحط رجال<sup>(١)</sup> المستفيدين والمتبركين ، وثمان الضعفاء  
والمساكين والمترولين ، في طريقك يتنافس المتنافس ، وعلى أعطافك تزهى  
العباءات وتروق الدلافس<sup>(٢)</sup> ؛ وبكتابتك تحيا جوامد الأفهام ، وبمذبتك تُشرد  
دُباب الأوهام ؛ وفي زنبيلك<sup>(٣)</sup> يذمّ التالذ والطارف ، وبصاك يهش على  
بدائع المعارف ، الله الله في سالك ، ضاقت عليه المسالك ؛ وشاد ، رُمي بالبعاد<sup>(٤)</sup> ،  
أدركته متاعب الحرقة<sup>(٥)</sup> ، وأقيم من صفّ أهل الضقة<sup>(٦)</sup> ؛ فلا يجد نشاطاً  
على ما يتعاطى ، ولا يلقى اغتباطاً ، وإن حل زاوية أو نزل رباطاً ؛ أقصى  
عن أهل القرب والتخصيص ، وابتلى بمثل حالة برصيص<sup>(٧)</sup> ؛ فأحيل عليك ،  
وتوقفت إقالتة على توبة بين يديك ؛ فكاتبك استدعاء ، واستوهب منك  
هداية ودعاء ؛ ليسير على ما سويت ، ويتحمل عنك أشات مارويت ؛ فيلقى  
الأكفاء الظرفاء عزيزاً ، ويباهى بك كل من خاطبك مستجيزاً ، فاصرف إلى  
مُحمّا الرضا ، وأعد من إيناسك العهد الذى مضى ، ولا تلقى مُعْرِضاً ولا مُعْرِضاً ،  
وأصغ إلى سمعك كما قدر الله وقضى :

تعال نجدّها طريقة ساسان<sup>(٨)</sup> وعَضَّ عليها ما توالى الجديدان

(١) هذه الكلمة « رجال » : ساقطة في ت .

(٢) الدلافس : جمع دلفاس ( ويقال فيه دلفاس أيضاً ) : نوع من اللباس خشن كالعباءة  
إلا أنه قصير ، يلبسه الصوفية والفقراء ( انظر تكملة المعجم العربية لدوزى ) .

(٣) في ط : « زيبيل » وهى لفة في الزنبيل .

(٤) في ت : « بإبعاد » .

(٥) الحرقة ( بالضم والكسر ) : الحرمان .

(٦) أهل الضقة : فقراء صحابة رسول الله كانوا يبيتون في صفة مسجده صلى الله عليه  
وسلم ، وهى موضع مظلل منه .

(٧) برصيص ، ويقال فيه برصيصا : كان من عاد بنى إسرائيل ، ثم فتنه الشيطان ، وقصته  
مشهورة تذكر عند تفسير قوله تعالى : ( كثر الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ) .

(٨) يريد بطريقة ساسان علم الحيل الساسانية . قال حاشي خليفة في كشف الظنون : =

ونصرف إليها من مُثَارِ عَزَائِمِ  
ونعقدُ على حكم الوفاء هواءنا  
ونقسمُ على ألا نصدقَ وأشيأ  
يطوف حوالينا ليفسد بيننا  
على أننا من عالم كَلَمَا بدا  
وحاشاك أن تُلقَى عن الصلح مُعْرِضاً<sup>(١)</sup>  
وإني أَهْمَتْنِي شُئُونُ كَثِيرَةٌ  
فأنتَ إمامي إن كَلِفْتُ بِبَذْهَبِ  
سأرعاك في أهل العباءات كُلِّهَا<sup>(٢)</sup>  
ويا لابسى تلك العباءات إنها  
تفرقتِ الألوانُ منها إشارة  
ويا بأبى الفَصَالُ شيخَ طريقة  
إذا جاء في الثوبِ الحَبْرَ خِلَتَهُ  
فا تأمنُ الأبدانُ آفَةً لَسِيهَا  
ونحلف عليها من مُؤَكِّدِ أَيْمَانِ  
لنأمنَ مِن أَقْوَالِ زُورٍ وبُهْتَانِ  
يروح ويغدو بين إثمٍ وُذْوَانِ  
عنطق إنسان وخُدعة شيطان  
تعوذ منه عالمُ الإنس والجان  
إلى الصلح آلتِ حرب عيس وذبيان  
وَصُلْحُكَ أَوَّلَى مَا أَقْدَمَ مِن شَانِي  
وأنتَ دليلي إن صَدَعْتُ بِبُرْهَانِ  
رأيتك في أهل الطيَّالِسِ ترعاني  
لباس إمام في الطريقة دِهْقَانِ  
بأنك<sup>(٣)</sup> تأتي من حِلَاكٍ بألوانِ  
خَلُوبٍ لِأَلْبَابِ لَعُوبٍ بأذهانِ  
زُنْبِيرَةٍ<sup>(٤)</sup> قد مُدَّ منها جَنَاحَانِ  
وإن أَقْبَلْتُ في سَابِقَاتِ وَأَبْدَانِ<sup>(٥)</sup>

[٦٥]

== « ذكره أبوالمجد من فروع علم السحر وقال : علم يعرف به طريق الاحتيال في جلب المنافع وتحصيل الأموال ، والذي يشرها ينزى في كل بلدة يرى يناسب تلك البلدة ، بأن يحتقد أهلها في أصحاب ذلك الزى ، فتارة يختارون زى الفقهاء ، وتارة يختارون زى الوعاظ ، وتارة يختارون زى الأشراف ، إلى غير ذلك . ثم إنهم يحتالون في خداع الموام بأموار تعجز العقول عن ضبطها . »

(١) كذا في ط . وفي ت : « على التصح » .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « كلها » .

(٣) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « فانك » .

(٤) زنبيرة : تصغير زنبورة ، وأصله زنبيرة ، وهي من الذباب اللسع .

(٥) السابقات والأبدان : الدروع .



سأدعوك في حالات كَيْدِي وَكَيْدِي (١)  
 وإن كان في الأنساب منا تباينٌ  
 ألا فادع لي في جنح ليك دعوة  
 لك الطائر الليمون في كل وجهة  
 فكَمْ من فقير بأئس قد (٢) عرفته  
 وكَمْ من رفيع الجاه واليت أنسه  
 فلو كنت للفتح بن خاقان صاحباً  
 ولو كنت للصابي صديقاً ملاطفاً  
 ولو كنت من عبد الحميد مُقرَّباً  
 ولو كنت قد أرسلتها دعوة على  
 ولو كنت في يوم الفيض مراسلاً  
 بشيخي ساسانٍ وعمي هامان  
 فما تنكر الآداب أنا نسيان  
 لتنجح آمالي ويرجح ميزاني  
 سريت إليها غير نكسٍ ولا واني (٣)  
 فرقت عليه نعمة ذات أفنان  
 فماش قرير العين مرتقع الشان  
 لما خانه القدار في ليلة الخان (٤)  
 لما قبُلت فيه مقالة بُهتان (٥)  
 لما هَزَمَ السفاحُ أشياعَ مروان (٦)  
 أبي مسلم ما حاز أرض خراسان  
 لبسطام لم تهزم به آل شيبان (٧)

(١) كذا في فتح الطيب . والكدية : شدة الدهر . وفي ت : « كيد وكيدة » .  
 وفي ط : « كيدى وكيدى » .

(٢) التكرس : الضعيف الجبان . والواني : المقصر .

(٣) في ت : « مذ » .

(٤) يشير إلى مقتل الفتح بن خاقان القيسي الأندلسي صاحب بلاد القيان ومطمع الأئس في الفندق الذي نزل به بمدينة مراکش سنة تسع وثلاثين وخمس مئة (انظر وفيات الأعيان) .

(٥) الصابي : هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال كاتب ديوان الإنشاء في دولة بني بويه . ويشير الشاعر إلى ما نال الصابي من اضطهاد وإبعاد من عضد الدولة بن بويه ، لمقالة نقلت إليه عنه فأغضبه . (انظر وفيات الأعيان) .

(٦) يشير إلى ما نال مروان بن محمد وعبد الحميد بن يحيى كاتبه من الهزيمة على يد السفاح

(٧) الفيض : مكان بين الكوفة وفيد ، وبه كان يوم بني تميم وشيخان ، غلبت فيه تميم شيخان ، وفيه أسر عتيبة بن الحارث بن شهاب بسطام بن قيس ، ففدى نفسه بأربع مئة ناقة . (انظر المقد الفريد وشرح القاموس) . ومراسلاً (هنا) : مساوياً ، من المراسلة بمعنى المتابعة .

- ولو كنت في حرب الأمين لطاهر  
ولو كنت في مغزى أبي يوسف لما  
ولو أن كسرى يزدرجده عرفته  
ولو أن لذريقاً وطئت بساطه  
وفيما مضى في فارس أوضح شاهد  
ولما اغتنى منك السعيد بكاتب  
فلا تنسى من أهل ودك إني  
ولا خير أن تجمل كفاء قصيدتي  
فجد بدنانير ولا تكن التي
- لما هان في يوم اللقاء ابن ماهان<sup>(١)</sup>  
رماه بغدر عبده في تلسان<sup>(٢)</sup>  
لما طاح مقتولا على يد طحان<sup>(٣)</sup>  
لما أثرت فيه مكيدة أليان<sup>(٤)</sup>  
غنى لدينا عن بیکان ویتیان  
رأى ما ابتغى من عز ملك وسطان  
أخاف اللبالي أن تطول فتنساني  
كفاء ابن دراج على مدح خيران<sup>(٥)</sup>  
ألم بها الكندي في شعب بوان<sup>(٦)</sup>

- (١) يشير إلى الوقعة التي كانت بين طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون ، وعلى بن عيسى ابن ماهان قائد جيش الأمين ، وقد انتهت بانتصار طاهر وقتل ابن ماهان .  
(٢) لعله يريد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المربى في غزوه تلسان ، وإفاته على حصارها مئة شهر . وقد قتله عبده « سمادة » في أثناء ذلك الحصار المشهور ، في حديث فصله السلاوي في كتاب « الاستقصا ج ٢ ص ٤١ » .  
(٣) يشير إلى هرب يزدجرد آخر ملوك الفرس من أعدائه ، والتجائه إلى طاحونة لم يحسن الطحان ستره فيها ، حتى أدركه طالبوه وقتلوه ( انظر فرار أخبار ملوك الفرس للشمالي صفحتي ٧٤٦ — ٧٤٧ ) .  
(٤) يشير إلى تمكين أليان : ( بليان ، جليان ، أمير المغرب من قبل لذريق ملك القوط بالأندلس ) العرب من دخول الأندلس انتقاما لفرقه من لذريق ، في حديث مفصل في كتب التاريخ ( انظر نفع الطيب وغيره ) .  
(٥) هو خيران الصقلي أمير المرية ، وهو من موالى المنصور بن أبي عامر ، وقد مدحه ابن دراج القسطلي بقصيدة نونية مطلعها :  
« لك الخير قد أوفى بهدك خيران » ولعل خيران لم يحسن جائزة الشاعر كما يفهم من السياق هنا .  
(٦) الكندي : هو أحمد بن الحسين اللثمي الشاعر المعروف ، ونسب إلى محلة كندة بالكوفة . وشعب بوان : متزعه بفارس . يشير الشاعر إلى قول اللثمي في القصيدة التي مدح فيها عضد الدولة ووصف شعب بوان :  
وألقي المرق منها في ثيابي دنانيرا تفر من البنان =

- [ ٦٦ ]
- فجودك فينا الغيث في رَمَلٍ عاجٍ      وفضلك فينا الخبزُ في دار عُثان<sup>(١)</sup>  
وما زلتَ من قبل السؤال مقابلاً      مُرادى بإحساب وقصدى بإحسان<sup>(٢)</sup>  
ولا تنس أياماً تقضتَ كريمة      بزواية المحروق أو دار همدان<sup>(٣)</sup>  
وتألفنا فيها لقبض إناوة      وإغرام مسنون وقِسمه حُلوان  
وقد جلس الطَّرْقون بالبعد مُطَرِّفاً      يقول نصيبى أو أبوح بكيمان<sup>(٤)</sup>  
عَرِيفٌ يَلْحَاقنى إذا ما أتيتُهُ      ولم أنصرف عنكم بواجب الحنان  
وقد جمعت تلك الطريقة عندنا      أئمةً حُساب<sup>(٥)</sup> وأعلام كُهان  
إذا استنزَلوا الأرواح باسم تبادرت      طوائف ميمون وأشياع برقان<sup>(٦)</sup>  
وإن بَجَرُوا عند الحُلُول تأرجت      مجامرهم عن زعفران ولُوبان<sup>(٧)</sup>  
وإن فتحو الدارات في رد آبق      ثنت عزمه أو هام خوف وخِذلان<sup>(٨)</sup>

== يصف ضوء الشمس النافذ إليه من بين أوراق الأشجار ، فيرم على ثيابه أشباه الدنانير صفرة واستدارة ، إلا أن اليد لا تقدر عليها .

(١) عاج : موضع بالبادية يصل إلى الدهناء ، والدهناء فيما بين اليمامة والبصرة . يقول : نحن منعطشون إلى جودك كمنعش رمال عاج إلى الغيث ، محتاجون إلى فضلك احتياج المحصورين في دار عُثان بن عفان إلى الطعام والشراب وقد حرموا .

(٢) بإحساب : أى بما يكفينى ويرضىنى .

(٣) زاوية المحروق : متعب بفاس . ودار همدان بفاس أيضاً .

(٤) الطَّرْقون (كلمة مغربية مولدة) : من يسده قبالة اللهو وقبض ضرائب الأعراس ونحوها ، مما تستعمل فيه الدفوف وآلات الملاهى (انظر تكملة المعجمات لدوزى) .

(٥) كذا في ت وفتح الطيب . ويريد بالحساب : المشتغلين بحساب الطوالع للناس . وفي ط : « أحساب » .

(٦) ميمون وبرانق : من أسماء ملوك الجن التي تدور على ألسنة المشعذين . (انظر كتاب الجواهر الماعة ، في استحضار ملوك الجن في الوقت والساعة) .

(٧) لوبان : لفظة مغربية محرفة عن « اللبان » وهو السكندر المروف . (عن دوزى)

(٨) الدارات : حلقات يعقدها شيوخ المشعذين ومريدوهم عند استطلاع أمر خفي كما يظهر مسروق ، ولإرجاع آبق ، ونحو ذلك ، يقولون إذا سرق شيء : هلم ففتح الدارة .

فيحسب أن الأرض حيث ارتقت به ركائبه سرعان رجل وركبان  
وقد عاشرتنا أسرة كيموية<sup>(١)</sup> أقامت لدينا في مكان وإمكان  
فله من أعيان قوم تألقوا على عقد سحر أو على قلب أعيان  
ونحن على ما يغفر الله إنما نروح ونغدو من رباط إلى حان<sup>(٢)</sup>  
مع الصبح نضفيها عبادة صفة وبالليل نذليها زنا نير رهبان<sup>(٣)</sup>  
أذكرك في سفح العقاب مبيتكم ثمانين شخصاً من إناث وذكراً<sup>(٤)</sup>  
لديكم من الألوان ما لم يمجى به طهور ابن ذنون ولا عرس بوران<sup>(٥)</sup>  
ثم ذكر خمسة أبيات أقذع فيها ، فلذا تركتها<sup>(٦)</sup> ، ثم قال :

فأقسم بالإيمان لولا تعفني عن سوء لانتحت عقيدة إيماني  
فعد للذي كنا عليه فإن لي على الغير إن صاحبته حقد غيران  
فمن يوم إذ صيرت ودي جانباً وأعرضت عني ما تناطح عزان  
ولا روت الكتاب بعد نفارنا محاورة من ثلبان ليرحان

(١) كذا في نفع الطيب : وفي ط : « كوية » وكلاهما يراد به النسب إلى الكيياء ،

وفي ت : « كهوية » ، وهو تحريف .

(٢) كذا في ت . وفي ط ونفع الطيب : « خان » .

(٣) كذا في ت عبادة صفة : يريد بها زى الفقراء النساك . انظر الحاشية رقم ٦ صفحة

١١٧ من هذا الجزء . والزنا نير جمع زنار ، وهو ما يشد به الراحب وسطه ؛ يريد

أنه يعمل في الليل ما لا يعمل في النهار . وفي ط : « نوليها زنا نير ... الخ »

(٤) العقاب : موضع بالأندلس ، كانت به وقعة مشهورة محس الله فيها المسلمين .

(٥) ابن ذنون (ابن ذنون) : هو المأمون أحد ملوك الطوائف في طليطلة ، من بني

ذى النون ، وقد بلغوا في البذخ والترف إلى الغاية ، ولهم الإعذار المشهور الذي

يقال له : « الإعذار الذنوني » ، وبه يضرب المثل عند أهل المغرب ، وهو عندهم

بمتابة عرس بوران عند أهل المشرق ، والمأمون هو صاحب ذلك . وبوران هي

بنت الحسن بن سهل ، وقد ذفت إلى الخليفة المأمون بن هارون الرشيد في إعراس

مقصود في كتب التاريخ .

(٦) ذكر المؤلف القصيدة كاملة من غير حذف في نفع الطيب (ج ٣ ص ٢٣ طبعة

الأزهرية بمصر) .

وما هو قصدي منك إلا إجازة  
وإنك إن سخرت لي وأجزتني  
ولم لا ترويني وأنت أجل من  
ألا فأجزني يا إمامي بكل ما  
ولا تنس للديباج نظما عرفته  
ومزدوجات ينسبون نظامها  
والم بشيء من خرافات عنتر  
وإن كنت طالعت اليتيمة واسني  
أجزني بكشف ذلك<sup>(١)</sup> أرضي وسيلة  
وناولني المصباح<sup>(٢)</sup> فهو لمرقبتي  
والحق به شمس المعارف<sup>(٣)</sup> إنني  
وقد كنت قبل اليوم عرفتني به

[٦٧]

(١) أبو بكر بن قزمان ومدغليس من أوائل الزجالين بالأندلس .

(٢) هو أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسان بن محمد المعروف بالواساني . ويشير الشاعر إلى قصيدته اللامية التي هجا بها أبا الفضل يوسف بن علي ، وعرض فيه بابن القراز ، ومطلعها :

يا هل جيرون هل لاسركم إذا استقلت كواكب الحمل  
(انظر بتيمة الدهر ج ١ ص ٢٦١ — ٢٧٤ طبعة دمشق) .

(٣) كذا في نفع الطيب . يريد كتاب : « كشف الدك » ، وإيضاح الشك « لأبي عامر أحمد بن عبد الملك الأندلسي ، وهو كتاب مشهور في الحيل والشعبة . وفي الأصلين : « بكشف الديك » وهو تحريف .

(٤) في الفهارس كتب كثيرة في علوم مختلفة كل منها اسمه « المصباح » ، ولا ندرى أيها يريد . ولعله في الروايات ، كما يفهم من السياق .

(٥) يريد كتاب : « شمس المعارف » ، ولطائف المعارف « للشيخ أحمد بن علي البوني ، المتوفى سنة ٦٢٢ ، وهو كتاب مشهور في التاويذ ونحوها من الروايات .

ولابدَّ يا أستاذُ من أن تُجيزَني  
وكُتِبَ ابنُ أخى كيف كانت فإنها  
ولا تنسَ ديوان الصَّباة<sup>(٢)</sup> والصفاء  
وزهرَ رياض<sup>(٣)</sup> في صنوف أضاحك  
كذلك فناولني كتاب حُبَّاب  
ولى أمل فى أن أروى رسالة  
وحبَّس على الكاس والكوز والعصا  
وصير لى الدُّفاس<sup>(٤)</sup> أرفع لبسة  
وقد رقَّ طبعى واعتزنى خشية  
وخلَّ مفاتيح الطريقة فى يدى  
فانى لم أخدمك إلا بنية  
فكن لى بالأمرار أفصح مُعلن  
اتمت المقامة . وأنبئها لأنها أخف ما رأيت من هزليات الفقيه عمر المالقي ،  
رحمه الله وسامحه ، ومثل هذا الهزل قد وقع لكثير من الأئمة على سبيل

(١) يريد بيده ابن سبعين كتاب « بدء العارف » لأبي محمد عبد الحق بن إبراهيم الصغير  
بإذن سبعين المرسى الأندلسي . وابن رضوان : هو عبد الله بن يوسف بن رضوان  
التجارى من أهل مائة .

(٢) كذا فى نفع الطيب . وفى الأصلين : « دقيق القوم » .

(٣) يريد ديوان الصباة لابن أبي حجلة أحمد بن يحيى التلمساني الحنفي التوفي  
سنة ٧٧٦ هـ .

(٤) فى الفهارس كتب كثيرة بهذا الاسم .

(٥) يريد كتاب : « أسرار الحكمة الشرقية » لأبي بكر محمد بن عبد الملك بن الطفيل ،  
وهو قصة خيالية فلسفية ، جمع فيها بين الفلسفة والشريعة .

(٦) الدفاس ( انظر الحاشية رقم ٢ ص ١١٧ من هذا الجزء ) .

(٧) فى نفع الطيب : « حكى » .

الإحاض<sup>(١)</sup> ، ولم يَعْنُوا بها غالباً إلا إظهارَ البلاغة والافتقار ، كما فعل الحريري وغير واحد ، والأعمال بالنيات .

شيء من نظمه

ومن نظم الفقيه عمرَ المذكور قوله عفا الله عنه :

إلى الله ربي أشتكى سوء حالتي عسى فرجٌ يأتي بأفضل حالِي  
وما أسنى إلا لمالي أبيعهُ وخائنٌ مالي يشتره بمالي

مقامة  
في أمر الوباء

ومن أبدع ما صدر عنه رحمه الله مقامة في أمر الوباء ، رأيت أن أنبئها  
لغاية مَنزِعها ، وإن كان بعض فصولها لا يجري على المشهور من مذاهب  
العلماء ، ونصها :

[ ٦٨ ]

إلى حمراء الملك وقلعته ، ومَقَرِّ العز ومنعته ، ومطلَع كل قر نصرِي يُنجِل  
الأقمار بطلعته ، أبقاها الله على تعاقب الزمان ، منزل أمان ودار إيمان ، وأمتعها  
بحياة المَلِكِ الخَزْرَجِي اليمان ، من مُوجبة إجلالها كما يجب ، العترفة بفضلها  
وشرفها وأنوار الشمس لا تحتجب ، والواقفة عند إشارتها وطاعتها ، فإن تأمُرُ  
أُمْتِثِلْ وإن تدْعُ أُسْتَجِبْ ، مألقة ، المستمسكة بذمتها الوثيقة ، المتشوّفة إلى  
أخبارها تشوف المُحِبَّة الشفيقة ، إلى رَبحانة قلبها في الحقيقة ، وإلى هذا ياسيدي  
ويا عُدَّتِي ، ويا ذخيري ويا عُمدتي ، أمتعنا الله وإياك بحياة مَن استنقذنا من  
الوَرَطَات ، وردّنا إلى الصواب مما كان منا من الغَلَطَات ، مولانا الغالب  
بالله<sup>(٢)</sup> وحده ، للموعد بعزيز النصر وقريب الفتح والله ميسّر وعده .

سلام عليك يتعطر بذكر مولانا أمير المسلمين قُوَّحُهُ<sup>(٣)</sup> ، وينشق

(١) الإحاض : الانتقال من حال إلى حال ؛ مأخوذ من إحاض الإبل ، وهو قتلها  
من رمي الحلة إذا ستمتها إلى رمي الحنص والحنص : ما ملع وأمر من النبات ، وهي  
كفهاكة الإبل ، والحلة : ما حلا ، وهي تكبرها . (عن القاموس) .

(٢) في ت : « الغالب بأمر الله » .

(٣) في ط : « بوجه » .

كالمسك<sup>(١)</sup> الفتيت روحه ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد ، فإنى أحمد إليك الله الذى إذا استُكِنِي بِعِزَّتِهِ كُنِي ، وإذا استُشِفِي بِكَلِمَتِهِ شَفِي ، وإذا سئل بوسع رحمته عفا ؛ وأُصَلِّيَ على رسوله محمد الكريم المصطفى ، وعلى آله وأصحابه ، أكرم من نصح له وأخلص ووفى .

كتبته إليك يا سيدتى عن نفس قلقه ، ساهرة أرقه ، حاذرة مشفقه ، مُلهَّبة بل محترقة ؛ وإني أقسم عليك بالرب الذى كرمك بالعز وشرفك ، وعرفك من لطائف الفرج بعد الشدة ما عرفك ، أن أتعدينى على تسكين لوعتى ، وتأمين روعتى ، وتراجع رقادى [ بعد سُهادى ، وقضاء حاجة جلَّتْ فى فؤادى ، وتقهى مراد إشارتى وإشارة مرادى ]<sup>(٢)</sup> ، وتتركى هوى النفس الذى هو للحق معانيد وللرشد معادى .

ومبنى هذه الرسالة إليك على قولهم : « الشقيق مولع بسوء الظن » ، ومن مَنَّ الله على عبده الوقاية من المتائف جل الله العظيم المن ؛ وعلى قول المتنبي :  
ربما ضر عاشق معشوقا      ومن البر ما يكون عقوقا<sup>(٣)</sup>

والثل الأول لى ، والآخر لك . والله يُيسِّر فى حفظ مولانا أُملى وأملك . [ ٦٩ ]  
وإنى أنعجب من مساعدتك على إقامة مولانا بمنزل ، هذا المرض به فاش ، وهذا الهواء الفاسد بين دياره جاء وماش ، وسمعتُ أن حديث السفر لئالة أثقل عليك من حديث رقيب وعاذل وواش ؛ وأنَّ الآراء فى ذلك اختلفت ، ولم يُرْجع فيها إلى سُنن تقدمت وعوائد سلفت ؛ والأوائل من المؤمنين رحمهم الله ماتوا كوا شيئا سُدَى ، بل نصبوا على كل طريق إلى النجاة علم هُدَى ؛ وسمعت

(١) فى ت : « ويتشقق المسك » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) لم نجد هذا البيت فى نسخ ديوان المتنبي .



ياسيدنى أن القضية عُول فيها على المقام والاستسلام ، وخولف فيها رأى الخليفة الرشيد لما تحول فى مثلها عن سكنى دار السلام ، بمحضر أركان الدين وأعلام الإسلام ؛ وقد سمعتُ فى الأجوبة الظريفة ، ما صدر من قوله : أخشى أن أكون أول خليفة ؛ وقد كنتُ ياسيدنى أرتجى أن يكون لهذا المرض ارتفاع ، أو يحصل بدخول فصل<sup>(١)</sup> البرد انتفاع ؛ فتركت الكتب منتظرة لذلك ، إلى أن تزايدت الحال وأنت على حالك ، لا يمر الترحال بخاطرك ولا ببالك ؛ وأنا أقول : أما واجب التسليم ، لتقدير العزيز العليم ؛ فتأكد شرعاً ، لا يضيق به المؤمن ذرعاً ؛ لكن ما يفعل المسلم بالروح والجسد ، إذا قيل له اهرب من الأسد ؛ وقد أبصره مقبلاً إليه ، أو مُنقِضاً عليه ؛ أياخذ فى تحفظه واحتراسه ، أم يصبر لافتراسه ؟ ومن قيل له فى ظلم الليل : ارتفع عن هذا المكان تنج من السيل ؛ أينام فى مكانه ، أم يبادر إلى السلامة بمجهود إمكانه ؟ ومن نودى : هذه الخيل قد طلعت مغيرة ، والرعاة بالجبال مستجيرة ؛ فارفع غنمك قبل الاكتساح ، فالوقت فى انقساح ؛ أبتركها تسرح ، ولا يبرح ؛ أم يرفعها تسلم ، مما تدرب وتعلم<sup>(٢)</sup> ؟ وكذلك إذا قامت الرماة صفوفاً ، وأصاب سهمهم<sup>(٣)</sup> من الخلق ألوفاً ؛ أيرجح الحقُّ تباعداً أم وقوفاً ؟ وكذلك أيضاً المنازل ، التى تدوم بها الزلازل ؛ فأرضها فى كل يوم تميد ، ودَهش القلوب بها حاضر عتيد ، وانحسف بها فى يوم ينقص وفى يوم يزيد ؛ لا تسمع فيها إلا سقوط جدار ، على ركن دار ؛ وانفكك الأركان ، على السكان ؛ وإخراج ميت ، من تحت بيت ؛ وسقوط سارية ، على جارية ؛ أيُعزَم على السكنى والاستيطان ، تحت هذه الحيطان ؟ أم يؤخذ فى الاحتياط ،

[ ٧٠ ]

(١) فى ت : « وقت » .

(٢) فى ت : « مما تدرب وتعلم » .

(٣) فى ت : « بسهامهم » .

بالخروج بالأطفال والعيال؟ يا سيدتي الحمراء، سألتك فأخبريني، وإن تحيّر فهمي فاعذريني، ووصل إلى الكتاب الشريف، من جنان<sup>(١)</sup> العريف؛ يذكر أن السلامة كانت [به]<sup>(٢)</sup> مستصحبة لمولانا ولناسه، وأن العافية كانت بهم منتشقة مع أنفاس رتده وآسه، ما عرضت به إلى طبيب حاجه، ولا استدعى فيه المأور<sup>(٣)</sup> للنظر في زجاجة؛ ولا لقول ولا عمل، ولا بلغ من الجساسة والقساوة أقل أمل؛ ولم ينقص من الساكنين بهذا البستان، من عبيد مولانا السلطان، غير فتى من الخُصيان، لا يساوي عشرة دراهم في سوق الفتيان، والجميع بحمد الله استمرت عافيتهم على استقامه، بطول أيام الإقامة؛ وعرفني أيضاً جنان العريف في وأقد كتابه، ووارد خطابه، أن رغبته كانت في انتقال مولانا نصره الله من صحيح هوائه، وسلسيل مأنه؛ ونفحة جنابه، وتلاعب النسيم العاطر بين قبابه. إلى مألقة حيث الجو الصقيل، والروض الذي يطيب به المقيّل، والراحة التي تمتزج بالأرواح كما قيل؛ حيث العرف الأريج، والوادي المنعرج، والساحل الذي ينشرح به الصدر الحرج، حيث البنفسج يدير كئوس البهار، والياسمين نجوم طالعة بالنهار؛ حيث يتمازج طيب الزهر، بعرف الأترج ونفحات السحر، حيث يشبه أنين السواني، حنين المتعشقات من القواني، إذا حُدّ الصباح، وانطلق الإصباح؛ وعمرت صفار القوارب، ونادت بحرية الشباك:

(١) جنان العريف، أو جنة العريف: بستان في خارج غرناطة، ذكره لسان الدين في الإحاطة، صفحة ٢٥ ج ١.

(٢) زيادة عن ت.

(٣) كذا في ط. ولعله يريد بالمأور، كما يظهر من السياق الذي يفحص عن قوارير بول المرضى ليقدر وزنه ونوعه، وهو من عاور الشيء إذا قدره، كما يؤخذ من اللسان مادة «عير». وفي ت «المناور».

[٧١]

إلى المضارب<sup>(١)</sup> ، وسالت أنوار المشرق على جوانب المغرب ، ونادى بحرك الجيش :  
 ظهور الخيل ، وصباح الخير ، واستقبلوا الوادي الكبير لمصيد الأرنب والمحوت  
 والطير ؛ شكر الله جنان العريف على ما قصد ونوى ، وعلى ما أظهر من اتباع حق  
 ومخالفة هوى ، اعتماداً من أخبار الدول القديمة على ما حفظ وروى . وقال لى  
 يا سيدنى إنك وقفت مع الحديث المنصوص<sup>(٢)</sup> ، الوارد فى مثل هذا المرض على  
 الخصوص ؛ وفيه النهى عن الخروج من منازل هذا المرض ومواضعه ، وعن  
 القدوم على معتكاته ومصارعه ؛ والحديث صحيح ، والرشد فيه قول صريح ؛  
 واسكن للعلماء فيه أقوال طويلة التفصيل ، وقد لخصها وبينها الإمام ابن رشد  
 فى كتابه الجامع من البيان والتحصيل<sup>(٣)</sup> ؛ والاتفاق من الجميع أن النهى فى هذا  
 الحديث ليس نهى تحريم ، وإنما هو على سبيل إرشاد وأدب وتعليم ؛ فلا إثم  
 ولا حرج ، على من أقام ولا على من خرج . وقال عمرو بن العاص : الأفضل  
 الخروج لأهل الفطنة ، اتقاء من اعتقاد يودى إلى فتنه ؛ وكفى بعمرو بن العاص  
 حجة لمن أراد انتصارا ، والكلام كثير ، ولكنى اختصرته اختصارا ؛ وإن  
 نظراً قدمه كثير من الصحابة ورجحه ، خلّيق بأن يقال فيه ما أسعده وما أنجحه !  
 ياليت تفقهى كله يكون من هذا القبيل ، وجاريا على هذا السبيل ، مستنداً إلى قول  
 صحابى جليل ، ومستنداً بأرشد علم ودليل ، ولو كان على خلاف للشهور من قول

(١) المضارب (هنا) : الحيام تضرب على ساحل البحار ، لبيع فيها ما يصاد من السمك .

(٢) ورد الحديث المشار إليه فى صحيح مسلم ، ونصه فى رواية أسامة : « الطاعون  
 رجز أو عذاب أرسل على بنى إسرائيل ، أو على من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به  
 بأرض ، فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » .  
 وفيه روايات آخر تختلف ألفاظها ، وتتفق معانيها ؛ وقد علق عليه النووى ،  
 ونقل كلام القاضى عياض وغيره ، فلينظر تمة (ج ١٤ ص ٢٠٤) .

(٣) اسم الكتاب : جامع البيان والتحصيل ، لا فى المستخرجة من التوجيه والتبليغ .

خليل<sup>(١)</sup> . وهنا يقال : ما في هذه القلّة غير هذا الإغريل<sup>(٢)</sup> . يا سيدتي الحمراء ؛ أراك في هذه القضية تقف وتوقف فيما بينه عالم وذو علم ، ومنعت مما ليس فيه حرج ولا إثم ؛ ولو كنت حاضرة لكان لي معك حديث طويل ، واحتجاج ينصره نص وتأييل . وسمعت أنك أشفت من عظيم النّفقه ، وليس هذا موضع الشفقه ؛ فالأمر ليس بشال ، ولو يشتري بكل ذخيرة وكل مال ؛ والأولى بالملامة ، من<sup>(٣)</sup> يفصل شيئاً على السلامه . القمح يأكله الثّوس ، والذهب تنقى عنه الفلّوس<sup>(٤)</sup> ، فكيف يُستعظمان فيما تؤمن به النفوس . وبلغني أنك [٧٢] قلت : مألقة ليس بها زرع ، وبقليل الثّمام يضيق لها صدر وذرع<sup>(٥)</sup> ، وفلاحتها وحرثها ليس لها أضل ولا فرع ؛ وعزّ على هذا الكلام ، ولكنني سلّمت والسلام<sup>(٦)</sup> ؛ فإن سمرى عن سمر<sup>(٧)</sup> غرناطة منقط ، وفي لحظة بصر يضيق منى بالطعام في كثير من الأيام ساحل وشطّ ، ولا يُعلم أنه دامت لي شدة قطّ . لي في الاعتصام بالتوكل على الله ما يزيد على سبع مئة العام<sup>(٨)</sup> ، ما أشغلت فيها فكراً ولا قلباً بأدخار قوت ولا باحتكار طعام ؛ أثق في اليوم والند ، بالرزق الرّغد ؛ تأتي به الرياح على الأعناق ، ويفيض سيله على جوانب الدواوين وأكتاف الأسواق ، وتجلبه الأحاب والأعداء بإذن اللطيف الخبير الوهاب الرزاق .

(١) هو خليل بن إسحاق المالكي ، صاحب المختصر في فقه المالكية .

(٢) كذا وردت هذه العبارة في ط . وفي ت : « ما في هذه القلّة : . الخ » .  
والعبارة على الروايتين ظاهرة التعريف .

(٣) في ت : « نس » . وهو تحريف .

(٤) في ط : « النفوس » .

(٥) في ت : « وضرع » .

(٦) في ت : « والإسلام » .

(٧) في ت : « أسجار » .

(٨) في الأصلين : « السبع مئة عام » .

قالت النملة : افتخارى ، بادخارى ؛ قالت العصفورة : توسلى ، بتوكلى ؛  
قالت النملة : أعتد على الحب ؛ قالت العصفورة : اتوكل على الرب . فلما جنَّ  
الليل ، أقبل السيل ؛ فخرجت النملة بالعموم ، وبقيت الحبوب بين الدَّوم ؛ فنزلت  
العصفورة وسجدت ، [والتقطت] <sup>(١)</sup> من مدَّخر النملة كل ما وجدت ؛ وقالت :  
خير المحتكر ، وريح طالب الرزق المبتكر ، الكريم لا يفتخر بما يدَّخر .

وصح عندي أن الوزير أعزّه الله ليس عنده في هذا كله كلام ولا قول ، وأن  
الأسر عنده مفوض إلى الرب الذي له القوة والحول . وسمعتُ يا سيدي أن هذا  
السم ، أعظمُ تأثيره إنما هو في قطع الأكبَاد ، من صغار الأولاد ؛ الذين من فوق  
السبع ودون العشر ، وم في هذه السنين رياحين القلوب العاطرة النَّشر ؛ وهذا  
إلى كُنتي لك أعظم داء ، فإن الأولاد سوائهم والوالد راع ؛ والزاعى لا يترك  
غنمه في طريق سَبُع ضار ، ولا قريباً من حريق نار ؛ ونحن نشاهد الطير ينقل  
أفراخه من وكر إلى وكر ، ويسترها بملثف الشجر إذا خاف عليها عادية جارح <sup>(٢)</sup>  
أو صاحب مَكْر ؛ فكيف لا تقتدى في تأمين رَوْعتنا بمن تقدّم من الأكابر ، [٧٣]  
وتقف في حامل السيل <sup>(٣)</sup> بأولادنا الأصاغر ؛ فاعندك في هذا كله من القول ومن  
الجواب ؟ وما يظهر لك من وجه الرأى والصواب ؟ اكتبى بذلك كتاباً أعتد  
عليه ، وأستند إليه ؛ وقبلى عني يدَ مولانا تقييلاً ، ويا ليتنى وجدت إلى ذلك  
سبيلاً ؛ وأخبريه أنى [في] <sup>(٤)</sup> خدمته على نيتي الأولى ، عاكفةً على شكر  
مِنْتِه الطَّوْلِ ؛ أدام الله حيَاطة البلاد والنفوس بحفظه وحياطته ، وأسمنى البشارة

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ت : « جائع » .

(٣) حامل السيل : السيل الجارف .

بقدومه على مُحدث مألقة من حمراء غرناطته ؛ ويحفظه في النفس والأولاد ،  
والملك والبلاد ، بمنته وفضله .

وكتب بتاريخ ربيع الآخر عام أربعة وأربعين وثمان مئة . انتهت المقامة .  
وكلام المذكور كثير ، ومحلّه من عذوبة المنطق أثير ؛ ونظمه أعلى طبقة  
من نثره طريقة معرّية ، حسبما يظهر ذلك بالتأمل لنفوس بالإنصاف حريه ؛  
وله [عدة] <sup>(١)</sup> تأليف أكثرها هزليّه ، ولذلك لم أجلب شيئاً منها سوى  
ما تقدم ، مما يقتضى ما أصلناه من المزيه ، والفضيلة للبلاد الأندلسية <sup>(٢)</sup> .

ومن أحسن مقطوعاته <sup>(٣)</sup> التي تطّارح بها على باب الكريم ، وتطفّل بها  
تطفّل من لا يبرح عن باب سيده ولا يريم ؛ ويرجى له بها كل جميل ، والله  
لا يخبّث ما أمّله من تأميل ؛ قوله رحمه الله :

عقيدة دين الحقّ أن محمداً      له الفضل إطلاقاً <sup>(٤)</sup> على كل مخلوق  
وإن سبقت رُسلٌ بكتبٍ وبسنة      فما هو في مجد وفضل بمسبوق  
فهذا إذا ما عشتُ أولى عقيدتي      وهذا إذا ما متُّ آخر منطوق  
[وقوله :

جشك يا رب ولا اعذر لي      وهل لعبد السوء من معذرة ؟  
أرجوك فيما أنت أهلُّ له      فأنت أهلُّ العفو والتفطره  
وقوله في مرضه :

يا بامعين الكلام مُختلطاً      نظماً ونثراً قلانداً ودُرُز  
صلّوا على المصطفى وسيلتنا      محمدٍ وارحوا القفيه عُمر <sup>(٥)</sup>

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « من اللزّة للبلاد الأندلسية والفضيلة » .

(٣) في ط : « منظوماته » .

(٤) في ط : « إجماعاً » .

(٥) ما بين القوسين الربيعين زيادة عن ت .

وأما الكاتب الرئيس أبو عبد الله الشَّران<sup>(١)</sup>، فهو الشيخ الفقيه الرئيس الصدر، العلامة العماد، الذخر الأرفع، العلم الأوحد، الأجد الأسرى، الذي لا يجارى في الإنشاء والاختراع كلاماً جزلاً، وقولاً فصلاً، رئيس الكتبة بالحضرة العلية، أبو عبد الله، ابن الشيخ الفاضل المساجد الأعز الأرفع الأوجه أبي إسحاق، كان حياً سنة سبع وثلاثين وثمان مئة. هذا كلام بعض الأندلسيين فيه. [٧٤]

وقال القلصادي في حقه: هو الفقيه الوجيه الليب اليفظ الأدرى، الأديب الأحظى، الرئيس النبيل الأرقى؛ وحيد عصره وأوانه، وفريد دهره وأقرانه، أبو عبد الله محمد الشران الغرناطى، نعمده الله برحمته. وذكر هذا الشيخ القلصادي في طالعمة شرحه لأرجوزة أبي عبد الله الشران المذكور، التى أولها:

بمحمد خير الوارثين أبتدى وبالسراج النبوى أهتدى  
وهى أرجوزة عذبة النظم، سهلة المأخذ مختصرة فى علم الفرائض.  
ومن بديع نظم الكاتب أبى عبد الله الشران رحمه الله تعالى قوله:  
[فلا تمنع العين انهما لآ فانه غرام شجر إسناؤه غير مهمل  
أحاديث تزويها الجفون عن الحشا ويثبت منها مرسل بمسئل  
وقوله يخاطب الفقيه الصالح سيدى أحمد بن حرشون، وقد أهدى له  
قرص زعفران:

أهلاً بقرصة زعفران أطلعت من حسنها للقلب باعث أنسه  
حيتا الخلوص به وغير عجيبة للبدر أن حيتا بقرصة شمس  
يا نيراً للمجد أهدى نيراً كل امرئ إهداؤه من جنسه  
وقوله<sup>(٢)</sup>:

(١) هو محمد بن ابراهيم. (انظر نيل الابتهاج بتطريز الدياج).

(٢) ما بين القوسين زيادة عن ت.

لما اخفت شمك عن ناظري أرسلت منه مطر الدمع  
وأقبلت ظلمة ليل النوى فما ترى في رخصة الجمع

وحكى الحافظ أبو عبد الله التَّنْسي رحمه الله، أنه لما صُرِفَ الفقيه أبو الفضل  
ابن جماعة عن رياسة الكتابة بفرناطة، إلى قضاء الجماعة، وولى مكانه صاحب  
الترجمة أبو عبد الله الشَّران، لقي بعض رؤساء الدولة ابن جماعة يوماً، فقال له:  
يا سيدي، إن السر الذي عهدناه في الحضرة غاب عنها بنيتك. فقال له:  
وكيف لا وقد تركتم الفضل المجموع<sup>(١)</sup> وأخذتم الشر المكرر<sup>(٢)</sup>!

ثم إن ابن جماعة كان عنده إعذار<sup>(٣)</sup>، فدعا أعيان البلد إليه ولم يدع  
الشَّران، فكتب إليه الشَّران:

ماذا أعد المجد من أعذاره في ترك دعوتنا إلى إعذاره<sup>(٤)</sup>

إن كان رسم دون محضرنا اكفى لا بد أن يبقى على إعذاره<sup>(٥)</sup>

ثم قال الشيخ التَّنْسي: والشَّران هذا ممن له باع مديد في الشعر، وتصرف  
حسن. انتهى.

ومن بديع نظم الشَّران المذكور قوله رحمه الله:

دوام حال من قضاي الحال واللفظ موجود على كل حال

والنصر بالصبر محلى الظبي والجِدُّ بالجدِّ مَرِيش التَّبال

وعادة الأيام معهودة حرب وسلم والليالي سجال

وما على الدهر انتقاد على حال فإف لحال ذات انتقال

طريقة لابن  
جماعة وقد تول  
المران مكانه

شعر للمران  
بأناب ابن جماعة  
على إهمال دعوته  
إلى إعذار

قصيدة اللامية

[٧٠]

(١) يشير إلى اسمه: «أبي الفضل بن جماعة».

(٢) يشير إلى لقب أبي عبد الله: «المران». فكأنه تنبيه: «سر».

(٣) الإعذار: طمأنينة.

(٤) الإعذار (هنا): التصغير.



مَنْ لِيَالِي بِاِتِّتِلَافٍ وَكَمْ  
أَخَذْتُ عَطَاءً ، مِحْنَةً مِّنْهُ  
حَالٌ <sup>(١)</sup> اِنْتِظَامٍ وَانْتِثَارٍ مَعًا  
وَهَلْ سَنَى الصَّبْحَ وَجُنَحَ الدُّجَى  
وَالظُّلْمَ الْحُلُكُ عَلَى نَوْرِهَا  
وَالسَّيْفَ قَدْ يَصْدَأُ فِي غِدْمِهِ  
وَالشَّمْسَ بَعْدَ النِّيمِ تُجَلِّي كَمَا  
وَالْفَرَجَ الْمَوْهوبَ تَجْرِي <sup>(٢)</sup> بِهِ  
فَصَابِرِ الدَّهْرِ بِحَالِيهِ مِنْ  
فَالَهُ صَبْرٍ عَلَى حَالِهِ  
وَلَا يَضِقُ صَدْرُكَ مِنْ أَرْزَمِهِ  
مِنْ اعْتِبَارٍ بِاخْتِلَافِ <sup>(٣)</sup> اللَّيَالِ  
تَتَرَقَّى جَمْعٌ ، جَلَالُ جَمَالِ  
كَأَنَّمَا هَذِي اللَّيَالِي لَأَلِ  
لَخَلْقَةِ الْأَضْدَادِ إِلَّا مِثَالِ  
تَدَلُّ وَالْعُسْرَ يَبْسُرُ يُدَالِ  
ثُمَّ يُجَلِّي صَفْحَتِهِ الصَّقَالِ  
لِلغَيْثِ مِنْ بَعْدِ الْقَنُوطِ انْهَمَالِ  
لَطَائِفَ لَمْ تَجْرُ يَوْمًا بِبِالِ  
حُلُومٍ وَاعْتِدَا وَاعْتَدَالِ  
وَإِنَّمَا الصَّبْرُ حُلَّى الرِّجَالِ  
ضَاقَتْ فَصَنَعَ اللَّهُ رَحْبُ الْجَمَالِ

إلى هنا توجد هذه القصيدة بأيدي الناس ؛ ورأيت بخط بعض الأخيار  
بعد هذا البيت زيادة كثيرة على ذلك ، منسوبة لصاحب القصيدة ، وهي لا تبعد  
من نفسه ، على أن فيها إبطاء <sup>(٤)</sup> . وها أنا أيضاً أثبتتها بجملتها لنرايتها وجزالتها ،  
ولا شتمها على مديح المصطفى المجتبي ، صلى الله عليه وسلم ، ونصها بعد قوله :  
« رجب الجال » :

وَانْظُرْ بِلُطْفِ الْعَقْلِ كَمْ كَرْبَةٍ      فَرَجًا لُطْفٌ كَعَلَّ <sup>(٥)</sup> الْعِقَالِ  
وَكُلٌّ إِلَيْهِ كُلٌّ حَاجِرٌ فَـ      [ لَدَى ] <sup>(٦)</sup> حِجَابًا إِلَّا عَلَيْهِ اتِّكَالِ

(١) في نيل الابتهاج : « في اختلاف » .

(٢) في ت : « حلى » .

(٣) زيد في ط فوق هذه الكلمة : « تأتي به » .

(٤) كذا في ط . والإبطاء : تكرير القافية لفظاً ومعنى . وفي ت : « على أنه فيها وها أنا » .

(٥) في ط : « خل » .

(٦) زيادة عن ت .

وكل بدء فله غاية وكل عود فله آية  
وفي مال الصبر عُقبى الرضا عجت للعبد الضعيف القوى  
يهوى مع الآمال مسترسلاً تحسده النفس بتخيلها  
يخال أن الأمر جارٍ على الخلق والأمر لمن لم يزل  
والفعل والترك دليل على يعطى فلا منع ويقضى فلا  
يُبدّر الأمر فمن أمره يضل يهذى حكمة أنقذت  
وحكمة الباري في حكمة والرب لا يسأل عن فعله  
فيا أبا الفكر اشتغلاً بما سلم في التسليم من كل ما  
وارض بما فأتاك أو نلتته وفوض الأمر إلى الحق لا  
فدو الحجا فيما اتقى وارتجى يرضى بقسم الرب كل الرضا

وغاية الخطب الشديد انحلال وآية العقل اعتبار المال  
من قرّج يُدني وأجر يُنال يُغفر<sup>(١)</sup> بالرب الشديد للحال  
طوع الهوى حيث أمالته مال وهل خيال النفس إلا خيال  
تديره هيات مـ يخال في ملكه الملك وما إن يرآل  
مراده والكل طوع انفعال دفع ويمضي حكمة لا يسأل  
تقدير ما في الكون سُئل وعال فضلاً وعدلاً في هدى أو ضلال  
ما لمجال العقل فيها مجال قد قضى الأمر قديم السؤال  
في غيره للفكر حق اشتغال ينفذ تسليم وتنعيم بال  
فمكسه ما لك فيه مجال تركز من الدنيا لحال محال  
بالعدل حال ومن التذل حال في كل حال ما عن العهد حال

[٢٦]

(١) ذكرت هذه العبارة أمام هذا البيت في هامش ط : « يتقرض الرب بدل يغفر » .

يرى خلال الشكر والصبر في  
 فهو على الحائنين قد نال من  
 ما أقصر الدنيا على مرّها  
 فافطن لها حزما في ظلها  
 ما يقظات العيش إلا كرمي  
 يا ليت شعري ولئي عبرة<sup>(٢)</sup>  
 هل يستحيل العهد من صبتوي  
 والشيب هل يوقظني صبحه  
 وكسرتي من عُشرتي هل تقى  
 هذا زمان في تولي وفي  
 حال من احتل بدار البلا  
 يا ربّ ما الخلل من زلّي  
 يا ربّ ما يلقاك مثلي به  
 يا ربّ لا أحمل حرّ الصبا  
 أم كيف عذري وقد أعذرت لي<sup>(٣)</sup>  
 رحمتك اللهم فمي التي  
 ولا تعاملنا بأعمالنا

ما سر أو ساء أبرّ الخلال  
 مناه في الدارين أقصى منال  
 كالظلم ما أقصر مدّ الظلال !  
 ما قال يوما حازم حيث قال  
 ولا مرأى العين إلا خيال<sup>(١)</sup>  
 والشعر قول قد ينافي الفعل  
 قد مضى عهد الصبا واستحال  
 فالنوم في ليل من<sup>(٢)</sup> اللهو طال  
 وعثرتي من<sup>(٣)</sup> عبرتي هل تُقال  
 عزمي تواني والهوى في توال  
 ولم يحدث نفسه بارتحال  
 لا عمل لا حجة لا احتيال  
 عن طاعة لم ألقها بامثال  
 فكيف بالنار لضعفي احتمال  
 بأخذ جذري من دواعي النكال  
 لها على العاصين مثلي انثيال  
 لكن رجا آماننا صلّ ووال

[٧٧]

(١) يتبر إلى قول أبي الحسن التهامي في مرقبته ابنه :

فالعيش نوم والنبيّة يقظة والره بينهما خيال سارى

(٢) في ت : « عدة » .

(٣) في ط : « دوى » .

(٤) في ت : « في » .

(٥) في ت : « في » .

وبامتداح المصطفى هَبْ لَنَا  
فَا سَوَى حَيٍّ لِلْمُصْطَفَى  
ذَلِكَ تَجَرَّى (٢) وَعَلَى فَضْلِهِ  
فَإِنْ يُفَزُّ قَدْحِي بِمَدْحِي لَهُ  
وَرَأَيْتُ الْفَرَّ الْغَوَالِي (٣) عَلَى  
أَعْظَمَ بِأَمْدَاحِ نَبِيِّ الْمَدَى  
خَيْرِ الْوَرَى مِنْ بَادٍ أَوْ حَاضِرٍ  
فَادِيهِمْ مِنْ فَتَكَاتِ الرَّدَى  
حَامِيهِمْ بِالْعُضْبِ إِذْ لَا حَمِيَّ  
مُنِيلِهِمْ إِذْ لَا جَدَى يُرْتَجَى  
قَرِيعِهِمْ فِي طَبَقَاتِ الْعُلَا  
مُؤْوِيهِمْ مِنْ حَوْضِهِ مِنْ صَدَى  
أَطْوَلَ مِنْ سَالٍ بِسَبِّ النَّدَى  
مِنْ خَصَّةِ اللَّهِ بِحَصْلِ التَّدَى  
مِنْ بَاهِرِ الْحَسَنِ وَفَضْلِ التَّقَى  
حَالٍ مِنَ الْعِلْمِ بِأَسْنَى حَلَى  
نُورٍ مُبِينٍ صَادِقٍ فَارِقٍ  
أَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْحَيَا بِاسْمِهِ

مَا تَمَّ الْفِعْلُ لِيَرَّ الْقَالَ (١)  
وَسِيلَةٌ لِي بِرُأْيَا اتِّصَالِ  
طَمَعَتِ فِي الْفَضْلِ بِلَا رَأْسِ مَالٍ  
فَقَدْ يُجَلِّ التَّوَرُّ قَدَرُ الدُّبَالِ  
مَوْتَقَّةٌ مِمَّا نَوَى مِنْ نَوَالِ  
حَبْلٍ اعْتِلَاقٍ أَوْ شَفَاءِ اعْتِلَالِ  
أَكْرَمِهِمْ مِنْ حَافِيٍّ أَوْ ذِي انْتِعَالِ  
هَادِيهِمْ فِي هَاكَاتِ الضَّلَالِ  
كَالِيهِمْ (٤) فِي الْخَطْبِ إِذْ لَيْسَ كَالِ  
مُقِيلِهِمْ إِذْ لَا عِثَارٌ يُقَالُ  
شَفِيعِهِمْ فِي عَرَصَاتِ السُّؤَالِ  
مُؤْوِيهِمْ مِنْ جَاهِهِ فِي ظِلَالِ  
أَصُولٍ مِنْ فِي الْحَقِّ بِالسَّيْفِ صَالٍ  
فِي كُلِّ مَا عَمَّ الْمَدَى مِنْ خِصَالِ (٥)  
وَحِكْمَةِ النُّطْقِ وَبِحُجْدِ الْفِعَالِ  
وَأَفٍ مِنَ الْحِلْمِ بِأَزْكَى خِلَالِ  
مُبَشِّرٍ هَادٍ خَتَامِ كَالِ  
كَهْفِ الْآيَاتِي ، لِلْيَتَامَى ثِمَالِ

(١) في ط : « الفعّال » .

(٢) تجرّى : تجارّى .

(٣) في ت : « الفوادى » .

(٤) كالِيهِمْ : كالْتِهِمْ ، أى حَانَفْتِهِمْ .

(٥) خصل المدى : إصَابَةُ الْمَدَى .

الرحمة المهداة ضِمن احتفًا  
كم آية جَلَّى لنا أو تلا  
ذو العرش أَسْمَى قدره فاسمه  
وذكره رَفَعَ في ذكره  
أعطاه دون الرُّسُل خَسًا كفت  
لم يبعث الرُّسُل اشتالا وفي  
وقصة الأنفال جَلًّا وما  
والأرض طَهْرًا ومصلًى لأن  
والنصرَ بالعرب لشهرٍ مَدَى  
والنعمه الكبرى التي نالها  
وليلة المِراج أسرى فـا  
جالَ وجِبْرِيل أنيسُ له  
حتى انتهى من سِدْرَةِ المنتهى  
قال له الرُّوح مَقَامِي هُنا  
فقال : يا أنيسَ أفرَدَتِي  
فقال : كلاًّ إنما الأنسُ ما  
طأ حُضْرَةَ القُدُس اتصّالاً فـا  
فَرَجَّه في النُّور زَجًّا رأى  
شاهدَ ما شاهدَ مما ارتقى  
فقال قوم بفسوؤِ رأى

والنعمه السُّداة خَلَفَ احتفال  
وغاية جَلَّى بها دون تال<sup>(١)</sup>  
في العرش مقرون مع اسم الجلال  
حدّاً ليتلو مدحه كلُّ تال  
يَدَ امتنانٍ في العطايا الجزال  
بَعَثَهُ للثقلين اشْتِمال  
مِن قَبْلُ كانت لِنَبِيِّ حَلال  
كان له كَوْنٌ بها واحتلال  
يُنَازِلُ الأعداء قبل النزال  
شفاعة الأخرى ونم النال  
أَسْرَى وأَسْنَى شرقاً في الليال  
من السماوات العُلى حيث جال  
إلى مَقام لم يَنَلْهُ مقال  
وأنتَ فاصعد لتقام الرِّصال  
حيث دَهَنَتِي<sup>(٢)</sup> مَذْهَبات الجلال  
أَنْتَ مُوالٍ ولك اللهُ وال  
أُبيح منها لِسِوَاكَ اتصال  
وراءه للحق نورَ الجلال  
عن مَبْلَغِ العقل وَوَهْمِ الخيال  
وعالمٌ بالمعِين والقلب قال -

[٧٨]

(١) جلى بها : آتى فيها سابقاً .

(٢) فى ط : د ومنى .

وليس ذا وهو مُحَال على      حَال مَقَامِ الحُبِّ مِمَّا يُحَال  
حيث تَدَلَّى قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ      أَذْنَى نَجِيًّا فِي ظِلَالِ اللَّيَالِ  
وبعد ما فِي النِّجَمِ يُتَلَّى عَلَاً      ثُمَّ أَتَى وَالنَّجْمُ فِي الْأَفْقِ عَالِ  
وباحْتِمَالِ الجِسْمِ وَالرُّوحِ فِي      مَسْرَاهِ صَحِّ الْقَوْلِ دُونَ احْتِمَالِ  
وبانشِقَاقِ الصِّدْرِ طِفْلاً قَفَسِ      لَهُ انشِقَاقُ الْبَدْرِ عِنْدَ اكْتِمَالِ  
لنِسْبَةِ بَيْنَهُمَا فِي الْهَدْيِ      وَالْحُسْنِ وَالْقُرْبِ وَبُعْدِ الْمُنَالِ  
فَنُورُ هَذَا كَمِ جَلَا مِنْ دُجَى      وَنُورُ هَذَا كَمِ هَدَى مِنْ ضَلَالِ  
كَلَّا بَلِ الْأَنْوَارِ حَيْثُ انْجَلَتْ      حِسًّا وَمَعْنَى مِنْهُ كَلًّا تُنَالِ  
وَلِانْشِقَاقِ الْبَدْرِ مِنْ نُورِهِ      أَبَدَى انشِقَاقًا وَهُوَ تَغْيِيرُ حَالِ  
شُقِّ هَلَالَيْنِ عَلَى صَفْحَتِي      ظَلَمَانِهِ فِي كُلِّ شِقِّ هَلَالِ  
وَالشُّطْرُ مِنْهُ لَاسْتِلامِ التَّرَى      بَيْنَ يَدَيْهِ بِالسَّلَامِ اسْتِمَالِ  
بَلِ أَخْجَلَ الْبَدْرَ لِنَقْصَانِهِ      فَانْحَطَّ مُنْشَقًا لِبَدْرِ الْكَمَالِ  
هَمْ سَأَلُوها آيَةً أَعْرَضُوا      عَنْهَا وَقَدْ جَاءَتْ وَفَاقَ السُّؤَالِ  
قَالُوا وَقَدْ جَالُوا<sup>(١)</sup> بِسِحْرِ أَتَى      قَعْلْتُ هَذَا السَّحْرِ سِحْرَ حَلَالِ  
بَلِ عَجِبُوا مِنْ نُكْتَةِ الْكَوْنِ أَنَّ      أَعْطَاهُ رَبُّ الْكَوْنِ مَا مِنْهُ سَالِ  
وَهِجْرَةُ بَلِ وَضْعُ لِّلرَّضَا      وَرَبِّمَا نِيلِ<sup>(٢)</sup> بِهِجْرِ وَصَالِ  
ضَفَا لِحُجْبِ السَّتْرِ دُونَ الْعِدَا      فِي الدَّارِ وَالنَّارِ عَلَيْهِ انْسِدَالِ  
إِذْ عَارَ بِالْحِكْمَةِ نُورُ الْهَدْيِ      فِي الْغَارِ مِنْ غَارَةِ حَزْبِ الضَّلَالِ  
وَمَا اخْتَفَى مِنْ خِيفَةٍ بَلِ لِأَنَّ      تَظْهَرُ أَسْرَارُ مَعَانِي الْمَالِ<sup>(٣)</sup>

(١) كَذَا فِي تَوْفِي ط « جَالُوا » . وَلَمَلْ كَلِمَتَاهُمَا مُصَوِّفٌ عَنْ : « خَالُوا » .

(٢) فِي تَوْ : « يَبْلَى » .

(٣) الْمَالُ : أَيْ الْمَالِ .

حيث ثَقِيَ بعدُ عِنَانَ الرَّدَى سُرَاقَةً عَمَّا سَرَى واستقال<sup>(١)</sup>  
هَيْلَ كَثِيبِ الطَّرْفِ خَفَقًا بِهِ عَنْ كَتَبٍ والصنع للطرف هال<sup>(٢)</sup>  
أَهْوَى كَمَا أَهْوَتْ بِمِيلَادِهِ مِنْ قَصْرِ كَسْرَى الشَّرَفَاتِ القَوَالِ<sup>(٣)</sup>  
نِسْبَةً حَالٍ كَانَ مِنْ سِرِّهَا أَنْ بِسَوَارِيهِ غَدَا وَهُوَ حَالِ<sup>(٤)</sup>  
هَنَّاكَ هَامَتْ بِالْحِمَامِ الْعِدَا فَحَامَ حَوْلِهِ حَمَامَ فَحَالِ<sup>(٥)</sup>  
فَاطَرْدَ الْكَسْرَى عَلَى جَمْعِهِمْ وَاطْرَدَ الْفَتْحُ لَهُ صَدَقَ قَالَ  
وَالْمَنْكَبُوتِ اعْتَمَدُوا حُجَّةَ خَالُوا بِهَا الْفَيْلَ مِنَ اللَّيْثِ خَالِ  
فَاعْجَبْ لَمْ بِالْوَاهِنِ اسْتَوْتَقُوا ظَنًّا وَلِلْبَرْهَانِ هَمٌّ فِي جِدَالِ  
مَا أَصْدَقَ الصَّدِيقَ فِي قَوْلِهِ عَدْلٌ لَنَا فِي حُجْجِ الصَّدَقِ قَالَ  
أَشْفَقَ لَا حَرَصًا عَلَى نَفْسِهِ بَلْ غَارَ مِنْ عِلْقِ نَفْسٍ يُذَالِ  
يَأْبِهَا الصَّدِيقَ بِشْرَاكَ لَا تَحْزَنُ<sup>(٦)</sup> وَشِمَّ لِلنَّصْرِ أَمْضَى النَّصَالِ  
فَنَكَاةَ الْعِصْمَةِ إِحْرَازُهَا مَا بَيْنَ أَظْفَارِ الظُّلَى وَالْعَوَالِ  
لِلَّهِ مَا أَشْرَفُهَا عِزَّةً لَيْسَ لِنَعِيرِ اللَّهِ مِنْهَا ابْتِهَالِ  
نُبُوَّةٌ لَاحَتْ بِرَاهِنِيهَا قَطْمِيَّةٌ تَرْغَمُ أَنْفَ الْجِدَالِ

- (١) سراقه : هو سراقه بن مالك الكنانى الذى تبع النبي صلى الله عليه وسلم عند الهجرة ، ليرده إلى قريش . (انظر خبره فى كتب السيرة) .  
(٢) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى ما روى فى كتب السير من أن سراقه لما أراد اللحاق بالرسول ، وكاد يدركه ، غاصت قوائم فرسه فى الزمالة ، وأفزعه ما رأى من مجزءه عن إدراك النبي أو إصابته بسوء ، حتى اضطر أن يعود من حيث أتى .  
(٣) يريد أن فرس سراقه خر على الأرض كما سقطت شرفات قصر كسرى عند مولد النبي إرماسا لنبوته .  
(٤) يشير إلى ليس سراقه لسوارى كسرى أيام عمر تصديقاً لقول النبي لسراقه لما خرج فى طلبه فى الهجرة : « كيف بك إذا لبت سوارى كسرى ! » . (انظر شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٣٤٨) .  
(٥) يريد : أن أعداءه الذى يوم الفار أرادوا قتله ، فحال الحمام دون قهرهم بمشيته فوقه .  
(٦) فى ت : « تحزع » .

وهل جدال في عُلَى أَوْجَبَتْ      وآدم في طِينِهِ ذُو انْجِدَالٍ  
 وإذ بدت في وجهه غُرَّة      خرت له الْأَمْلَاكُ طَوْعَ امْتِثَالٍ  
 ونوحٌ أذْ نُجِّيَ في فُلْكَه      كَانَتْ عَلَى أَنْوَارِ هَذَا اشْتِمَالٍ  
 كَذَا خَلِيلُ اللَّهِ فِي نَارِهِ      مِنْ وَرِهِ أَهْدَى هَدَى الْخِلَالِ  
 إِذْ قَالَ جِبْرِيلُ لَهُ سَلْ تَنْقَلْ      فَقَالَ عِلْمُ الْحَالِ حَسْبَ السُّؤَالِ  
 ونال إسماعيلُ مِنْهُ الْفِدَا      بِالذَّبْحِ أَوْ إِسْحَاقُ إِنْ صَحَّ نَالِ  
 وهودٌ أَسْتَجَلَى لَدَيْهِ الْهُدَى      وَيُوسُفُ مِنْهَا تَحَلَّى الْجَلَالِ  
 وَخِلْمَةُ الْإِشْرَاقِ مِنْهَا اكْتَسَى      بِالطُّورِ مُوسَى عِنْدَ خَلْعِ النِّعَالِ  
 وَالرُّوحُ رُوحُ اللَّهِ لَاقَى بِهَا      بُشْرَى تَلَقَّيْهَا صَدُورُ الرِّجَالِ  
 فِيمَا لَهُ نَوْرٌ انْتَقَاءً بَدَا      فِي غَرْرِ الْآبَاءِ مِنْهُ انْتِقَالِ  
 وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مَعًا وَالضُّحَى      وَالشَّهْبُ مِنْهُ أَشْرَقَتْ وَالْهِلَالِ  
 وَنُورُهُ أَجْلَى ، وَبِرْهَانِهِ      أَعْلَى ، وَكَمْ مِنْ دُونِهَا مِنْ مَعَالِ  
 تَفَجَّرَتْ أَنْثُلُهُ بِالْأَنْدَى      مَعْنَى وَبِالْحُسْنِ جَرَتْ بِالزُّلَالِ (١)  
 وَأَنْطَلَقَ الطَّيْرُ بِتَصْدِيقِهِ      وَأَفْصَحَ الذَّنْبُ بِهِ وَالْفِرْزَالِ  
 وَسَبَّحَتْ فِي رَاحَتِهِ الْحَصَى      وَانْهَزَمَ الْجَمْعُ لِحُسْنِ الرِّمَالِ  
 وَالْجِلْدُ إِذْ عَوَّضَ مِنْ وَضْلِهِ      بِفَصْلِهِ حَنْ حَنِيفِ الْفِصَالِ  
 وَهَلْ إِلَى آيَاتِهِ مُنْتَهَى      وَعَنْ عُلَى غَايَاتِهِ النِّجْمُ آلِ (٢)  
 فَا بَلِغَ بِالْقَا وَصْفَهُ      يَقْصُرُ عَنْ ذَاكَ الْمَقَامِ الْمَقَالِ  
 وَبَعْدَ مَبْدَا (نُونٍ) أَوْ مُنْتَهَى      (بِرَاءَةٍ) مَاذَا عَسَى أَنْ يُقَالِ (٣)

(١) في ط : « لا محال » . بدل : « بالزلال » .

(٢) آل : رجع عاجزا .

(٣) يشير إلى ثناء الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم في مفتتح سورة (نون) ونختم سورة (براءة) .



يا سيد الكونين فضلا به      قد ساد في الأولى ويوم المآل  
 يا سابق الرسل اصطفاء ويا      خاتمتهم جمعا لمعى الكمال  
 يا ملجأ الخلق ومنجىهم      إذا بهم ضاق انقاسح المجال  
 يا من به نال الحب الرضا      ويا شفيما في الذنوب الثقال  
 رُحماك فينا يا نبي الهدى      فلم تزل رحماك ذات انهمال  
 رحماك في أوطاننا راعها      من لحظك الأحمى بعين ابتها  
 رُحماك في سلطاننا وإليه      من نصرك الأَمْضى بأرضى نوال  
 رحماك في غربتنا كن لها      أنسا فإن العهد بالأنس طال  
 رحماك في كُربتنا حلها      منك بسرٍ ففى رهن اعتقال  
 رحماك في عَيْلتنا أغتها      إنا على رِفدك طرأ عيال  
 رحماك في قِلتنا زكَّها      زكاة تكثير لجاء ومال  
 صالت علينا بالوفور العدا      وهل على راجيك غوثا يُصال  
 صالت بَعْدَ واعتداد معاً      وما على ذاك الحمى يُستطال  
 خَالَتْ بَأَنَا لَا غِيَاثُ لَنَا      حاشى غياث الخلق مما يُخال  
 وبالغنى اختالت وما إن لنا      فى غير أفياء غِنَاك اختيال  
 فأنت للخلق ملاذ الوَرَى      والوَزَرُ الأَحْمَى لَدَى ذَى الجلال  
 صلى عليك الله نور الهدى      أَرْكَى صلاة قُرِئت<sup>(١)</sup> باتصال

[٨]

اتهمت القصيدة . ومن ذلك قوله رحمه الله :

لك يافقيه وَضَعْتُ خَدَى فى التَّرى      طمعا بوصلى منك غَيْرِ مؤَجِّلِ  
 فأجاب ذلك لا يجوز لأنه      عندى ربّا من باب ضَعُ وتَعَجِّلِ

بعض شعر له

وقوله :

لِي سَيِّدُ زَارٍ وَمَا زَرْتُهُ      فَتَى النِّقْصِ وَمِنْهُ التَّامُ  
إِنْ يَحْتَمِلُ سَهْوَى فِقْهِهِ مُضَى      لِأَنْتَى الْمَأْمُومِ وَهُوَ الْإِمَامُ  
[ وَطَلَمَّا زَارَ التَّامُ التَّرَى      وَلَمْ يَزِرْ قَطُّ الثَّرَى لِلتَّامِ ]<sup>(١)</sup>

وقوله رحمه الله ، وهو غاية في بابه :

بَعَثْتُ بِهَا ذِكْرِي عَلَى ثِقَةٍ إِلَى      مُؤَمِّلٍ وَعَدَ مِنْ لِقَائِكَ<sup>(٢)</sup> مَرْقُوبٍ  
فَازَلْتُ قَدْأً فِي رَمُوسِ ذَوَى الْمُلَى      وَمَا وَعَدَ رَأْسَ مِثْلَ مَوْعِدِ عُرْقُوبٍ  
[ وقوله :

عَابَ مَنِ الْعُدَاةَ شَمْرًا وَثَرًّا      رُمِيَا فِي الصَّبَا بِشَيْبٍ وَشَيْنٍ  
قَلْتُ : لَا عَيْبَ فِيَّ مَا دَامَ فَضْلُ      فِي النَّهْيِ وَاللَّسَانِ وَالشَّفَتَيْنِ ]<sup>(٣)</sup>  
وقوله :

قَلْتُ لَمَّا جَبَزْتُ بِالْعَاجِ ثَمْرًا<sup>(٤)</sup>      وَلَقَدْ رُمْتُ بِالْمُحَالِ احْتِجَاجَا  
صَاحٍ لَا بَأْسَ أَنْ يَمُوجَ شَبَابِي      بِالتَّلَاقِ<sup>(٥)</sup> أَمَّا تَرَى الثَّنَرَ عَاجَا  
وقوله :

رَأَيْتُنِي أَحْوَطُ الثَّنَرَ رِبْطًا فَأَنْصَحْتُ      وَتَاهَتْ بَشَرٌ بِالْجُنُونِ يُحَاطُ  
فَقَلْتُ لَخُوفِ الْحَلِّ مِنْهُ<sup>(٦)</sup> رِبْطُهُ      أَيْنُكَرُ فِي الثَّنَرِ التَّخُوفَ رِبَاطُ  
وقوله :

إِلْمَى لَكَ الشُّكُوى وَحَسْبِيَ رَحْمَةٌ      نِدَاؤُكَ فِي شُكُوى الْخَطُوبِ إِلْمَى

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « وفائك » .

(٣) في ط : « نفري » .

(٤) في ط : « بالتلاق » .

(٥) في ت : « منك » .

وحَقِّكَ مَا لَّهُوَ أَبَدَعْتَ خَلَقْتَنِي وَهَذَا أَنَا فِي عَمَى الْبَطَالَةِ<sup>(١)</sup> لَاهِي  
بِنَفْسِي وَشَيْطَانِي وَدُنْيَايَ وَالْهَوَى فُتِنْتُ وَلَكِنْ أَنْتَ حَسْبِي لَاهِي<sup>(٢)</sup>  
وَلَنْتَخِمَ مَا أَرَدْنَا جَلْبَهُ مِنْ نَفْظِهِ الَّذِي هُوَ بِحَرْ لَا سَاحِلَ لَهُ بِقَوْلِهِ :  
يَا رَبِّ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ الَّذِي أَحْكَمْتَ : إِنَّكَ تَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَا  
فَاخْتَمَ لِعَبْدِكَ بِالرَّضَا وَاحْكَمْ لَهُ بِالسَّرِّ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ مَعَا

\*\*\*

[٨٢]

وأما الرئيس أبو يحيى بن عاصم فهو الإمام العلامة ، الوزير الرئيس ، الكاتب  
البليغ الجليل الخطيب الجامع الكامل ، الشاعر الفلق النادر ، الحجة ، خاتمة  
رؤساء الأندلس بالاستحقاق ، القاضي محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن  
عاصم القيسي الأندلسي القرناطي ، قاضي الجماعة بها ، كان رحمه الله تعالى من  
أكابر<sup>(٣)</sup> فقيهاها وعلماها ، أخذ عن الإمام الحقيق أبي الحسن بن ميمونة<sup>(٤)</sup> ،  
والإمام القاضي أبي القاسم بن سراج ، والشيخ الراوية أبي عبد الله المتتوري ،  
والإمام أبي عبد الله البيهقي وغيرهم ، وذكر في شرحه تحفة والده أنه وتلى القضاء  
عام ثمان وثمانين وثمان مئة ، وله عدة تأليف منها شرحه العجيب على تحفة والده  
في الأحكام ، وهو كتاب نافع ، فيه فقه متين ، ونقل صحيح ، وكانت يده  
وبين عصرية الإمام مفتي غرناطة أبي عبد الله السركسطيني ، مراجعات  
ومنازعات في مسائل فقهية . ومن تأليفه رحمه الله : كتاب جنة الرضى ، في التسليم  
لما قدر الله وقضى ؛ وكتاب الرّوض الأريض ، كأنه ذيل به إحاطة ابن الخطيب ،

(١) في ت : « البلاغة » .

(٢) لاهي : أى يا لاهي .

(٣) في ط : « أكابر » .

(٤) كذا في نسخ الطيب . وفي الأصلين : « ميمت » وهو تحريف .

وله غير ذلك ، وسنذكر شيئاً من كلامه بعد هذا إن شاء الله تعالى .

ومن أعرب ما صدر عنه ، رضى الله عنه ، قصيدة ، تنفك منها قصيدتان أخريان بديعتان ، إحداهما من المکتوب بالأحمر ، والأخرى من المکتوب بالأخضر ، وكل واحدة من هاتين البتتين تلد موشحة ، كما ستره ، وقد ألفيتها بخط بعض أعلام سبته ، وهو الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن فرج ، وجده محمد بن فرج هو الذى نأتى بجملة من نظمته في النعل النبوية ، عند ما نتعرض لذلك إن شاء الله تعالى ، في محل هو أنسب من هذا للوضع ، وقد سقط من هذه القصيدة نحو ثلاثة أبيات ، فموضتها بغيرها على ذلك السنن<sup>(١)</sup> ، على أن بعض كلماتها لم تسقط إلى طرف<sup>(٢)</sup> .

ونص ما كتبه السبتي المذكور من نظم السيد الأستاذ القلم الصّدر الملقى القاضى رئيس الكتّاب ، ومعدن الساحة ، ومنبع الآداب ، سيدى أبي يحيى [ ٣ ] ابن عاصم رحمه الله ، ورضى عنه ، يمدح السلطان العادل المقدّس المنعم المرحوم المجاهد ، أبا الحجاج يوسف بن نصر ، قدّس الله روحه ، ونضّر ضريحه ، قال :  
ونقلتها من خط ناظمها رحمه الله . انتهى . وهذه هي القصيدة<sup>(٣)</sup> :

أما والهوى « ما كنت » مذ بان عهدُهُ      أهِمُّ بَلْقِيَا من ( تنائر<sup>(٥)</sup> ) وُدّه  
رعى الله من « لو أنصف » الصب في الهوى      لما فاض منه ( الدمع ) مُذْ<sup>(٦)</sup> بان صدّه

(١) في ط : « النسق » .

(٢) يريد أن الأبيات الثلاثة الواقعة قد ظهر منها بعض كلمات .

(٣) وضعت ما كتب بالمداد الأحمر في الأصل بين هذين القوسين « ، وما كتب

بالأخضر بين هذين الهلالين ( ) اقتداء بما في نسخة ت .

(٤) في ت : « إمام الهدى » .

(٥) في ط : « تنائر » .

(٦) في ط : « إذ » .

ولو جاد من « بعد المطال » برؤرة  
 كما خان صبرى يوم أصبح و « اصلى  
 لذلك أسال الدمع » ( كالدر ) مدمعى  
 حكي لؤلؤاً ( من سلكه ) متناثرا  
 ذخرت ( الثمين ) القدر منه بمقلتي  
 ولا عجب ( مذكأعوز ) القرب أن غدا  
 أيُلحق باللقيا أو ( الوصل ) من يغو  
 وصير جسمي للصبابة ( والتلا  
 أقطع أنفاسي « عليه ك » آبة  
 فمن شعره « الليل البهيم » ومن سنى  
 ( ب ) حكم « الدلال » الجور حكم جوره  
 له معطف « مستحسن القذ » ناعم  
 رمى في فؤادى جمرأ « ذكى » لهيبه  
 فيعقب من نار الحيا عاطر « الشذا  
 ويبسdo بأفاق ال ( جمال ه ) الاله  
 كأن الظبي في ( مرتع ) الطرف لحظه  
 يروق ( العيون ) المعطف منه فشبت  
 ويانه « م ورد الخلد » لوجاز ( ٣ ) قطفه

لما شب أشواقى وقلبي زنده  
 لطفى « زاد ماء » ( من جفوني ) وقفه  
 من « الوجده » فاستولى على الجفن سنده  
 و « إلا ليم » قد تتابع مذه  
 ومازلت من خوف « النكال » أعدده  
 و « كالقمر الزاهى » سناه وبعده  
 ر « فى نوره » بدر السماء وجنده  
 فى ( يتيم قلبي إذ تمكّن وجده <sup>(١)</sup>  
 والله ( من بدر ) لغيري <sup>(٢)</sup> سنده  
 مقبله لا ( حُس ) نور ينده  
 ومن شأنه أ ( لا قرين ) يرده  
 به ( علق في الحب ) بالرغم أسده  
 به ( ظي أنس ) قد تلهب خده  
 ك « أنى بذاك الخال قد نمت نده  
 له « الليل فرعاو » الكواكب عقده  
 كأن « القنا فى » الالين والفعل قده  
 به قضب البان « اعتدال » ما وملده  
 وطيب رحيق الشغل ( وحل ) وزده

(١) كذا فى ط . والسطر الثانى من هذا البيت غير مستقيم وزناً . وروايته فى ت :

وصير جسمي للصبابة وابلى يتيم قلبي إذ تمكّن وجده

ولا تتفق ألفاظ هذه الرواية مع ألفاظ الموشحة التى تخرج من هذه القصيدة .

(٢) فى ت : « لعمري » .

(٣) فى ت : « حان » .

يَجُولُ بِهِ رَيْقٌ « شَهِيٌّ » يَحِيلُنِي  
وَيَحْيِي الْمُحْيِيَّ وَ « اللَّيِّ » بِلَوَاحِظِ  
قَلْبِهِ مِنْ رَيْمٍ ضُلُوعِي ( كِنَاسٌ )  
وَيُمنَعُ مِنْهُ الْمُستَهَامُ ( فَمَا لَهُ )  
وَبِالْحَسَنِ مِنْهُ ( يَسْتَبِيحُ ) حَتَّى التَّهَيُّ  
وَيُلَوِي ( دَنِيئِي ) فِي الْهَوَى وَهُوَ مَوِيرٌ  
أَفِي الْعَدَلِ أَنْ ( يَحْكُمُ ) بِتَحْرِيمِ رَيْقِهِ  
تَحْيَلْتُهُ لَوْ نِيلَ ( بِالنَّهْبِ ) فِي الْكَرَى  
فَأَجْنِي كَمَا شَاءَ الْوِصَالُ « رُضَابِهِ »  
وَيَشْفِي بِذَلِكَ الْمَبِيسَ « الْعَذْبِ » رَيْقُهُ  
وَحُلُو « الْجَنَى » مَرُّ الْجَفَا بَاهِرُ السَّ  
بَدَا « فِي الْمِثَالِ » كَالْفَزَالِ مُحَاسِنًا  
وَالْحَبِيبِ دَعَا « وَلَحْظُهُ الْأَوْطَفُ » الْوَرَى  
تَمَلَّكَ رَيْقِي طَرَفُهُ « مَعَ سُقْمِهِ »  
وَأَظْهَرَ مَكْنُونِ الْهَوَى مِنْ دُجَارٍ ( فِي أَلِ  
وَقَدْ كَانَ تَحْتَ الْكُتْمِ ) عُذْرِي ( وَ ) وَجَدَهُ  
وَيَحْسِبُهُ فِي ( الْحَكْمِ ) بِالْجُورِ « كَ » الْوَرَى  
إِذَا ( بِالظُّنُونِ ) الْكَاذِبَاتِ يَنَالُهُ

إِلَيْهِ لَظِي ( فِي الْقَلْبِ ) قَدْ شَبَّ وَقَدْ  
( عَنْ ) الدَّنَفِ الْمُغْرَى بِهِ <sup>(١)</sup> فَتَصُدُّهُ  
وَرَوْضِ يُسْقِيهِ مِنَ الدَّمْعِ عَهْدُهُ  
و « فِي لُثْمِهِ » لَوْ جَادَ بِالثَّمِّ قَصْدُهُ  
و « كُلُّ الْمُتَى » وَالْيَمْنِ يَحْوِيهِ بُرْدُهُ  
لَهُ دُرٌّ ثَقَرٌ « لَوْ يُنَالُ » وَعِقْدُهُ  
لِأَنَّ « كَانَ لِلشَّهْدِ » الْمَلَلِ وَرُدُّهُ  
« وَمَا ذَقْتُهُ » يَشْفِي مِنَ السُّقْمِ شَهْدُهُ  
وَيَحْيِي عَلَى قَلْبِي هَوَاهُ وَصَدُّهُ  
( فَوَادِي ) إِذْ يَشْفِي بِلَشْيِ خَدُّهُ  
( نَى لَهُ نَهْبُهُ ) إِذَا الْقَلْبُ قَشَرَا <sup>(٢)</sup> وَرُدُّهُ  
وَتَحْشَاهُ أَبْطَالُ ( الْعَرِينِ ) وَأَسَدُهُ <sup>(٣)</sup>  
( أ ) لَا ( هَكَذَا ) قَلْبُ الشُّوقِ أَقْدُهُ  
و « ( الشَّرْعُ ) فِي حَكْمِ الْفَرَامِ يَرُدُّهُ  
مُعْتَى ( أَلِ ) ذِي قَدْ طَالَ فِي الْحُبِّ جَهْدُهُ <sup>(٤)</sup>  
و « أَسْهَرُ مِنْهُ » مَا اخْتَنَى قَبْلَ صَدِّهِ  
وَهَلْ بَا « لِسْلِيمِ » الْقَلْبُ يُحْسِبُ ضَدَّهُ  
يَنَامُ فَكَمْ عَم « الْإِيَالِ » يَ مُنْهَدُهُ

(١) فِي ط : « نَهَا » .

(٢) فِي ت : « سَرَا » .

(٣) هَذَا الْبَيْتُ سَاقَطٌ فِي ت .

(٤) فِي ط : « جَعَدَهُ » .

يد «وح سنه» ١ «ه» للشوق وقربه  
 وفي مجتلاه «الباهر» الحُسن والرؤا  
 وأنش بالإنصاف «مهما بدا» وإن  
 ويديه نور الحسن وهنًا «لمقاتي»  
 يميل على المشتاق (بالهجر) حكمة  
 فيها جرى (والصد) للصب قاتل  
 أما (والفتون) البالي وسحره  
 ويا مقولى (مالى سوا) ك مؤازر  
 فصغ لؤلؤا من (مدحى ابن) ملوكنا  
 من أورته الملك المؤصل (نصر) ه  
 لباب العلى «قطب المعالى و» تاجها  
 به قد غدا ثغر «الهدى» وهو باسم  
 «و» أنحى «الكامل طود» ه فإن اعتدى  
 ومهما عفا عاد «الحجا» وهو قاتل  
 وبالشتم يزرى عقله «الأرجح» الذى  
 فعنى الحلى تهديه للقلب ذاته  
 ومن كفه (غيث الندى) وغمامه  
 إذا انهل منه (الواكف ال) لئلا لورى

عليه حرام إذ (يحمل) بعده  
 حياتى ، وشبه (القتل) للنفس فقده  
 أرى (منه ظلمًا) عاود القلب وجده  
 ويخفيه فرغ فاحم الوصف جفده  
 ه «منه» استعار الميل عنى قدّه  
 وروض «نعيم» فى رضاك وخلده  
 ليقتنعى هزل «الوصال» وجده  
 ه «خل الهوى وامدح» لمن حق حمده  
 «إمام الورى» الباهى على الخلق رفده<sup>(١)</sup>  
 وأكبه الجسد المؤئل سعده  
 و(بدر الهدى ال) وضاح فى الدهر<sup>(٢)</sup> سعده  
 منير سناه (مشرق) الأفق سعده  
 على البدر نقص ه (الجبين) ميده  
 ك(ذا الحلم والصفح) الذى أستعده  
 لنح(و<sup>(٣)</sup>) المعالى والمجادة قصده  
 و«سر العلى» يديه للعين مجده  
 و«معنى السباح» المستاح ورغده  
 فصفه «و الندى و» الجود قد لذورده<sup>(٤)</sup>

[٨٥]

(١) فى ط : « الباهى على الخلق قدّه » .

(٢) فى ت : « فى البحر » .

(٣) فى ت : « له والمعالى » .

(٤) هذا البيت ساقط فى ط .

تخال (هَتُون) البذل منهن زائلا  
وكل « نوال ه » امل من بنانه  
وفيض نداء « يشرح » الحال إنه  
(و) في غيظه التَّجَاج « المَعْتَنِي » الغنى  
والفضل والإحسان والبأس (سبة) ه  
وأفعله عند استباق (الدا) شأت  
له مشرق (دائم ال) قطع للطلا  
وبين (سكون) في الندى من الحجا  
وزينه من (قصده الجمع) للعل  
وحزم وعزم (بين يكر) وثيب  
فيوم الندى الإسلام يسعد دهره  
ومن بأسه « أضحى الحمام » تَمَنَعَا  
وتَمَسَّى عداه « كالجم » شراهم  
وينذو « الموال » في « سرور وغبطة  
قد اعتاد « ترك الكافر » ين وشأنهم  
فأبطلهم « رهن الفنا » ه « و » ما لم  
ولم يبق إلا من حَمَى الحسن (للعطا)  
وأصبح في العليا (كالبحر) كفه  
فصَوَّب الحيا (في جودة) برقه الظبي

يُكَيِّفُه برق « الجلال » ورعده<sup>(١)</sup>  
فأقصى صفات الجود (قد جاز) جوده  
يعد الحيا (في السمع) إذ يستمده  
إذا : (الأيادي) منه يبدأ رِفده  
والملك والإسلام والعلم عَضْدُه  
و « فعل ظباه با » لكأمة وجُرْدُه  
فكل كمي ل « لعدا في » ه فقدده  
(و) بين مضاء : « القتال » يُعْده  
كأزبن ا « لسيف » الصقيل فِرِنْدِه  
ه « للرهب » الماضي يُفَلِّل حذَّه  
و « يوم الوغى » الإشرار يتعس جَدَّه  
و (للفخر) منه صارم يستمده  
وما شيدوا (في دهره) فيهده<sup>(٢)</sup>  
من البشر أباكرا (وعون) تَوَدُّه  
لهيب (وشأن ه) مل الدمع وزده  
إلى (البذل) عقباه وبالسيف رُدَّه  
وشَقَّع في أـ (يا) نه<sup>(٣)</sup> . منه خدَّه  
كما « قد غدا مثل ال » جواهر رِفده  
يريك « هشيم » الكفر مما يقْدُه

(١) هذا البيت ساقط في ط .

(٢) في ت : « لم يهده » .

(٣) في ط : « أحياه » .



نَدَاهُ (الْمَعِين) الثَّرَّ قَدْ نَمِ الْهَدَى  
وَأَحْكَمْ «مَرْفَع» الْمَلِكِ إِذْ نَصَبَ الْعَدَا  
أَيَا سَامِي «الْقَدَر» الَّذِي جَلَّ ذِكْرُهُ  
صِفَاتُكَ فِي الْعَلِيَاءِ «عَزِيزٌ» مَنَالُهَا  
فَاشْتَنَتْهُ مِنْ عِزَّةِ الْجَارِ وَ«الْحَمَى»  
وَأَبْعَدَتْ فِي (وَصَفِ الْعُلَى) عَنْ مَسَابِقِ  
وَجُودِكَ (فِيهِ ذُو) الرِّجَا مَغْرَمٍ فَإِنْ  
وَكَمْ مِنْ (فَنُونٍ) يَسْتَعْمِدُ بِهَا الضَّحَى  
وَكَمْ بَاتَ يَتَلَا (وَسُورَةً) الْفَتْحِ عِزُّهُ  
وَأَصْبَحَ بِاسْتِحْقَاقِهِ (الْحَمْدُ مِنْ) أَوَّلِيهَا  
بِعَدْلٍ وَإِحْسَانٍ قَدْ اخْتَارَتْ كُلُّهُمَا  
وَبَأْسٍ وَبَطْشٍ يَحْمِيَانِ «حَمَى الْهَدَى»  
وَحِلْمٍ «وَجُودُهَا» تَنْ «وَمَكَارِمٍ»  
وَكَيْفَ «يَنَالُ» الْمَدْحَ أَوْصَافَ مَا جَدَّ  
يَمُّ بَعْدُ «وَوَخْصَ بَالُ» ذَنْبِ نَظْفَقِهِ  
وَالسَّيْفُ نَصْرِي ابْنَ «نَصْرٍ عَلَى» الْعَدَا  
وَالْمُلْكُ عِزُّ أَوْ كَسْبُ الذِّلِّ «مَنْ بَغَى»  
فَفِي ذِمَّةِ الْعَلِيَاءِ (تِلْكَ الْخَلَا) الْعُلَى  
أَتَرْتِ بِهَا مِنْ (فَاحِمٍ) ظِلْمَ مَا دَجَا  
فَزَالَتْ (دَجُونُ) الْجُورِ عَنْ مَطْلَعِ الْهَدَى  
هُوَ «الْمَلِكُ» لَمْ تَغْبِطْهُ إِلَّا نِزَارُهُ

ويشقى به حزب «الضلال» وجنده  
على حال ذل (نال من) ضل<sup>(١)</sup> جهده  
ويا محرز (المجد) الذي عز نده  
لها (كل طبع) أحرز الفضل فرده  
«وقد» رسما فوق السماكين مجده  
لها و «تداني» من نواك رغبه  
حمى «جوده» ذم المهلب أزدده  
إذا ما تنأى «للمنال» ممدده  
ويحكم «ممثل الأمور» النهى وجده  
مدالة في «الأحكام» بان رشده  
(حلاه) كما آخى المهند غمده  
فختي (لقد ت) لمتي مع السرح أشده  
«لاهن كل» الوصف عنها وجهده  
يود الملا (حين) ا وحينا تودده  
و (تهدي إلى الرشد) المبين ألدده  
فساعة (إذ يجلي) جلي الكفر حده  
خافت به من مؤلم القهر نكدده  
و «لما بدت» للدين أنجز وعدده  
نجلت «سعوده» ن الملوك عضده  
فنور سناه «في اقتبال» وسعدده  
بما ليس في إبه (كانها) ومعدده

[٨٦]

وفي منتهاك «الأشرف» الأصل للورى  
 ويُمنّاك يوم الجود «ترب الحيا» اغتدت  
 لك المرهفُ السفاح بالفتح (مُنَنَّى)  
 وجمعت شتى الجود (فى وتر) راحة  
 فكم كامل (الأوصاف والذات ماجد  
 على) (يمين قل) تها غير حاث  
 فقد عز فى الدنيا (له المثل) فى العلى  
 وأين المسمى (والمضاهى) بحادة  
 كريم الساعى حافظ الدين و«الهدى  
 فى الفخر أضحى» (الفضل والمجد) طبعه  
 ومحتده السامى «الكريم» نجاؤه  
 فشتى «الخلال» الغرّ جُفَعْنَ عنده  
 ودونك يا مولاي حناء غادة  
 مُرَنِّحَة الأعطاف تلعب بالثهى  
 هدية عبـد مخلص لك قلبه  
 فالفاظها تحكى جُمان دُموعه

قال جامع هذا التصنيف : أشار الرئيس أبو يحيى بهذا الشطر الأخير إلى  
 الكاغد الأصفر الذى كانت فيه هذه القصيدة مكتوبة : ثم قال :

وأناقسها من كل لون غريبها وترتيبها من ذاته يسـتـتـعـده  
 فأكلها من مقلتي أستميحها وأجرها من أدمى أستمتده

وأخضر هامن طيب عيشي الذي مَفَى      لديك وأرجو بالرضا تسترده<sup>(١)</sup>  
 وأعجب شيء أنها بكر فِكْرَتِي      وما بَكَتْ مِعْشَارَ شَهْرٍ نَعْدُهُ  
 وعد ولدت بِنْتَيْنِ ثَنَتَيْنِ مِثْلَهَا      يروقك من معناهما ما تَوَدُّهُ  
 وكلتاها قد جُرِّدَت من نظامها      موشحة كالسيف راق فَرِنْدُهُ  
 نغذا قفيها للتواظر مَسْرُح      ومن مدحك<sup>(٢)</sup> الحسن الذي تَسْتَبِدُّهُ  
 بقيت كما تهواه ما هَبَّتِ الصَّبَا      فالت بها بان العَذِيبَ وَرَنْدُهُ  
 انتهت القصيدة المريدة ، وهأنذا أذكر البنتين اللتين وَلَدَتْ ، ثم أذكر  
 ما ولدت كل واحدة منهما بحول الله وقوته .

فأما القصيدة الخارجة من المکتوب بالأخضر [ فهذا نصها ، وتوشيحها البت الأول  
 ينتظم من المکتوب فيها بالأخضر ]<sup>(٣)</sup> وهي هذه :

(تَنَازَرُ اللَّمَعُ) مِنْ جُفُونِي (كَالدَّر) مِنْ سِلْكَه التَّمِينِ  
 (مُذْ أَعُوَزَ الْوَصْلُ) وَالتَّلَاقِ (مِنْ بَدْر) حَسَنَ بِلَا قَوَيْنِ  
 (عَلِقْتُ فِي الْحُبِّ) ظِيَّ أَنْسِ (جَمَالُهُ) مَرْتَعُ الْعُيُوفِ  
 (وَحَلَّ فِي الْقَلْبِ) عَنْ كِنَاسِ (فَالَهُ) يَسْتَبِيحُ دِينِي  
 (يَحْكُمُ بِالنَّهْبِ) فِي فَوَادِي (إِذْ نَالَهُ) نَهَبُهُ الْعَرِينِ  
 (أَهْكَذَا الشَّرْعُ) فِي الْمُعْتَى (الْعَذْرَى) وَالْحَكْمُ بِالظَنُونِ  
 (يُحَلِّلُ الْقَتْلَ) مِنْهُ ظَلَمًا (بِالْهَجْرِ) وَالصَّدُّ وَالْقَتُونِ  
 (مَالِي سِوَى مَذْحِي) ابْنَ نَصْرِ (بَدْرُ الْهَدَى) الْمَشْرِقَ الْجَبِينِ  
 (ذَا الْحَلْمِ وَالصَّفْحِ) وَالْعَالِي (غَيْثَ النَّدَى) الْوَائِكَفَ الْهَتُونِ

(١) في ت : « نتمده » .

(٢) في ط : « مدحها » .

(٣) زيادة عن ت .

[٨٨]

(قد جاز في السمع) وَالْأَيَادِي (سبق للدي) دَائِمُ السَّكُونِ  
(وقصده الجمع) يَنْ بَصَرَ (للفخر) فِي دَهْرِهِ وَعُتُونِ  
(وشأنه البذل) لِلْعَطَايَا (كالبحر) فِي جُودِهِ الْمَعِينِ  
(نال من المجد) كُلَّ طَبْعِ (وصف العلا) فِيهِ ذُو فَنُونِ  
(وسوّر الحمد) مِنْ حِلَاةِ (لقد تلا) هُنَّ كُلَّ حِينِ  
(تهدى إلى الرشد) إِذْ تُجَلَّى (تلك الحلي) فَاحْمَ الدُّجُونِ  
(كانها الشفع) فِيهِ مَتْنِي (في وتر) الْأَوْصَافِ وَالْيَمِينِ  
(قل لها النيل) وَالْمُضَاهِي (في الدهر) فِي رِفْعَةِ وَدَيْنِ

اتهمت البنت الخضراء ، وهذا نص بنتها الموشحة ، المستخرجة من الأخضر :

الموشحة الأولى

تَسَاوَرَ الدَّمْعُ ، كَالدَّرِّ مُذْ أَعْوَزَ الْوَصْلُ ، مِنْ بَدْرِ  
عَلِمْتُ فِي الْحُبِّ جَمَّالَهُ  
وَحَلَّ فِي الْقَلْبِ فَمَّالَهُ  
يَحْكُمُ بِالنَّهْبِ إِذْ نَمَّالَهُ  
أَهْكَذَا الشَّرْعُ ، الْعُذْرِي يُحْلِلُ الْقَتْلَ ، بِالْهَجْرِ  
مَالِي سِوَى مَذْحِي بَدْرِ الْهُمْدَى  
ذَا الْحِلْمِ وَالصَّفْحِ غَيْثُ النَّدَى  
قَدْ جَازَ فِي السَّمْعِ سَبْقَ الْمَدَى  
وَقَصْدَهُ الْجَمْعُ ، لِفَخْرِ وَشَأْنُهُ الْبَذْلُ ، كَالْبَحْرِ  
نَالَ مِنَ الْمَجْدِ وَصَفِ الْعِلَا  
وَسُوَّرَ الْحَمْدَ لَقَدْ تَلَا  
تَهْدَى إِلَى الرُّشْدِ تِلْكَ الْحِلَى  
كَأَنَّهَا الشَّفْعُ ، فِي وَتَرٍ قَلَّ لَهَا النِّثْلُ ، فِي الدَّهْرِ

[اتتهت .

ويمكن أن تستخرج باختصار هكذا<sup>(١)</sup> :

تنثر السمعُ ، مُذْ أعوزَ الوصلُ  
 عِلقت في الحبِّ ، وحلَّ بالقلبِ ، يحكم بالنهبِ  
 أهكذا الشرعُ ، يُحلُّ القتلُ ؟  
 مالى سوى مدحى ، ذا الحلم والصفح ، قد حاز فى السَّح  
 وقصده الجمعُ ، وشأنه البذلُ  
 له من المجدِ ، وسُورِ الحمدِ ، تهدي إلى الرشدِ  
 كأنها الشفعُ ، قلَّ لها اللُّلُ

[١٩]

اتتهت .

وأما البنت الحمراء فهي الخارجة من للكتوب بالأحمر ، وتوشيحها ينتظم من  
 البنت الثانية

الكتوب فيها بالأحمر ، وهذا نصها :

« ما كنتُ لو أنصف » بمدِّ المطال « أصلى لظَى الوجِدِ الأليم » النكال  
 « كالتقعر الزاهى » فى نُوره « عليه كالليل البهم » الدلال  
 « مستحسن القد » ذِكْىُ الشذا « كالليل قرعا والقنا » فى اعتدال  
 « مؤرَّد الخد » شهِىُ اللَّمى « فى لثَمِهِ كلَّ العنى » لو يُنَال  
 « كأنَّ للشهد » وما ذقته « رضا به العذبِ الجَنَى » فى المثال  
 « ولحظه الأوطف » مع سقمه « أنهرُ منه كالسليم » الليال  
 « وحسنه الباهرُ » مَهما بدا « لفتلى منه نعيمُ » الوصال  
 « خَلَّ الهوى وامدح » إمام الورى « قطب للمعالى والهدى » والكَمال

(١) ما بين القوسين زيادة عن ت .

« طَوَدَ الحِجَا الأَرْجَحَ » سرَّ العلى  
 « نَوَالُهُ يَشْرَحُ » للمعتنى  
 « لَسَيْفُهُ الرَهْفُ » يوم الوعى  
 « فَيَتَرَكُ الكَافِرَ » زَهْنُ الفنا  
 « مُرْفَعُ القَدَرِ » غَرِيزُ الحِمْيِ  
 « مُتَمَلُّ الأَمْرِ » والاحكام قد  
 « وَخُصَّ بالنَصْرِ » على من بَغَى  
 « المَلِكُ الأَشْرَفُ » تَرَبُّبُ الحَيَا  
 « يَوْسُفُ النَاصِرُ » دِينَ الهَدَى  
 « مَعْنَى السَّمَاحِ » والندى « والجَلَالِ »  
 « فَعَلَ ظُبَاهُ بِالْعِدَا » فى القتال  
 « أَضْحَى الحِمَامُ كَالْحَمِيمِ » الثَّوَالِ  
 « وَقَدْ غَدَا مِثْلَ الهَشِيمِ » الضَّلَالِ  
 « وَقَدْ تَدَانَى جُودُهُ » لِلنَّالِ  
 « سَحَى الهَدَى وَجُودُهُ » أَنْ يُنَالِ  
 « لَمَّا بَدَتْ سَعُودُهُ » فى اقْتِبَالِ  
 « غِيثُ النَّدَى الهَامِى العَمِيمِ » الثَّوَالِ  
 « ذُو الفَضْلِ والمَجْدِ الكَرِيمِ » الخِلَالِ  
 انتهت البنت الحمراء .

الموشعة الثانية وهذا نص مُوشَّحَتِهَا ، وهى بنتها ، الخارجة منها من المكتوب بالأحمر :

مَا كُنْتُ لَوْ أَنْصَفُ أَصْلَى لَفَى الْوَجْدِ الْأَلِيمُ  
 كَالْقَمَرِ الزَّاهِي عَلَيْهِ كَاللَّيْلِ الْبَهِيمِ

\*\*\*

مُسْتَحْسِنُ الْقَدِّ كَاللَّيْلِ فَرَعًا وَالْقَنَا  
 مُورِدُ الْخَدِّ فى لُثْمِهِ كُلِّ النُّنَى  
 كَانَ لِلشَّهْدِ رِضَابُهُ الْعَذْبَ الْجَنَى

\*\*\*

وَلَحَظَهُ الْأَوْطَفُ أَشْهَرُ مِنْهُ كَالسَّلِيمِ  
 وَحَسَنُهُ الْبَاهِرُ لِمَقَاتِي مِنْهُ نَعِيمِ

\*\*\*

خَلَّ الهوى وامدحْ      قطب العالي والهدى  
طودَ الحِجَا الأرجحْ      معنى السباح والندى  
نواله يشرحْ      فعل ظُباه بالعدا

\*\*\*

لسيفه المرهفْ      أنضى الحمام كالخيمْ  
فـيـتـرك الكافرْ      وقد غدا مثل الهشمْ

\*\*\*

مُرَفِّعُ القـدـرِ      وقد تدانى جـودُهُ  
مُمَثِّلُ الأَمْرِ      حَمَى الهُدَى وُجودُهُ  
وَحُصْنٌ بالنصر      لما بدتْ سـعودُهُ

\*\*\*

الملكُ الأشـرفُ      غيث الندى الهامى العيمْ  
يُوسُفُ النـاصرُ      ذو الفضل والمجد الكريمْ

ويمكن اختصارها أيضاً هكذا :

ما كنتُ لو أنصفْ ، كالقمر الزاهرْ  
مستحسنُ القدْ ، مورد الخـدْ ، كأنْ للشهد  
ولخطه الأوطف ، وحسنه الباهرْ  
خل الهوى وامدحْ ، طودَ الحِجَا الأرجحْ ، نواله يشرحْ  
لسيفه المرهفْ ، فيترك الكافرْ  
مُرَفِّعُ القـدـرِ ، مُمَثِّلُ الأَمْرِ ، وَحُصْنٌ بالنصر  
الملكُ الأشـرفُ ، يُوسُفُ النـاصرْ

قلت : وإنما لم أجزم بهذه المختصرة لأجل أن الناظم صرح بأن كل واحدة من البنتين الحراء والخضراء لم تلد إلا موشحة واحدة من البنتين ، ولو ولدت موشحتين لصرح بذلك ، ولا شك أن الموشحة غير المختصرة أتم معنى ، وأكمل مساقاً ، فالأصوب الاختصار عليها ، وإن كان يمكن استخراج أكثر منها لمن تأمل حق التأمل ، والله تعالى أعلم .

موازنة بين ابن  
عاصم وصاحب  
عنوان الشرف  
الشامى

[٩١] وعلى كل حال فقد أبدع هذا الرئيس في هذه القصيدة ، وإن كان فيها بعض تكلف ، وقصده أبدع من قصد صاحب عنوان الشرف الشامى <sup>(١)</sup> ، لأن هذا أخرج من الخارج شيئين <sup>(٢)</sup> على ما لا يخفى ، غير أن صاحب عنوان الشرف أطال ، واستخرج أربعة علوم متباعدة ، من أول وهلة ، وكلاهما قد أبدع رجهما الله ؛ ولم أتحقق : هل وقف ابن عاصم على كتاب عنوان الشرف ، فاهتدى بأضوائه أم لا ؟ والله تعالى أعلم .

ومن كتاب جنة الرضى له رحمه الله ما نصه <sup>(٣)</sup> :

مختار من كتابه  
جنة الرضى

« الحمد لله الذى عَوَّضَ من الخلافِ وفاقاً ، وأعقب من الافتراق اجتماعاً واتفاقاً ، وهياً لأسواق الائتلاف برفع الخلاف <sup>(٤)</sup> تفاقاً ، ويسر لوطن الجهاد <sup>(٥)</sup> من توثير المهاد أرفاقاً ، وزينَ بأنجم السعود من النصر للموعود آفاقاً ، وعقد على جمع الكلمة من الأمة للسلمة إجماعاً وإصفاقاً . نجمده سبحانه وهو الحمد بجميع اللغات ،

(١) كذا في الأصلين . واسم الكتاب : « عنوان الشرف الوافى » ، في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والفوائى » ، وهو لـشرف الدين بن المقرئ لإسماعيل بن أبي بكر النجفي ، التوفى سنة ٨٣٧ هـ . (انظر كشف الظنون) .

(٢) في ط : « أشياء أخر » .

(٣) البارة « له رحمه الله ما نصه » : ساقطة في ت .

(٤) في ت : « الاختلاف » .

(٥) في ت : « الاجتهاد » .



ونشكره على ما سَتَى من آمال على وَفْقِ الأُمْنِيَةِ مُبْلَغَات ، وَتُنْثَى عليه بما أَسَدَى من عوارفِ مَحْوَلَات ، ومواهبِ مُسَوِّغَات ؛ حِدا نَسْتَكْتَر من دُرره النفيسة إِشْفَاقًا ، وَأَمَانَتِهِ العظيمة فلا نَأْبَى من حَمَلِهَا إِشْفَاقًا ؛ ونشهد أَنَّهُ اللهُ <sup>(١)</sup> لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الواحد الأحد ، الفرد الصَّمَد ، الذي لم يلد ولم يُولَدْ ولم يكن له كُفْوًا أَحَد ؛ شهادة نرفع لواءها المَرْنَح <sup>(٢)</sup> القَدَبَات خَفَاقًا ، فلا لاقى بعد هذه الشهادة لمقاصد السعادة إِخْفَاقًا <sup>(٣)</sup> ؛ ونشهد أَن سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبده ورسوله ، ونبيه المصطفى وخليفه ؛ نبي الرحمة ، ونور الظُّلْمَةِ ، وشفيع الأُمَمِ ، والمبعوث بالكتاب والحِكْمَةِ ، والمجموع له بَيْنَ مِزِيَةِ السَّبْقِ وَمِزِيَةِ التَّمَتَةِ ؛ شهادة تستحفظ بقاء الأرض أَرْفَاقًا ، فلا تخشى معها القلوب ، وقد حصل منها الغرض المطلوب ، شُكْرًا وَلَا نِفَاقًا ؛ ونصلى على النبي الكريم ، المبعوث بالخلق العظيم ؛ صلاة نَحُلُّ بِهَا من عُقْلَةِ الذِّكْرِ وَثَاقًا ، ونؤكد بها القَبُولَ إِذَا عَارَضَ العملُ المَقْبُولَ مِثَاقًا ؛ ونَرْضَى عن آلِ مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ ، وعشيرته وحزبه ، المحتصين بقربه ، الفائزين بالرضا من ربه ؛ أَكْرَمَ النَّاسَ أَعْرَاقًا ، وَأَعْظَمَهُمَ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ إِطْرَاقًا ، وَأَبْهَرَهُمْ فِي مَقَامَاتِ الْمَدَايَةِ إِشْرَاقًا ؛ ونستوهب منه التأييد والنصر ، والفتح الذي تفوت عجائبه الحضر ، والتَّسْنُحُ الذي لا تعرف صَلَاحَةُ صَلَاتِهِ الْقَصْرَ ؛ لهذه الْخِلَافَةِ الْغَالِبِيَةِ ، التي أَطْبَقَتْ عَلَى الْإِغْضَاءِ أَحْدَاقًا ، وَأَظْهَرَتْ مِنَ الْحِلْمِ لِمَا كَانَ مِنْ مَكْنُونِ الْعِلْمِ صِدَاقًا ؛ وَنَبْتَهِلُ إِلَى اللهِ فِي دَوَامِ أَيَّامِهَا ، وَإِعْلَاءِ أَعْلَامِهَا ، وَإِمْضَاءِ ذَابِلِهَا الْمَرْهُوبِ وَحُسَامِهَا ؛ حَتَّى يَتَنَفَسَ الْإِسْلَامُ خِنَاقًا ، وَتَسِيرَ بِهَا الرِّفَاقُ ، وَقَدْ تَهَاوَتْهَا الْآفَاقُ ، وَخُذًا وَإِعْنَاقًا ، وَتَخَضُّعًا لَهَا الْجَبَابِرَةُ ، وَالْمُلُوكُ الْقِيَاصِرَةُ ، رِقَابًا وَأَعْنَاقًا ؛ وَنَعُدُّ إِلَيْهِ

(١) ق ط : « الذي » .

(٢) ق ط : « المرنح » .

(٣) هذه البارة ، من قوله : « فلا لاقى » إلى قوله : « إخفاق » ساقطة ق ت .

يَدَ الافتقار ، ونبسط كف الضراعة والاضطرار ؛ في كف الفتن ، عن هذا الوطن ؛  
وكف الكفار ، عن هذه الديار ؛ وتيسير الفرج القريب ، لهذا القطر الغريب ؛  
وتسهيل الصعب العسير ، لهذا الصقع النائي عن الولي والنصير ؛ فيجمع بين<sup>(١)</sup>  
القلوب النافرة ، والنفوس المتنافرة ، افتراقا ؛ ويجعل دم المداة بسيوف الحماة  
الكماة مُراقا ؛ ويُتحف بأنبيائه المعجبه ، وأخباره المغربة المطربة ، شاما وعراقا .

أما بعد ، فإن الله على كل شيء قدير ، وإنه بعباده خبير بصير ، وهو لمن  
أهل نيته ، وأخلص طويته ، نعم المولى ونعم النصير ؛ بيده الرفع والخفض ،  
والبسطة والقبض ؛ والرشد والغي ، والنشر والطمى ؛ والمنح والمنع ، والضر والنفع ؛  
والبطء والتعجل ، والرزق والأجل ؛ والتمسرة والتمساء ، والإحسان والإساءة ؛  
والإدراك والقوت ، والحياة والموت ؛ فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ،  
فهو الفاعل في<sup>(٢)</sup> الحقيقة ، وتعالى الله عما يقول الآفكون ، وهو الكفيل بأن  
يُظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون ؛ وإن في أحوال الوقت الداهية ،  
لنذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وعبرة لمن تفهم قوله تعالى :  
إن الله يفعل ما يشاء ، وإن الله يحكم ما يريد ؛ فبينما الدُسُوت عامره ، والوُلاة  
أسره ؛ والفئة مجموعته ، والدعوة مسموعه ؛ والإمرة مطاعه ، والأجوبة سمعا  
وطاعة ؛ إذا بالنعمة قد كُفرت ، والذمة قد خُفرت .

ثم قال رحمه الله :

« والسعيد من اتعظ بغيره ، ولا يزيد المؤمن عمره إلا خيرا ، جعلنا الله ممن  
قضى بغيره ؛ وبينما الفُرقة حاصله ، والقطيعة فاصله ، والمضرة واصله ؛ والحبل

(١) في ت : « ب من » .

(٢) في ط : « على » .

في انبتات ، والوطن في شتات ، والخلاف يمنع رَغَى مَتَات <sup>(١)</sup> ، والقلوب شقى من قوم أَشَتَات ؛ والطاغية تَمْطَى لِقْصَمِ الْوَطْنِ وَقَضْمِهِ ، ويلَحْظُهُ لَحْظُ الْخَائِفِ على هَضْمِهِ والأخذ بكُظْمِهِ ، ويتوقع الحسرة <sup>(٢)</sup> إن يَأْذِنِ اللهُ بِجَمْعِ شَمْلِهِ ونَقْطِهِ ، على رَغَمِ الشَّيْطَانِ ورَغْمِهِ ؛ إذا بالقلوب قد اثتلقت ، والمتنافرة قد اجتمعت بعدما اختلفت ، والأفتدة بالألفة قد اقتربت إلى الله وازدلفت ، والمتضرعة إلى الله قد ابتلت ، في إصلاح الحالة التي سلفت ؛ فألقت الحربُ أوزارها ، وأذنت الفرقة النافرة مَزَارَها ، وجَلَّتْ الألفة الدينية أنوارها ، وأوضحت العِصمة الشرعية آثارها ، ورَفَعَتِ الوحشة الناشئة أظفارها أَعْدَارَها ، وأَرْضَتِ الخِلَافَةُ الْفُلَانِيَّةُ <sup>(٣)</sup> أنصارها ، وَغَضَّتِ الْفِتْنَةُ الْمُتَعَرِّضَةُ <sup>(٤)</sup> أَبْصَارَها ، وأصلح الله أسرارها ؛ فتَجَمَّعَتِ الأوطان بالطاعة ، وَالتَزَمَتِ نصيحةَ الدين بأقصى الأُسْطَاعِ ، وتسابقت إلى لزوم السنة والجماعة ، وألقت إلى الإمامة <sup>(٥)</sup> الْفُلَانِيَّةُ يَدَ التَّسْلِيمِ والضراعة ؛ فَتَقَيَّلَتْ فَيَّاتُهُمْ ، وَأُثْمِدَتِ جَنِيَّتَانِهِمْ ؛ وَأُسْمِدَتِ آسَالُهُمْ ، وَارْتَضَيْتِ أَعْمَالُهُمْ ؛ وَكُتِلَتْ <sup>(٦)</sup> مَطَالِبُهُمْ ، وَتَمَّتْ مَآرِبُهُمْ ؛ وَقَضِيَّتِ حَاجَاتُهُمْ ، وَاسْتَمِعَتِ مَنَاجَاتُهُمْ ؛ وَأَلْسِنَتُهُمْ بالدعاء قد انطلقت ، وَوَجْهَتُهُمْ فِي الْخُلُوصِ قَدْ صَدَقَتْ ، وَقُلُوبُهُمْ عَلَى جَمْعِ الْكَلِمَةِ قَدْ اتَّفَقَتْ ، وَأَكْنَهَتْهُمُ بِهِذِهِ الْإِمَامَةُ الْفُلَانِيَّةُ قَدْ اعْتَلَقَتْ ، وَكَانَتْ الْإِدَالَةُ فِي الْوَقْتِ عَلَى عَدُوِّ الدِّينِ قَدْ ظَهَرَتْ وَبَرَّكَتِ .

[١٤]

(١) الثبات (بفتح الميم) : ما يتوسل به من حرمة أو قرابة أو نحو ذلك .

(٢) في ت : « المسرة » .

(٣) يريد خلافة الغالب بالله صاحب غرناطة ، وقد سبق التصريح بذلك .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « المترضة » .

(٥) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الأمانة » .

(٦) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « وقلت » .

إلى أن قال رحمه الله تعالى :

[وكفّت<sup>(١)</sup>، بقدرة ربه، القدرة القاهرة<sup>(٢)</sup>، والعزة الباهرة، من عدوان الطاغية غوائل، بإعزاز دين الله الموعود بظهوره على الدين كله فوائح وأوائل . ومعلوم بالضرورة أن الله لطيف بعباده حسبا شهد بذلك برهان الوجود، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها دليل على ما سوغ الكرم والجود؛ وإن من أعظم نعمه التي يُعْجِزُ عن أداء شكرها، وإن طالت آماد الأعمار، ومُتَنَاقِى في الثناء عليه في أسرها، فلا يلبثون من ذلك معشار المعشار، وتتجارى الألسنة والأقلام في تقرير وصفها، فلا تصل من ذلك إلى حد يُقْنَع ولا إلى مقدار؛ وفي مثلها قال الله تعالى] <sup>(٣)</sup>: «واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألفَ بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار». وما ذلك إِلَّا مِنَّةٌ قدرها عظيم، وخطرُها جسيم، وصراطُ العدل بها مستقيم، وبها أمتن الله في قوله: «وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله» إلى: «حكيم». فهل يُستطاع شكرُ النعمة التي لا يكون اتفاق الأرض جميعا لها قيمه، أو يختلف اثنان بوجه أو حال في كون هذه النعمة عظيمة، أو يتماهى أحدٌ في كون جمع الكلمة في هذا الوطن الغريب مِنَّةً كبيرة ومنحة كريمة!

ومن استقرأ التواريخ المنصوصه، وأخبار الملوك المقصوصه؛ علم أن النصارى دسروهم الله لم يدركوا في المسلمين ثارا، ولم يرفضوا<sup>(٤)</sup> عن أنفسهم عارا.

(١) كفت : صرفت ومنعت .

(٢) في فتح الطيب : « وكفت القدرة القاهرة » .

(٣) ما بين القوسين زيادة عن ت .

(٤) فيأمر من هذا الجزء (ص ٥٠) : « ولم يرفضوا » .

قال جامع الموضوع وفقه الله :

قد قدّمتُ هذا من كلام الرئيس ابن عاصم ، وهو قوله : « ومن استقرأ التواريخ  
النصوصة » فراجع فيما سبق ، إلى قوله هناك : « وروية وارتجال » .  
ثم قال هنا بإثره ما نصه :

« إلى أن استقلتُ هذه الدولة الفلانية على قواعدها ، واستقرت بأحلامها  
الراجحة ، وأعلامها الشاخحة ؛ واستمرت على قوانين من السياسة كانت ضابطةً  
نشر المملكة عن الافتراق ، واستظهرت أبنائها الفرّ من الوفاء بشيَمٍ اعتلت  
بها أتمم الاعتلاق ؛ حفظ الله الدولة الفلانية إلا في التُدْره ، ووقاها من ذلك الأمر [١٠]  
الصعب بوقاية من الإكتساب ووقاية من القدره ؛ وتطاولت الأيام ما بين مهادنة  
ومقاطعة » .

وقال جامع الموضوع وفقه الله : راجع تمام هذا الكلام فيما قدمناه إلى قوله  
هناك : « اللهم احفظ علينا العقل والدين ، واسلك بنا سبيل المهتدين » .  
وقال هنا بإثره ما نصه :

« وإِنما النعمة التي لا يُقدَّر قَدْرُها ، ولا يُوقَى شُكرها ؛ هي التي تكفَلتُ  
بتبيينها تكييفات [الأقدار ، وانجلت عن بيانها تديرات الفاعل المختار ؛ فجمع  
الله بها القلوب ، وهياً <sup>(١)</sup> الغرض المطلوب ؛ وتناجست بيعات البلاد ، وتوافقت  
أهواء العباد ؛ وانتظم الملك جسماً واحداً له روح طاهر ، واستقل الإسلام رَسْماً ثابتاً  
حكمه نصّ وعدلُه ظاهر ؛ وهدى الله المسلمين مع جمع الكلمة إلى القصد الشرعي ،  
ووقفهم إلى القيام بحكمه المحتوم وحقه المرعي ؛ فاتخاذُ السلطان في [مثل] <sup>(١)</sup>

هذه الأوطان واجب قياسا وسماعا، وتعدُّرُ الخلافة في مثل هذه المسافة غير جائز إجماعا .  
أيها الملأ الشتمل على الشرفاء الذين بتقديمهم [يُسْتَنْجَز من البركة  
موعودها ، والعلماء الذين هم حَفَظَةُ الشريعة الحنيفية<sup>(١)</sup> أن تُتَعَدَّى حدودها ؛  
والأشياخ الذين بمجاهدِهم استقرَّ واجبها<sup>(٢)</sup> ، واستقام واجبها ، واستند عمودها ،  
والقواد الذين بمجايتهم<sup>(٣)</sup> تقام أحكامها ، ونُحَاط أعلامها ، وتُوَفَّى عهودها ؛  
والفرسان الذين هم مُحَامَتُها وأنجادها ، وأنصارها وجنودها ؛ والخاصة الذين بهم  
يرجع عملها ، وينجح أُمَلُّها ، ويتم مقصودها :

تعلمون حقاً أن هذا الوطن الغلاني كان قد تَعَيَّنَ للهلاك ، بسبب هذا الخلاف ،  
وتوقعت القلوب المُشْفِقة حُدُوثَ الفارقة بسبب هذا الاختلاف ؛ وأن الشارع  
صلواتُ الله وسلامه عليه يَتَمَنع من كل ما يؤدِّي إلى الفُرقة بأنتم الوجوه ، ويؤكد  
التزجيب والترهيب بكل ما يخافه المؤمن ويرجوه ؛ وأن الفقه<sup>(٤)</sup> المذهبي ، إذا  
حصلت البيعة في الأعناق ، وتحلت بها تحلَّى الحَمَام بالأطواق ، معروف ومعلوم ؛  
وأن اشتداده في سدِّ باب الافتراق ، على العموم والإطلاق ، لازم محتوم ؛  
والأقدار الإلهية قد هيأت قصد الألفه ، بلا كُلفه ؛ ويسرت سبب الاتفاق ،  
بحكم الوفاق ؛ فأقبلوها نعمة مُسَدَّاء ، وتَجَفَّه مُهْدَاء ؛ وشَدُّوا عليها أيدي الضَّئِيفِ ،  
واعلموا ما فيها لله عليكم من المنَّة ؛ وتعاقدوا على ألا تُبْقُوا من الخلاف أثرا ،  
واتفقوا على القصد الذي يَخْلُصُكم عند الله سمعاً ونظراً ؛ وفي هذا التيسير الذي  
ساعدت به الألفافُ الخفية ، وساعدت به من قبل الربِّ الصنائعُ الحفية ؛ ما يتأكَّد

(١) في ت : « حفظ الشريعة الحنيفة » . وظاهر أنه محرف عما أبتناه .

(٢) استقر واجبها : سكن روعها بعد اضطراب .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) تعين ، أي تهلّل وتمزق ؛ مأخوذ من تعين السقاء ، وذلك إذا طلى ورق منه مواضع .

(٥) في ط : « القصد » .

به الاعتبار ، ويرشد إلى أنه أراد الله نفوذه <sup>(١)</sup> ، وربك يخلق ما يشاء ويختار .  
ومما يستكمل هذا القصد الذى أشرنا إليه ويستوفيه ، قول تاج الدين رحمة الله  
عليه : ما ترك من الجمل شيئاً من أراد أن يُظهِر في الوجود غير ما أراد الله أن  
يُظهِر فيه .

وفرَض على كل إنسان في نفسه ما طلبه [ به ] <sup>(٢)</sup> الشارع ، وعَدَّت فيه  
بالتفويض لحكم الله <sup>(٣)</sup> المَشاريع . فالواجب علينا أن نجتَمع وأنتلف ، ونَتَقى ولا  
نُخْتَلِف ؛ ونَعتمد صريح الفقه أخذاً وتركاً ، وتَتَبع صحيح النقل الذى لا يذع ريباً  
ولا شكاً ؛ ونَسأل من الله الهداية إلى سبيل السلف الذين سَبَقُوا ، ونَعزم العزم على  
أمر الله في قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

وإن أولى الناس في ذلك بإرهاف العزيمة ، وتوَحَّى السبل المستقيمة ؛  
والقيام بمَضْمُون هذا الرسم المستقل ، والوفاء بتكميل قَصْد الكاتب فيه والمُثل ؛  
لِخَواصِّ الدولة الفلانية الذين لحقهم التَمَحُّصُ والاختبار ، وتَحَوَّلَت لهم بأبلغ الموعظة  
الأَقْضية والأَقْدَار ؛ وهم الذين رُبِحَتْ منهم في هذه السوق التجارة ، والمقصودون  
بالخطاب من باب إِيَّاكَ أَعْنَى واسمى يا جاره ؛ وهم الممنون عليهم باسترجاع  
المَغْصوب المُسْتَحَقَّ ، والواقفون من انكسار القلوب ، والتَنَصُّل من الذنوب ،  
موقِف الأولَى به والأحق ؛ والتَمَنِّيُّون بقوله : « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ  
قُلُوبُهُمْ لَذِكْرِ اللَّهِ وَمَا تَزَلْ مِنَ الْحَقِّ » . ويختص منهم عماد الدولة ، وعُميد الجُملة ،  
بالحظ الأوفر ، مما يتضمَّن هذا التَأْنِيب ؛ ويستمنح من الله عَقَبَ التَذْكَر ، بهذه  
الموعظة : « وما يتذكر إلا من يُنِيب » .

[١٧]

(١) في ت : « إنفاذ نفوذه » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) في ت : « لحكمه » .

فإنا إذا نظرنا إلى ما كان قد طرّق من الابتلاء ، وشاهدنا ما كان مُمرّضا للوقوع من البلاء ؛ وراجعنا البصيرة في النعم التي كُنا عنها مَسْلُوبِينَ <sup>(١)</sup> ، والثَّربَة <sup>(٢)</sup> التي كُنا عليها مغلوبين ، والأبواب التي كُنا عنها مُتَحْجُوبِينَ ، والشَّرْذِمَة التي كُنا بها مَرْبُوبِينَ ، [والأنفال] <sup>(٣)</sup> التي كُنا في عَدَدٍ مِّنْ يُحْيِي رُسُومَهَا مُحْسُوبِينَ ؛ وقد سَلَطَ اللهُ علينا كثيرا من الظَّلَمَة الذين أَعْتَمَ ، فَعَسَدَ ذلكَ لَعَنَامُ ، وأهاننا الذين كُنا أكرمناهم ، جزاء لما احترمناهم ؛ فَتَسَوْنَا ، أحوج ما كُنا إلى أن يذكرونا ، وخذلونا ، أَفْقَر ما كُنا إلى أن ينصرونا ، وأسلمونا ، أشد ما كُنا فاقة إلى أن يُنْجِدُونَا ، وتركونا ، أَعْظَم ما كُنا حاجةً إلى أن يُسْعِدُونَا ؛ وخانونا ، أظهر ما كُنا اضطرابا إلى وفائهم ، وظاهروا علينا ، أتم ما كُنا افتقارا إلى غنائهم ؛ فلا شك أن المؤاخذه كانت بسبب تلك الذنوب ، وأن الجناية هي التي أوجبت ما طَرَقَنا من الخطوب ؛ فأزف العذابُ ، وبما من أعدى الأعادي الأَحْباب ، وتبرأ الذين اتَّبَعُوا من الذين اتَّبَعُوا وتقطعت بهم الأسباب ؛ وكادت العقوبة [٩٨] العظيمة أن تَلْحَقَ ، والأخذة الربانية أن تَمَحَقَ ؛ لولا أن الله تداركنا بالعمو ، وتجاوز عن الهغو ؛ وأنا لكم من الإدالة ما كنتم تؤمّلون ، واستخلفكم في الأرض لينظر كيف تعملون . فلنجعل ما وعظنا الله به من تلك الأزمات نُصَبُ الأعين ، ولنلتخذ حمده على ما منحننا من الإنالة <sup>(٤)</sup> هَجِيرِ الألسُن <sup>(٥)</sup> ؛ ولنعلم أن ذلك التمهيص إنما كان تنبيهاً من الله على ما عَطَلْنَا من حُدُوده ، وإيقاظاً من الغفلة عن القيام بحقوقه ، والوفاء بعهوده ؛ ولننتهق أن ما مَنَّ اللهُ به من جَبَرِ الأحوال ، وخَلَفَ

(١) في ط : « مشولين » .

(٢) في ط : « الرتبة » .

(٣) زيادة عن ت :

(٤) في ط : « الإقالة » .

(٥) هجير الألسن ، أى دأبها وشأنها .



الأموال ؛ واستقبال العزَّ غَضًّا جديدا ، وصرف الهون وقد كان عذاباً شديدا ؛ إنما هو إبلاغ في الحجة علينا ، وإعذار بالموعظة إلينا ؛ وربما عاهدنا الله لنن آتانا من فضله لنصدَّقْ ولنكونن من الصالحين ، ولننزعن عما ارتكبناه من جرائم العاصين وجرائم الطالحين ؛ فالوفاء الوفاء حتما [إن أردنا] <sup>(١)</sup> أن نكون من الفلحين . وقلمنا <sup>(٢)</sup> أزف العذاب فرمَّع إلا عن كان من المصلحين ، « فلولا كانت قرية آمنت » إلى قوله : « إلى حين » ؛ فلنقدَّر [قدر] <sup>(٣)</sup> هذا التدارك ، الذى أخذ بأيدينا من مهاوى الانتقام ، ولنتأمل موقع هذا البلاء الذى أحلنا من تجديد النعمة بأسنى مقام ؛ ولنحذر نسيان ما دُكرنا به ، فلم نذكر تلك الشدائد بل نسيناها ، ولا نفرح بما أوتينا [فرح] <sup>(٤)</sup> للغرور الذى لا يتراجع ولا يتناهى ؛ فإن فى ذلك أَمَلَ الشيطان وسؤله ، ولَمَنَّ الله ومَقَّتْهُ ، قال الله تعالى : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء » إلى قوله : « بقتة » .

اللهم هل بلغت ، وبالغت فى النصيح وأبلغت ، اللهم فاشهد ، اللهم فاشهد . [٩٩] و « يا قوم إن كان كبرُ عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت » ، وإليه أبرأ من حولى وتقصيرى عما فيه قصرت ، وعما عنه نكَلْتُ .  
ثم قال رحمه الله :

« وإن مولانا السلطان الملك الفاضل التالى الذأكر ، المفيف الطاهر ، المسترجع الصابر ، المجاهد المصابر ، الرابط للمُشاغِر <sup>(١)</sup> ؛ أمير المسلمين ابن نصر الخرزجى نسباً ، السعدى <sup>(٢)</sup> منشأ ، النصرى جدا وأبا ؛ أيده الله على أعداء الدين ، وجعله

(١) زيادة عن ت .

(٢) فى ط : « وربما » .

(٣) الشاعر ، من الشار ، وهو (هنا) : الماوة فى الحرب .

(٤) السعدى : نسبة إلى سعد بن عبادة سيد الخرزج ، وإليه ينتهى نسب بني الأحمر ملوك غرناطة .

من الأئمة المهتدين ؛ بمن إذا جُنِّي عليه غفر ، لعلنا به أنه حليم والله أخذ بيده كلما عثر ؛ فأرشدنا بذلك إلى أنه كريم ؛ ومن تطرّفه الخطوب ، وهو بالألطف مصحوب ، وتحدّق إليه النوائب وهو من نظرها الشّرّ محجوب ؛ ومن جمع له الناس على أن يخشاهم فزاده إيماناً ، وقال : حسبي الله ونعم الوكيل ، فاققلب بفضل من الله ونعمه ، ومن صبر واسترجع في نقص الأموال والأنس والثمرات ، [فبشّر] <sup>(١)</sup> بصلوات من ربه ورحمه ؛ قتالأت على أذيته أصناف من الناس في مرّات متعددة ، وآتاه من الدهر متجدّده ؛ فأنس الله جدودهم ، وأضرع إليه خدودهم ، وأرغم بحوْلِه وقُوّته أنوفهم ، وردّ عنه بسيف <sup>(٢)</sup> من الأقدار رماحهم وسيوفهم ، وأدنى لهم بأسباب مختلفة الأنواع حُتُوفهم : فين آمن أخذ من مأمّنه الذي كان يستند إليه ، ومن خائف قد أدهشه الرّوع فهو يحسب كل صيحة عليه ؛ فكان أسنة الأقدار تنهّاهم عن منازعة الإرادة ، وكان واعظ الاعتبار يحذّره من شقائهم الكفيل له بالسعادة ؛ وكان شاهد الحال يقول هذه إرادة الله قضاه ، وسنته السابقة أنفذها وأمضاه ؛ فنّ المنازع فيما حكم الله به وقضى ، [١٠٠] ومن الساخط في الحل الذي يطلب فيه من الله الرضا ؟ ولو كان استيلاؤه على الملّك بقوة عصبتيه ، وإهلاك مناوئته عن طبيعة غضبيه ؛ لارتاب في ذلك الناظر ، ووجد السبيل إلى الاحتجاج المناظر ؛ ولكنه طالما غورض في الملّك فكبّا معارضه لفيه ، وأتيحت له الثّغرة من محلّ لم يحسبها فيه ؛ شدّ ما احتال على نصرته غير واحد ، فانعكست عليه حيلته ؛ وتوسّل إلى مكروهه ، فطاحت في قلبه الانقلاب عليه وسيلته ؛ وبقي عليه غير ما مرّة فنصره الله على من بنى عليه ،

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « بفتح » .

(١) واجتنب بالسوء فردّه الله على من سعى به إليه ؛ ولعل ذلك لنيب عن العيان مكتوم ، وحُكم من الحكيم العليم محتم ؛ أولاًثر من الاختصاص قد علمه الله وليس لنا بعلوم ، أو لأمر قد تقاصرت عنه مدارك العقول ، وكَلَّتْ دونه رواجح الخُوم ؛ ولهذا المعاني المقرّرة ، والمقاصد الحرّرة ، والمذاهب المُفسّرة ، والقوائد السطّرة ، وغرائب أحاديثها المشتهرة ، خصّ الملأ المقصود فيه بالتذكّره ، المعتمد منه بالإيقاظ والتبصره ؛ من أعضاء الدولة ، وسيوف الصّولة ؛ وأولياء الخُلوص الزكي الشيمه ، وموالى النعمة القلّانية ، وهم الذين خولتهم موعظته الحسنه ، وأعجبهم أغراضه المتعدده ، ومقاصده المستحسنه ؛ وعلموا أنه الحق ، فسألوا من الله التوفيق إليه ، والإرشاد إلى الاتصاف به والعمل عليه ، والهداية إلى التماس رضا الله لديه ؛ ووقفوا على ما هو لهم في هذا الكتاب منصوص ، وأن سلطانهم بمزية الدفاع عنه مخصوص ، وأنه قد تطابقت على إثارة نصوص ، واستوى (٢) في تسليم الطاعة له عموم وخصوص ؛ فجذّوا له البيعة الوثيقة ، على ما أوجب في ذلك الحكم المشروع ، وأعطوه على ذلك العهد الأكيد حسّناً اتفقت عليه أصول وفروع ؛ وعقدوا له مضمونها عقدا صحيحاً ، وعُهدوا (٣) على ما تقتضيه الشّنة صريحاً ؛ وشهدوا له فيه على أنفسهم أنهم بالوفاء بها قائمون ، ولشروطها المرعية حافظون ، وعلى أحكامها الشرعية محافظون ؛ وعلى ما بُوع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السمع والطاعة ، ولزوم السنة والجماعة ، وإنحاض النصيحة جُهد الاستطاعة ؛ فأيدهم في السلم والحرب مصروفة (٤) في مرضاته ، ونيتهم صادقة في مسنونات الوفاء ومفترضاته ؛ ولقد شاهدوا الفرقة وما جتّنته ، والفتنة وما فتنته ، والألفة وما سنّته ، والهدنة

(١) في ت : « وسى » .

(٢) في ت : « واستولى في تسليم » . وفي ط : « واستوفى تسليم » . وظاهر أن

كليهما محرف عما أبتناه .

(٣) في ط : « وعهدا » .

(٤) في ت : « مصروفة » .

وما قربت من إصلاح وأذنته ؛ فليفتبطوا بها عهدا كريما ، وعقدا قد تضمن  
فضلا [عظيما بل] <sup>(١)</sup> عميا ، واستلزم إنعاما جسيما ، وليوفوا بها الوفاء الذي يؤلِّمهم  
بها نعيما مقبلا ، ويدفع عنهم عذابا أليما ، فإنه عز وجل يقول : « من نكث »  
إلى قوله : « عظيما » . وقد بسطوا أكنفهم إلى الله ضارعين ، وفي رحمته طامعين ،  
ولعظمته خاضعين ، ومن هيبته خاشعين ، وتخليفته طائعين ، وفي الخيرات  
مسارعين ؛ يدعونه رغباً ورهباً مستنزلين لرحمته بالإخلاص والإجابة ، واقفين  
على قدم الرجاء بباب الذي أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة ؛ ويسألونه خير ما قدره  
وقضاه ، والسلوك على ما فيه رضاه .

اللهم بآبِكَ قَصَدْنَا ، وَقَبُولَكَ أَرَدْنَا ، وَعَلَى فَضْلِكَ اعْتَمَدْنَا ، وَإِلَى عِزِّكَ  
اسْتَنْدَيْنَا ، وَفِي مَرَضَاتِكَ اجْتَهَدْنَا ، وَبِهِدَايَتِكَ اسْتَرْشَدْنَا ؛ فَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا  
طَرَفَةَ عَيْنٍ ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ ؛ اللَّهُمَّ إِنَّا بِكَ مُسْتَنْصِرُونَ ، وَبِعِزَّتِكَ مُسْتَظْهِرُونَ ،  
وَلِفِئَاكَ مُفْتَقِرُونَ ، وَمِنْ تَقْصِيرِنَا مُسْتَعِيزُونَ ، وَمِنْ ذُنُوبِنَا مُسْتَغْفِرُونَ ، وَلِشَامِلِ <sup>(٢)</sup> [١٠٢]  
عَفْوِكَ مُنْتَظِرُونَ ، وَفِي خَفَىْ أَلْطَافِكَ مُسْتَبْصِرُونَ ، وَلِعَظِيمِ انتِقَامِكَ مُسْتَحْضِرُونَ ،  
وَلِعَلِيمِ صَفْحِكَ مُسْتَشْعِرُونَ ؛ فَأَتْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ .  
اللهم انصر من يابسان سلطاناً ، ومهد به بلاداً وأوطاناً ، وأرغم بتوحيه للحق  
طاغيةً وشيطاناً ، وآتنا من لدنك رحمةً وهيئ لنا من أمرنا رشداً . اللهم أعزْ بالمسرة  
ناديه ، وكافِ <sup>(٣)</sup> عنا أياديه ، واكبتِ اللهم أعاديهِ ؛ وكن لنا ولياً ونصيراً ، فأنت  
نعم المولى ونعم النصير . وصلِّ اللهم على سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي ، القرشي  
الهاشمي ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، فأنت اللطيف وأنت الخبير .

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ت : « لشمول » .

(٣) الأصل : كافى . سهل الهجزة ، ثم عامل الفعل معاملة الناقص .

في من كلام  
ابن حاتم عن  
ابن فتوح

اتتهى ما أردت نقله من جنة الرضا للرئيس أبي يحيى بن حاتم رحمه الله عليه .  
ورأيت بخط الوادي آتني ناقلا من كتابه للسمى «الروض الأريض» مانصه :  
ابن فتوح إبراهيم بن أحمد بن فتوح العقيلي ، يكنى أبا إسحاق ، العالم  
المتفنن ، صاحبنا ، محقق نظر ، وأستاذ فوائد تدرسه لحيين ونصار ؛ كلا بل  
جواهر ، وواقيت ، ومناسك هدى لها من السعادة مواقيت ؛ فحسب الطالب  
الموئوق بفهمه ، المصروف للتحصيل مطالع مواقع سهمه <sup>(١)</sup> ، أن يلزم حلقة تعليمه ،  
وأن يشد يد الضنة بما يلقى من محصول تفهيمه ؛ فأكسر الإفادة ، إنما حصله  
الوافدون ، من جابر <sup>(٢)</sup> صنعته ؛ وكيمياء السعادة ، إنما يلقاها <sup>(٣)</sup> الظافرون في نصرة  
روضة المخضّل ونبعته ؛ وقرض الشعر مما يمكن دخوله تحت فرعه ، ويندرج  
تحت قدرة تصرفه بجنسه ونوعه ؛ إلا أنه لسا يصدر منه عن قريحته كاتم ، وسالك  
من البخل به على طرف التقيض مما سلكه حاتم .

فما علق بحفظي منه خطبة أرجوزة صنّفها في النجوم :

سبحان رافع السماء سقفا ناصبها دلالة لا تخفى

[١٠٣]

مبدعها فلا ترى فروجا مودعها الأفلاك والبروجا

اتتهى . وإنما ذكرته لتعلم اصطلاحه في كتاب الروض الأريض . وقد  
نقلت كلاماً آخر منه فيما سبق فراجعه ؛ ولو تتبعته ما حصل لدى من نظمه  
ونثره لطال الكتاب جدا .

(١) كذا وردت هذه العبارة في ط . وفي ت : « المصروف للتحصيل مطالع... الخ » .  
وكلناهما غامضة .

(٢) يورى باسم جابر بن حيان الصوفي من كبار الكيميائيين وتلميذ خالد بن يزيد بن  
معاوية بن أبي سفيان .

(٣) في ط : « يتلقاها » .

منصور سلطان  
جولي ابن حاصم  
القضاء

وقد وقفت بتلسان الحروسة<sup>(١)</sup> على ظهير منشور سلطاني أصدر للرئيس  
أبي يحيى بن حاصم المذكور ، بتقديمه للنظر في أمور القضاء وغيره ، ونصه :  
هذا ظهير كريم إليهِ أنهيت<sup>(٢)</sup> الظواهر ، شرفاً عليّاً ؛ وبه تقررت المآثر ،  
برهاناً جليّاً ؛ وراقت للفاخر ، قللاً وحليّاً ؛ وتميّزت الأكابر ، الذين افتخرت  
بهم الأقلام والحبار ، اختصاصاً مولوتياً<sup>(٣)</sup> . فهو وإن تكاثرت للرسومات  
وتعددت ، وتوالت المنشورات وتجددت ، أكبرُ مرسوم تتم في الاعتقاد نظراً  
خطيراً ، وأحكم في التفويض أسراً كبيراً ، وأبرم في الاستخلاص<sup>(٤)</sup> عزماً  
أبياً ؛ اعتمد بمسطوره العزيز ، واختص بمنشوره الذي تلقاه المين بالعزيز ، من  
لم يزل بالتعظيم حقيقاً ، وبالإكبار خليّاً ، وبالإجلال حريّاً ؛ فهو شهير لم يزل  
في الشهرة سابقاً ، هادٍ لم يزل بالهدى ناطقاً ، بليغ لم يزل بالبلاغة درياً ؛ عظيم  
لم يزل في النفوس معظماً ، علم<sup>(٥)</sup> لم يزل في الأعلام مقدماً ، كريم لم يزل في  
الكرام سنياً ؛ اشتملت منه محافل الملك على [العقد]<sup>(٦)</sup> الثمين ، وحاتت به  
المشورة في الكنف المحوط والحرم الأمين ، فكان في مشكاة الأمور هادياً ،  
وفي ميدان المآثر<sup>(٧)</sup> جريّاً ؛ فإلى مقاماته تبلغ مقامات الإخلاص ، وإلى مرتبته  
تنتهي مراتب الاختصاص ؛ فيمن حاز فضلاً ، وزين نقلاً<sup>(٨)</sup> ، وشرف نديّاً ؛  
واستكمل هما ، واستعمل قلماً ، واستخدم مشرفيّاً ؛ فله ! ما أعلى قدر هذا  
الشرف ، الجامع بين المُتَلَدِّ والمُطَرَّف ، السابق في الفضل أمداً قصياً ؛ الحال من [١٠٤]

(١) الكلام من ابتداء هذه الكلمة إلى آخر نس الظهير ساقط من ت .

(٢) في نفع الطيب (ج ٣ ص ٤٨٩ طبعه الأزهرية) : « انتهت » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « قولياً » .

(٤) في نفع الطيب : « الاختصاص » .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « عالم » .

(٦) زيادة عن نفع الطيب .

(٧) في نفع الطيب : « المرشد » .

(٨) في نفع الطيب : « خاز خلا ، وزين خلا » .

الاصطفاء مظهرها ، الفارع من القلاء منبرا ، الصاعد من العز كرسيا ؛ حاز  
الفضل إرثا وتصبيا ، واستوفى الكمال حفا ونصيبا ؛ ثناء أَرْجُهُ كالروض لو لم  
يكن الروض ذابلا ، وهديا نورة كالبدر لو لم يكن البدر آفلا ، ومجدا علوه  
كالشها لو لم يكن الشها خفيا ؛ فا أشرف الملك الذى اصطفاه ، وكتل له حق  
التقريب ووفاه ، وأحلّه قرارة التمكن ، ومنّ باختصاصه بالمكان المكين ،  
فسبق فى ميدان التفويض وسما ، ورأى من الأنظار الحميدة ما رأى ، صادعا  
بالحق إماما علما ، موضحا من الدين نهجا أمّا ، هاديا من الواجب صراطا سويا ؛  
بانيا للبعد صرحا مُشيدا ، مشورا للعدل قولا مؤيدا ، مُبرما للخير سببا قويا ؛  
فأله تعالى يصل لمقام هذا<sup>(١)</sup> الملك الذى أطلع فى سمائه بدرأ دونه البدر ، وصدرأ  
تلوذ به الصدور ، سعدا لا تماطله<sup>(٢)</sup> الأيام فى تقاضيه ، ونصرأ يَمْضى به نَصْل  
الجهاد فلا يزال ماضيه ، على الفتح مَبْنيا ؛ ويؤالى له عزّا يذود عن حرم الدين ،  
ويمنحه تأييدا يُصبح فى أعناق الكفر حديث سيفه قَطْعيا ؛ أمر به مرسومأ  
عزيرأ لا تبلغ الرسومات إلى مداه ، ولا تُبدى بآثار الاختصاص مثل ما أبداه ،  
عبدُ الله أمير المسلمين محمد الغالب بالله ، ابن الأمير المقدس فلان أيد الله تعالى  
مقامه ، ونصر أعلامه ، وشكر إنعامه ، ويسر مرامه ؛ لإمام الأئمة ، وعلم  
الأعلام ، وعماد ذوى العقول والأحلام ، وبركة حملة السيوف والأقلام ، وقُدوة  
رجال الدين وعلماء الإسلام ؛ الشيخ الفقيه أبى يحيى ابن كبير العلماء ، شهر  
العطاء ؛ حجة الأَكابر والأعيان ، مصباح البلاغة والبيان ؛ قاضى القضاة  
وإمامهم ، أوحد الحِلّة وطَوْد شَمَاهم ، الشيخ الفقيه أبى بكر بن عاصم ، أبقاه الله  
تعالى ؛ ومناطق الشكر له فصيحة اللسان ، ومواهب الملك به معبودة الإحسان ،

(١) كُنّا فى نفع الطيب . وفى ط : « يصل لهذا » .

(٢) فى نفع الطيب : « لا تماطله » .

وقلائد الأيادي منه مُقلَّدة<sup>(١)</sup> بجيد كل إنسان ؛ قد تقرر والمفاخر لا تنسب إلا لبنينا ، والفضائل لا تعتبر إلا بمن يشيد أركانها ويبنها ؛ والكمال لا يصفى [١٠٠] شربه ، إلا لمن يؤمن سربه ؛ وإن هذا العلم الكبير ، الذى لا يفى بوصفه التعبير ؛ علم بآثاره يقتدى ، وبأنظاره يهتدى ؛ وبإشارته يُستشهد ، وبإرادته يسترشد ؛ إذ لا أمد علو إلا وقد تخطاه ، ولا مرّ كب فضل إلا وقد تمطّاه ؛ ولا شارقة هذى إلا وقد جلاها ، ولا لبّة نخر إلا وقد حلاها ؛ ولا نعمة إلا وقد أسداها ، ولا سُومة<sup>(٢)</sup> إلا وقد أبدأها ؛ لما له في دار الملك من الخصوصية العظمى ، والمكانة التى تسوغ التعمى ؛ والرتب التى تسمو العيون إلى مرتقاها ، وتستقبلها النفوس بالتعظيم وتتلقاها ؛ حيث سر الملك مكتوم ، وقِرطاسه محتوم ، وأمره محتوم ؛ والأفلام قد رَوّضت الطروس وهى ذاويه ، وقسمت الأرزاق وهى طاويه ؛ شُقت ألسنتها فنطقت ، وقُطت أرجلها فسبقت ؛ وبيست فأثمرت إنعاما ، ونُكست فأظهرت قواما ؛ وخُطت فأعطت ، وكتبت فوهبت ، ومُشقت فدَقَّت<sup>(٣)</sup> ، وأبْزَمت فأنعمت ؛ فكُم يَسُرّ الجبر ، وعقرت الهزبر ؛ وشَنَفَت السامع ، وكَيَّفَت المطامع ؛ وأقَلَّت فيما ارتفع من الموضع ، وأحَلَّت لما امتنع من المراضع ؛ فهى تنجز النعم ، وتحجز النقم ؛ وتبث المذاهب ، وتحت المواهب ؛ وتروض المراد ، وتُهْضُ المواد<sup>(٤)</sup> ؛ وتحرس الأكناف ، وتفرس الأشراف ؛ مُصَيِّخة لنداء هذا العباد الأعلى ، طامحة لمكانه الذى سما واستعلى ؛ فيما يملى عليها من البيان ، الذى يقر له بالفضل ، الملك الضليل<sup>(٥)</sup> ؛ ويشهد له بالإحسان ،

(١) في نفع الطيب : « متقلدة » .

(٢) كذا في نفع الطيب . والسومة (في الأصل) : العلامة . وفي الأصلين : « حرفة » .

(٣) في نفع الطيب : « فرقت » .

(٤) في ط ونفع الطيب : « المراد » . ولعلها محرفة عما أثبتناه .

(٥) الملك الضليل : لقب امرئ القيس بن حبر الكندى الشاعر المعروف .



لسان حسان ؛ ويحكم له يترى القوس ، حبيب بن أؤس ؛ ويهيم بمان الأساليب  
 عنده ، شاعر كنده<sup>(١)</sup> ؛ ويستمر سحبه الثرة ، فصيح المره<sup>(٢)</sup> ؛ إلى منشور  
 تزيل الفقر فقره ، وتدّر الرزق درره ؛ لو انتهى إلى قس إباد لشكر في الصنيعة  
 أياديه ، واستمر سحبه وغواده ؛ أو بلغ إلى سحبان لسخره ، وما فارقه عشته  
 ولا سخره ؛ ولو رآه الصابي لأبدى إليه من صوته ما أبدى ؛ أو سمعه ان عبّاد ،  
 لكان له عبدا ؛ أو بلغ بديع الزمان لهجر بدائمه ، واستنزر بضائه ؛ أو أتمف  
 به البسقي لا تخذه بستانا ، أو عرض على عبد الحميد لأحمد من صوته هتانا ؛ فأعظم  
 به من عال لا ترقي ثنيته ، ولا تحاز مزيته ؛ ولا يبرجهم أفته ، ولا يكتم حقه ؛  
 ولا يقام له عن<sup>(٣)</sup> اكتساب الحمد ناظر ، ولا ينقاس به في الفضل مناظر ؛ وهل  
 تقاس الأجادل بالبغاث ، أو الحقائق بالأضغاث ؛ ألا وإن بيته هو البيت الذي  
 طلع في أفته كل كوكب وقاد ، بمن رسخ<sup>(٤)</sup> به للعلوم اتقاء واتقاد ، وتراى<sup>(٥)</sup>  
 به للمدارك ذكاء وانتقاد ؛ فأعظم بهم أعلاما وصدورا ، وأهله وبدورا ؛ خلّدتم  
 ذكرهم الدواوين المسطّرة ، وسرت في محامدهم الأنفاس المعطرة ، إلى أن نشأ  
 في سماتهم هذا الأوحد ، الذي شهرة فضله لا تجحد ؛ فكان قرهم الأزهر ، ونيرهم  
 الأظهر ؛ ووسيلة عقدهم الأنفس ، ونتيجة تجدهم الأقدس ؛ فأبعد في المناقب  
 أماده ، ورفع الفخر وأقام عماده ؛ وبني<sup>(٦)</sup> على تلك الأساس التشييده ، وجري  
 لإدراك تلك الغايات البعيدة ؛ فسبق وجلّى ، وشنف بذكره المسامع وحلّى ؛ ورفع

(١) شاعر كنده : أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي لأنه ولد بمحلة كنده بالكوفة

(٢) فصيح المره : أبو العلاء المري .

(٣) كذا في نفح الطيب . وفي ط : « على » .

(٤) في نفح الطيب : « وشج » .

(٥) في نفح الطيب : « وتراى » .

(٦) كذا في نفح الطيب . وفي ط : « وبناء » .

المشكل ببيانه ، وحرّر الملتبس ببرهانه ؛ إلى أن أحله قضاء الجماعة ذروة أفضه الأصعد ، وبوأه عزيز ذلك المقعد ؛ فشرّف الخطّه ، وأخذ على الأيدي المشتطه ؛ لا يراقب إلا ربه ، ولا يضر إلا العدل وجهه ؛ والمجلس السلطاني أعلاه <sup>(١)</sup> الله تعالى يختصه بنفسه ، ويفرغ عليه من حُلل الاصطفاء ولبّسه ؛ ويستمطر فوائده ، ويمجّري <sup>(٢)</sup> بأنظاره حقوق الملك وعوائده ؛ فكان بين يديه حكماً مُقسّطاً ، ومقتبهاً لخطوط الإنعام مُقسّطاً ، إلى أن خصّه بالكتابة التوثيقية ، ورأى له في ذلك حق الأولوية ؛ إذ كان والده المقدّس نعم الله تراه ، ومنحه السعادة في أخراه ؛ مُشرف ذلك الديوان ، ومُعلي ذلك الإيوان ؛ يُحَبّر رِقاع <sup>(٣)</sup> الملك فتروق ، وتلوح كالشمس عند الشروق ؛ فخلّ ابنه هذا الكبيرُ شرفاً ، الشهير سلفاً ؛

حريته التي سَمّت ، وافترّت به عن السعد وابتسمت ؛ فسحبت به للشرف مطارف ، <sup>[١٠٧]</sup> وأحرزت به من الفخر التالذ والطارف ؛ فهو اليوم في وجهها غُرمه ، وفي عَيْنها خُرمه ؛ والله هو في مُلاحظة الحقائق ورعْيها ، وسمْع الحُجج ورعْيها ؛ فلقد فضل بذلك أهل الاختصاص ، وسبّغهم في تبئين ما يُشكل منه وما يعتاص ؛ إذ المشكلة معه جليّة الأغراض ، والآراء لديه آمنة من مآخذ الاعتراض ؛ فكم رُتبة عمرها بذويها ، فأكسبها تشريفاً وتنويهاً <sup>(٤)</sup> ؛ وعلى ذلك فأعلام قضاة الوطن ، ومن عبّر منهم وقطن ؛ مع أقدارهم الساميه ، ومعاليهم التي هي للزُهر مُساميه ؛ إنما رقتهم <sup>(٥)</sup> وساطته التي أحسنت ، وزينت بهم المجالس وحسنت ؛ فيه أمضوا

(١) في نفع الطيب : « أسماء » .

(٢) في نفع الطيب : « يجرب » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « وقائع » .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « تنزيها » .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « راقهم » .

أحكامهم ، وأعملوا في الأباطيل احتكاهم ؛ وكتبوا الرسوم ، وكتبوا الخصوم ؛ وحلوا دسّ القضاء ، وسلّوا سيف القضاء ؛ وفي زمانه تخرّجوا ، وفي بُستانه تآزجوا ؛ ومن خلّقه اكتسبوا ، وإلى طُرقه اتسبوا ؛ وعلى موارده حائثوا ، وحول فرائده <sup>(١)</sup> قاموا ؛ وبتعريفه عُرفوا ، وبتشريفه شُرفوا <sup>(٢)</sup> ؛ وبصفاته كلفوا ، وبعرفانه وقّفا ؛ فأمنوا مع انسكاب سُحْب إفادته من الجذب ، وقاموا بذلك الفرض بسبب ذلك التدبّ ؛ وهل العلماء وإن عمّت فوائدهم ، وانتظمت بجياد الأذهان فرائدهم ؛ إلا من أنواره مُستيدون ، وإلى الاستفادة من أنظاره ممتدون ، وببركانه معتدون ، وبأسبابه مشبتون ؛ فيه اجتُنيت من أفنان المناير ثمراتهم ، وتأزّجت في روضات المعارف زهراتهم ؛ وبه عمّروا الحلق ، واثقلت من أنوارهم ما اثقلت ؛ إذ كلّ من اصطناعه محسوب ، وإلى بركته منسوب ؛ فهو بذم الأهدى ، وغيبهم الأجدى ؛ وعقدّم المُقتنى ، وروّضهم المُجتنى ؛ وبدر منازلهم ، وصدّر محافلهم ؛ وعلى ما أعلى المقام المولوى من مكانه ، وقضى به من استمكانه ؛ واعتمد من إبرامه ، وأبزم من اعتياده ، ومهد من إكرامه ، وأكّرم من مهاده ؛ واختصّ من علاه ، وأعلى من اختصاصه ، واستخلص من خلّاه ، وحلّى من استخلاصه ؛ ووقّ من تكريمه ، وكرّم من وفائه ، واصطنى من تجده ، ومجد <sup>[١٠٨]</sup> من اصطفاؤه ؛ وقدّم من براعته ، وحكّم من يراعه <sup>(٣)</sup> ؛ وشقّق <sup>(٤)</sup> من كتابته ، وأنطق من خطابته ؛ وسجّل من أنظاره ، وعدّل <sup>(٥)</sup> من اختياره ؛ فذا ذكره ،

(١) في نفع الطيب : « فوائده » .

(٢) في ط : « ألفوا » .

(٣) في ط : « بداعته » .

(٤) شقق ، يريد : اثن . مأخوذ من شقق الرجل الكلام ، وذلك إذا أخرجه

أحسن عرج .

(٥) في ط : « مجل » .

وسطا سطره ؛ وأمن معناه ، وأغنى معناه . أشار آيته تعالى باستئناف خصوصيته وتجديدها ، وإثبات مقاماته وتحديداتها ؛ لتعرف تلك الحدود فلا تتخطى ، وتكبر تلك التراتب فلا تستعطي ؛ فأصدر له — شكر الله تعالى إصداره ، وعمر بالنصر داره — هذا النشور الذى تأرجح بحمامده نشره ، وتضمن من مناقبه البديع فراق طيه ونشره ؛ وغدا وفرائد المآثر لديه موجدة مكوّنه ، وأصبح للمفاخر مالكا لما أتى به مدوّنه ؛ وخصه فيه بالنظر المطلق الشروط ، للملازم للتفويض ملازمة الشرط للشروط ؛ المستكمل الفروع والأصول ، المستوفى الأجناس والفصول ؛ فى الأمور التى تختص بأعلام القضاة الأكابر ، وكتاب القضاة ذوى الأقاليم والمحابر ، وشيوخ العلم وخطباء المنابر ، وسائر أرباب الأقاليم القاطن منهم والغابر ؛ بالحضرة العلية ، وجميع البلاد النصيرية ؛ تولى الله جميع ذلك بعمود ستره ، ووصل له <sup>(١)</sup> مأمود من شفع اللطف ووتره ؛ يحوط مراتبهم التى قطفت من روضاتها ثمرات الحكم وجنبت ، ويراعى أمورهم التى أقيمت على القواعد <sup>(٢)</sup> ، وبُنيت ، وحقوقهم التى حُفظت لهم فى المجالس السلطانية ورُعيت ؛ ويحل كل واحد منهم فى منزلته التى تليق ، ومرتبته التى هو بها خليق ؛ على مقتضى ما يعلم من أدواتهم ، ويختبر من تباين ذواتهم ؛ ويرشح كل واحد إلى ما استحقّه ، ويؤتى كل ذى حق حقه ، اعتمادا على أغراضه التى عدلت ، وصدحت على أفنانها من الأفواه طيورُ الشكر وهذلت ؛ واستنادا فى ذلك إلى آرائه ، وتفويضا له فى هذا الشأن بين خلصاء الملك وظهرائه ؛ وذلك لمقتضى ما كان عليه أعلامُ الرياسة الذين سبقوا ، واتهموا بهمهم واستبقوا ؛ كالشيخ

(١) فى فتح الطيب : « لديه » .

(٢) فى فتح الطيب : « الموائد » .

الرئيس الصالح أبي الحسن بن الجيّاب ، والشيخ ذى الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب ، رحمهما الله تعالى .

[١٠٩] فليتم — أبقاه الله تعالى — بهذه الأعمال التي سمّت واعتزّت ، ومالت بها أعطاف العدل واهتزت ؛ وسار بها الخبر حيث سرى <sup>(١)</sup> ، وصار بها الحقّ مُشدودَ العرى ؛ وعلى جميع القضاة الأصفياء ، والمُلاء الأَرْضِيَاء ، والخطباء الأولياء ، والمُقرئين الأذكياء ، وحملة الأقلام الأخطياء ؛ أن يعتمدوا على هذا الوليّ العِمَاد في كل ما يرجع إلى عوائدهم ، ويختصّ في دار الملك من مَرتباتهم وفوائدهم ؛ وما يتعلق بولاياتهم [وأمنياتهم] <sup>(٢)</sup> ، ويليق بمقاصدهم وتيّاتهم <sup>(٣)</sup> ؛ فهو الذي يُسوِّغهم المَشارب ، ويُبلِّغهم المآرب ؛ ويستقبل العليّ بالعليّ ، والعاقل بالحقّيّ ، والشّكّل بالجلّيّ ؛ والمُفرّق بالتاج ، والمُقدِّمة بالإنتاج ؛ وعلى ذلك فهذا المنشور الكريم قد أقرم على ولايتهم <sup>(٤)</sup> وأبقاهم ، ولقّاهم من حفظ المراتب ما رقّاهم ؛ فليجروا على ما هم بسبيله ، وليهتدوا برُشد <sup>(٥)</sup> هذا الاعتناء ودليله .

وكتب في صفر عام سبعة وخمسين وثمان مئة . انتهى .

وإنما كتبت برُمته لتعلم به مصداق ما قدمناه من تمكّن ابن عاصم المذكور من مراتب الاصطفاء والاحتفاء <sup>(٦)</sup> .

ولنختم ترجمته ، رحمه الله ، بتخميس عجيب من نظمه :

سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ الْأَنْوَارَ وَاحْتَجَبَا وَكُلَّ حَمْدٍ وَتَعْجِيدٍ لَهُ وَجَبَا

(١) في فتح الطيب : « ... الخبر حيث السرى » .

(٢) زيادة عن فتح الطيب .

(٣) كذا في فتح الطيب . وفي ط : « وأفضيائهم » .

(٤) في فتح الطيب : « ولايتهم » .

(٥) في فتح الطيب : « برشد » .

(٦) إلى هنا ينهي الفاط من نسخة ت .

إذا ابتغى العقلُ في إدراكه سبباً جاء الحجابُ فالتقى دونه الحُجُبُ  
حتى إذا ما تَلَّسَى عندها ظهراً

سُبْحانَ مَنْ كانَ والأَكوانُ لم تَكُنْ في غيرِ أَيْنٍ ولا وَقْتٍ ولا زَمَنِ (١)  
حتى أتى الجودُ بالإيجادِ والمِئَنِ وكانَ ما (٢) قد رَسَمناه بما وَمَنِ (٣)  
وأظهر الشمسَ ذاتَ النُّورِ والقَمَرَ

سُبْحانَ مَنْ حَجَبَ الأبصارَ فاحتجبتْ وكَم أَراد مُريدُ نيلها فأبَتْ  
مَنْ حَدَّثته أمانيه فقد كَذَبَتْ حَقِيقَةُ ذاتها عن ذاتها وَجَبَتْ  
لا يُدركُ العقلُ من أخبارها خَبِراً

سُبْحانَ مَنْ شأنه في شأنه عَجْبٌ يَخْفَى فيظهُرُ أو يَبْدو فيحتجبُ [١١٠]  
يَأبِها العاكفون السادةُ النَجْبُ هل فيكمُ مَنْ سعى سَعياً كما يَجِبُ  
فماز بالقرضِ المَطْلُوبِ أو ظَمِرَا

سُبْحانَ مَنْ لم يزلْ بالعالمِ مُنفرداً . من تعالى عن الأشباهِ فانتَحدَا  
سُبْحانَه وتعالى واحداً صَمَدًا تَبَارَكَ اللهُ لَمْ يُولَدْ ولم يَلِدْ (٤)  
نَزَّهَ اللهُ عَمَّا يُلْحَقُ البَشَرَا

سُبْحانَ مَنْ أخرجَ المَوْجودَ من عَدَمٍ رَحمًا بَرى كَوْنَه في غيرِ مُرْتَسِمٍ  
فلا مَحَلٍّ سِوَى كُنْهِ مِنَ الكَلَمِ ولم يَزَلْ هو في دِينُومَةِ القِدَمِ  
مُؤَثَّراً يَخْلُقُ التَّأثيرَ والأَثَرَا

سُبْحانَ مَنْ خلقَ الأشياءَ أَجمَعَهَا فَمِنْ رَأَها رَأى أَضالَهَ مَعَهَا

(١) الأبن : الإعياء .

(٢) في ط : « من » .

(٣) بما ومن : يريد ما خلق الله مما لا يعقل ومن يعقل .

(٤) في ط : « وما ولدا » .

وكان أنفها صنمًا وأبدعها نفس إلى العالم الملوئ رفعتها  
وخصتها من معاليه بما بهرًا

سبحان من عمّ بالإينام ما خلقًا وشفع المدلّ بالإحسان فأنقذًا  
وزاد بالذكر في قلب التقيّ تقيّ فاستكمل الدين والإيمان والخلقًا  
وكان مدرّكه الصديق أو عمرًا

سبحان من سبّخته كلُّ ساجدة وكلُّ عاتمة في الماء سائحة  
وكلُّ غادية تقدو ورائحة وسبّخته خفايا كلِّ جانحة  
لم تعرف السرّ حتى جاورت صورا

سبحان من حمدته ألسن البشر في السرّ والبحر والآصال والبكر  
وفي دجى تشدّون نصف الليل والسحر بالشكر والذكر والآيات والسور  
تؤليه حمدا وتتلو بعده سورا

سبحان من زهته ألسن عزّت عن كلِّ ما يؤمّ التشبيه إذ وصفت  
صفا لها مورد التحقيق حين صفت فلم تفارقه حتى أثبتت ونفت  
ولم تدع شبهة تؤذى ولا ضررا

سبحان من شكره في الدين مفترض وليس يشبهه جنم ولا عرض  
ينهى ويأمر ما في ذا وذا عرض فاذكر لنعاه ذكرًا ليس ينقض  
فن تحدث بالثغمي فقد شكرًا

سبحان من خضع السبع الطباقي له وأعظمته قلوب حشوها وله (١)  
تريد أن تعلم الأبقى وتقله طوبى لمن أمل الأبقى وأم له  
واستكثر الزاد لنا آنس السفرا

(١) ورد هذا البيت محرفا هكذا في ت :

تريد تعلم ماتى وتمله طوبى لمن أمل الأبقا وأم له

سُبْحَانَ مَنْ زَيَّنَ الْأَفْلاكَ بِالشُّهُبِ وَيَبَيِّنُ الدِّينَ بِالْآيَاتِ<sup>(١)</sup> وَالْكِتَابِ  
وَلَمْ يَدْعُنَا لَدَى لَهْوٍ وَفِي لَمَبٍ<sup>(٢)</sup> لَكُنْ نَهَانَا وَأَتَانَا عَلَى الرُّتَبِ  
حَتَّى اتَّهَيْنَا وَأَذَعْنَا لِمَا أَمَرَا

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْأَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ فَتَارَةً تَتَنَاسَى ثُمَّ تَأْتِلُفُ  
هَذَا الظُّلَامَ بِنُورِ<sup>(٣)</sup> الصُّبْحِ يَنْصَرِفُ كَمَا الضُّلَالُ لِنُورِ الْعِلْمِ لَا يَقِفُ  
فَسَلَّهُ نُورًا يُبَيِّرُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْأَخْلَاقَ وَالْخَلْقَ وَالشَّمْسَ وَالْبَدْرَ وَالظُّلُمَاءَ وَالْفَسَقَ  
يَرُوقُكَ الْكُلُّ مَجْمُوعًا وَمُفْتَرَقًا وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَاسْلُكْ نَحْوَهُ طُرُقًا  
فَأَسْعِدْ النَّاسَ مَنْ فِي نَفْسِهِ نَظَرًا

سُبْحَانَ مَنْزِلِ مَاءِ الْمَرْزَنِ فِي الْمَطَرِ يَرْوِي النَّبَاتَ وَيَسْقِي يَارِيعَ الشَّعْرِ  
كَأَنَّمَا الزُّهْرُ تُهْدِيهِ إِلَى الزَّهْرِ إِذَا رَأَيْتَ تَلَاقِيهَا عَلَى قَدَرٍ  
رَأَيْتَ صُنْعَ قَدِيرٍ أَحْكَمَ الْقَدَرَا

سُبْحَانَ مَنْ قَدَّرَ الْأَقْوَاتَ وَالْأَجَلَا وَتَابَعَ الْوَحْيَ وَاسْتَقْلَى بِهِ الرُّسُلَا  
فَمَنْ تَعَدَّى حُدُودَ الْفَوْقِ قِيلَ غَلَا وَمَنْ تَجَوَّزَ مُنْهَضًا فَقَدْ سَفَلَا  
وَمَنْ تَخَطَّى حُطُوطَ الْمُتَنَهِي كَفَرَا

سُبْحَانَ مَنْ فَجَّرَ الْأَنْهَارَ فَانْفَجَرَتْ وَقَدَّرَ الْخَيْرَ فِي إِجْرَائِهَا فَجَبَرَتْ  
فَزِينَةُ الْأَرْضِ بِالْأَزْهَارِ قَدْ ظَهَرَتْ وَلِلْبَصِيرَةِ عَيْنٌ كُلُّهَا نَظَرَتْ<sup>(٤)</sup>  
رَأَتْ جَمَالًا وَإِجَالًا وَمُعْتَبَرًا

(١) في ط: « في الآيات » .

(٢) في ت: « ولا لب » .

(٣) في ت: « بضوء » .

(٤) في ت: « بصرت » .



سبحانَ مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ      وَأَعْقَبَ اللَّيْلَةَ اللَّيْلَاءِ بِالْفَسَقِ  
يَاهِجَةُ الشَّمْسِ دُونِي عُدَّتْ<sup>(١)</sup> مِنْ فَلَقٍ      وَيَا سَنَا الْبَدْرَ عَارِضَ مُخْمَرَةِ الشَّقَقِ

حَتَّى تُعِيدَ لَنَا مِنْ لَيْلِنَا سَحَرًا

سُبْحَانَ مَنْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْقَلَمِ      وَسَلَّطَ الهمَّ وَالْبَلْوَى عَلَى الهمِّ  
فَقَاوَمَتْهَا جُنُودُ الصَّبْرِ وَالْكِرَمِ      ثُمَّ ابْتَلَى قَلْبَ غَيْرِ الْعَارِفِ التَّهَمِّ  
فَمَا أَطَاقَ وَلَا أَوْفَى وَلَا صَبْرًا

[١١٢]      سبحانَ مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ      فَلَيْسَ يَنْشَى إِلَى شَيْءٍ عَلَى مَهَلٍ  
وَلَا يَقُولُ سِوَى هَذَا وَذَلِكَ لِي      مُقَسِّمَ الْحَالِ بَيْنَ الْحِرْصِ وَالْحِيلِ  
فَلَيْسَ تَلْقَاهُ إِلَّا ضَارِعًا حَذِرًا

سُبْحَانَ مَنْ زَانَهُ بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ      وَبِالْفَضَائِلِ وَالْإِيمَانِ وَالطَّلَبِ  
فَلَا يَزَالُ حَلِيفَ الْفِكْرِ وَالتَّعَبِ      رَامَ الْكَمَالِ فَلَمْ يَبْلُغْ وَلَمْ يَحْبِ  
وَلَمْ يَرِدْ بَعْدُ فِي رِيٍّ وَلَا صَدْرًا

سُبْحَانَ مَنْ شَانَهُ بِالْكِبَرِ وَالْأَشْرِ      يُنْسَى وَيُصْبِحُ فِي غَيٍّ وَفِي بَطَرٍ  
مُرْدَّدَ الْعَزَمِ بَيْنَ الْجَبْنِ وَالْخَوَرِ      لَا يَسْتَفِيقُ مِنَ الشُّكُوفِ إِلَى الْبَشْرِ  
وَلَا يُرْخِزُ عَنْ ظُلْمٍ إِذَا قَدَّرَا

سُبْحَانَ مُخْرِقِهِ فِي وَقْدَةِ الْحَسَدِ      فَلَا يَزَالُ أَخَا غَيْظٍ وَفِي نَكَدِ  
كَالْبَحْرِ يَرْمِي إِلَى الْعَيْنَيْنِ بِالزَّبَدِ      إِذَا رَأَى أَثَرَ الثُّغْمَى عَلَى أَحَدِ  
يَوَدُّ لَوْ كَانَ أَعْمَى لَا يَرَى ضَجْرًا

(١) في ت : « النفس » .

(٢) في ت : « عدت » بالذال المهملة .

سُبْحَانَ مَنْ أَمَرَ الْأَرْوَاحَ فَأَتَمَّتْ ثُمَّ اسْتُدِّمَتْ فَلَمْ تَنْهَضْ بِمَا أُمِرَتْ  
وَكُلُّ نَفْسٍ إِذَا سَامِعَتْهَا جُفِرَتْ فَلَا تَصِلُهَا إِذَا خَانَتْكَ أَوْ غَدَرَتْ  
وَاقْطَعْ عِلَاقَتَكَ مِنْ قَدْ خَانَ أَوْ غَدَرَ

سُبْحَانَ مَنْ بَسَطَ التَّعْلِيمَ ثُمَّ طَوَى فَأَغْطَى الْقَلْبَ وَجَدًّا دَائِمًا وَهُوَ  
وَذَابُ<sup>(١)</sup> فِي مُلْتَظَى أَشْوَاقِهِ وَذَوَى وَكَانَ أَزْمَعَ وَاسْتَوَى الثُّمَى وَنَوَى  
حَجًّا فَلَا أُنَى مِيقَاتِهِ حُصِرَا

سُبْحَانَ مَنْ فِي سِاطِ الْقَدَلِ أَجْلَسَنَا وَبِاغْتِفَارِ عَظِيمِ الذَّنْبِ آتَسْنَا  
وَزَانَ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ أَنْفُسَنَا فَكَانَ أَعْظَمَنَا قَدْرًا وَأَنْفُسَنَا  
مَنْ أَتَمَّى أَوْ نَهَى أَوْ خَافَ فَازْدَجَرَا

سُبْحَانَ مَنْ خَصَّ بِالْإِيمَانِ أَنْفُسَنَا وَخَافَهُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ أَنْفُسَنَا  
لَوْلَاهُ لَمْ نَعْرِفِ الْمَعْرُوفَ<sup>(٢)</sup> وَالْحَسَنَا وَلَا اسْتَعْدَدْنَا لِسَانًا نَاطِقًا لِسِنَا  
وَلَا دَرَبَنَا : أَبَاحَ الشَّرْعُ أَوْ حَظَرَا

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْإِيمَانَ بِالْقَدْرِ وَالْحَشَرَ وَالنَّشْرَ مَنْجَاةً مِنَ الضَّرَرِ  
فَلَا خُلُودَ مَعَ الْإِيمَانِ فِي سَقَرٍ وَلَا وُصُولَ إِلَى أَمْنٍ بِلَا حَذَرٍ  
حَتَّى تَكُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ مُؤْتَمِرَا

سُبْحَانَ مَنْ إِنْ يَشَاءُ أَعْطَاكَ أَوْ مَنَعَا وَمَنْ إِذَا شَاءَ أَمَرَا حَادِثًا وَقَعَا [١١٣]  
وَتَارَةً يَخْفِضُ الْأَمْرَ الَّذِي رَفَعَا يَوْمًا يَفْرُقُ لِلْإِنْسَانِ مَا جَمَعَا  
وَلَا يُبَالِي بِمَنْ أَتَى وَمَنْ خَسِرَا

سُبْحَانَ مَنْ هُوَ يَوْمَ الْفَصْلِ يَجْمَعُنَا وَلِلنَّعِيمِ بِفَضْلٍ مِنْهُ يَرْفَعُنَا

(١) في ط : « وزاد » .

(٢) في ت : « السنون » .

مِنْ بَعْدِ زُرُوءِ أَهْوَالِ تَرْوَعَنَا يُرَى لَهَا وَالْمَاءَ هَيَّانَ أَوْرَعَنَا

حَيْرَانَ عُرْيَانَ يُبْدِي كُلَّ مَا سَتَرَا

سُبْحَانَ مَنْ شَاءَ فِي الدُّنْيَا سَعَادَتَنَا بِطَاعَةِ أَحْسَنَتِ مَنْ إِرَادَتَنَا

وَيَبْتَلِينَا وَيَسْتَعْلِي عِبَادَتَنَا حَتَّى إِذَا شَاءَ فِي الْآخِرَةِ إِعَادَتَنَا

أَعَادَنَا مِثْلَ مَا كُنَّا كَمَا ذَكَرَا

سُبْحَانَ مَنْ يَحْشُرُ الْإِنْسَانَ مُكْتَتِبًا خَوْفَ الْجَزَاءِ وَيَجْزِيهِ بِمَا كَسَبَا

وَيَحْكُمُ الْحُكْمَ يُمِضُّهُ كَمَا وَجَبَا فَالْقَاسِطُونَ إِلَى نِيرَانِهِ عُصَبَا<sup>(١)</sup>

وَالْمُقْسِطُونَ إِلَى جَنَّتِهِ زُمَرَا

سُبْحَانَ مَنْ فَضَّلَ الْإِسْلَامَ فِي الْأُمَمِ بِالطَّيِّبِ الطَّاهِرِ التَّبَعُوثِ فِي الْحَرَمِ

مُحَمَّدٍ خَيْرٍ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ إِذَا عَدَدَتْ بِيُوتَ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ

فَنَهْ حَتَّى إِلَى عَدَنَانَ أَوْ مُضَرَ

سُبْحَانَ مَنْ خَتَمَ الْأَدْيَانَ فِي الْأَزَلِ بِالْمِلَّةِ السَّمْحَةِ الْبَيِّضَاءِ فِي اللَّيْلِ

أَتَى بِهَا خَيْرُ مَأْمُورٍ وَمُمْتَلِلٍ مُحَمَّدٌ خَاتَمُ السَّادَاتِ وَالرُّسُلِ

وَخَيْرُ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَاعْتَمَرَ

إِذَا وَصَفْنَا فَبِالتَّقْصِيرِ نَعْتَرُ فِكْلُ لَفْظٍ بَلِيغٍ دُونَهُ يَنْقُفُ

هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي فِي ذِكْرِهِ شَرَفُ فَإِنْ طَلَبْتَ رِضَاهُ بِالَّذِي تَصِفُ

فَكُنْ عَلَى وَصْفِهِ فِي الذِّكْرِ مُقْتَصِرَا

صَلَّى الْإِلَهِ عَلَيْهِ مَا بَدَأَ قَرُ وَمَا سَرَتْ فِي الدِّيَاجِي أَنْجَمُ زُهْرُ

وَمَا تَبَايَنْتِ الْأَشْكَالُ وَالصُّورُ وَمَا تُدَوِّرُ سِتَ الْآيَاتِ وَالشُّورُ

وَمَا قَضَى مُؤَمِّنٌ مِنْ حَاجَةٍ وَطَرَا

وبالجملة فإنَّ عاصمَ أبويحيى كان يسمِّيه أهلُ زمانه ابنَ الخطيب الثاني ،  
حسبما قاله الوادى آشى وغيره .

تعريف  
بإبن الخطيب

ولا بد أن نلحَّ نبذة من أخبار ابن الخطيب [ السُّلْطَانِي الوَازِر ] <sup>(١)</sup> : إذ هو [ ١١٤ ]  
لسان الدين ، ونفخ الإسلام بالأندلس في عصره ، فنقول : هو محمد بن عبد الله  
ابن سعيد [ بن عبد الله بن سعيد ] <sup>(٢)</sup> بن علي بن أحد السُّلْطَانِي ، قُرْطُبِي الأصل ،  
ثم لَوْشِيَّة <sup>(٣)</sup> ، يُسَكَّنِي أبا عبد الله ، ويلقب من الألقاب المشرفة بلسان الدين ،  
الوزير الشهير ، الطائر الصيت ، المثل المضروب في الكتابة والشعر والمعرفة  
بالعلوم على اختلاف أنواعها ، رحمه الله .

أوليته :

أوليته ونسبه

قال ابن الأحمر <sup>(٤)</sup> في نثير فرائد الجُحَان في حقه ما نصه : « ذو الوزارتين الفقيه  
الكتاب ، أبو عبد الله محمد ، ابن الرئيس الفقيه الكتاب المُنْتَهَى <sup>(٥)</sup> ببلدة لَوْشَة ،  
عبد الله ، ابن الفقيه القائد الكتاب سعيد بن عبد الله ، ابن الفقيه الصالح  
ولى الله الخطيب سَعِيدِ السُّلْطَانِي اللُّؤْمِي ، المعروف بابن الخطيب » . انتهى .  
وقال غيره : إن بيتهم يُعرَف في القديم ببني الوزير <sup>(٦)</sup> ، ثم في الحديث

(١) زيادة عن ت ونفح الطيب .

(٢) لوشية : نسبة إلى لوشة (يفتح فسكون) : مدينة بالأندلس غرب ألبيرة قبل قرطبة ،  
منحرفة سيرا ، بينها وبين قرطبة عمرو فرسخا ، وبينها وبين غرناطة عشرة  
فراسخ . (عن معجم البلدان) .

(٣) ابن الأحمر : هو أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن السلطان القائم بأمر الله محمد  
ابن الأحمر .

(٤) كذا في ط . وفي ت : « المتري » . يريد المنتسب إلى بلدة لوشة . إلا أن هذا  
الفعل يصدى بالي . وفي نفح الطيب المطبوع والمخطوط : « المتري » :

(٥) كذا في نفح الطيب . وفي ط : « وزير » . وفي ت : « وزير » .

بني الخطيب . وسعيدُ جدُّه الأعلى أول من تَلَقَّبَ بالخطيب ، وكان من أهل العلم والدين والخير ، وكذلك سعيد جده الأقرب كان على خلال حميدة ، من خطِّ ، وتلاوة ، وفقه ، وحساب ، وأدب ، خيراً ، صَدْرًا ، تُوَفِّيَ عام ثلاثة وثمانين وست مئة ؛ وأبوه عبدُ الله كان من أهل العلم بالأدب والطب ، وقرأ على أبي الحسن البلُّوطي ، وأبي جعفر بن الوزير <sup>(١)</sup> ، وغيرهما <sup>(٢)</sup> ، وأجازته طائفة من أهل المشرق ، وُوَفِّيَ بطريف عام واحد وأربعين وسبع مئة شهيداً يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى من العام مفقوداً <sup>(٣)</sup> ثابت الجأش ، شكر الله فعله .

قال ابنه لسان الدين صاحب الترجمة : أنشدتُ والدي أبياتاً من شعري ،

فُسِّرَ وهَلَّلَ ، وارتجل رحمه الله تعالى :

الطِّبُّ والشُّعْرُ والكِتَابَةُ      سِمَاتُنَا فِي بَنِي النَّجَابَةِ  
هِيَ <sup>(٤)</sup> ثَلَاثُ مُبْلَغَاتٍ      مَرَاتِبًا بَعْضُهَا الْحِجَابَةِ

[١١٥]

اتمى .

نشأه وشيوخه

نشأه :

ونشأ لسان الدين على حالة حسنة سالكا سنن أسلافه ، فقرأ القرآن على للكتب ، الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن عبد الولى القواد ، تَكْتَبًا ، ثم حفظا ، ثم تجويداً ؛ ثم قرأ القرآن أيضاً على أستاذ الجماعة أبي الحسن التيجاني ، وقرأ عليه العربية ، وهو أول من انتفع به ؛ وقرأ على الخطيب أبي القاسم بن جَزَى ؛

(١) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « زير » .

(٢) كذا في فتح الطيب . والذى في ط : « وقرأ على أبي الحسن البلوطي ، وأبي

إسحاق بن زروال ، وغيرهما » .

(٣) كذا في الأصلين وفتح الطيب .

(٤) في فتح الطيب : « هن » .

ولازم قراءة العربية والفقه والتفسير على الشيخ الإمام أبي عبد الله بن الفخار البيري ، شيخ النحويين لهذه ؛ وقرأ على قاضي الجماعة أبي عبد الله بن بكر ؛ وتأدب بالرئيس أبي الحسن بن الجيّاب ؛ وروى عن كثير من الأعيان ، كالحديث شمس الدين بن جابر ، وأخيه أبي جعفر ، والقاضي أبي البركات بن الحاج ، والشيخ أبي محمد بن سلمون ، وأخيه أبي القاسم بن سلمون ، وأبي عمرو بن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، وله رواية عالية ، والأستاذ اللغوي أبي عبد الله بن بيش<sup>(١)</sup> ؛ والحديث الكاتب أبي الحسن التليساني المسين ، والقائد الكاتب أبي بكر بن ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم ، والقاضي الحديث أبي بكر ابن شيرين<sup>(٢)</sup> ، والشيخ أبي عبد الله ابن الفقيه القاضي أبي عبد الله بن عبد الملك ، والخطيب أبي جعفر الطنجالي ، والقاضي أبي بكر بن منظور ، والرواية أبي عبد الله بن حزب الله ، وعن أشهر أسلافنا المتأخرين القاضي أبي عبد الله محمد المقرئ القرشي ، التليساني المولد والنشأ والمقر ، قاضي الجماعة بغاس ، وعن [١١٦] الشريف أبي علي حسن بن يوسف ، وعن الخطيب الرئيس الراوية أبي عبد الله ابن مرزوق ، وعن الحديث الفاضل الحسيب أبي العباس بن يربوع السبتي ، والرئيس الكاتب أبي محمد بن عبد المهيمن الحضرمي السبتي ، والشيخ المقرئ أبي محمد بن أيوب المالقي ، آخر الرواة عن<sup>(٣)</sup> ابن أبي الأحوص ، وعن أبي عثمان ابن ليون من أهل الرية ، وعن القاضي أبي الحجاج المُنشافري<sup>(٤)</sup> ، من أهل رُنْدَة ، إلى غيرهم ممن يطول ذكره من أهل الأندلس ، والمُعدّوة الغربية ،

(١) كذا في ط ونجح الطيب . وفي ت : « يس » .

(٢) كذا في ط ونجح الطيب . وفي ت : « بشرين » .

(٣) في ت : « علي » .

(٤) كذا في فتح الطيب (ج ٣ ص ٣٢٣ ، ٣٩٥ طبعه بلاق) . وفي ط : « المنشافري » .

وفي ت : « المُنشافري » .

والمشرق وإفريقية بالإجازة ؛ وأخذ الطب والتعاليم وصناعة التعديل عن الإمام أبي زكريا يحيى بن هذيل ، ولازمه .

تأليفه :

مؤلفاته

قال ابن الأحرر رحمه الله : « [ لابن الخطيب <sup>(١)</sup> ] الأوضاح المصنفات ، التي آذأن إحسانها هي المقررات المصنفات ، منها في التصوف الذي أكثر أهل الحقائق إليه نظر التشوف : روضة التعريف بالحب الشريف . انتهى .

ثم سرد غيرها من كتبه ، ومنها : الإحاطة ، في تاريخ غرناطة ، في خمسة عشر سِفرًا ؛ والألمحة البدرية في الدولة النصرية ؛ والحُلل المرقومة ؛ ومثلي الطريقة ، في ذم الوثيقة ؛ والسحر والشعر <sup>(٢)</sup> ؛ وريحانة الكتاب ، ونجمة المنتاب ، في أسفار ؛ والصيَب والجهام ، والماضي والكهام ، في مجموع شعره ؛ ومُعيار الاختيار <sup>(٣)</sup> ؛ ومفاضلة مألقة وسلا ؛ ورسالة الطاعون ؛ والمسائل الطبية ، في سفر ؛ والرجز في عمل الترياق ؛ واليوسني في الطب ، في سفرين ؛ والتاج الحلي في مساجلة القُدح المُعلّى ؛ والكتيبة الكامنة ، في أدباء <sup>(٤)</sup> المئة الثامنة ؛ ونفاضة الجراب ، في أربعة أسفار ، وهي من أحسن تأليفه ، ولم أزل أكثر البحث في هذا التاريخ عنها ، فلم أقف منها على عين ولا أثر ، إلا عدة أوراق متفرقة ، وقد كنت قبل هذا التاريخ رأيت بعضها . والبيزرة ، في سفر ؛ والبيطرة ، في سفر جامع ، لما يرجع إليه من محاسن الخيل وغيره ؛ ورسالة تكوّن الجنين ؛ والوصول لحفظ الصحة في الفصول ؛ ورجز الطب ؛ ورجز الأغذية ؛ ورجز السياسة ؛

(١) زيادة عن نفع الطيب (ج ٤ ص ٦٥٢) .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب (ج ٤ ص ٦٥٤) . وفي ت : « والشعر » .

(٣) في نفع الطيب : « الأخبار » .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي ت : « في شعراء » . وفي ط : « في آداب » .

وكتاب الوزارة ؛ ومقامة السياسة ؛ والغيرة على أهل الحيرة ؛ وحمل الجمهور على [١٧] السّنن المشهور ؛ والرّبدة للمخوضة ؛ والد على أهل الإباحة ؛ وسد الذريعة ؛ في تفضيل الشريعة ؛ وخطرة الطيف ؛ ورحلة الشتاء والصيف ؛ وطرفة العصر في دولة بنى نصر ، في ثلاثة أسفار ؛ وتقرير الشبه ؛ وتحرير الشبه ؛ واستنزال اللطف الموجود في سر الوجود ؛ وبستان الدول ، وهو غريب في معناه ، في فنون السياسة ، في ثلاثين جزءاً ، ولم يكمل ؛ وأبيات الأبيات ، فيما اختاره رحمه الله من مطالع ماله من الشعر ؛ ورّم الحُلل في نظم الدول ، في غاية من الحلاوة والمذوبة والجزالة ؛ وفُتات الخوان ، ولقط الصوان ، في سفر يتضمن المقطوعات ؛ وعائد<sup>(١)</sup> الصلة ، في سفرين ، وصل به صلة الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ؛ وتخليص<sup>(٢)</sup> الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات ؛ وجيش التوشيح ؛ ورجز في أصول الفقه ، شرحه وليّ الدين بن خلدون ، صاحب التاريخ المشهور ؛ والإكليل الزاهر<sup>(٣)</sup> ؛ وكُناسة اللذ كان بعد انتقال السكان ؛ وعمل من طب لمن حب ؛ والدرر<sup>(٤)</sup> الفاخره ، واللّجج الزاخره ، جمع فيه نظم بن صفوان ؛ والمباخر الطيبية في المفاخر الخطيبية ؛ وخلع الرّسن في أمر القاضي ابن الحسن ؛ وأعمال الأعلام ، فيمن<sup>(٥)</sup> بويج من ملوك الإسلام ، قبل الاحتلام<sup>(٦)</sup> . وألف أيضاً في الموسيقى ، ومصنفاته زادت على الحسين ، وقد ذكرنا نحو الحسين<sup>(٧)</sup>

(١) في ط : « غاية » .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « تلخيص الذهب ... الخ » .

(٣) اسم الكتاب كاملاً كما في نفع الطيب : « الإكليل الزاهر فيها فضل عند نظم التاج من الجواهر » .

(٤) كذا في نفع الطيب (ج ٤ ص ٦٥٥) . وفي الأصلين : « والدره » .

(٥) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « بمن » .

(٦) اسم الكتاب كما في نفع الطيب : « أعمال الأعلام فيمن بويج قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، وما يمر ذلك من شجون الكلام » .

(٧) تختلف مؤلفات ابن الخطيب المذكورة في نفع الطيب (ج ٤ ص ٦٥٣ — ٦٥٥) عنها هامتا زيادة ونقصانا .



ماله :

راى ابن الأحمر  
فيه

قال ابن الأحمر :

« هو شاعر الدنيا ، وعلم الثُفُرد والثُنْيَا ؛ وكتب الأرض ، إلى يوم  
المرض ؛ لا يدافع مدحه في الكتب ، ولا يُجَنِّحُ فيه إلى القتب ؛ آخر من  
[ ١١٨ ] تقدّم في الماضى ، وسيف مقولة ليس بالكهام إذ هو الماضى ؛ وإلا فانظر  
كلام الكتّاب الأول من المُصنِّب ، كيف كان فيهم بالإفادة صاحب القصبه ؛  
للبراعه ، بالبراعه ؛ وبه أَسَكَّتْ صائِلُهُمْ ، وما مُحَدَّتْ بُكْرَهُمْ وَأَصَانَهُمْ ؛  
المشوبة <sup>(١)</sup> بالخلالوه ، المُمكنة من مفاصل الطَّلَاوه ؛ وهو نفيس المُدَوِّن ،  
ورئيس الدولتين ؛ بالاطلاع على العلوم العقلية ، والإمتاع بالفهوم النقليه ؛ لَكِنَّ  
صِلَّ لِسَانِهِ فِي الْمَجَاء لَسَع ، وَبِحِجَادِ نِظَاقِهِ فِي ذَلِكَ اتَّسَعَ ؛ حَتَّى صَدَمْنِي ، وَعَلَى  
القول فيه أَقْدَمْنِي ؛ بسبب هجوه في ابن عمى ملك الصنع الأندلسى ، سلطان  
ذلك الوطن في النفر الجنسي ، العظم في الملوك بالقول الجَنِّي والإِنْسَى ؛ ثُمَّ صَفَحَتْ  
عنه صفحة القادر ، الوارد من مياه الظفر غير الصادر ؛ لِأَن مِثْلِي لَا يَلِيْقُ بِهِ إِظْهَارُ  
العورات ، ولا يَجْمَلُ بِهِ تَتَبُّعُ الْعُرَات ؛ اتِّبَاعًا لِلشَّرْع فِي تَحْرِيمِ الْغَيْبِ ، وَضَرْبًا  
عَنِ الْكِرِيهَةِ ، وَإِثْبَاتًا لِحُظُوظِ النِّقِيْبَةِ الرَّغِيْبَةِ ؛ فَمَا ضَرَّهُ لَوِ اشْتَقَلَّ بِذَنُوبِهِ ،  
وَتَأَسَفَ عَلَى مَا شَرَبَ مِنْ مَاءِ الْمَجْهُو بِذَنُوبِهِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ : مَنْ تَعَرَّضَ  
لِلْأَعْرَاضِ ، أَرْمَى عِرْضَهُ هَدَفًا لِسَهَامِ الْأَعْرَاضِ » . انتهى كلام ابن الأحمر .

وقال غيره :

تولى الكتابة

تقلد <sup>(٢)</sup> الكتابة أيام السلطان أبى الحجاج ، في أخريات دولته ، بعد

(١) في ت : « المعربة » .

(٢) أبو الحجاج : هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر الأنصارى  
الجزرى ، من أمراء الملّحين بالأندلس .

شيخه ابن الجيّاب .

قال ابن الصباغ العقيلي : « كان أبو الحسن بن الجياب رئيس كتاب الأندلس ، وم رؤساء غيرهم ، واختص به ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب اختصاصاً تاماً ، وأورثه رتبته من بعده ، وعهد بها إليه ، مشيراً بذلك على من استشاره من أعلام الحجاب عند حضور<sup>(١)</sup> عمره . وتدرّب بذكائه ، حتى استحق أزمنته ، فأنسى بحسن سياسته شيخه المذكور ، ونال التي لا فوقها من الخطوة ، وبُعد الصيت ، وسعادة البخت .

كلام لابن الصباغ  
عنه وعن قوة  
بديته

اتفق له يوماً بعد ما عنم النصراني على ورود البلاد<sup>(٢)</sup> ، وضاعت به الصدور ، [ ١٩ ]  
فأنشد ابن الجياب بديهاً بمحضر الكتاب :

هذا المدوّ قد طغى وقد تعدّى وبغى  
[ وقال لابن الخطيب : أجزأنا عبد الله ، فأنشده بديهاً ]<sup>(٣)</sup> :  
وأظهر السّلم وقد أسرّ حسّوا في أرتفا  
فبلغ الرحمن سيف النصر فيه ما ابتغى<sup>(٤)</sup>  
ورده ردّ ثمود والقصيل قد رغا  
حتى يرى وليمة لكل مرّهوب الثّغاة<sup>(٥)</sup>

(١) في ت : « ظهور » .

(٢) في ت : « البلد » .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) رواية هذا البيت في ت :

فأبلغ الرمح بسيف النصر فيه ما ابتغى

(٥) الثغاة (عدودا وقصر قشعر) : صوت الثناء والمزوما شاكلها ، ويريد به صوت  
المفترس من الحيوان ، أو صوت الرماح والسيوف .

فقال ابن الجيَّاب : هكذا وإلا فلا ، وعجب الحاضرون من هذه البديهة .  
اتمنى كلام ابن الصباغ .

ولما توفي أبو الحجاج ازدادت <sup>(١)</sup> منزلة ابن الخطيب عند ابنه أبي عبد الله ،  
إلى أن كانت عليه الدائرة ، فقبض على ابن الخطيب وعلى أملاكه ، ثم تخلص  
منها نكبة مصحفية <sup>(٢)</sup> بشفاعه السلطان المستعين بالله أبي سالم إبراهيم ابن السلطان  
الشهير الكبير أبي الحسن التريني ، صاحب المغرب ، وكان <sup>(٣)</sup> تحريك عزائم  
السلطان أبي سالم للشفاعة فيه بسعاية النائب على دولته الحاجب الرئيس الخطيب  
الرحال أبي عبد الله بن مرزوق . ولما تخلص ابن الخطيب من هذه الأنشطة  
لحق بسلطانه أبي عبد الله ، كما ذكره قريبا ، وورد صُحْبَتُهُ المغرب ، واستقرَّ  
أبو عبد الله بن الخطيب بسلامة تحت الجِزَاية التامة ، متكفلا خدمة ضريح الملوك  
من بني مرّين ، ليُسَبِّحَ بذلك إلى صاحب الملْك من بينهم ، كما يقضى له ما بقي  
من مآربه <sup>(٤)</sup> بالأندلس ، بشفاعه غير مردودة ؛ وفي أثناء هذه المدة كان  
يتعلوف ببلاد المغرب مثل مراکش وأنظارها <sup>(٥)</sup> . ثم لما رجع مخدومه لقرنطة  
عاد هو في محبة أولاده ، فألقى إليه مقاليد رياسته ، وأزمة سياسته ، ورفاهه إلى الثروة

(١) في ت : « زادت » .

(٢) مصحفية : نسبة إلى المصحف جعفر بن عثمان الحاجب . ويشير إلى نكته على يد ابن  
أبي عامر التي انتهت بسجنه في المطبق ثم موته . وإلى هذه النكبة يشير ابن  
الخطيب بيته :

تخلصت منها نكبة مصحفية لفقداني النصور من آل عامر

(انظر فتح الطيب ج ٢ ص ٥٩ — ٦٤ طبعة أوروبا ، ج ٣ ص ٤٢ طبعة بلاط)  
(٣) تم هذه المبرة في ت : « وكان من تحريك السلطان أبي سالم للشفاعة فيه بسعاية  
النائب على دولة أبي سالم الحاجب .. الخ » .

(٤) في ط : « أغراضه » :

(٥) هذه المبرة من قوله « وفي أثناء » إلى قوله « وأنظارها » ساقطة في ت .

التي لا فوقها ؛ ثم سَمَّ الخُدَمة ، وتسَخَطَ النِّعمة ، وأَضْمَرَ القرار عند ما سمع بأن [١٢٠] الملك استوثق للسلطان أبي فارس بن أبي الحسن التَّريفي ، وأنه مَلَكَ نِلْغِشَان ، فأظهر الذهاب إلى تَقَدُّد أحوال بعض الثَّغور ، فكان آخرَ عهد الأندلس به ، وخرج نِلْغِشَان ، واحتزَّت دولة السلطان أبي فارس لَقْدومه ، ثم كان من أمره ما سنذكره .

تفصيل انكبة  
السلطان أبي عبد  
الله وذهابه إلى  
فارس

ولتُورِد بعض تفصيل لما سبق الإلمام به ، وما لم يسبق ، فنقول :  
قال في كتابه للمسمى باللمحة البدرية ، في الدولة النصرية ، عند ذكره  
خلع السلطان أبي عبد الله ، وقيام الأمير إسماعيل عليه ، وذلك في شهر رمضان  
المعظم من عام ستين وسبع مئة ، ما نصه :

« وكان السلطان أبو عبد الله عند تَصَيُّر الأمر إليه قد أُلْزِم أخاه إسماعيلَ  
قصرًا من قصور أبيه بجوار داره ، مَرْفُها <sup>(١)</sup> عليه ، متممةً وظائفه له ، وأسكن  
معه أمه وأخواته منها ، وقد أَسْتَأْثَرَت يومَ وفاة والده بمالٍ جَمٍّ من خزانته  
الكائنة في بيتها ، فوجدت السبيلَ إلى السعي لولدها ، فجعلت تُواصل زيارة  
ابنتها التي عقد لها الوالد مع ابن عمه الرئيس أبي عبد الله ابن الرئيس أبي <sup>(٢)</sup>  
الوليد ، ابن الرئيس أبي عبد الله الملباع له بأنْدَرَش ، ابن الرئيس أبي السعيد  
جَدِّهم الذي تجمعهم جُرُثومتهم ، وشَمَر الصَّهْر المذكور عن مساعد عَزْمه وجَدِّه ،  
وهو [على] <sup>(٣)</sup> ما هو من الإقدام ومُدَاخلة ذُوْبَان الرجال ، وأُستعان بمن  
آسَفته <sup>(٤)</sup> الدولة ، وهَمَّت به الأطاع ، فتألف منهم زُهاء مئة قَصَدُوا جهة

(١) كذا في ط وفتح الطيب (ج ٣ ص ٤٥) . وفي ت : « مرفها » .

(٢) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « ابن » .

(٣) زيادة عن فتح الطيب .

(٤) آسفته : أغضبته .

من جهات القلعة مُتَسَنِّينَ شَقًّا صَعَبَ المُرْتَقَى ، واتخذوا آله تُدْرِك ذروته لصعود<sup>(١)</sup> [بِنْيَة]<sup>(٢)</sup> كانت به عن التمام ، وكبسوا حَرَسِيًّا بأعلاه بما اقتضى صِبَاتِه<sup>(٣)</sup> ، فاستَوُوا به ، ونزلوا إلى القلعة سَحَر<sup>(٤)</sup> الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان عام ستين وسبع مئة ، فاستظهروا بالمشاعل والصُّرَاخ ، وعالجوا دار الحاجب رِضْوَان ، فَفَضُّوا أَغْلَاقَهَا ودخلوها ، فقتلوه بين أهله وولده ، واتهبوا ما اشتملت عليه داره ، وأسرعت طائفة مع الرئيس ، فاستخرجت الأمير المَعْتَقَل إسماعيل وأركبته ، وقُرِعَت الطبول ، ونُودِيَ بدعوته ، وقد كان أخوه السلطان مُتَحَوِّلاً بولده إلى سُكْنَى الجَنَّة النسوبة للقريف ، لَصِقَ داره ، وهى التَّمَل المضروب فى الظِّل الممدود ، والماء المسكوب ، والنسيم التليل ، يفصل بينها وبين مَعْقَل الملك السُّور المنيع ، والخَنْدَق المصنوع ؛ فأراعه إلا النداء والمعيج ، وأصوات الطبول ، وهَبَ<sup>(٥)</sup> إلى الدخول إلى القلعة ، فألقاها قد أخذت دونه شِعَابُهَا كُلَّهَا وتقابها ، وقذفته الحِرَاب ، ورشقته السَّهَام ، فرجَع أَدْرَاجَهُ ، وسدَّه الله فى محل الحَيْرَة ، ودمن له عِرْقُ الفحول من قومه ، فامتطى صَهْوَة فرس كان مرتبطاً عنده ، وصار لوجهه فأعيا المتبع ، وصَبَّح مدينة وادى آش ، ولم يشعر حافظ قصبتها إلا به ، وقد تَوَلَّجَ عليها ، فالتفت به أهلها ، وأعطوه صَفَقَتَهُم بالذَّب عنه ، فكان أملكَ بها ؛ وتجهزت الحشود إلى منازلته ، وقد جدَّد

(١) كذا فى النسخة الخطية من نفع الطيب (المخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٣١٠ تاريخ) . وفى ط والنسخة المطبوعة فى بلاق من نفع الطيب : « لفعود » . وفى ت : « لمقود » .

(٢) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٣) الصبات (بالضم) : الصمت وال سكوت . ولعله يريد : موه .

(٤) فى الأصلين ونفع الطيب : « سحور » .

(٥) كذا فى ط ونفع الطيب . وفى ت : « وذهب » .

أخوه المتغلب على ملكه عقد السلم مع طاغية قشتالة ، باحتياجه إلى سلم المسلمين ،  
لجراً فتنه بينه وبين البرجائونيين من أمته ؛ واعتبط به أهل المدينة ، فذبوا  
عنه ، ورضوا بهلاك نعمتهم دونه ، واستمرت الحال إلى يوم عيد النحر من عام  
التاريخ ، ووصله رسول صاحب الغرب <sup>(١)</sup> [ مستنزلاً منها <sup>(٢)</sup> ] ، ومستدعياً إلى حضرته  
لما عجز عن إمساكها . وراسل <sup>(٣)</sup> ملك الروم <sup>(٤)</sup> فلم يجد عنده من مَعُول ،  
فانصرف ثاني يوم عيد النحر المذكور ، وتبعه الجمع الوافر من أهل المدينة خيلاً  
ورجلاً إلى مَرَبَلَة من ساحل إجازته . وكان وصوله إلى مدينة فاس ، مُصْحَباً من  
البرِّ والكرامة بما لا مزيد عليه ، في السادس من شهر محرم ، فاتح عام واحد  
وستين وسبع مئة ، وركب السلطان لِقَائِهِ ، ونزل إليه عند ما سلم عليه ، وبالف [ ١٢٢ ]  
في الحَقَابَةِ به .

وكنْتُ قد لحقت به مُنْذَرَةً من شَرِّكَ النَكْبَةِ الَّتِي اسْتَأْصَلَتِ الْمَال ، وَأَوْمَتِ  
سوء الحال ، بشفاعَةِ السُّلْطَانِ أَبِي سَالِمٍ قُدَّسَ اللهُ رُوحَهُ ، فَمَقَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ  
فِي الْمَحْفَلِ الْمَشْهُودِ حِينَئِذٍ ، وَأَنْشَدَتْهُ :

قصيدة  
ابن الخطيب بين  
يدى السلطان أبي  
سالم يستصرخه  
لمولاه

سَلَا هَلْ لَدَيْهَا مِنْ مُحَبَّرَةٍ ذِكْرُ      وهل أعشب الوادى ونَمَّ به الزَّهْرُ  
وهل باكَرَ الوسمي داراً على اللوى      عَفَّتْ آيُهَا إِلَّا التَّوَهُّمُ وَالذِّكْرُ  
بلادى الَّتِي عَاطِيَتْ مَشْمُولَةَ الْهَوَى      بَأَكْنَفِهَا وَالْعَيْشُ فَيَنَانُ خُضْرُ  
وَجَوَى الْقَدَى رَبِّي جَنَاحِي وَكُرْهُ      فَمَا أَنَا ذَا مَالِي جَنَاحَ وَلَا وَكُرْهُ

- (١) هو السلطان اللؤلؤ أبو سالم ، كما سيأتى قريباً .
- (٢) كذا في النسخة الخطية من نفع الطيب . وفي ت والنسخة المطبوعة : « عنها » .  
يريد : من وادى آتش ، أو عن وادى آتش .
- (٣) كذا في نفع الطيب . وفي ت : « وأرسل » .
- (٤) ما بين القوسين زيادة عن ت ونفع الطيب .

نَبَتْ بِي لَا عَنْ جَفْوَةٍ وَمَلَالَةٍ      وَلَا نَسَخَ الْوَصْلَ الْهَنَىٰ بِهَا هَجْرُ  
 وَلَكِنَّهَا الدُّنْيَا قَلِيلٌ مَتَاعُهَا      وَلَدَاتُهَا دَأْبًا تَزُورُ وَتَزُورُ  
 فَن لِي بِقُرْبِ الْعَهْدِ مِنْهَا وَدُونِهَا      مَدَى طَالِ حَتَّى يَوْمُهُ عِنْدَنَا شَهْرُ  
 وَلِلَّهِ عَيْنَا مِنْ رَأَا وَلِلْأُمَى      ضِرَامٌ لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ جَمْرُ  
 وَقَدْ بَدَّدَتْ دُرَّ الدَّمُوعِ يَدُ النَّوَى <sup>(١)</sup>      وَلِلشُّوقِ أَشْجَانُ يَضِيقُ لَهَا الصَّدْرُ  
 بَكَيْنًا عَلَى النَّهْرِ الشَّرُوبِ عَشِيَّةً      فَمَادَ أَجَابًا بِمَدَنَا ذَلِكَ النَّهْرُ  
 أَقُولُ لِأُظْلَعَانِي وَقَدْ غَالَهَا الشَّرَى      وَأَنَسَهَا الْحَادِي وَأَوْحَشَهَا الزَّجْرُ  
 رَوَيْدَكَ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرَأَنْ أَبْشِرِي      بِإِنْجَازٍ وَعَدَ اللَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْعُسْرُ  
 وَلِلَّهِ فِينَا سِرٌّ غَيْبٍ وَرُبَّمَا      أَتَى النَّفْعُ مِنْ حَالٍ أُرِيدُ بِهَا الضَّرُّ  
 وَإِنْ تَخَنَّى الْأَيَّامُ لَمْ تَخْنِ النَّهْيَ      وَإِنْ يَخْذُلِ الْأَقْوَامُ لَمْ يَخْذُلِ الصَّبْرُ  
 وَإِنْ عَرَّكَتْ مَنَى الْحَطُوبُ مَجْرَبًا      نَقَابًا تَسَاوَى عِنْدَهُ الْحُلُوفُ وَالْمُرُّ <sup>(٢)</sup>  
 فَقَدْ عَجَبْتَ عَوْدًا صَلِيلًا بِأَهْلِ الرَّدَى <sup>(٣)</sup>      وَعَزَمًا <sup>(٤)</sup> كَمَا تَمَضَى الْمُهَنْدَةُ الْبُتْرُ  
 إِذَا أَنْتَ بِالْبَيْضَاءِ قَرَّرْتَ <sup>(٥)</sup> مَنَزَلِي      فَلَا اللَّحْمَ حِلٌّ مَا حَيَّيْتُ وَلَا الظَّهْرُ  
 زَجَرْنَا يَا إِبْرَاهِيمَ بُرْءٌ <sup>(٦)</sup> مُهْمُونَا      فَلَمَّا رَأَيْنَا وَجْهَهُ صَدَقَ الزَّجْرُ  
 بِمُنْتَخَبٍ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ كَلَّمَا      دَجَا الْخَطْبُ لَمْ يَكْذِبْ لَقَزَمْتَهُ فَجْرُ  
 تَنَاقَلَتْ الرُّكْبَانُ طِيبَ حَدِيثِهِ      فَلَمَّا رَأَتْهُ صَدَقَ الظَّهْرُ الْخُبْرُ  
 نَدَى لَوْ حَوَاهِ الْبَحْرُ لَدَّ مَذَاقُهُ      وَلَمْ يَتَمَقَّبْ مَدَّةً أَبَدًا جَزْرُ

(١) كَذَا فِي ط وَنَفَحَ الطَّيْبُ . وَفِي ت : « الْهَوَى » .

(٢) النَّقَابُ : الْفُطْنُ الْمَالُ بِالْأَشْيَاءِ .

(٣) كَذَا فِي نَفَحَ الطَّيْبُ . وَفِي ط : « النَّوَى » . وَفِي ت : « النَّدَى » .

(٤) كَذَا فِي ط وَنَفَحَ الطَّيْبُ . وَفِي ت : « وَهَرَفَا » .

(٥) كَذَا فِي النُّسخَةِ الْخَطِيَّةِ وَالطَّبُوعَةِ مِنْ نَفَحَ الطَّيْبُ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « قَدَرْتُ » .

(٦) كَذَا فِي ت وَنَفَحَ الطَّيْبُ . وَفِي ط : « جَل » .

وَبَأْسُ غَدَا يَرْتَاعُ مِنْ خَوْفِهِ الرَّدَى  
أَطَاعَتْهُ حَتَّى الْعَصَمِ فِي قُنْنِ الرُّبَا  
قَصْدَنَاكَ يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ عَلَى النَّوَى  
كَفَفْنَا بِكَ الْأَيَّامَ عَنْ غُلُوثِهَا  
وَعُدْنَا بِذَلِكَ الْمَجْدَ فَانصَرَمَ الرَّدَى  
وَلَمَّا أَتَيْنَا الْبَحْرَ يَرْهَبُ مَوْجُهُ  
خِلَافَتُكَ الْعُظْمَى وَمَنْ لَمْ يَدِنْ بِهَا  
وَوَضَعَكَ يَهْدِي الْمَدْحَ قَصْدَ صَوَابِهِ  
دَعَتْكَ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَخْلَصَتْ  
وَمُدَّتْ إِلَى اللَّهِ الْأَكْفَ صَرَاعَةً  
وَأَلْبَسَهَا الثُّغْمَى بِنَيْعَتِكَ الَّتِي  
فَأَصْبَحَ ثَغْرُ الثَّغْرِ يَبْسِمُ ضَاحِكًا  
وَأَمْنَتْ بِالسَّلَامِ الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا  
وَقَدْ كَانَ مَوْلَانَا أَبُوكَ مُصْرَّحًا <sup>(١)</sup> ]  
وَكُنْتَ خَلِيقًا بِالْإِمَارَةِ بَعْدَهُ  
وَأَوْحَشْتَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ هَالَةً  
فَرَدَّ عَلَيْكَ اللَّهُ حَقَّكَ إِذْ قَضَى  
وَقَادَ إِلَيْكَ الْمُلُوكَ رِقْقًا بِخَلْقِهِ

[١٢٣] وَرَفُلُ فِي أَثْوَابِهِ الْفَتَكَةُ الْبِكْرُ  
وَهَشَّتْ إِلَى تَأْمِيلِهِ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ  
لَتُنْصِفْنَا مِمَّا جَنَى عَبْدُكَ الدَّهْرُ  
وَقَدْ رَابَنَا مِنْهَا التَّعَشُّفُ وَالْكِبَرُ  
وَلَدْنَا بِذَلِكَ الْعِزَّ [ فَانْهَزَمَ الدَّهْرُ  
ذَكَرْنَا نَدَاكَ الْغَمْرَ <sup>(٢)</sup> ] فَاحْتَرَّتِ الْبَحْرُ  
فَإِيْمَانُهُ لَفَوْ وَعِرْفَانُهُ نَكْرُ  
إِذَا ضَلَّ فِي أَوْصَافٍ مَنْ دُونَكَ الشَّعْرُ  
وَقَدْ طَابَ مِنْهَا السَّرُّ اللَّهُ وَالْجَهْرُ  
فَقَالَ لَهُنَّ اللَّهُ قَدْ قَضَى الْأَمْرُ  
لَهَا الطَّائِرُ التَّمِيمُونَ وَالْمَحْتَدُ الْحُرُ  
[ وَقَدْ كَانَ مِمَّا نَابَهُ لَيْسَ يَنْفَرُ  
فَلَا ظُبَّةَ تَعْرِى وَلَا زَوْعَةَ تَعْرِى  
بَأْنِكَ فِي أَبْنَائِهِ الْوَلَدُ الْبَرُّ  
عَلَى الْقَوَارِ لَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ قَدْرُ  
أَقَامَتْ زَمَانًا لَا يُلُوحُ بِهَا <sup>(٣)</sup> الْبَدْرُ  
بَأْنُ تَشْمَلِ الثُّغْمَى وَيَنْسُدِلُ السَّتْرُ  
وَقَدْ عَدِمُوا رَكْنَ الْإِمَامَةِ وَاضْطَرُّوا

(١) مَا بَيْنَ الْفَوْسَيْنِ سَاقَطٌ فِي ط.

(٢) مَا بَيْنَ الْفَوْسَيْنِ سَاقَطٌ فِي ط.

(٣) كَذَا فِي ط وَنَجَّحَ الطَّيِّبُ (ج ٣ ص ٤٧ طَبْعَةُ بَلَّاق) . وَفِي ت : د هَاء .



وزادك بالتعميص عزاً ورفضاً  
وأنت الذى تَدْعى إذا دَمِ الردى  
وأنت إذا جار الزمان مُحْكَمٌ  
وهذا ابن نصرٍ قد أُنَى وجنأه  
غريب يُرَجى منك ما أنت أهله  
فَقُزْ يا أمير المسلمين <sup>(١)</sup> بَيْتِيعة <sup>(٢)</sup>  
ومثلك مَنْ يَرعى الدَّخِيلَ ومن دَعَا  
وَحَدَّ يا إمامَ الحقِّ <sup>(٣)</sup> بالحقِّ نَأْرَه  
وأنت لِمَا يَناصِرَ الحقَّ فَلَتمَ  
فإن قِيلَ مالٌ مالُكَ الدهرُ وافِرٌ  
يُكفُّ بِكَ العادِي وَيَحْيَا بِكَ الهُدَى  
أَعِذْهُ إلى أوطانه عنك راضياً  
وعاجل قلوبَ الناس فيه بجَبرِها  
وم يرقبون الفِئَلُ منك وَصَفَقَةً  
صَرامُكَ سَهْلٌ لا تَوُدُّوكَ كُلفَةً  
وما العُمُرُ إلا زِينة مُستعارَةٌ  
وَمَنْ باعَ ما يَفْنَى بِيَاقٍ مَخْلَدٌ

وأجراً ولولا السُّبُكُ ما عُرِفَ <sup>(١)</sup> التَّجَرُّ  
وأنت الذى تُرْجى إذا أَخْلَفَ القَطَرُ  
لك النقصُ والإبرامُ والنهى والأمرُ  
مَهِيضٌ وَمِنْ عَلَيْكَ يُلْتَمَسُ الجَبَرُ  
فإن كنتَ تَبْغى الفخرَ قد جاءَكَ الفخرُ  
مُوثِقَةً قد حَلَّ عُرْوَتُها الفُدرُ  
بِيا لَمَرَيْنِ جاءَهُ العِزُّ والنَّصرُ  
ففى ضِيقٍ ما تَأْتى به العِزُّ والأجرُ  
بحقِّ فَا زَيْدٌ يُرْجى ولا عَمْرُو  
وإن قيلَ جيشُ عِنْدَكَ العَسْكَرُ المَجْرُ  
وَيَبْنِي بِكَ الإسلامُ ما هَدَمَ الكُفْرُ  
وطَوْقُهُ نِعمًا لى ما لَهَا حَضْرُ  
فقد صَدَمَ عَنْهُ التَغْلِبُ والقَهْرُ  
تُحاولُها يُمنَّاكَ ما بَعْدُهَا خُسْرُ  
سِوَى عَرَضٍ ما إِنَّ لَه فى العَلا حَظْرُ  
تُرَدُّ وَلَكِنْ الثَّناءُ هو العُمرُ  
فقد أَتَجَّحَ المَسْعَى وقد رَجَحَ التَّجَرُّ

[١٢٤]

(١) كذا فى ط ونجح الطيب . وفى ت : « لم يعرف » .

(٢) فى ط : « المؤمنين » .

(٣) كذا فى فتح الطيب . وفى الأسلين : « لبيته » .

(٤) كذا فى ت ونجح الطيب . . وفى ط : « الحلق » .

وَمِنْ دُونِ مَا تَبَغَّيْهِ يَا مَلِكَ الْهُدَى  
وَرَادَّ وَشَقَّرَ وَانْخَنَعَ شَيْئَاتِهَا  
وَشَهَبُ إِذَا مَاضَتْ يَوْمَ غَارَةٍ  
وَأَشَدُّ رَجَالٍ مِنْ مَرَيْنٍ خُفِيفَةٍ  
عَلَيْهَا مِنَ الْمَادَى كُلِّ مَقَاضَةٍ  
هُمْ الْقَوْمُ إِنْ هَبُّوا لَكَشَفَ مُلْتَمَةٍ  
إِذَا سِيلُوا أَعْطَوْا وَإِنْ نُوزِعُوا سَطَوْا  
وَإِنْ مَدَحُوا اهْتَدَوْا ارْتِيَا حَاكَ كَأَنَّهُمْ  
وَإِنْ سَمِعُوا الْقَوَاءَ فَرُّوا بَأَنفُسِ  
وَتَبَسُّمٍ مَا بَيْنَ الْوَشِيحِ ثَنُورِهِمْ  
أَمْوَلَايَ غَاضَتْ فِكْرَتِي وَتَبَلَّدَتْ  
وَلَوْلَا حَنَانُ مِنْكَ دَارَكْتَنِي بِهِ  
فَأَوْجَدْتَنِي مَنَى فَائِتَا أَيْ فَائِتَ  
بَدَأْتَ بِفَضْلٍ لَمْ أَكُنْ لِعَظِيمِهِ  
وَطَوَّقْتَنِي الثَّعْمَى الْمُضَاعَفَةَ الَّتِي  
وَأَنْتَ بَتَّيْمِ الصَّنَاعِ كَافِلٌ  
جَزَاكَ الَّذِي أَسْنَى مَقَامَكَ عِصْمَةً  
إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا عَلَيْكَ بِمِدْحَةٍ  
وَلَكِنَّا نَأْتِي بِمِمَّا نَسْتَطِيعُهُ

جِيَادُ الْمَذَاكِ وَالْمُحَجَّلَةُ الْغُرَى  
فَأَجَسَّامُهَا تَبَرُّ وَأَرْجُلُهَا دُرَى  
مَطْلَبَةٌ غَارَتْ بِهَا الْأَنْجَمُ الزُّهْرُ  
عَمَامُهَا بِيضٌ وَأَسْأَلُهَا سُمُرَ  
تَدَافَعُ فِي أَعْطَافِهَا اللَّجْجُ الْخَضِرُ  
فَلَا التُّلَّتْنِي صَغَبٌ وَلَا الرُّتَقْنِي وَغَرُ  
وَإِنْ وَاعِدُوا وَفَوْا وَإِنْ عَاهَدُوا بَرُّوا  
نَشَاوَى تَمَشَّتْ فِي مَعَاطِفِهِمْ خَرُ  
حَرَامٌ عَلَى هِمَاتِهَا فِي الْوَعَى الْفَرَى<sup>(١)</sup>  
وَمَا بَيْنَ قُضْبِ النَّوْحِ يَبْتَسِمُ الزُّهْرُ<sup>(٢)</sup>  
طِيَاعِي فَلَا طَبِيعٌ يُعِينُ وَلَا فِكْرُ  
وَأَحْيَيْتَنِي لَمْ تَبْقَ عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ  
وَأَنْشَرْتَ مَيِّتًا صَمًّا أَشْلَاءَ قَبْرِ  
بِأَهْلِ فَجَلٍّ اللَّطْفُ وَانْفَرَجَ الصَّدْرُ  
يَقِيلُ عَلَيْهَا مَنَى الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ  
إِلَى أَنْ يَمُودَ الْجَاهُ وَالْعِزُّ وَالْوَفَرُ  
يُفَكُّ بِهَا عَانَ وَيُنْعَشُ مُضْطَرُّ  
فَهَبَاتٍ يُحْصَى الرَّمْلُ أَوْ يُحْصَرُ الْقَطَرُ  
وَمَنْ بَذَلَ الْمَجُودَ حَقَّ لَهُ الْعُذْرُ

(١) الموراء : الكلمة القبيحة .

(٢) الوشيح : الرماح .

فلا تسأل عن امتعاض وانتقاض<sup>(١)</sup>، وسداد أنحاء في التأثر لنا وأغراض،  
والله غالب على أمره .

انصراف  
السلطان  
أبي عبد الله  
إلى الأندلس

وفي صبيحة يوم السبت السابع عشر من شهر شوال عام اثنين وستين  
[١٢٠] وسبع مئة كان انصرافه إلى الأندلس ، وقد ألح صاحب قشتالة في طلبه ،  
وترجّع الزأى على قصده ، فعمد السلطان بقبة العرّض من جنة المصارة ، وبرز  
الناس وقد أجمعهم البرّج<sup>(٢)</sup> ، واستحضرت البنود ، والطبول والآلة ، وألبس خِلْمة  
الملك ، وقيدت له سمرأ كبه فاستقلّ ، وقد التف عليه كل من جلا عن الأندلس  
من لئّن الكائنة في جملة كثيفة ، ورئى من رقة الناس وإجهاشهم وعلوّ  
أصواتهم بالدعاء ما قدم به المهد ، إذ كان مَظنة ذلك سكوناً وعطافاً<sup>(٣)</sup> وقرباً ،  
قد ظلّه الله برواق الرحمة ، وعطف عليه وشائج المحبة ، إلى كونه مظلوم التقد ،  
منتزع الحق ، فتبعته الخواطر ، وحجّت عليه الأنفس ، وانصرف لوجهته ؛ وهو  
الآن برّندة مستقل بها وبجهاتها ، ومقتنع برسم [سلطنتها<sup>(٤)</sup>] وقد قام له برسم  
الوزارة الشيخ القائد أبو الحسن علي بن يوسف بن كَمَاشَة الحضرمي ، وبكتابته  
الفتية أبو عبد الله بن زَمْرُك ، وقد استفاض عنه من الحزم والتدرب والتميقظ  
للأمور والمعرفة بوجوه المصالح ما لا يُنكر ، كان الله له ولنا بفضلّه .  
اتمى كلام ابن الخطيب في اللوحة البدرية .

- (١) كذا في نسخ الطب المطبوع والمخطوط . وفي الأصلين : « وانتقاض » .  
(٢) البرج كلمة دخيلة وهي كما في دوزي : بمعنى الصرّخ ، أو إعلان الحرب ، أو  
الحناف بالتمية .  
(٣) كذا في النسخة الخطية من نسخ الطيب . وفي المطبوعة والأصلين : « وعطاف » .  
(٤) زيادة عن نسخ الطيب . ومكان هذه الكلمة في ط : « الوزارة » .

وقد عرفت أنه في ذلك التاريخ لم يكن دخل السلطان غرناطة ، ولم يلحق به ابن الخطيب حتى دخلها .

وقد ذكر ولي الدين بن خلدون هذه الواقعة في تاريخه الكبير ، وأحسن سردها ، فقال في ترجمة أيام السلطان أبي سالم مانصه :

خير هذه القصة  
كما رواها ابن  
خلدون

الخبر عن خلع ابن الأحمر صاحب غرناطة  
ومقتل رضوان ومقدمه على السلطان

لما هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين [وسبع مئة<sup>(١)</sup>] ونصب ابنه محمد للأمر ، واستبد عليه رضوان مولى أبيه ، وكان قد رشح ابنه الأصغر إسماعيل بما ألقى عليه وعلى أمه من محبته ، فلما عدلوا بالأمر عنه حجّبوه ببعض قصورهم ، وكان له صهر من ابن عمه محمد بن إسماعيل بن الرئيس أبي سعيد ، فكان يدعوه سرّاً إلى القيام بأمره ، حتى أمكنته فرصة في الدولة بمخروج السلطان [١٢٦] إلى بعض متنزّهاته برياضه ، فصعد سور الحمراء ليلة سبع وعشرين لرمضان من سنة ستين في [بعض<sup>(٢)</sup>] أو شاب جمعهم من الطعام لثورته ، وعمد إلى دار الحاجب رضوان ، فافتحم عليه الدار ، وقتله بين حرّمه وبناته ، وقرّبوا إلى إسماعيل فرسه فركب ، فأدخلوه القصر ، وأعلنوا بيعته ، وقرعوا طبولهم بسور الحمراء ، وفرّ السلطان من مكانه بمنزله ، فلحق بوادي آش ، وغدا<sup>(٣)</sup> الخاصة والعامة على إسماعيل فبايعوه ، واستبد عليه هذا الرئيس ابن عمه ، فخلعه لأشهر<sup>(٤)</sup> من بيعته ، واستقل

(١) زيادة عن نفع الطيب .

(٢) زيادة عن تاريخ ابن خلدون ( ج ٧ ص ٣٠٦ طبعة بلاي ) .

(٣) الكلام من قوله « وغدا » إلى قوله « بوادي آش » ساقط في تاريخ ابن خلدون .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « فخلعه لخمسين » .

بسلطان الأندلس . ولما لحق السلطان أبو عبد الله محمد بوادي آش ، بمد مقتل حاجيه رضوان ، واتصل الخبرُ بالسلطان المولى أبي سالم ، امتعض للملكِ رضوان ، وخلق السلطان رَغِيًا لما سلف له في جوارهم ، وأزعج لحينه أبا القاسم الشريف من أهل مجلسه لاستقدامه ، فوصل إلى الأندلس ، وعقد مع أهل الدولة على إجازة المخلوع من وادي آش إلى المغرب ، وأطلق من اعتقالهم الوزير الكاتب أبا عبد الله ابن الخطيب ، كانوا اعتقالوه لأول أمرهم ، لما كان رديفاً للحاجب رضوان ، ورُكِّنا لدولة المخلوع ، فأوصى المولى أبو سالم إليهم بإطلاقه فأطلقوه ؛ ولحق مع الرسول أبي القاسم الشريف بسلطانه المخلوع بوادي آش للإجازة إلى المغرب ، وأجازَ لَدَى القعدة من سنته ، وقَدِمَ على السلطان بغاس ، وأَجَلَ قُدُومَه ، وركب لِقائِه ، ودخل به إلى مجلس ملكه ، وقد احتفل ترتيبه وغُصَّ بالمشيخة والعِلية ، ووقف وزيره ابن الخطيب ، فأنشد السلطان قصيدته الرائية يَسْتَصْرِخُ لسلطانه ، ويستجثُّ لمظاهرتِه على أمره ، واستعطف واسترحم بما أبكى الناس ، شفقة له ورحمة .

ثم سرَدَ وليّ الدين بن خلدون القصيدة التي قدمنا ذكرها إلى آخرها ، قال (١) : ثم انفض المجلس ، وانصرف ابن الأحرر إلى منزله (٢) وقد فُرِشت له القصور ، وقرَّبَت الجياد بالمرائب الذهبية ، وُبُعِثَ إليه بالسكس الفاخرة ، ورُبَّت الجرايات له ولمواليه من الملوحي (٣) ، وبطانته من الصنائع ، وحفظ عليه رسم سلطانه في الراكب والراجل ، ولم يفقد من ألقاب ملكه إلا الآلة (٤) ،

(١) في ت : « ثم قام ثم انقضى ... الخ » .

(٢) كذا في ت ونفع الطيب وتاريخ ابن خلدون . وفي ط : « منزله » .

(٣) يريد الملوحيين ، أي الموالي من النصارى . ( عن تكملة المعجمات لبوزي ) .

(٤) في تاريخ ابن خلدون : « الأداة » .

أدبا مع السلطان ، واستقر في مُجْلته إلى أن كان من لحاقه بالأندلس ، وارتجاع مُلكه سنة ثلاث وستين ، ما نحن نذكره .

اتهى كلام ابن خلدون ، وفيه بعض مخالفة يسيرة لكلام ابن الخطيب في اللمحة البدرية .

ولا بد أن نسرّد كلام ابن خلدون في شأن ابن الخطيب ، إذ ذكره في ترجمة  
السلطان أبي فارس ابن السلطان أبي الحسن للرّيني بما نصه :  
رواه ابن خلدون

الخبر عن قدوم الوزير ابن الخطيب على السلطان بتلمسان  
نازعا إليه عن سلطانه ابن الأحمر صاحب الأندلس

أصل هذا الرجل من لَوْشَة ، على مرحلة من غَرناطة ، في الشمال من البسيط  
التي فيه ساحتها ، المسمى بالمرّج ، على وادي شَنْجِيل ، ويقال شَنْبِيل <sup>(١)</sup> ، المخرّق <sup>(٢)</sup>  
في ذلك البسيط من الجنوب إلى الشمال ، كان له بها سلفٌ معدود في وزرائها ،  
وانتقل أبوه عبدُ الله إلى غَرناطة ، [ واستُخْدِمَ للملكِ بنى الأحمر ، واستعمل على  
مخازن الطعام ، ونشأ ابنه محمد بَغَرناطة <sup>(٣)</sup> ] وقرأ وتادّب على مشيختها ، واختصّ  
بصحبة الحكيم المشهور يحيى بن هُذَيْل ، وأخذ عنه العلوم الفلسفية ، وبرّز في  
الطب ، وانتحل الأدب ، وأخذ عن أشياخه ، وامتلاّ حوض <sup>(٤)</sup> السلطان من نظمه

(١) كذا في الأصلين وابن خلدون . وظاهر أن الكلمتين معرفتان عن « شنبيل »

وهو اسم نهر غرناطة الصغير ، وقد ولى الشعراء بوصف هذا الوادي وتفضيله على  
النيل بزيادة اللين ، وهي ألف من العدد ، أي أنه يفضل النيل بألف ضعف .  
(راجع فتح الطيب ج ١ ص ٩٤ طبعة أوربا والإحاطة ج ١ ص ٢٦ ) .

(٢) في تاريخ ابن خلدون : « المنحرف » .

(٣) هذه العبارة ساقطة في ط .

(٤) كذا في تاريخ ابن خلدون . وفي الأصلين ونفع الطيب : « وامتلاّ من حول  
السلطان نظمه » .

ونثره ، مع انتقاء الجيد منه ، وتبغ في الشعر والترسيل ، بحيث لا يجارى فيها ،  
وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بني الأحمر لمصره<sup>(١)</sup> ، وملاً الدنيا بمدائحهم ،  
وانتشرت في الآفاق ، فرقاه السلطان إلى خدمته ، وأثبتته في ديوان الكتاب  
ببابه ، سره وسأبى الحسن بن الجيّاب ، شيخ المُدَوِّتين في النظم والنثر ، وسائر  
العلوم الأدبية ، وكتب السلطان بقرناطة من لدن أيام محمد الخلوع من سلفه ، [١٢٨  
عند ما قتل وزيره محمد بن الحكيم المستبد عليه ، كما مرّ في أخبارهم . فاستبد  
[ ابن الجيّاب برياسة الكتاب من يومئذ إلى أن هلك في الطاعون الجارف  
سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، فولّى السلطان أبو الحجاج يومئذ محمد<sup>(٢)</sup>  
ابن الخطيب رياسة الكتاب<sup>(٣)</sup> ببابه ، مُثَنِّاة بالوزارة ، ولقبه بها ، فاستقل  
بذلك ، وصدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك المُدَوِّة ،  
ثم داخله السلطان في تولية العُتَمَال على يده بالمشارطات ، فجمع له بها أموالا ،  
وبلغ به في المخالطة<sup>(٤)</sup> إلى حيث لم يبلغ بأحد ممن قبله ؛ وسَفَر عنه إلى السلطان  
أبي عِنانٍ ملك بني مرّين بالمُدَوِّة ، معزّيا بأبيه السلطان أبي الحسن ، فغلب في  
أغراض سفارته . ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين ، عدا عليه  
بعض الزعانف [ يوم الفطر بالمسجد ]<sup>(٥)</sup> في سجوده للصلاة ، وطعنه فأشواه ،  
وفاظ لوقته<sup>(٦)</sup> وتعاورت سيوف الموالى المملوحي<sup>(٧)</sup> هذا القاتل ، فزقوه أشلاء ،

(١) هذه الكلمة : « لمصره » . ساقطة في ت وتاريخ ابن خلدون .

(٢) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الكتابة » .

(٤) كذا في ت والنسخة الخطية من نفع الطيب . وفي ط وابن خضون والنسخة  
الطبعة من نفع الطيب : « في المخالصة » .

(٥) هذه البارة : « وفاظ لوقته » ساقطة في ت . وفاظ : مات .

(٦) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٣ من هذا الجزء .

وبويع ابنه محمد [بالأمر] <sup>(١)</sup> لوقته ، وقام بأمره مولا لم رضوان ، الراسخ التقدم في قيادة عساكرهم ، وكفالة الأصغر من ملوكهم ، واستبد بالدولة ، وأفرد ابن الخطيب بوزارته . كما كان لأبيه ، [ واتخذ لكتابته غيره ] <sup>(٢)</sup> وجعل ابن الخطيب رديفا له في أمره <sup>(٣)</sup> ، ومشاركا في استبداده معه ، فجرت الدولة على أحسن حال ، وأقوم طريقة ، ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيرا إلى السلطان أبي عنان ، مستمدين له على عدوم الطاغية ، على عادتهم مع سلفه ، فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه ، تقدم الوفد الذين معه من وزراء الأندلس وفقهائها ، واستأذنه في إنشاد شعر <sup>(٤)</sup> قدّمه بين يدي نجواه ، فأذن له ، وأنشد وهو قائم :

خَلِيفَةُ اللَّهِ سَاعَدَ الْقَدْرُ      عُلَاكَ مَا لَاحَ فِي الدَّجَى قَرُ  
وَدَاقَتْ عَنْكَ كَفُّ قُدْرَتِهِ      مَا لَيْسَ يَسْتَطِيعُ دَفْعَهُ الْبَشَرُ  
وَجْهَكَ فِي النَّائِبَاتِ بَذَرُ دُجَى      لَنَا وَفِي اللَّحْلِ كَفْكَ الْمَطَرُ  
وَالنَّاسُ طَرًّا بِأَرْضِ أُنْدَلُسَ      لَوْلَاكَ مَا أَوْطَنُوا وَلَا عَمَرُوا  
وَجَلَلَهُ الْأَمْرُ أَنَّهُ وَطَنَ      فِي غَيْرِ عُلْيَاكَ مَا لَهُ وَطَرٌ <sup>(٥)</sup>  
وَمِنْ بِهِ مَذْ <sup>(٥)</sup> وَصَلَتْ حَبْلَهُمْ      مَا جَاحَدُوا نِعْمَةً وَلَا كَفَرُوا  
وَقَدْ أَهْمَتْهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ      فَوَجَّهُونِي إِلَيْكَ وَانْتَظَرُوا

فاهتز السلطان لهذه الأبيات ، وأذن له في الجلوس ، وقال له قبل أن يجلس :

(١) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .

(٢) كذا في ط وتاريخ ابن خلدون . وفي ت وضع الطيب : « رديفا لرضوان في أمره » .

(٣) في تاريخ ابن خلدون : « شيء من الشعر » .

(٤) هذا البيت ساقط في تاريخ ابن خلدون .

(٥) كذا في فتح الطيب وتاريخ ابن خلدون . وفي الأصلين : « قد » .



ما ترجع إليهم إلا بجميع طلباتهم ، ثم أثقل كاهلهم بالإحسان ، وردّم بجميع ما طلبوه . وقال شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف ، وكان معه في ذلك الوفد : لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا .

ومكثت دولتهم هذه بالأندلس خمس سنين ، ثم ثار بهم محمد الرئيس ابن عم السلطان ، شرّكه في جدّه الرئيس أبي سعيد ، وتجهّز خروج السلطان إلى منزله خارج الحمراء ، وتسوروا دار الملك المعروفة بالحمراء ، وكبس رضوان في بيته ، فقتله ونصب الملك إسماعيل بن السلطان أبي الحجاج ، بما كان صهره على شقيقته ، وكان معتقلاً بالحمراء ، فأخرجه ، وبايع له ، وقام بأمره مستبداً عليه ، وأحسن السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالستان ، فركب ناجياً إلى وادي آش ، وضبطها ، وبعث بالخبر إلى السلطان أبي سالم إثر ما استولى على ملك آبائه بالمغرب ، وقد كان مثواه أيام أخيه أبي عنان عندهم بالأندلس ، واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب ، وضيق عليه في محبسه ، وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت أيام مقامه بالأندلس ، وكان غالباً على هوى السلطان أبي سالم ، فزّين له استدعاء هذا السلطان الخلع من وادي آش ، يُعذه زبوناً<sup>(١)</sup> [١٣٠] على أهل الأندلس ، ويكفّ به عادية القرابة المرشحين هنالك ، متى<sup>(٢)</sup> طمحوا إلى ملك المغرب ، فقبل ذلك منه ، وخاطب أهل الأندلس في تسهيل طريقه من وادي آش إليه ، وبعث من أهل مجلسه الشريف أبا القاسم التليساني ، وحمله مع ذلك الشفاعة في ابن الخطيب ، وحلّ مُعتقله ، فأطلق ؛ وصحب الشريف أبا القاسم إلى وادي آش ، وسار في ركاب سلطانه ، وقدموا على

(١) زبوناً ، أي حرباً وقوة . (انظر تكملة المعجمات لبوزي مادة زن) .

(٢) كذا في فتح الطيب . وفي ط : « كما » . وفي ت : « ممن » .

السلطان أبي سالم ، فاهتزَّ لقدم ابن الأحمر ، وركب في الموكب لتلقيه ، وأجلسه  
إزاء كرسيه ، وأنشد ابن الخطيب قصيدته كما مر ، يستصرخ السلطان لنصره ،  
فوعده ، وكان يوماً مشهوداً ، وقد مر ذكره ، ثم أكرم مشواه ، وأرغد نزلَه ،  
ووفر أرزاق القادمين في ركابه ، وأرغد عيش ابن الخطيب في الجراية والإقطاع .  
ثم استأنس <sup>(١)</sup> واستأذن السلطان في التجوال بجهات <sup>(٢)</sup> مراكش ، والوقوف على  
آثار الملوك بها ، فأذن له وكتب إلى المماليك باتحافه ، فتباروا <sup>(٣)</sup> في ذلك ،  
وحصل منه على حظ . وعندما مر بسلا إثر قفوله من سفره ، دخل مقبرة الملوك  
يشالة ، ووقف على قبر السلطان أبي الحسن ، وأنشد قصيدة على روى الراء  
[الموصولة] <sup>(٤)</sup> ، يرثيه ويستجير به في استرجاع ضياعه بغرناطة ، مطلعها :

إن بان منزله وشطَّت دأرُه قامت مقامَ عيانه أخبارُه

قسَمَ زمانك عِبرَةً أو عِبرَةً هذا ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان أبو سالم في ذلك إلى أهل الأندلس بالشفاعة ، فشفعوه ،  
واستقر هو بسلا ، مُتنبِّذاً عن سُلْطانه طول مُقامه بالمدونة . ثم عاد السلطان محمد  
الخلوع إلى ملكه بالأندلس سنة ثلاث وستين ، وبعث عن مُخلِّفه بفاس من  
الأهل والولد ، والقائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله بن علي ، فاستقدم ابن  
الخطيب من سلا ، ويعنهم لنظره ، فسُرَّ السلطان بقدومه ، وردَّه إلى منزلته ،  
كما كان مع رضوان كافله ، وكان عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الغزاة وابن  
أشياخهم قد لحق بالطاغية في ركاب أبيه ، عندما أحسَّ بالشر من الرئيس

(١) في ط ونفع الطيب : « استأنس » .

(٢) في تاريخ ابن خلدون : « في التحول إلى جهات . . . الخ » .

(٣) في تاريخ ابن خلدون : « فتباروا » .

(٤) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .

صاحب غرناطة ، وأجاز يحيى من هنالك إلى المدونة ، وأقام عثمانُ بدار الحرب ، فصحبَ السلطانُ [ في مَثْوَى اغترابه هنالك ، وتقلبَ في [مذاهب] <sup>(١)</sup> خدمته ، وانحرفوا عن الطاغية بعد <sup>(٢)</sup> ما نيسوا من الفتح على يده ، فتحولوا عنه إلى ثغور بلادهم ، وخاطبوا [الوزير] <sup>(٣)</sup> عمر بن عبد الله في أن يملكهم من بعض الثغور القريبة <sup>(٤)</sup> التي لطاعتهم <sup>(٥)</sup> بالأندلس ، يرتقبون منها الفتح ، وخاطبني السلطانُ الخلع في ذلك ؛ وكانت بيني وبين عمر بن عبد الله أذمة مرعية ، وخاصةً متأكدة ، فوفيت <sup>(٦)</sup> للسلطان بذلك من عمر بن عبد الله ، وحملة على أن يرد عليه مدينة رُنْدَة ، إذ هي من ثراث سلفه ، فقيل إشارتي في ذلك ، وتسوّغها السلطانُ الخلع ، وزل بها وعثمانُ بن يحيى في جملته ، وهو المقدم في بطانته ، ثم غزوا منها مالقة ، فكانت ركاباً للفتح ، وملكها السلطانُ ، واستولى بعدها على دار ملكه بقرناطة ؛ وعثمانُ بن يحيى متقدم القوم في الدولة ، عريق في الخالصة ، وله على السلطان دالة ، واستبداد على هواه . فلما وصل ابن الخطيب بأهل السلطان وولده ، وأعادته إلى مكانه في الدولة ، من علو يده ، وقبول إشارته ، أدركته الفيرة من عثمان ، ونكر على السلطان الاستكفاء به ، و[أراه] <sup>(٧)</sup> التخوف من هؤلاء الأعياض <sup>(٨)</sup> على ملكه ، فحذره السلطان ، وأخذ في التدبير عليه ، حتى نكبه وأباه وإخوته في رمضان سنة أربع وستين ، وأودعهم <sup>(٩)</sup> المطيق ، ثم غرّ بهم بعد ذلك ، وخلا لابن الخطيب

(١) زيادة عن نفع الطيب .

(٢) كذا في تاريخ ابن خلدون . وفي الأصلين : « عند » .

(٣) كذا في نفع الطيب وابن خلدون . وفي الأصلين : « القريبة » .

(٤) في تاريخ ابن خلدون . « أطاعتهم » .

(٥) زيادة عن نفع الطيب .

(٦) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الأعياض » .

(٧) في ط : « وأودعهم » .

الجو ، وغلب على هوى السلطان ، ودفع إليه تدبير الدولة ، وخلق بينه بُدَمَائِهِ وأهل خَلْوَتِهِ ، وانقرض ابن الخطيب بالحِلِّ والعقد ، وانصرفت إليه الوجوه ، [١٣٢] وعَلِقَتْ به الآمال ، وَعَشَى بَابَهُ الخَاصَّة والكَافَّة ، وَعَصَتْ به بِطَانَةُ السلطان وحاشيته ، فتفننوا<sup>(١)</sup> في السَّعَايَات فيه ، وقد صُمِّمَ السلطان عن قَبُولِهَا ؛ ونَمَى الخِبر بذلك إلى ابن الخطيب ، فشمَّر عن ساعده في التَّفْوِيض ، واستُخْدِمَ للسلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن ، ملك العُدوة يومئذ ، في القبض على ابن عمِّه عبد الرحمن بن أبي يَفْلُوسَ بن السلطان أبي عليٍّ ، كانوا قد نَصَبُوهُ شَيْخاً على الفُزَاة بالأندلس ، لما أجاز من العُدوة بعد ما جاسَ خِلَالَهَا ، لطلب الملك ، وأُضْرمَ بها نار الفتنة في كل ناحية ، وأحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله ، القائم حينئذ بدولة بني سَريِن ، فاضطُرَّ إلى الإِجَازة إلى الأندلس ، فأجاز هو ووزيره مسعود بن ماسى ، ونزلوا على السلطان المخلوع عام سبعة وستين ، فأكرمَ تَرْكُهُم ، وتَوَقَّى عليٌّ بن بدر الدين شيخ الفُزَاة ، فقدم عبد الرحمن مكانه . وكان السلطان عبد العزيز قد استبدَّ بِمُلْكِهِ بعد مقتل الوزير عمر بن عبد الله ، فنصَّ بِمَا فعله السلطان المخلوع من ذلك ، وتوقع انتقاض أمره منهم ، ووقف على مخاطبات من عبد الرحمن يسرَّ بها في بني سَريِن ، فجزع لذلك ، وداخله ابن الخطيب في اعتقال ابن يَفْلُوسَ وابن ماسى ، وإراحة نفسه من شغبيهم ، على أن يكون له المكان من دولته متى نزع إليه ، فأجابه إلى ذلك ، وكتب له العهد بخطه ، على يد سفيره إلى الأندلس وكتبه أبي يحيى بن أبي مدين<sup>(٢)</sup> ؛ وأغرى ابن الخطيب سُلْطَانَهُ بالقبض على ابن يَفْلُوسَ وابن ماسى ، فقبض عليهم [١٣٣] واعتقلهم ، وفي خلال ذلك استحكت ثُغْرَةُ ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة ،

(١) في تاريخ ابن خلدون : « فتوافقوا على ... الخ » .

(٢) العبارة من قوله : « فجزع » إلى هنا ساقطة في تاريخ ابن خلدون .

من القدر فيه والسعاية ، وربما تخيل أن السلطان مال إلى قبولها ، وأنهم قد أحفظوه عليه ، فأجمع التحول عن الأندلس إلى المغرب ، واستأذن السلطان في تفقد الثغور [ الغربية ] <sup>(١)</sup> ، وسار إليها في لئمة من فرسانه ، ومعه ابنه علي الذي كان خالصة للسلطان ، وذهب لطبيته ، فلما حاذى جبل الفتح ، فرضة الحجاز إلى العدو ، مال إليه ، وسرح إذنه بين يديه ، فخرج قائد الجبل لتلقيه . [ وقد كان السلطان عبد العزيز أوعز إليه بذلك ، وجهز له الأسطول من حينه ، فأجاز إلى سبته ، وتلقاه ولاتها بأنواع التكرمة ، وامتنال المراسم ، ثم سار لقصد السلطان ، فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين ، بمقامه تلمسان ، فاهتزت له الدولة ، وأركب السلطان خاصته لتلقيه ] <sup>(٢)</sup> ، وأحلّه من مجلسه بمحل الأمن والقبطة ، ومن دولته بمكان التنويه والعمرة ، وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبي مدين سفيراً إلى صاحب الأندلس في أهله وولده ، فجاء بهم على أكمل حالات الأمن والتكرمة ، ثم أكثر <sup>(٣)</sup> المنافسون له في شأنه ، وأغروا سلطانه بتتبع عتراته ، وإبداء ما كان كامناً في نفسه من سقطاته ، وإحصاء معايبه ، وشاع على ألسنة أعدائه كلمات منسوبة إلى الزندقة ، أحصوها عليه ونسبوا [ إليه ] <sup>(٤)</sup> ، ورُفعت إلى قاضي الحضرة أبي الحسن بن الحسن فاسترعاها ، وسجّل عليه بالزندقة ، وراجع صاحب الأندلس رأيه فيه ، وبعث القاضي ابن الحسن إلى السلطان عبد العزيز في الانتقام منه بتلك السجلات ، وإمضاء حكم الله فيه ، فصمّ عن ذلك ، وأنف لذمته أن تُعقَر ، ولجواره أن يُرَدّ ، وقال لهم : هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه ! وأما أنا فلا يخلص إليه بذلك أحد ما كان في جوارى ؛ ثم وفر

(١) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .

(٢) زيادة من ت وابن خلدون ونفع الطيب .

(٣) في ابن خلدون : « لفظ » .

الحِجَابة والإقطاع له ولبنيه ، ولمن جاء من أهل الأندلس في جلته . فلما هلك  
السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين ، ورجع بنو مرين إلى المغرب ، وتركوا [ ٣٤ ]  
تِلْسان ، سار هو في ركاب الوزير أبي بكر بن غازي ، القائم بالدولة ، فنزل  
بفاس ، واستكثر من شراء الضياع ، وتأنق في بناء المساكن ، واغترس  
الجنات ، وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى ،  
واتصلت حاله على ذلك ، إلى أن كان ما ذكره .  
انتهى كلام ابن خلدون وأكثره بلفظه .

قلت : وقد وقتت على كتاب للقاضي أبي الحسن بن الحسن المذكور يخاطب  
به ابن الخطيب ويعظه ، ويشير إلى ما اشتغل به من البنيان ، وفيه ما يبين كلام  
ابن خلدون السابق وزيادة ، وما يدل على ما ذكره ابن خلدون من أنه سَجَّلَ  
عليه بأمور منكرة ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وقد أسقطت بعضه اختصارا ،  
ونص ما تعلق به الفرض قوله يخاطب الوزير ابن الخطيب :

كتاب القاضي  
أبي الحسن إلى  
ابن الخطيب

فشرعتم في الشراء ، وتشديد البناء ؛ وتركتم الاستعداد لهادم اللذات ،  
هيئات هيئات ؛ تبنون مالا تسكنون ، وتدخرون مالا تأكلون ، وتؤملون مالا  
تدركون ؛ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مُسَيَّدة ، فأين للهيب  
مما هو كائن ! ونحن إنما نتقلب في قدرة الطالب ، شَرَقْتُمْ أو غَرَبْتُمْ ، [والأيام  
تتقاضى الدَّين ، وتنادى بالنفس القرارة إلى أين إلى أين ! وتركتم الكلام مع  
الناقد] <sup>(١)</sup> فيما ارتكبه من تركيته نفسه ، وعدَّ ما جل به من مناقبه ، ما عدا ما هَدَّدَ  
به من حديد لسانه ، خشيةً اندراجِه في نَمَطٍ من قال فيه رسول الله صلى الله عليه

(١) ما بين القوسين زيادة من ت وقع الخطيب .

وسلم : « إن من شر الناس من تركه الناس اتقاء فُحْشه »<sup>(١)</sup> . ولا غيبة فيمن أتى جلاباب الحياء عن وجهه ؛ وزحجه على ما أبداه وأهداه من الصيوب التي نَسبها لأخيه ، واستراح على قوله بها فيه ، ونذكره على طريقة نصيحة الدين ، بالحديث الثابت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله : [١٣٥] « أتدرون من المُفْلِس ؟ قالوا : للفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ! فقال : إن المُفْلِس من أمتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعْطَى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإذا فُتِنَتْ حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه ، ثم طرح في النار » . ويعلم الله أن معنى هذا الحديث الثابت عن النذير الصادق ، هو الذي حملني على نصحك ومُراجعتكم في كثير من الأمور ، منها الإشارة عليكم بإذهاب عين ما كتبتم به في التاريخ وأمثاله ، فإنكم تفتن بما وقعتم فيه من النية المحرمة أحياء وأمواتاً ، لغير شيء حصل بيدكم ، وضررتم أنفسكم بما رتبتم لهم من المطالبات بنص الكتاب والسنة قبلكم ، والرضا بهذه الصفة الخاسرة أمر بعيد من الدين والعقل . وقد قلت لكم غير ما مرة عن أطراسكم السوداء ، بما دعوتهم إليه من البدعة ، والتلاعب بالشرعية : إن حقها التخريق والتحريق ، وإن من أطراها لكم فقد خدع نفسه وخدعكم ، والله الشهيد بأنني نصحتكم وما غشيتكم ، وليس هذا القول وإن كان ثقيلاً عليكم ، بمخالف كل المخالفة لما ذنبتم<sup>(٢)</sup> به من تقدم المواجهة بالملاطفة ، والمعاملة بالمكارمة ، فليست المداراة بقادحة في الدين ، بل هي محمودة

(١) الحديث كما في الجامع الصغير للسيوطي ( ج ١ ص ٢٢٨ ) : « إن من شر الناس منزلة

عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه » .

(٢) كذا في الأصلين ونفع الطيب . ولعلها محرفة عن « زنتهم » ، أي ظنتم به .

في بعض الأحوال ، مستحسنة على ما بينه العلماء ، إذ هي مقاربة<sup>(١)</sup> في الكلام ،  
أو مجاملة بأسباب الدنيا ، لصالحها أو صلاح الدين ، وإنما الذموم للمداهنة ، وهي  
بذل الدين لمجرد الدنيا ، والصانعة به لتحصيلها ؛ ومن خالط للضرورة مثلكم  
وزايله بأخلاقه ، ونصحته مخاطبة ومكانة ، واستدل له بكتاب الله وسنة رسول  
الله صلى الله عليه وسلم على صحة مقالته ، فقد سلم والحمد لله من مداهنته ، وقام الله [١٣٦]  
بما يجب عليه في حقكم من التحذير والإنكار ، مع الإشفاق والوجل . وأكثرتكم  
في كتابكم من المنّ بما ذكرتم أنكم صنعتم ، وعلى تقدير الموافقة لكم ، ليتكم فلتتم  
فصلنا من المعزة وسلمتم ، وجلّ القائل سبحانه : « قول معروف ومغفرة خير من  
صدقة يتبعها أذى والله غني حليم » . ولما شاركتكم أتم في شيء إلا بأعراض حاصلة  
في يديكم ، أو لأغراض دنيوية خاصة بكم ، فاللّام إذاً في الحقيقة وإنما هو متوجّه  
إليكم . وأما ما أظهرتم بمقتضى حركاتكم وكلامكم ، من التندم<sup>(٢)</sup> على فراق محلّكم ،  
والتعلّل بأخبار قطركم وأهلكم ، فتناقض منكم ، وإن كنتم فيه بغيركم<sup>(٣)</sup> :  
أتبكي على لبي وأنت تركتها فكنت كآتٍ حُفنه<sup>(٤)</sup> وهو طائع  
وما كل ما ممتلك نفسك خالياً<sup>(٥)</sup> تلاقى ولا كلّ الهوى أنت تابع  
فلا تبكين في إثر شيء ندامة إذا نزعته من يديك التوازع<sup>(٦)</sup>

(١) في النسخة الخطية من فتح الطيب . « مقاربة » .

(٢) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « الشؤم » .

(٣) كذا في فتح الطيب المطبوع والخطي . وفي الأصلين : « بغيركم » .

(٤) كذا في الأغاني ( ج ٩ ص ٢١٧ طبعة دار الكتب ) . وفي الأصلين وفتح

الطيب : « غيه » .

(٥) كذا في الأغاني . وفي الأصلين وفتح الطيب : « غلبا » .

(٦) البيت كما في الأغاني :

فلا تبكين في إثر لبي ندامة وقد نزعها من يديك التوازع  
وهذه الأبيات من شعر لقيس بن ذريح في زوجته لبي بنت الحباب الكسية .



وعلى أن تأسفكم<sup>(١)</sup> لما وقعتم فيه من الفدر لسلطانكم ، وانخروج لالضرورة غالبية  
عن أوطانكم ، من الواجب بكل اعتبار عليكم ، سيما وقد مددتم إلى التمتع لغيرها  
عينكم . ولو لم يكن لهذه الجزيرة الفريدة من الفضيلة إلا ما خست به من بركة  
الرباط ، ورحمة الجهاد ، لكفاهها نغراً على ما يجاورها من سائر البلاد ، قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه » ، وقال  
عليه السلام : « الروحوة يروحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما فيها » .  
وعلى كل تقدير فإذا لم يكن يا أخى فراركم من الأندلس إلى الله وحده  
بالتوبة المكثلة والاستغفار ، مع الانقطاع في أحد المواطن المكرمة المعظمة  
بالإجماع ، وهى طيبة أو مكة أو بيت المقدس ، فقد خسرتم صفقة رحلتكم ،  
وتبين أن لغير وجه الله العظيم كانت نية هجرتكم ؛ اللهم إلا إن كنتم قد  
لاحظتم مسألة الرجل الذى قتل مئة نفس ، وسأل أعلم أهل الأرض ، فأشار [١٣٧]  
عليه بعد إزماع التوبة بمفارقة المواطن التى ارتكب فيها الذنوب ، واكتسب بها  
العيوب ؛ فأمر<sup>(٢)</sup> آخر ، مع أن كلام العلماء فى هذا الحديث معروف<sup>(٣)</sup> ؛ ويقال  
لكم من الجواب الخاص بكم : فمليكم إذا بترك القيل والقال ، وكسحربة الجدال  
والقتال ، وقصر ما بقى من مدة العمر على الاشتغال بصلاح الأعمال . ووقعت  
فى مكتوبكم كلمات أوردها النقد فى قالب الاستهزاء والازدراء ، والجهالة بمقادير  
الأشياء ، منها : ربح صرصر ، وهولقة القرآن ، وقاع قرقر ، وهو لفظ سيد العرب  
والعجم محمد صلى الله عليه وسلم . ثبت فى الصحيح فى باب التغليظ فيمن لا يؤدى  
زكاة ماله ، « قيل : يا رسول الله ، والبقر والغنم ؟ قال : ولا صاحب بقر ولا غنم

(١) ف ت : « أسفكم » .

(٢) انظر القرطبي (ج ٦ ص ١٥٣ طبعة دار الكتب) عند تفسير قوله تعالى :

« أو ينفوا من الأرض » .

لا يؤدي منها حقها ، إلا إذا كان يوم القيامة يُطْحَ لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً ، تنطحه بقرونها ، وتنطوهُ بأظلافها<sup>(١)</sup> . الحديث الشهير . قال صاحب العلم<sup>(٢)</sup> :  
 يُطْحَ لها بقاع قرقر ، أى ألقى على وجهه ، والقاع : المستوى من الأرض ،  
 والقرقر : كذلك ؛ هذا ما حضر من الجواب . وبقي في مكتوبكم حشو كثير من  
 كلام الإقذاع ، وفُحْش بعيد من الحشمة والحياء ، رأيت أن من الصواب  
 الإضراب عن ذكره ، وصَوْن اليد عن الاستعمال فيه ، والظاهر أنه إنما صدر  
 عنكم وأتم بحال مَرَض ، فلا حرج فيه عليكم إن شاء الله ، أجلكم ، ومكِّن  
 أمتكم ، وسكن وجَلَّكم ، ومنه جَلَّ اسمه<sup>(٣)</sup> نسأل لى ولكم حسن الخاتمة ،  
 والفوز بالسعادة الدائمة ، والسلام الأتم يعتمدكم ، والرحمات والبركات من كاتبه  
 على بن عبد الله بن الحسن ، وفقه الله .

وذلك بتاريخ أخريات جمادى الأولى من عام ثلاثة وسبعين وسبع مئة .  
 وقيد رحمه الله في مُدْرَج طى هذا الكتاب ما نصه :

يا أخى ، أصلحنى الله وإياكم ، بقى من الحديث شىء ، الصواب الخروج [ ١٣٨ ]  
 عنه لكم ، إذ هذا أوانه ، وتأخير البيان عن وقت الحاجة فيه ما فيه ، وليكن  
 البناء بعد أن كان على أصل صحيح بحول الله ، وحاصله :

أنكم عددتم ما شاركتكم فيه بحسب الأوقات ، وقطعتم بنسبة الأمور  
 كلها لنفسكم<sup>(٤)</sup> ، وأنها إنما صدرت عن أمركم وبإذنكم ، من غير مشاركة  
 فى شىء منها لكم ، ثم منتقم بها اللئ القبيح ، المبطل لعمل بركم ، على تقدير

(١) ارجع إلى مسلم والبخارى فى باب الزكاة فى لفظ الحديث روايات .

(٢) لله بريد : العلم بقوائد مسلم ، وهو شرح على صحيح مسلم للإمام أبى عبد الله محمد التيمى .

(٣) فى النسخة الخطية من فتح الطيب : « ومنه سبعاته نسأل . . . الخ » .

(٤) فى فتح الطيب : « إلى أنفسكم » .

التسليم في فعله لكم ، ورميتم غيركم بالتقصير في حاله كله ، طريقة من يبصر القذى في عين أخيه ويدع الجذع في عينه ، وأقصى ما تسنى للمحب أيام كونكم بالأندلس ، تقلد كلفة قضاء الجماعة ، وما كان إلا أن وليتها بقضاء الله وقدره ، فقد تبين لكل ذى عقل سليم أنه لا موجد إلا الله ، وإذا كان كذلك كان الخير والشر والطاعة والمعصية حاصلًا بإيجاده سبحانه وتخليقه وتكوينه ، من غير عاضده على تحصيل مراده ولا معين ، ولكنه ، جلت قدرته ، وعد فاعل الخير بالثواب فضلا منه ، وأوعد فاعل الشر بالعقاب عدلا منه ، وكأني بكم تضحكون من تقرير هذه المقدمة ، وما أحوجكم إلى تأملها بعين اليقين ، فكابدت أيام تلك الولاية النكد<sup>(١)</sup> من النكاية ، باستحقاركم للقضايا الشرعية ، وتهاونكم بالأموال الدينية ، ما يعظم الله به الأجر ، وذلك في جملة مسائل ، منها مسألة ابن الزبير المقتول على الزندقة بعد تقصّي موجباته ، على كره منكم ؛ ومنها مسألة ابن أبي العيش المثقف<sup>(٢)</sup> في السجن على آرائه المضلة ، التي كان منها دخوله على زوجته إثر تطليقه إياها بالثلاث ، وزعمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره مشافهة بالاستمتاع بها ، لحملت أحد ناسكم تناول إخراجه من الثقاف<sup>(٣)</sup> ، من غير مُبالاة بأحد ؛ ومنها أن أحد الفتيان المتعلقين بكم توجهت عليه مطالبة بدم قتيل ، وسبق المدعى عليه للذبح<sup>(٤)</sup> بغير سكين ، فاسعنى بمقتضى الدين إلا حبسه على ما أحكمته السنة ، فأقم لذلك ، وسجتم الطالب<sup>(٥)</sup> ولي الدم ، وسرحتم الفتى المطلوب على القور ، إلى غير ذلك مما لا يسع الوقت شرحه ، ولا يجمل بي ولا بكم

(١) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « النكرة » .

(٢) الثقف : المسجون . (عن تكملة المعجمات لدوزي) .

(٣) الثقاف : الحبس والسجن . (عن دوزي) .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الذبح » .

(٥) في النسخة الخطية من نفع الطيب : « الطالب » .

ذكره . والمسألة الأخرى أتم توليتكم كبرها ، حتى جرى فيها القدر بما جرى من الاتصال ، والحمد لله على كل حال . وأما الرمي بكذا وكذا مما لا علم لنا بسببه ، ولا عذر لكم من الحق في التكلم به ، فثنى . قلما يقع مثله من البهتان ، ممن كان يرجو لقاء ربه ، وكلامكم في اللدح والمجور هو عندي من قبيل اللغو الذي نمر به كراما ، والحمد لله فكثروا<sup>(١)</sup> أو أقلوا من أى نوع شئتم ، أتم وما ترضونه لنفسكم<sup>(٢)</sup> ، وما فُتت لكم بما فُتت من الكلام ، إلا على جهة الإعلام ، لا على جهة الانفعال ، لما صدر أو يصدر عنكم من الأقوال والأفعال ، فذهبي غير مذهبيكم ، وعندي ما ليس عنديكم .

وكذلك رأيتم تكثر في مخاطبتكم من لفظ الرقية في معرض الإنكار لوجود نعمها ، والرمي بالمنقصة والحق لمستعملها ، ولو كنتم قد نظرت في شيء من كتب السنة ، وسير الأمة المسلمة ، نظر مصدق ، لما وسعكم إنكار ما أنكرتم ، وكعبه بخط يديكم ، فهو قادح كبير في عقيدة دينكم ، فقد ثبت بالإجماع في سورة الفلق أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأن المراد بها هو وآحاد أمته ؛ وفي أمهات الإسلام الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى رقا جبريل ، فقال : بسم الله يُبريك<sup>(٣)</sup> ، ومن كل داء يشفيك ، ومن شرّ حاسد إذا حسد ، [١٤٠] ومن شر كل ذي عين . وفي الصحيح أيضا أن أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا في سقر ، فروا بحجى من أحياء العرب ، فاستضافهم فلم يضيفوهم ، فقالوا : هل فيكم راق ؟ فإن سيد الحى لديغ أو مصاب ؛ فقال رجل من القوم : نعم ، فأناه فرقا بفاتحة الكتاب ، فبرئ الرجل ، فأعطى قطيعا من

(١) في الصفحة الخطية من نفع الطيب : « أكثروا أو قللوا » .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « لأعكم » .

(٣) يريد : « يبرئك » فسهل .

غنى ، الحديث الشهير . قال أهل العلم : فيه دليل على جواز أخذ الأجرة على الرقبة والطب وتعليم القرآن ، وهو قول مالك والشافعي وأبي ثور وجماعة من السلف ، وفيه جواز للمقارضة ، وإن كان ضد ذلك أحسن ، وفي هذا القدر كفاية . وما رقيت قط أحداً على الوجه الذى ذكرتم ، ولا استرقيت ، والحمد لله ، وما حلتنى على تبين ما بينته الآن لكم فى المسألة ، إلا إرادة الخير التام لجهتكم ، والطمع فى إصلاح باطنكم وظاهركم ، فإنى أخاف عليكم من الإفصاح بالطن فى الشريعة ، ورمى علمائها بالتقصص ، على عادتكم وعادة المستخف ابن هذيل شيخكم ، منكر علم الجزئيات ، القائل بعدم قدرة الرب على جميع الممكنات ؛ وأنتم قد انتقمتم إلى جوار أناس أعلام ، قلما تجوز عليهم ، حفظهم الله ، المغالطات ، فتأسرهم شهادة الدول التى لا مدفع لكم فيها ، وتقع الفضيحة ، والدين النصيحة ، أعاذنا الله من ذلك الشقاء ، وشماتة الأعداء ، وجهد البلاء .

وكذلك أذكركم من الوقوع بما لا ينبغى فى الجنب الرفيع ، جناب سيد المرسلين ، وقائد الفتر الحجلين ، صلوات الله وسلامه عليه ، فإنه نقل عنكم فى هذا الباب أشياء منكورة ، يكبر فى النفوس التكلم بها ، أتم تعلمونها ، وهى التى زرعت فى القلوب ما زرع من بغضكم ، وإيثار بعدكم ، مع استشعار الشفقة والوجل من وجه آخر عليكم ، ولولا أنكم سافرتم قبل تقلص ظل السلطنة عنكم ، لكانت الأمة المسلحة ، امتعاضاً لدينها وديناها ، قد برزت بهذه الجهات ، لطلب الحق منكم ، فليس يعلم أنه صدر عن مثلكم من خدام الدول ماصدر عنكم ، من المبت فى الأبرار والأموال ، وهتك الأعراض ، وإفشاء الأسرار ، وكشف الأستار ، واستعمال السكر والحيل والغدر فى غالب<sup>(١)</sup> الأحوال ، للشريف والمشروف ، والخلعي والمخدوم ، ولو لم يكن فى الوجود من الدلائل على صحة ما رضىتم به لنفسكم ، من

الاتسام بسوء العهد ، والتجاوز المحض ، وكفران النعم ، والركون إلى ما تحصل من الحطام الزائل <sup>(١)</sup> ، إلا علمكم مع سلطانكم مولاكم وابن مولاكم ، أيده الله بنصره ، وما ثبت من مقالاتكم السيئة فيه ، وفي الكثير من أهل قطره ، لكفاكم وصنة لا يقبل دَنَسُها البحر ، ولا ينسى عَارُها الدهر ، فإنكم تركتموه أولاً بالمغرب عند تلَوْن الزمان ، وذهبت للكديبة <sup>(٢)</sup> ، والأخذ بمقتضى القامة الساسانية ، إلى أن استدعاه الملك ، وتخلصت له بعد الجهد الأندلس ، فسقطتم عليه سقوط الذباب على الحلاء ، وضربتم وجوه رجاله بعضاً ببعض ، حتى خلا لكم الجو ، وتمكن الأمر والهي ، فهمزتم ولَمَزْتُم ، وجمعت من المال ما جمعت ، ثم وَرَيْتُم بتفقد ثمر الجزيرة الخضراء ، مكرراً منكم ، فلما بلغت أرض الجبل انحرقتم عن الجادة ، وهربتم بأنفالك الهروب الذي أنكره عليكم كل من بلغه حديثكم أو يبلغه إلى آخر الدهر في العُدوتين ، من مؤمن وكافر ، وبر وفاجر ، فكيف يستقيم لكم بعد المعرفة بصرفاتكم حازم ، أو يثق بكم في قول أو فعل صالح أو طالح . ولو كان قد بقي لكم من العقل [١٤٧] ما تتفكرون به في الكيفية التي ختمتم بها علمكم بالأندلس ، من الزيادة في المعرم وغير ذلك ، مما لكم وَزْرُهُ ووَزْرٌ من عمل به بعدكم إلى يوم القيامة ، حسبما ثبت في الصحيح لحكمكم على مواصلة الخزن ، وملازمة الأسف والندم على ما أوقعتم فيه نفسكم الأمارة ، من التورط والتنشّب في أشطان الآمال ، ودسائس الشيطان ، ونعوذ بالله من شرور الأنفس ، وسينئات الأعمال .

وأما قولكم عن فلان : إنه كان حشرة في قشور <sup>(٣)</sup> اللوز ، وإن فلاناً كان

(١) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « الحطام باليد » .

(٢) كذا في فتح الطيب للطبوع . وفي النسخة الخطية : « الكديبة » . وفي

الأصلين : « الكديبة » .

(٣) في فتح الطيب : « في قلوب » .

بُرْغوثًا في تراب الخمول ، فكلام شفاف ، يقال لكم من الجواب عليه : وأنتم يا هذا ، أين كنتم منذ خمسين سنة مثلا ؟ خلق الله الخلق لا استظهاراً بهم ولا استكثاراً ، وأنشأهم كما قدر أحوالاً وأطواراً ، واستخلفهم في الأرض بعد أمة أممًا ، وبعد عصر أعصاراً ، وكلفهم شرائع وأحكامه ، ولم يتركهم هملاً ، وأمرهم ونهاهم ، ليلبثهم أيهم أحسن عملاً ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وبكل اعتبار فلا نعلم في نَظِّ الطلبة تدريجاً كان أسمح في تدريجكم ، ونبدأ من كذا ، فإنه كان كذا وكذا ، وأكثر أهل زمانه تخملاً وتقللاً في نفسه بالنسبة إلى منصبه ، كان الشيخ أبو الحسن بن الجياب ، ولكنه حين علم رحمه الله من نشأتكم ؛ وحالتكم ما علم ، نبذ مصاهرتكم ، وصرف عليكم صداقكم وكذلك فعلت بنت جَزَى زوج الرهيصي معكم ، حسبا هو مشهور في بلدكم ، وذكرتم أنكم ما زلتم من أهل الفنى حيث نقرتم بذكر العَرَض [ وهو بفتح العين والراء : حُطام الدنيا ، على ما حكى أبو عبيد ، قال أبو زيد : هو يسكون الراء : المال الذى لا ذهب فيه ولا فضة ] ، وأى مال خالص يعلم لكم أو لأبيكم بعد الخروج من الثقافة <sup>(١)</sup> ، على ما كان قد تبقّى عنده من محبى قرية مترايل ، ثم من العدد الذى برز قبلكم ، أيام كانت أشغال الطعام بيدكم ، على ما شهد به الجمهور من أصحابكم ؛ وأما الفلاحة التى أشرتم إليها ، فلا حق لكم فيها ، إذ هى فى الحقيقة لبית مال المسلمين ، مع ما بيدكم ، على ما تقرر فى الفقهيّات ، والمعدوم شرعا كالمعدوم حسبا ، ولو قبل من أهل المعرفة بكم بعض ما لديهم من سقّطاتكم فى القول والقيام ، ولم يُصْرَف إلى دفع معرفتها عنكم وجه التأويل ، لكأنتم مسألتم ثانياً لمسألة أبي الخير بل أبي الشر ، الحادثة أيام خلافة الحكم ، المسطورة فى نوازل

(١) يريد : الحبس والسجن . (انظر تكملة المعجمات لدوزى) .

أبي الأصم بن سهل ، فاعلموا ذلك ، ولا تهملوا إشارتي عليكم قديماً وحديثاً بلزوم الصلوات ، وحضور الجماعات ، وفعل الخيرات والعمل على التخلص من التبعات ، إنَّ وعد الله حق ، فلا تفرَّسكم الحياة الدنيا ، ولا يفرَّسكم بالله الفرور .

وقلتم في كتابكم : أين الخطط المتوارثة عن الآباء والأجداد ؟ وقد أذهب الله عنا بركة الله المحمدية غيبة الجاهلية ، في التفاخر بالآباء ، ولكنني أقول لكم على جهة المقابلة لكلامكم : إن كانت الإشارة إلى الجيب بهذا ، فمن المعلوم المتحقق عند أفاضل الناس أنه من حيث الأصالة أحد أمانل قطره . قال القاضي أبو عبد الله ابن عسكر : وقد ذكر في كتابه من سكتي فلان بن فلان مانصه : وبيته بيت قضاء وعلم وجلالة ، لم يزالوا يرثون ذلك كبراً عن كابر ، استقصى جده المنصور ابن أبي عاصر . وقال غيره وغيره ، ويبدى من عهد الخلفاء ، وصُكوك الأمراء المكتبة بخطوط أيديهم ، من لدن فتح جزيرة الأندلس إلى هذا العهد القريب ، [١٤٤] ما تقوم به الحجة القاطعة للسان الحاسد والجاحد ، والمنة لله وحده . وإن كانت الإشارة إلى النير<sup>(١)</sup> من الأحباب في الوقت ، حفظهم الله ، فكل واحد منهم إذا نُظِر إليه بعين الحق ، وُجِد أقرب منكم نسباً للخطط المعبرة ، وأولى بيمرائها بالقرض والتصيب ، أو مساوياً على فرض المسامحة لكم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : السلم أخو المسلم ، لا يظله ولا يخذله ولا يحقره ، حرام دمه وماله وعرضه .

ونرجع إلى طريقة أخرى فنقول : من كان يافلان من قومكم في عمود نسبكم قتيها مشهوراً ، أو كاتباً قبلكم معروفاً ، أو شاعراً منطوباً ، أو رجلاً نبياً مذكوراً ، ولو كان يالوشى وكان ، لكان من الواجب الرجوع إلى التناسف



والتواصل والتواضع ، وترك التحاسد والتباغض والتقاطع ، إن الله لا ينظر إلى صوركم وأبدانكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم .

وكذلك العَجَب كل العجب من تسميتكم الْخَرِيَّات التي شرعتم في بنائها بدار السلامة ، وهيئات هيئات ، المعروف من الدنيا أنها دار بلاء وجللاء ، وغناء وفناء ، ولو لم يكن من الموعظة الواقعة ب تلك الدار في الوقت إلا موت سعيدكم عند دخولها ، لأغناكم عن العلم اليقيني بآلها ، وأظهرتم سروراً كثيراً بما قلتم إنكم نلتهم حيث أتم من الشهوات التي ذكرتم أن منها إلا كثار من الأكل والخرق ، والقعود بإزاء جارية الماء على نِطْع الجلد ، والإمساك أولى بالجواب على هذا الفصل ، فلا خفاء بما فيه من الخِسة والخبائث والخبث ، وبالجملة ، فسرور العاقل إنما ينبغى أن يكون بما يجمل تقديمه من زاد التقوى للدار الباقية ، فالعيش كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا عيش الآخرة ، فقدموا إن قبلتم وصاة الحبيب أو البغيض [١٤٥] بَعْضاً ، عسى أن يكون لكم ، ولا تخلقوا كيلاً<sup>(١)</sup> يكون عليكم ، هذا الذي قلته لكم وإن كان لدى من يقف عليه من غلط<sup>(٢)</sup> الكثير ، فهو في اعتبار المكان ، وما مر من الزمان في حيز اليسير ، وهو في نفسه قول حق وصدق ، ومُسْتَنْدُ أكثره كتاب الله وسنة محمد رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبيائه ، فاحذوا الله العلي العظيم على تذكيركم به ، إذ هو مجرى النصيحة الصريحة ، يشرفني الله وإياكم لليسرى ، وجعلنا من ذُكْرٍ فانتفع بالذكرى ، والسلام . انتهى كلام القاضي ابن الحسن النَّبَاهِي رحمه الله .

قلت : ولعل هذا الكلام وأشباهه هو الحامل لابن الخطيب على هو القاضي

(١) كذا في ط . وفي ت ونفع الطيب : « كلا » .

(٢) في النسخة الخطية من نفع الطيب : « وغلط » .

ابن الحسن المذكور في الكتبية الكامنة ، حيث ذكره ولقبه بـ **بُحُوس** <sup>(١)</sup> ، ووصفه بما لا يليق ذكره ، ثم ألف في ذلك تأليفاً مستقلاً ، سماه **بِخْلُجَ الرِّسَن** ، في وصف القاضي ابن الحسن ، حسباً ألقيت ذلك بخط شيخنا القاضي سيدي عبد الواحد الوائشري رحمه الله ، ولا يخلو كلام كل واحد منهما من تحامل على صاحبه ، والله يسمح لنا ولهما بجاه النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال ولي الدين بن خلدون في تاريخه ، في موضع آخر ما نصه :

كان محمد بن الأحمر الخلوع قد رجع من رُبْدَة إلى ملكه بفرناطة ، في جهادى من سنة ثلاث وستين ، وقتل له الطاغية عدوه الرئيس المنزى على ملكهم ، حين هرب من غرناطة إليه ، وفاءً بعهد الخلوع ، واستوى على كرسيه ، واستقل بملكه ، ولحق به كاتبه وكاتب أبيه محمد بن الخطيب ، فاستخلصه ، وعقد له على وزارته ، وفوض إليه في القيام بملكه ، فاستولى عليه ، [١٤٦] وملك هواه ، وكانت عينه ممتدة إلى المغرب وسكنائه إلى إن نزلت به آفة في رياسته ، فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل عند ملوكه ، وكان لأبناء السلطان أبي الحسن كلهم غيرة من <sup>(٢)</sup> ولد عمهم السلطان أبي علي ، ويخشونهم على أمرهم ، ولما لحق الأمير عبد الوحمن بن أبي يفلوسن بالأندلس ، اصطفاه ابن الخطيب ، واستخلصه لنجواه ، ورفع في الدولة رتبته ، وأعلى منزلته ، وحمل السلطان على أن عقد له على الغزاة المجاهدين من زناته ، مكان بنى عمه من الأعياض <sup>(٣)</sup> ، فكانت له آثار في الاضطلاع بها ، ولما استبد السلطان عبد العزيز بأمره ، واستقل بملكه ، وكان ابن الخطيب ساعياً في مرضاته عند سلطانه ، فدرس <sup>(٤)</sup> إليه باعتقال عبد الرحمن

(١) الجسوس : القصير الدم .

(٢) في تاريخ ابن خلدون ( ج ٧ ص ٣٣٧ طبعة بلاق ) : « على » .

(٣) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « الأعياض » .

(٤) كذا في ط وتاريخ ابن خلدون وفتح الطيب . وفي ت : « فأسر » .

ابن أبي يفلوسن ، ووزيره [ المطارد به ] <sup>(١)</sup> مسعود بن ماساي ؛ وأدار ابن الخطيب في ذلك مكره ، وحمل السلطان عليهما ، إلى أن سطا بهما ابن الأحمر ، واعتقلهما سائر أيام السلطان عبد العزيز ؛ وتغير الجو بين ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب وأظلم ، وتكرره ، فنزع عنه إلى عبد العزيز <sup>(٢)</sup> سلطان المغرب سنة ثنتين وسبعين ، لما قدّم من الوسائل ، ومهد من السوايق ؛ فقبله السلطان ، وأحلّه من مجلسه محل الاصطفاء والقرب ، وخاطب ابن الأحمر في أهله وولده ، فبعضهم إليه ، واستقر في جملة السلطان . ثم تأكدت المداوة بينه وبين ابن الأحمر ، فرغب السلطان [ عبد العزيز ] <sup>(٣)</sup> في ملك الأندلس ، وحمله عليه ، وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تليسان إلى المغرب ؛ ونمى ذلك إلى ابن الأحمر ، فبعث إلى السلطان [ عبد العزيز ] <sup>(٤)</sup> بهدية لم يسمع بمثلها ، انتقى فيها من متاع الأندلس وماعونها ، وبغالها القاهرة ومملوحي <sup>(٥)</sup> السني وجواريه ، وأوقد بها رسله ، يطلب إسلام وزيره ابن الخطيب إليه ، فأبى السلطان من ذلك وتكره . ولما هلك واستبد الوزير ابن غازي بالأمر ، تميز إليه ابن الخطيب ودخله ، وخاطبه ابن الأحمر فيه بمثل ما خاطب السلطان [ عبد العزيز ] <sup>(٦)</sup> ، فلعج واستنكف عن ذلك وأقبح الرد ، وانصرف رسوله إليه وقد رهب سطوته ؛ فأطلق ابن الأحمر لحينه عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ، وأركبه الأسطول وقذف به إلى ساحل بطوية <sup>(٧)</sup> ، ومعه الوزير مسعود بن ماساي ، ونهض — [ يعني ابن الأحمر ] — <sup>(٨)</sup> إلى جبل الفتح ، فنأزله بمساكره ، ونزل عبد الرحمن ببطوية .

[١٤٧]

(١) زيادة عن ابن خلدون .

(٢) البارة من قوله « وتغير الجو » إلى قوله « عبد العزيز » ساقطة في تاريخ ابن خلدون .

(٣) زيادة عن فتح الطيب .

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٣ من هذا الجزء .

(٥) بطوية : من حصون ورياطات سقاس ، وهي على البحر وبها منازع مفرط في الارتفاع .

(٦) عن المغرب للبكري .

ثم ذكر ابن خلدون كلاما كثيرا، تركته لطوله، وملخصه: أن الوزير أبابكر ابن غازي، الذي كان معه<sup>(١)</sup> ابن الخطيب، ولَّى ابن عمه محمد بن عثمان مدينة سبته، خوفا عليها من ابن الأحمر، ونهض هو، أعنى الوزير، إلى منازلة عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ببطوية، إذ كانوا قد بايعوه، فامتنع عليه، وقاتله أياما، ثم رجع إلى تازا<sup>(٢)</sup>، ثم إلى فاس، واستولى عبد الرحمن على تازا، وبينما الوزير أبوبكر بفلس يدبر الرأي، إذ وصله الخبر بأن ابن عمه محمد بن عثمان بايع السلطان أحمد بن أبي سالم، وهو المعروف بذي الدولتين، وهذه هي دولته الأولى، وذلك أن ابن عم الوزير، وهو محمد بن عثمان، لما تولى سبته، كان ابن الأحمر قد طاول حصار جبل الفتح، وأخذ بمحنته، وتكررت المراسلة بينه وبين محمد بن عثمان والعتاب، فاستعجب له، وقبح ما جاء به ابن عمه الوزير أبوبكر بن غازي، من الاستغلاظ له في شأن ابن الخطيب وغيره، فوجد ابن الأحمر بذلك السبيل إلى غرضه، ودخله في [١٤٨] البيعة لابن السلطان أبي سالم، من الأبناء الذين كانوا بطنجة تحت الحوطة والرقبة، وأن يقيمه للسلمين سلطانا، ولا يتركهم فوضى وهملات تحت ولاية الصبي الذي لم يبلغ، ولانصح ولايته شرعا، وهو السعيد بن أبي فارس، الذي بايعه الوزير أبوبكر بن غازي بتلمسان حين مات أبوه، واستبد عليه، واختص ابن الأحمر أحمد ابن أبي سالم من بين أولئك الأبناء، لما سبق بينه وبين أبيه أبي سالم من الموالاة. وكان ابن الأحمر اشترط على محمد بن عثمان وحزبه شروطا، منها أن ينزلوا له عن جبل الفتح، الذي هو محاصر له، وأن يعمثوا إليه جميع أبناء الملوك من بني مرين، ليكونوا تحت حوطته، وأن يعمثوا إليه بالوزير ابن الخطيب متى قدروا

(١) في فتح الطيب: «الذي كان يحيز إليه ابن الخطيب».

(٢) تازا: موضع من أعمال بني السانية، في جبل منه الذهب. (عن المغرب للبكري).

عليه ؛ فانقذ أمرهم على ذلك ، وتقبل محمد بن عثمان شروطه ، وركب من سبعة إلى طنجة ، واستدعى أبا العباس أحمد من مكان اعتقاله ، فبايعه ، وحمل الناس على طاعته ، واستقدم أهل سبعة للبيعة وكتابتها ، فقدموا وبايعوا ، وخاطب أهل جبل الفتح ، فبايعوا ، وأفرج ابن الأحمر عنهم . وبث إليه محمد بن عثمان عن سلطانه بالنزول له عن جبل الفتح ، وخاطب أهله بالرجوع إلى طاعته ؛ فارتحل ابن الأحمر من مالقة إليه ، ودخله ، ومحا دعوة بني مرين ، مما وراء البحر ، وأهدى للسلطان أبي العباس ، وأمدّه بمسك من غزاة الأندلس ، وحمل إليه مالا للإعانة على أمره . ولما وصل الخبر بهذا كله إلى الوزير أبي بكر بن غازي ، قامت عليه القيامة ، وكان ابن عمه محمد بن عثمان كتب إليه يُموّه بأن هذا عن أمره ، فقبّرأ من ذلك ، ولاطف ابن عمه أن ينقض ذلك الأمر ، فاعتل له بانقضاء البيعة لأبي العباس . وبينما الوزير أبو بكر ينتظر إجابة ابن عمه إلى مارامه منه ، بلغه الخبر بأنه أشخص الأبناء المعتقلين كلهم للأندلس ، وحصلوا تحت كفالة ابن الأحمر ، فوجم وأعرض عن ابن عمه ، ونهض إلى تازا لمحاورة عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ، فاهتبل <sup>(١)</sup> في غيبة ابن عمه محمد بن عثمان مُلك المغرب ، ووصله مدد السلطان ابن الأحمر من رجال الأندلس الناشبة <sup>(٢)</sup> نحو ستمائة ، وعسكر آخر من الغزاة . وبعث ابن الأحمر رسله إلى الأمير عبد الرحمن باتصال اليد مع ابن عمه السلطان أحمد ، ومظاهرتة ، واجتماعهما على مُلك فاس ، وعقد بينهما الاتفاق على أن يختص عبد الرحمن بملك سلفه ، فتراضيا . وزحف محمد بن عثمان وسلطانه إلى فاس ، وبلغ الخبر إلى الوزير أبي بكر بمكانه من

(١) اهتبل : هزم .

(٢) الناشبة ، يريد : الرماة .

تازا ، فانقض مسكره ، ورجع إلى فاس ، ونزل بكُذبة الرئاس ؛ واتهى  
السلطان أبو العباس أحمد إلى زرهون<sup>(١)</sup> ، فصمد إليه الوزير بساكره ، فاختل  
مصافه ، ورجع على عقبه مفلولا ، واتهب عسكره ، ودخل البلد الجديد البيضاء ،  
وجأجا<sup>(٢)</sup> بالعرب أولاد حسين ، ففسكروا بالزيتون ظاهر فاس ، فنهض إليهم  
الأمير عبد الرحمن من تازا بمن كان معه من العرب الأجلاف ، وشردهم إلى  
الصحراء ، وشارف السلطان أبو العباس أحمد بمجموعة من العرب وزناته ،  
وبشوا إلى ولت دولتهم وزمار بن عريف ، بمكانه من قصره الذى اختطه  
بملوية<sup>(٣)</sup> ، فجاءهم وأطلعوه على كامن أسرارهم ، فأشار عليهم بالاجتماع والاتفاق ،  
فاجتمعوا بوادى النجا ، وتحالفوا ، ثم ارتحلوا إلى كُذبة الرئاس فى ذى القعدة  
من سنة خمس وسبعين ، وبرز إليهم الوزير بساكره ، فانهزمت جموعه ، [١٥٠]  
وأحيط به ، وخلص إلى البلد الجديد بعد غص الريق . واضطرب مسكر  
السلطان أبي العباس بكُذبة الرئاس ، ونزل الأمير عبد الرحمن بإزائه ، وضربوا  
على البلد الجديد سياجا بالبناء للحصار ، وأنزلوا بها أنواع القتال والإرهاب ؛  
ووصلهم مدد السلطان ابن الأحمر ، فأحكوا الحصار ، وتحكموا فى ضياع ابن  
الخطيب بناس ، فهدموها ، وعاثوا فيها . ولما كان فاتح سنة ست وسبعين داخل  
محمد بن عثمان ابن عمه الوزير أبابكر فى النزول عن البلد الجديد ، والبيعة للسلطان ،  
لكون الحصار قد اشتد به ويثس ، وأعجزه المال ، فأجاب ، واشترط عليهم الأمير

(١) الذى فى المغرب بأكبرى : « زرهونة » .

(٢) كذا فى ت ونفع الطيب : وجأجا : أهاب ودعا . وفى ط : « وجاء » .

(٣) ملوية : نهر كبير مشهور فى المغرب الأقصى ويصب إلى نهر سبلماسة وبصيران  
نهر واحد يصب فى بحر الروم فى شرقى سبتة وجنوبها على ثلاث مئة وعشرة  
أميال . (عن تقيم البهتان) .

عبد الرحمن التجاني له عن أعمال مراکش بدل سجلماسة ، فقدوا له على كرهه ، وطوّروا على للسكر ، وخرج الوزير أبو بكر إلى السلطان أبي العباس وبإيه ، واقتضى عهده بالأمان وتخليه سبيله من الوزارة ، ودخل السلطان أبو العباس إلى البلاد الجديد سابع الحرم ، وارتحل الأمير عبد الرحمن يومئذ إلى مراکش ، واستولى عليها .

نكته ووقته

محنة ابن الخطيب ووفاته :

ثم ذكر ابن خلدون الخبر عن مقتل ابن الخطيب فقال :

ولما استولى السلطان أبو العباس على البلاد الجديد دار ملكه [فانح] <sup>(١)</sup> سنة ست وسبعين ، استقلّ بسلطانه ، والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه ، وسليمان بن داود بن أعراب كبير بني عسكر رديف له ، وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الأحمر عندما بويع بطنجة على نكبة ابن الخطيب ، وإسلامه إليه ، لما نعى إليه عنه أنه كان يغري السلطان عبد العزيز المريني <sup>(٢)</sup> [١٥١] بملك الأندلس ، فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ، ولقيه أبو بكر بن غازي بساحة البلاد الجديد ، فهزمه السلطان ، ولازمه بالحصار ، أوى معه ابن الخطيب إلى البلاد الجديد ، خوفا على نفسه . فلما استولى السلطان على البلد أقام أياما ، ثم أغراه سليمان بن داود بالقبض عليه ، فقبضوا عليه ، وأودعوه السجن ، وطّروا بالخبر إلى السلطان ابن الأحمر ؛ وكان سليمان بن داود شديد العداوة لابن الخطيب ، لما كان سليمان قد يابسه السلطان ابن الأحمر على مشيخة

(١) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في ت ونفع الطيب .

الغزاة بالأندلس ، متى أعاده الله إلى ملكه ، فلما استقر له سلطانه ، أجاز له سليمان سفيراً عن [ الوزير ]<sup>(١)</sup> عمر بن عبد الله ، ومقتضياً عهده من السلطان ، فصدّه ابن الخطيب عن ذلك ، [ محتجاً ]<sup>(٢)</sup> بأن تلك الرياسة إنما هي لأعياض الملك من بني عبد الحق ، لأنهم يمسوب زناة ؛ فرجع سليمان ، وأثار حقد ذلك لابن الخطيب ، ثم جاوز الأندلس لحل إمارته من جَبَل الفَتْح ، فكانت تقعُ بَيْنَهُ وبين ابن الخطيب مَكاتِبَاتٌ ، يشير<sup>(٣)</sup> كلُّ واحد منهما لصاحبه بما يُحَفِّظُهُ ، مما كُنَّ في صدورهما . وحين بلغ خبر القبض على ابن الخطيب إلى السلطان ابن الأحمر بمت كتابه ووزيره بمد ابن الخطيب ، وهو أبو عبد الله ابن زَمْرُك ، فقدم على السلطان أبي العباس ، وأحضر ابن الخطيب بالشُّور<sup>(٤)</sup> في مجلس الخاصة ، وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه في الحجة<sup>(٥)</sup> ، فعظم النكير فيها ، فوُجِّعَ ونكِّلَ ، وامْتَحَنَ بالعذاب بمشهد ذلك المَلَأُ ، ثم نُقِلَ<sup>(٦)</sup> إلى محبسه ، واشتدوا في قتله بمقتضى تلك القالات المسجلة عليه ، وأفتى بعضُ الفقهاء فيه ، ودرس سليمانُ بن داود لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله ، فطرقوا السجن ليلاً ، ومعهم زعانقة جاءوا في لقيف الخدم ، مع سفراء السلطان ابن الأحمر ، وقتلوه خَنَقاً في محبسه ، وأخرج شلوه من القُد ، فدُفِنَ في مقبرة باب المحروق ، [ ١٠٢ ] ثم أصبح من القُد على شافة<sup>(٧)</sup> قبره طريقاً ، وقد جمعت له أعواد ، وأضرمت

(١) زيادة عن فتح الطيب .

(٢) في فتح الطيب : « ينفث » .

(٣) كذا في فتح الطيب . والمشور : يريد مجلس الشورى . (راجع تكملة المعجمات لدوزي) . وفي ط : « بالمشور » .

(٤) في ت : « بالحجة » .

(٥) كذا في ط وفتح الطيب المطبوع . وفي ت والنسخة الخطية من فتح الطيب « ثل » .

(٦) كذا في الأصلين . وفي فتح الطيب للطبوع والخطي : « سافة » . وفي الإحاطة :

« سافة » . ولعل الكلمة محرفة عن : « حانة » .



عليه نار ، فاحترق شعره ، واسودَّ بشره ، فأُعيد إلى حفرته ، وكان في ذلك انتهاء محنته . وعجب الناس من هذه الشئمة التي جاء بها سليمان ، واعتدوها من هنائه ، وعظم التكبر فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته ، والله الفعال لما يريد .

وكان ، عفا الله عنه ، أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت ، فتجشش شعره في عهد يبكي نفسه هواته بالشعر ، يبكي نفسه ، ومما قال في ذلك :

بَعْدُنَا وَإِنْ جَاوَرْتَنَا الْبُيُوتُ      وَجِئْنَا بِوَعْظٍ وَنَحْنُ صُمُوتٌ  
وَأَنْقَاسُنَا سَكَتَ دَفْعَةً      كَجَهْرِ الصَّلَاةِ تَلَاهِ الْقُنُوتُ  
وَكُنَّا عِظَامًا فِصْرُنَا عِظَامَا      وَكُنَّا نَقُوتُ فَمَا نَحْنُ قُوتُ  
وَكُنَّا شُمُوسَ سَمَاءِ الْمَلَا      غَرَبْنَ فَنَاحَتْ عَلَيْنَا السَّمُوتُ<sup>(١)</sup>  
فَكَمْ خَذَلَتْ ذَا الْحُصَامِ الظُّبَا      وَذُو الْبُخْتِ كَمْ جَدَّلَتْهُ الْبُخُوتُ  
وَكَمْ سَيَّوَتْ لِلْقَبْرِ فِي خِرْقَةٍ      فَتَى مُلِثَتْ مِنْ كُأَاهِ التُّخُوتِ  
فَقُلْ لِّلْعَدَا ذَهَبَ ابْنُ الْخَطِيبِ      وَفَاتَ وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَفُوتُ  
وَمَنْ كَانَ يَفْرَحُ مِنْهُمْ لَهُ      فَقُلْ : يَفْرَحُ الْيَوْمَ مَنْ لَا يَمُوتُ  
انتهى كلام ابن خلدون في ديوان العبر .

ورأيت تخميساً لبعض بني الصباغ على هذه القطعة ، لكنه زاد فيها بعض أبيات على ما ذكره ابن خلدون ، وها أنا أثبتته تيمناً للفائدة ، وهو :

أَيَا جَاهِلٍ غَرَّهَ مَا يَفُوتُ      وَأَلْهَاهُ حَالُ قَلِيلِ الثَّبُوتِ  
تَأْتِلُ لِمَنْ بَعْدَ أَنْسِي يَصُوتُ<sup>(٢)</sup>      بَعْدُنَا وَإِنْ جَاوَرْتَنَا الْبُيُوتُ  
وَجِئْنَا بِوَعْظٍ وَنَحْنُ صُمُوتٌ

(١) السموت : الطرق ؛ الواحد : سميت . ولله يريد : مدارات النجوم .

(٢) في ط ونفع الطيب : « يَفُوتُ » .

تخميس لبعض  
بني الصباغ

لقد نلتُ من دهرنا رفعةً      تقضتُ كثيرَ مضي سُرعةً  
 فبهاتِ ترجو لها رجعةً      وأصواتنا<sup>(١)</sup> سكنت دَفعةً  
 كجهر الصلاة تلاه القنوتُ

بدالى من المرء وجهُ شبابُ      يؤمِّل سنيي وبأسى يُهابُ<sup>(٢)</sup> [١٠٣]  
 فسرعان مَزَّق ذاك الإهابُ      ومَدَّت وقد أنكرتنا الثيابُ  
 علينا<sup>(٣)</sup> نسايجها العنكبوتُ

قَاها لَمَزٍ تقصَّى مَنَامَا      مُنَحْنَا به الجاه دَوَامَا<sup>(٤)</sup> كِرَامَا  
 وكنا نَسُوسُ أُمُورًا عَظَامَا      وكنا عِظَامَا فَصِرْنَا عِظَامَا  
 وكنا نَقُوتُ فها نحن قُوتُ

وكنا لَذا المُلْكِ حَتَّى الطَّلَا      قَاها عليه زَمَانَا خِلَا  
 نَمُوضُ مِنْ جِدَّةٍ بِالْبَلَا      وكنا شُمُوسَ سَمَاءِ المُلَا  
 غَرَبْنَ فَنَاحَتْ عَلَيْنَا الشُّمُوتُ

نَعُوذُ بِالرَّغْمِ صَرَفَ اللَّيَالِي      وَحَمَلْتُ تَقَمِي فوقَ اِحْتِمَالِي  
 وَأَيْقَنْتُ أَنْ سَوْفَ يَأْتِي اِرْتِمَالِي      وَمَنْ كَانَتْ مُنْتَظَرًا لِلزَّوَالِي  
 فَكَيْفَ يُؤَمِّلُ مِنْهُ الثَّبُوتُ

(١) نيا سر: « وأفاسنا » .

(٢) كذا في فتح الطيب . والسبب : العطاء . وفي ت : « يؤمن شبي » . وفي ط :  
 « يؤمن سيني وسيني .. الخ » .

(٣) في ط : « عليها » .

(٤) كذا في ت . وفي ط : « قدما » . وفي فتح الطيب : « قوما » .

هو الموت يا ماله من نَبَاً<sup>(١)</sup> يَجُوزُ الْحِجَابَ إِلَى مَنْ أُنِيَ  
وَيَأْلَفُ<sup>(٢)</sup> أَخَذَ سَنَى الْحَيَا<sup>(٣)</sup> فَمِ أَشْلَتَ ذَا الْحُسَامِ الْغُلْبَا

وَذَا الْبَخْتِ كَمْ جَدَّلَتْهُ الْبُخُوتُ

هُوَ الْمَوْتُ أَفْصَحَ مِنْ مُجْمَعَةٍ وَأَيَقَطَّ بِالْوَعظِ مِنْ تَوْمَةٍ  
وَسَلَّى عَنِ الْحَزَنِ ذَا حُرْقَةٍ فَمِ سَبَقَ لِلْقَبْرِ<sup>(٤)</sup> فِي خِرْقَةٍ  
فَنِي مُلِثَتْ مِنْ كُسَاءِ التُّخُوتِ

تَقْضَى زَمَانِي بِعَيْشٍ خَصِيبٍ وَعِنْدِي لَدُنِّي انْكَسَارُ الْمُتَيْبِ  
وَهَا الْمَوْتُ قَدْ صُبَّتْ مِنْهُ نَصِيبِي<sup>(٥)</sup> قَلَّ لِلْعَدَا ذَهَبُ ابْنِ الْخَطِيبِ

وَفَاتَ وَمِنْ ذَا الَّذِي لَا يَفُوتُ

مَضَى ابْنُ الْخَطِيبِ كُنْ قَبْلَهُ وَمَنْ بَعْدَهُ يَقْتَنِي سُبُلَهُ  
وَهَذَا الرَّدَى نَائِرُ شَمْلَهُ<sup>(٦)</sup> فَن كَانَ يَفْرَحُ مِنْهُمْ لَهُ  
قَلَّ يَفْرَحُ الْيَوْمَ مِنْ لَا يَمُوتُ

(١) يريد : « نَبَا » فسهل للشعر .

(٢) كَذَا فِي نَحْصِ الطَّبِيبِ الْمَطْبُوعِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ وَالنَّسْخَةُ الْخَطِيئةُ مِنْ نَحْصِ الطَّبِيبِ :  
« وَيَأْلَفُ » .

(٣) كَذَا فِي النَّسْخَةِ الْخَطِيئةُ مِنْ نَحْصِ الطَّبِيبِ ، يَرِيدُ : الْحَيَاةَ ، وَقَصَرَهُ لِلشَّعْرِ . وَيَرِيدُ  
بَنَى الْحَيَاةَ : الْعَرِيفَ الْعَزِيزَ الْمَتَّعَ فِي خَيَاةِهِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ وَنَحْصِ الطَّبِيبِ  
الْمَطْبُوعِ : « الْحَيَاةُ » .

(٤) فِي ت (هَذَا) : « الْمَوْتُ » .

(٥) كَذَا فِي نَحْصِ الطَّبِيبِ الْمَطْبُوعِ وَالْمَخْطُوطِ . وَفِي ت : « قَدْ صُبَّتْ مِنْهُ نَصِيبٌ » .  
وَفِي ط : « قَدْ صُبَّتْ مِنْهُ نَصِيبٌ » .

(٦) مَوْضِعُ هَذَا الشَّطْرِ فِي الْأَصْلَيْنِ يَبَاضُ . وَقَدْ زِدْنَاهُ عَنْ نَحْصِ الطَّبِيبِ .

هو الموتُ عَمَّ فما لِلْعَدَا بُسْرُونِ بِي حِينِ <sup>(١)</sup> ذُقْتُ الرَدَى  
ومن فاته اليومُ يَأْتِي غَدَا سَيَبْلِي الجَدِيدُ إِذَا مَا اللَّدَى

[١٠٤]

تتابع آحاده والشبوت

أُخِيَ تَوَخَّ طَرِيقَ النِّجَاةِ وَقَدَّمْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَاتِ  
وَشَمَّرْ بِمَجْدٍ لَهَا هُوَ آتِي وَلَا تَفْتَرِزْ بِسَرَابِ الْحَيَاةِ  
فَإِنَّكَ عَمَّا قَرِيبَ تَمُوتُ

اتمى . وقد تذكرت بقوله :

سَيَبْلِي الجَدِيدُ إِذَا مَا اللَّدَى تَتَابَعُ آحَادُهُ وَالسُّبُوتُ  
قول الآخر :

نَطْوِي سُبُوتًا وَآحَادًا وَنَنْشُرُهَا وَنَحْنُ فِي الطَّيِّ بَيْنَ السَّبْتِ وَالْأَحَدِ  
فَعَدَّ مَا شَتَّ مِنْ سَبْتٍ وَمِنْ أَحَدٍ لَا بُدَّ أَنْ يَدْخُلَ الْمَطْوِيُّ فِي الْقَدَدِ

مرابن الخطيب شعره :

قال بعض الأعلام : شعر ابن الخطيب ما بعده مطمع لطامع ، ولا مُعَرَّج  
على شاعر بعده للأَذَانِ والتَّصَامُعِ ؛ فَنَ ذَلِكَ قَوْلُهُ سَامِعَهُ اللَّهُ :

عَسَى خَطَرَةُ <sup>(٢)</sup> بِالرَّكْبِ يَاحَادَى الْعَيْسِ عَلَى الْمُضْبَةِ الْمَتَاءِ مِنْ قَصْرِ بَادِيسِ <sup>(٣)</sup>

(١) ف ت : « حيث » .

(٢) كذا في ط وفتح الطيب (ج ٤ ص ٥٨٤) . وفي ت : « نظرة » .

(٣) باديس : فرسة بينها وبين سبعة مئة ميل ، ويقابلها من الأندلس مالقة . (عن

تهويم البلدان) .

- لَنظَرٍ مِنْ ذَلِكَ الزُّلَالِ بِسَلَّةٍ      وَنَنَمُ فِي تِلْكَ الظُّلَالِ بِتَعْمُرِيسٍ<sup>(١)</sup>  
 حَبَسَتْ بِهَا رَكْبِي فَوَاقًا وَإِنْسَا      عَقَدْتُ عَلَى قَلْبِي لَهَا عَقْدَ تَخْبِيسٍ<sup>(٢)</sup>  
 لَقَدْ رَسَخْتُ آيُ الْجَوَا فِي جَوَانِحِي      كَمَا رَسَخَ الْإِنْجِيلُ فِي قَلْبِ قَيْسِيسٍ  
 بِمَيْدَانِ جَفْنِي لِلشَّهَادِ كَتِيبَةٌ      تُفِيرُ عَلَى سَرَحِ الْكَرَى فِي كِرَادِيسٍ<sup>(٣)</sup>  
 وَمَا بِي إِلَّا تَفْهَمَةٌ حَاجِرِيَّةٌ      سَرَّتْ وَالِدَجِي مَا بَيْنَ وَهْنٍ وَتَفْلِيسٍ<sup>(٤)</sup>  
 أَلَا نَفْسٌ يَارِجُ مِنْ جَانِبِ الْحِمَى      تُنَفِّسُ مِنْ نَارِ الْجَوَى بَعْضَ تَنْفِيسٍ  
 وَيَا قَلْبَ لَا تُتْلَقِ السَّلَاحَ فَرِمًا      تَمُذَّرُ فِي الدَّهْرِ اطِّرَادُ الْقَايِيسِ  
 وَقَدْ تُعْتَبِ الْأَيَّامُ بِمَدِّ عَتَابِهَا      وَقَدْ يُعْقِبُ اللَّهُ النِّعَمَ مِنَ الْبُوسِ  
 وَلَا تَخْشَى لُجَّ الدَّمْعِ يَا خَطَرَةَ الْكَرَى      إِلَى الْجَفْنِ بَلْ قَيْسَى عَلَى صَرَحِ بَلْقِيسٍ<sup>(٥)</sup>  
 تَقُولُ سُلَيْمَى : مَا لِحَسَمِكَ شَاحِبًا      مَقَالَةٌ تَأْنِيبُ يُشَابُ بِتَأْنِيسٍ  
 وَقَدْ كُنْتَ تَعْطُو كُلَّاهِثَ الصَّبَا      بِرِيثَانٍ فِي مَاءِ الشَّبِيبَةِ مَغْمُوسِ  
 وَمِنْ رَاجِحِ الْأَيَّامِ يَا بَنْتَ عَامِرٍ      يَجُوبُ الْفَسْلَ رَاحَتَ يَدَاهُ بِتَفْلِيسٍ<sup>(٦)</sup>

(١) التمريس : التزول للاستراحة آخر الليل .

(٢) الفواق (بالضم والفتح) : ما بين الحلتين من الوقت ؛ أو ما بين فتح يدك

وقبضها على الضرع . يريد : وقتا قصيرا .

(٣) الكراديس : القطع العظيمة من الخيل . يريد : جيوش للشهاد .

(٤) حاجرية : نسبة إلى حاجر . وهو منزل من منازل الحاج . والوهن : نحو من

نصف الليل أو بعد ساعة منه . والتفليس : آخره .

(٥) لا تخش : الصواب فيه فتح الثين وإسكان الياء ، إلا أن الوزن لا يستقيم

بهذا الضبط . ويشير جرح بلقيس إلى الآية الكريمة : « قِيلَ لَهَا ادْخُلِي

الصرح » .

(٦) راجح الأيام : غالبها ، يرجو أن ترجع كفته .

فلا تحسبي والصدق خير<sup>(١)</sup> سجنية  
وقسراء أما ركبها فمضلل  
سجننا<sup>(٢)</sup> بها من هضبة لقرارة  
إذا مانهضنا عن<sup>(٣)</sup> مقيل غزالة  
أدرنا بها كأساً دهاقاً من الثرى  
وحانة سخار هدانا لقصدها  
تطلع ربانها من جداره  
بكرنا وقلنا إذ نزلنا بساحة  
أيا عابد الناسوت إنا عصاة  
وما قضدنا إلا المقام بحانة  
فأترلنا قوراء في جنباتها<sup>(٤)</sup>  
بكرنا بها طين الختام بسجدة  
ودار العذارى بالمدام كأنها  
وصارفنا فيها نضارا بمشله

ظهور التوى إلا بطون النواميس<sup>(٥)</sup>  
ومربعها من آنس غير مأنوس<sup>(٦)</sup>  
ضلالا وملنا من كناس إلى خيس<sup>(٧)</sup>  
نزلنا فرعننا بساحة عرييس<sup>(٨)</sup> [١٠٠]  
أملنا بها عند الصباح من الروس  
شميم الحميم واصطكاك التواقيس  
يهمهم في جبح الظلام بتقديس  
عن الصافات الجرد والضمر العيس  
أتينا لتثليث بلى ولتسدس  
وكم أليس الحق المبين بتلبس  
محارب شتى لاختلاف النواميس  
أردنا بها تجديد حسرة إبليس  
قطاً تنهادى في رياش الطواويس  
كأنا ملأنا الكأس ليلا من الكيس

(١) في ت : « غير » . وهو تحريف .

(٢) كذا في الأصلين ونفع الطيب المخطوط والمطبوع . وللهلها محرفة عن « النواويس »

بمعنى القبور .

(٣) المريع : الموضع الذي يرتفع فيه في الريح .

(٤) في نفع الطيب : « سجننا » .

(٥) الكناس : بيت الظي . والخيس : موضع الأسد .

(٦) في ت : « من » .

(٧) المريس : مأوى الأسد .

(٨) في نفع الطيب المخطوط والمطبوع : « فأترلنا قوراء على جنباتها » .

وَقُنَّا نَشَاوَى عِنْدَمَا <sup>(١)</sup> مَتَعَ الضَّحَى كَمَا نَهَضَتْ غُلْبَ الْأَسْوَدِ مِنَ الْخَيْسِ <sup>(٢)</sup>  
 قَال : لِبِئْسَ الْمُسْلُونَ ضَيَّفُونَا أَمَا وَأَيْبُكَ الْحَبْرُ <sup>(٣)</sup> مَا نَحْنُ بِالْبَيْسِ <sup>(٤)</sup>  
 وَهَلْ فِي بَنِي مَثْوَاكَ إِلَّا مُبَرِّزٌ بِحَلْبَةِ سُورِي أَوْ بِحَلْفَةِ تَدْرِيسٍ  
 إِذَا هَزَّ عَسَالَ الْيَرَاعَةِ فَاتَسَكَّأَ أَسَالَ نَجِيعِ الْجَبْرِ فَوْقَ الْقَرَاتِيسِ  
 يَقْلَبُ تَحْتَ النَّعَقِ مُثَلَّةً ضَاكًا إِذَا تَفَتَّ الْأَبْطَالُ عَنْ مَقَلِّ شُوسٍ <sup>(٥)</sup>  
 سَبِينَا عُقَارَ الرُّومِ فِي عُقْرِ خَانِنَا <sup>(٦)</sup> بِحِيلَةٍ <sup>(٧)</sup> تَمَوَّيْهِ وَخُدْعَةِ تَمْدَلِيسٍ  
 لَئِنْ أَنْكَرْتَ شَكْلِي فَضَلِّي وَاضْجُ وَهَلْ جَائِزٌ فِي الْقَتْلِ إِنْكَارَ مُحْسُوسٍ !  
 رَسَبْتُ بِأَقْصَى الْغَرْبِ دُخْرَ مَضَنَّةٍ <sup>(٨)</sup> وَكَمْ دُرَّةٌ عَلَيْهِاءُ فِي قَاعِ قَامُوسٍ  
 وَأَغْرَيْتِ سُوسِي <sup>(٩)</sup> بِالْمُذْيَبِ وَهَارِقِ عَلَى وَطَنِ دَانِي الْجَوَارِ مِنَ الشُّوسِ <sup>(١٠)</sup>

ومن ذلك قوله رحمه الله في الميلاد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام  
 يمدح مخدومه أبا عبد الله المخلوع :

ما على القلب بعدكم من جُناح أن يَرَى طَائِرًا بِفَيْرِجَنَاحِ

قصيدة  
 لابن الخطيب  
 في المولد النبوي

- ( ١ ) فت : « بعدما » .
- ( ٢ ) متع الضحى : بلغ آخر غايته .
- ( ٣ ) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « الحبر » .
- ( ٤ ) باليس : يريد : بالئس ، أى لنا بمن يقال لهم : بئس المسلمون .
- ( ٥ ) شوس ، أى تنظر بمؤخر العيون غضبا .
- ( ٦ ) في فتح الطيب : « دارها » .
- ( ٧ ) في ط وفتح الطيب : « بحيلة » .
- ( ٨ ) في فتح الطيب : « نذر مضنة » .
- ( ٩ ) كذا في الأصلين وفتح الطيب للطبوع . والسوس ( هنا ) : السجدة والطبع . وفي النسخة الخطية من فتح الطيب : « موسى » .
- ( ١٠ ) المذيب وبارق : موشان بالكوفة وفيهما يقول أبو الطيب :  
 تذكرت ما بين المذيب وبارق بحر عوالينا وبحرى السوابق  
 والسوس : كورة بالقرب مدينتها طنجة .

وعلى الشوق أن يُشَبَّ إذا هَسَبَ بأنفاسكم نسيمُ الضباحِ  
 جيرةً الحى والحديث شُجون والليالى تلينُ بعد الجُمُحِ  
 أتروُن السُّلُوَ خَاسِرَ قلبي بعدكم ؟ لا ، وقالِ الإصباحِ  
 ولو أنى أُعْطِيَ اقتراحى على الأيتام ما كان بُعْدُكم باقتراحى [١٥٦]  
 ضايقتنى فيكمُ مروفُ الليالى واستدارت عَلَى دَوَرِ الوِشاحِ<sup>(١)</sup>  
 وسَقَتْنى كأسُ القراقِ دِهَاقًا فى اغتباقِ مُواصلِ واضطباحِ<sup>(٢)</sup>  
 واستباحَت من جِدَّتِي وفتَانِي حَرَمًا لَمْ أَخْلُهُ بالسُّتُباحِ  
 ومنها :

يأتُرَى والنفوسُ أشرى أمانى ما لها من<sup>(٣)</sup> وثاقها من سَراحِ  
 هل يُباحُ الورودُ بعدَ ذِيادِ أو يُباحُ اللِّقاءُ بعدَ انْتِراحِ  
 وإذا أعوذَ الجسومَ التَّلاقى نابَ عنه تعارفُ الأرواحِ

وهى طويلة ، ولم يحضرنى منها فى هذا التاريخ سوى ما كتبتة . قلت : وأظن  
 أن الفقيه الكاتب أبا زكريا يحيى بن خلدون كاتب الإنشاء بتلُسان المحروسة ،  
 أيام السلطان أبى حو<sup>(٤)</sup> موسى بن يوسف الزَّيَّاتى رحمه الله نسج على منوال  
 هذه القصيدة فى قصيدة بديعة له ، ورفعها إلى السلطان أبى حو فى مولد سنة  
 قصيدة  
 لأبى زكريا  
 ابن خلدون  
 يحاك بها  
 قصيدة  
 ابن الخطيب

(١) الوشاح (بالضم والكسر) : أديم مريض يرسم بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشعها .

(٢) الاغتباق : شرب التبرق ، وهو شراب المشى . والاضطباح : شرب الصبوح ، وهو شراب الصبح .

(٣) كذا فى ط ونصح الطيب (ج ٤ ص ٦٠٢) . وفى ت : « عن » .

(٤) كذا فى فتح الطيب . وفى الأصلين هنا : « حم » .



ثمان وسبعين وسبع مئة . وهذا ابن خلدون أخو ولي الدين صاحب التواريخ  
المشهور ، ونص القصيدة :

ما على الصَّبِّ في الهوى من جُنَاحٍ	أَنْ يُرَى حِلْفَ عَثْرَةٍ وافتضاح
وَإِذَا مَا الْمُحِبِّ عَيْلَ اصْطَبَارَا	كَيْفَ يُصْنَى إِلَى نَصِيحَةٍ لَاحِي
يَا رَعَى اللَّهُ بِالْمُحْصَبِ رَبْعَا	آذَنْتُ عَهْدَهُ النَّوَى بِاتِّزَاحٍ <sup>(١)</sup>
كَمْ أَدْرْنَا كَأَمَّنَ الْهَوَى فِيهِ مَرْجَا	رُبَّ جَذِيٍّ مِنَ الْجَوَى فِي الثَّرَاحِ
هَلْ إِلَى رَسْمِهِ الْمُحِيلِ سَبِيلُ	يَا حُدَاةَ الْمَطَى تِلْكَ الطَّلَاحِ <sup>(٢)</sup>
نَسْأَلُ الدَّارَ بِالْخَلِيطِ وَنَسْقِي	ذَلِكَ الرَّيْعَ بِالْأُثْمُوعِ السَّقَاحِ
أَيَّ شَجْوٍ عَابَتْ بَعْدَ نَوَاهَا	مَنْ أَسَى لَازِمَ وَصْفٍ مَرْحٍ <sup>(٣)</sup>
أَهْلٌ وَدَى إِنْ رَابَكُمْ بَرْحٌ وَجَدَى	بِمَنْ صَبَا بَارِحٌ وَبَرَقَ لِيَاحِ
فَاسْأَلُوا الْبَرْقَ عَنْ خُفُوقِ فَوَادَى	وَالصَّبَا عَنْ سَقَامِ جِسْمِي الْبُتَّاحِ
يَا أَهْيَلِ الْحَى نَدَاهُ مَشُوقُ	مَا لَهُ عَنْ هَوَى الذَّمِّ مِنْ بَرَّاحِ
طَلَمَا اسْتَعَذَبَ التَّدَامَعُ وَزْدَا	فِي هَوَاكُمِ عَنْ كُلِّ عَذَبِ قَرَّاحِ
عَادَهُ بِالطَّلُولِ لِلشُّوقِ عَيْدُ	مَنْ حَمَامٍ بَدَوَحْنِ صِدَّاحِ
مَنْ لِقَابٍ مِنَ الْجَوَى فِي ضِرَامِ	وَلَجَفَنَ مِنَ الْبُكَاءِ فِي جِرَاحِ
وَلَصَبٍ يَهْمُجُهُ الذِّكْرُ شَوْقَا	فَهُوَ سُكْرًا يَرْتَاحُ مِنْ غَيْرِ رَاحِ
وَلِيَالٍ قَضَيْتُ لِلَّهِ فِيهِمَا	وَطَرَا وَالشَّبَابُ ضَافِي الْجَنَاحِ

[١٥٧]

(١) المحصب : موضع فيها بين مكة ومي ، وهو إلى مي أقرب . (عن معجم البلدان) -

(٢) الطلاح : الإبل التي أعيأها السفر وأضناها .

(٣) مزاح : بعيد .

راكباً في الهوى ذُلُولُ تَصَابٍ<sup>(١)</sup>      ساحباً في الغرام ذيلَ سَراحِ  
ونجومُ النُّنى تُنِيرُ إلى أنْ      رَوَّعَ الشَّيْبُ يَرْبِهَا بالصباحِ  
أنى مُنْزَعِي حَدَثٍ لَمْ أَخْلُ<sup>(٢)</sup> مِنْهُ      بسوى حَسْرَةٍ وطولِ انْفِصَاحِ  
وَإِخْصَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنِّ لَمْ      يَغْفِرِ اللَّهُ زَلَّتِي وَاجْتِرَاحِي  
لَمْ أَقْدَمْ وَسِيلَةً فِيهِ إِلَّا      حُبَّ خَيْرِ الْوَرَى الشَّفِيعِ الْمَاحِي  
سَيِّدِ الْعَالَمِينَ دُنْيَا وَآخِرِي      أَشْرَفِ الْخَلْقِ فِي الْعَالَا وَالسَّمَاحِ  
سَيِّدِ الْكَوْنِ مِنْ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ      سِرَّهُ بَيْنَ غَايَةِ وَافْتِصَاحِ  
زَهْرَةِ الْقَيْبِ مَظْهَرِ الْوَحْيِ مَعْنَى النُّورِ كُنْهُ      الشُّكَاةِ وَاللِّصْبَاحِ  
آيَةِ الْمَكْرُمَاتِ قُطْبِ التَّعَالَى      مِصْطَقِي اللَّهِ مِنْ قُرَيْشِ الْبِطَاحِ  
أَوَّلِ الْأَنْبِيَاءِ تَخْصِيصِ زُلْفَى      آخِرِ الرِّسَالِينَ بَعَثَ نَجَاحِ  
حَفْوَةِ الْخَلْقِ أَرْفَعَ الرِّسْلَ قَدْرًا      وَسَرَّاجِ الْهَدْيِ وَشَمْسِ الْفَلَاحِ  
مَنْ لِمِيلَادِهِ بِمَكَّةَ ضَاءَتْ      مِنْ قُرْصَى قَيْصَرٍ جَمِيعُ الضَّوَاحِ  
وَحَبَّتْ نَارُ فَارِسٍ وَتَدَاعَتْ      مِنْ مَشِيدِ الْإِيْوَانِ كُلِّ النُّوَاحِ  
مَنْ رَقِيَ فِي السَّمَاءِ سُبْعًا طِبَاقًا      وَرَأَى آتَى رَبِّهِ فِي انْفِصَاحِ  
وَدَنَا مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ قُرْبًا      ظَافِرًا فِي الصُّلَى بِكُلِّ اقْتِرَاحِ  
مَنْ هَدَى الْخَلْقَ بَيْنَ حُمْرٍ وَسُودِ      وَجَلَّ لِـلْغَيْثِ بِالصَّبَاحِ  
مَنْ يُجِيرُ الْوَرَى غَدَا يَوْمَ يُجْزَى      كُلُّ عَاصٍ وَطَائِعٍ بِاجْتِرَاحِ

(١) في فتح الطيب : « تَصَاب » .

(٢) كَذَا فِي ط وَفَتْحِ الطَّيِّبِ الْخَطِيِّ وَالطَّبُوعِ . وَفَتْحُ : « لَمْ أَخْلُ » .

مَنْ إِلَى حَوْضِهِ وَظَلِّ لَوَاهُ<sup>(١)</sup> يَلْبَأُ النَّاسُ بَيْنَ ظِلْمٍ وَضَاحِي<sup>(٢)</sup>  
أَحْمَدَ الْمُجْتَبَى حَبِيبًا وَأَتَى فَوْقَ عَمِّ الْحَبِيبِ مَسْمَى طِلَاحٍ  
فِي أَنَاجِيْلِهِ التَّسْبِيحُ تِلَاةٌ بِاسْمِهِ وَالْكَلِمُ فِي الْأَوَاحِ  
وَلَكُمْ حُجَّةٌ وَبِرْهَانٍ صَدَقَ فِي سَمَاعٍ أَتَى بِهَا وَالنِّبَاحِ  
إِنَّ فِي النَّجْمِ وَالنَّبَاتِ لَأَيًّا بَهَّرَتْ وَالْجَمَادِ وَالْأَرْوَاحِ  
مَعْجَزَاتٍ فَتَنَ الْمَدَارِكُ وَصَفَا وَحِسَابًا كَالزُّهْرِ أَوْ كَالصَّبَاحِ  
يَا رُؤَاةَ الْقَرِيضِ وَالشَّرِّ عَجْرًا مَا عَسَى تُذَكِّرُكَونَ بِالْأَمْدَاحِ  
إِنَّمَا حَبَّبْنَا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ وَهِيَ لِلْفَوْزِ آيَةٌ أَسْتَفْتَحِ  
يَا إِلَهِي بِحَقِّ أَحْمَدَ عَفْوًا عَنْ<sup>(٣)</sup> ذُنُوبٍ جَنَيْتُهُنَّ قَبَاحِ  
وَأَدِمْ دَوْلَةَ الْخُلَيفَةِ مُوسَى ذِي التَّعَالَى الْبَيِّنَةِ الْأَوْضَاحِ  
مُفَخَّرُ الْمَلِكِ مُسْتَقَرُّ الْمَزَايَا مَظْهَرُ الْلُطْفِ ذُو التَّقَى وَالصَّلَاحِ  
نَاصِرُ الْحَقِّ خَازِنُ الْعِزِّ عَدْلًا مُلْجَأُ الْخَائِفِينَ بِحَرِّ السَّحَابِ  
يَتَلَقَّى النَّبْدَى بِوَجْهِ حَيٍّ وَيُلَاقِي الْعِدَا بِأَسْنِ صِفَاحِ  
وَلَهُ التَّكْرُمَاتُ إِرْنَاءً وَلِبْسًا<sup>(٤)</sup> حَازَ خَمْدًا بِهَا مُعَلَّى الْقِدَاحِ  
مِنْ غَلَا بِأَذْخَرٍ وَفَخَّرَ صَمِيمٍ وَكَمَالَ بِحَيْثُ وَبَجْدٍ صُرَاحِ  
وَأَحَادِيثَ فِي الْعَالَى حِسَانِ رُوِيَ عَنْهُ فِي الْقَوَالِ الصَّحَاحِ  
عَاقِدَ صَفْقَةِ الْمَلَا كُلِّ حِينٍ فَاتَزَ فِيهِ سَفِيهُ بِالرَّبَّاحِ

[١٥٨]

(١) كَذَا فِي تَوْفِيقِ الطَّيِّبِ . وَفِي ط : « حَاه » .

(٢) الضَّاحِي : الَّذِي يَبْرُزُ لِلشَّمْسِ وَيُضَلِّي حَرَّهَا .

(٣) كَذَا فِي تَوْفِيقِ الطَّيِّبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « مِنْ » .

(٤) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَتَوْفِيقِ الطَّيِّبِ . وَلِلْهَلَا : « كَسَا » .

لَهْدَى وَالْهَدَى بِرُوحٍ وَيَقْدُو      أَيْ مَقْدَى إِلَى الثَّلَا وَمَرَّاحٍ  
مَلِكٌ تَشْرِقُ الْأَمِيرَةُ مِنْهُ      فِي سَمَاءِ السَّرِيرِ نُورٌ صَبَاحٍ  
وَإِذَا مَا عَلَا بِعَالِي الْعَوَالِي      صَهْوَةَ الْجُرْدِ فَهُوَ لَيْثُ الْكِفَاحِ  
لَيْسَ الدَّهْرُ مِنْهُ حُلَّةٌ حُسْنٌ      وَتَنَى لِلشُّرُورِ عِطْفَ مِرَّاحٍ  
وَعَلَا عَاتِقَ الْخِلَافَةِ مِنْهُ      طِرْزُ قَضَرٍ مَسَى الثَّمَى بِالنَّاحِ  
وَرِثَ لِلْمَلِكِ شَاخًا عَنْ مَرَاةٍ      شِيدُوا رُكْنَهُ بِأَيْدِي الصَّفَاحِ  
مِنْ بَنِي الْقَاسِمِ الَّذِينَ تَحَلَّوْا      بِالْمَعَالِي وَاسْتَأَثَرُوا بِالْفَلَاحِ  
فَرَعَوْا هَضْبَةَ الْخِلَافَةِ بِجَدًّا      رَفَعُوا سَنَفَهُ عَلَى الْأَرْمَاحِ  
نَشَرُوا رَايَةَ الْمَفَاخِرِ جَمْدًا      خَافَقَ النُّورَ بِالزُّبَا وَالْبِطَاحِ  
يَا إِمَامًا بَذَّ الْمُلُوكَ جَلَالًا      وَجَمَّالًا قُدِّيتَ بِالْأَرْوَاحِ  
أَنْتَ شَسُّ الْكَمَالِ دُنْتَ عَلِيًّا      فِي اغْتِبَاقٍ مِنَ الْمُنَى وَاضْطِبَاحِ  
وَبَنُوكَ الْأَعْلَوْنَ أَنْجَمٌ سَعْدٍ      زَاهِرَاتُ بُنُورِكَ الْوَضَّاحِ  
وَأَبُو تَاشَفِينَ بَدْرٌ مُنِيرٌ      زَانَهُ اللَّهُ بِالْخِلَالِ الصَّبَّاحِ  
أَكَلَ الْعَالَمِينَ خَلْقًا وَخُلُقًا      أَشْرَفَ النَّاسَ فِي النَّدَى وَالْكِفَاحِ  
وَبِكَمْ زِينَتْ سَمَاءَ الْمَعَالِي      وَاهْتَدَى النَّاسُ فِي الدُّجَى وَالصَّبَاحِ  
قُلْتُ : قَوْلُهُ :

أَكَلَ الْعَالَمِينَ خَلْقًا وَخُلُقًا أَشْرَفَ النَّاسَ فِي النَّدَى وَالْكِفَاحِ

لا يخلو من قلة تحفظ ، ومثل هذا في الحقيقة إنما يطلق على رسول صلى الله عليه [١٠٩]  
وسلم ، وإن كان المتكلم أراد أهل عصره .

وصف ليل  
مولد النبي  
أيام السلطان  
أبي حمو

وكان السلطان أبو حمو<sup>(١)</sup> موسى بن يوسف المدوح في هذه القصيدة يحتفل ليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الاحتفال ، كما كان ملوك المغرب والأندلس في ذلك العصر وما قبله يعتنون بذلك ، ولا يقع منهم فيه إغفال ؛ وقد تقدم أن القرظي صاحب سبقة هو الذي سنّ ذلك في بلاد المغرب ، وأنى برؤفى تدنيه إلى الله وتقرّب ؛ واقتنى الناس سنّته ، وتقلدوا منّته ؛ تغلّيا للجناب الذي [وجب] له السموّ والعلو ، على أن بعضهم قد خرج في ذلك إلى حدّ الإسراف والعلو ؛ وكل يعمل على شاكلته .

ومن جملة احتفال السلطان أبي حمو<sup>(٢)</sup> المذكور ما قاله صاحب راح الأرواح<sup>(٣)</sup> : « إنه كان يقيم ليلة الميлад النبوي ، على صاحبه الصلاة والسلام ، بمشورة من تليسان الحروسة ، مدعاة حفيظة ، يحشُر فيها الناس خاصة وعامة ، فما شئت من غمارق مصفوفة ، وزراري مبثوثة ؛ وبُسَط موشاه ، ووسائد بالذهب مُعْشَاه ؛ وشمع كالأسطوانات ، وموائد كالكهالات ؛ ومباخر صُغُر منصوبة كالثقالب ، يخالها للبصر من نَبَر [مذاب]<sup>(٤)</sup> ؛ ويُفاض على الجميع أنواع الأطعمة ، كأنها أزهار الربيع للنعمة ؛ تشبهها الأنفس وتستلذها النواظر ، ويخالط حُسن رِيّها<sup>(٥)</sup> الأرواح ويُخامر ؛ رُتّب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال ، وقد علت الجميع أهبّة الوقار والإجلال ؛ وبعقب ذلك يحتفل المُسَمِّعون بأمداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ومُكفّرات رَغَب في الإقلاع عن الآثام ؛ يخرجون فيها من فن إلى فن ، ومن أسلوب إلى أسلوب ؛ ويأتون من ذلك بما<sup>(٥)</sup> تطرب له

[١٦٠]

- (١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « أبو حم » .
- (٢) صاحب راح الأرواح هو أبو عبد الله التتسي ثم التليسان .
- (٣) التكملة عن نفع الطيب .
- (٤) في ط : « رؤياها » .
- (٥) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « ما » .

النفوس وترتاح إلى سماعه القلوب ؛ وبالقرب من السلطان ، رضوان الله عليه ،  
خزانة [ المنجاة <sup>(١)</sup> ] ، قد زُخِرَتْ كأنها حُلَّةٌ يمانية ، لها أبواب مُرْتَجَّةٌ <sup>(٢)</sup> ، على  
عدد ساعات [ <sup>(٣)</sup> ] الليل الزمانيه ؛ فهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها ،  
وفتح عند ذلك باب من أبوابها ؛ وبرزت منه جارية صُوِّرَتْ في أحسن صورة ،  
في يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطوره ؛ فتضعها  
بين يدي السلطان بلطافه ، ويُسرّاهما على فمها كالملودية بالمبايعة حق الخلافه ؛  
هكذا حالم إلى انبلاج عمود الصباح ، ونداء المنادى حتى على الفلاح .  
اتهى كلام صاحب راح الأرواح .

وقال <sup>(٤)</sup> في نظم الدرر والعقيان في هذا المعنى ما نصه :

« وكان ، يعنى السلطان أباحو ، يقوم بحق ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ،  
ويحتفل لها بما هو فوق سائر المواسم ، يُقيم مدعاة ، يحشر لها الأشراف والشوكة ،  
فما شئت من تمارق مصفوفة ، وزرّابي مبثوثة ، وشمع كالأسطوانات ، وأعيان  
الحضرة على مراتبهم ، تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخرز الملون ، وبأيديهم  
مباخر ومرشات ، ينال كل منها بحظه ، وخزانة المنجاة ذات تماثيل الجُين  
محكمة الصنعة ، بأعلاها أيكة تحمل طائرا ، قرّخاه تحت جناحيه ، ويَحْتَلِه  
فيها <sup>(٥)</sup> أرقم ، خارج من كوة بجذر الأيكة صُعداً <sup>(٦)</sup> ، وبصدّرها أبواب مُرْتَجَّة

(١) المنجاة : آلة لرصد الوقت . ( انظر تكملة المعجيات لدوزي ) .

(٢) كذا في النسخة الخطية من نفع الطيب وفيها سيأتي في الأصلين . وفي الأصلين هنا  
ونفع الطيب المطبوع : « موجفة » .

(٣) التكملة عن ت ونفع الطيب .

(٤) يريد أباحو عبد الله التلساني ثم التتسي صاحب راح الأرواح .

(٥) في نفع الطيب : « فيها » .

(٦) في نفع الطيب : « صاعدا » .

بعدد ساعات الله الزمانية ، يصاقب طَرَفُها بابان كبيران ، وفوق جميعها دُورُنْ  
رأس الخِزانة ، قرأ كل ، يسير على خط الاستواء سير نظيره من الفلك ، ويُسامت  
أول كل ساعة بابُها المرتج ، فينقُصُ من البابين الكبيرين عقابان ، يَبْنِي<sup>(١)</sup> كل  
واحد منهما صَنْجَعَة صُفْر ، يلقِيها إلى طَسْت من الصُفْر مَجُوف ، بوسطه ثقب يفضى  
بها إلى داخل الخِزانة فيرِنْ ، وينهَش الأرقم أحد الفَرخين ، فيصِفِر له أبواه ، فهنا [١٦١]  
يفتح باب الساعة الذاهبة ، وتبرز منه جارية محترمة ، كأظرف ما أنت راء ،  
يمينها إضبارة فيها اسم ساعتها منظوما ، ويسراها موضوعة على فيها ، كالمبايعة  
بالخلافة ، والثَّشِيع قائم ينشد أمداح سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، سيدنا  
ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . ثم يُوقِي آخرَ الليل بموائد كالمالآت دُورًا ،  
والرياض تَوْرًا ؛ قد اشتملت من أنواع محاسن الطعام على ألوان تشبهها الأتقس ،  
وتستحسنها الأعين ، وتَلَذَّ بسماع أسمائها الأذن ، ويَشْرُه مُبَصِّرُها للقرب منها  
والتناول وإن كان ليس بقرَّنان ؛ والسلطان لم يفارق مجلسه الذي ابتدأ جلوسه  
فيه ، وكل ذلك بمرأى منه ومسمع ، حتى يصلى هنالك صلاة الصبح .

على هذا الأسلوب تمضي ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم في جميع أيام  
دولته ، أعلى الله مقامه في عليين ، وشكر له في ذلك صنعه الجميل ، آمين .

وما من ليلة مولد سرت في أيامه إلا ونظم فيها [ قصيدا ]<sup>(٢)</sup> في مدح المصطفى  
صلى الله عليه وسلم أول ما يبتدئ المُسَمِّع في ذلك الحفل العظيم بإنشاده ، ثم يتلو  
إنشاد مَن رُفِعَ إلى مقامه الملى في تلك الليلة نظما .

اتهى كلام صاحب نظم الدرر والمقيان ، وهو أتم مساقا من كلامه في  
راح الأرواح .

(١) في نفع الطيب : « في يد » .

(٢) زيادة غز ت و ع ح الطيب .

مر لأبي زكريا  
بن خلدون  
في المنجاة

أقول : ولا بد أن نذكر جملة من القطع التي أنشأها الكاتب أبو زكرياء  
يحيى بن خلدون كاتب السلطان أبي حو للذكور ، على لسان جارية المنجاة ،  
مخاطبة بما مر من الليل ، وكانت الجارية تأتي بها في يدها اليمنى ، كما ذكرناه ؛  
فمن ذلك [ قوله رحمه الله في مضي ساعتين من الليل :

أخليفة الرحمن والملك الذي      تنو لمرّ علاه أملاك البشر  
الله مجلسك الذي يحيى علا      بك مالكي أفق السماء لمن نظر  
أو ما ترى فيه النجوم زواهرها      وجهه الخليفة بينهن هو القمر  
والليل منه ساعتان قد انقضت      تُثنى عليك ثنا الرياض على المطر  
لا زال هذا الملك منصوراً بكم      وبلغت مما ترتجي أسنى الوطر

[١٦٢]

و[ قوله رحمه الله في انقضاء ثلاث ساعات من الليل :

أمولاي يا ابن الملوك الألى      لم في العماى سنى الرنب  
تولت ثلاث من الليل أبقت لك الفخر في عجمها والعرب      أبقت لك الفخر في عجمها والعرب  
فدم حجة الله في أرضه      تنال الذي شئت من أرب

وقوله رحمه الله في مضي ست ساعات :

يا ماجدا وهو فرد      تخاله في عساكر  
ست من الليل ولت      ما إن لها من نظائر  
دامت لياليك حتى      إلى العباد تواضر

وقوله رحمه الله في مضي ثمان ساعات :

يا أكرم الخلق ذاتا      وأشرف الناس أمره  
مرت ثمان وأبقت      في القلب مقي حشره



فَإِنْ كَانَ شَبَابِي      أَخَا نَعِيمٍ وَنَفَرِهِ  
وَلَّى بِهَا الدَّهْرُ عَنِّي      تُرَى لَهَا بَعْدُ كَرَمِهِ  
فَاللَّهُ يُبْقِيكَ مَوَلَّى      يُطِيلُ فِي السَّعْدِ مُخْمَرِهِ

وقوله رحمه الله في مضي عشر ساعات :

يَا مَالِكَ الْخَيْرِ وَالْخَيْرِ الَّتِي حَكَمْتَ      لَهُ يَمِيزُ عَلَى الْأَيَّامِ مُتَقَبِّلِ  
هَذَا الصَّبَاحِ وَقَدْ لَاحَتْ بِشَائِرُهُ      وَاللَّيْلُ وَدَعْنَا تَوَدِيعَ مُرْتَحِلِ  
لَهُ عَشْرٌ مِنَ السَّاعَاتِ بَاهِرَةٌ      مَضَيْنَ لَا عَنْ قَلْبِي مِنَّا وَلَا مَكَلِ  
كَذَا تَمَرُّ لَيْسَالِي الْعُمْرِ رَاحِلَةٌ      عَنَّا وَنَحْنُ مَعَ الْأَمَالِ فِي شُغْلِ  
نُشْبِي وَنُصْبِحُ فِي لَهْوٍ نُسْرُهُ بِهِ      جَهْلًا وَذَلِكَ يُذَنِّبُنَا مِنَ الْأَجَلِ  
وَالْعَمْرُ يَمْضِي وَلَا تَدْرِي فَوَا أَسَفًا      عَلَيْهِ إِذْ مَرَّ فِي الْآثَامِ وَالزَّلَلِ  
يَا لَيْتَ شَعْرِي غَدًا كَيْفَ الْخِلَاصِ بِهِ      وَلَمْ نَقْدَمْ لَهُ شَيْئًا مِنَ الْعَمَلِ  
يَا رَبُّ عَفْوِكَ عَمَّا قَدْ جَنَّتْهُ يَدِي      فَلَيْسَ لِي بِجِزَاءِ الذَّنْبِ مِنْ قَبْلِ  
يَا رَبِّ وَانْصِرْ أَمِيرَ السَّلَامِينَ أَبَا      حَمُو الرِّضَا وَأَنْلَهُ غَايَةَ الْأَمَلِ  
وَأَبْقِ فِي الْمَرْزِ وَالْمُتَكِينِ مَدَّتَهُ      وَأَعْلِي دَوْلَتِهِ الْفَرَا عَلَى الثُّوَلِ

[١٦٣]

ومن الموشحات التي خوطب بها السلطان أبو حور رحمه الله في مولد سنة سبع وستين وسبع مئة ، قول طبيب دولته أبي عبد الله محمد بن أبي جمعة الشهرستاني باللهلالي ، رحمه الله تعالى :

لِي مَذْمُوعٌ هَتَّانَ      يَنْهَلُ مِثْلَ الدُّرَرِ  
قَدْ صَيَّرَ الْأَجْفَانُ      مَا إِنْ لَهَا مِنْ أُرْ

(١) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ . وَفِي ط : « يَالَيْتُ أَنْ غَدَا » . وَفِي ت « يَالَيْتُ غَدَا » .  
وَمَا ظَاهِرُهَُا التَّحْرِيفُ .

حَقُّ لَه بِجَرَى      دَمَا عَلَى طُول الدَوَامِ  
 مُذْ جَدَّ فِي السَّيْرِ      نَاسٌ إِلَى خَيْرِ الْأَنَامِ  
 وَعَاقِبَتِي وَزَرَى      بِأَصَاحٍ عَنْ ذَاكَ الْقَامِ  
 وَسَارَتْ الْأَظْعَانُ      يُحْدِي بِهَا فِي السَّحَرِ  
 فَاسْتَبْشَرَ الرِّكْبَانُ      بِقَرَبِ نَيْلِ الْوَطَرِ  
 يَا سَعْدَهُ مَنْ زَاوَى      قَبْرَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى  
 مُحَمَّدَ الْخِتَازِ      قُطْبَ الْمَالِي وَالْوَفَا  
 فِي مَدْحِهِ قَدْ حَازَ      الْخَلْقُ طُرُقًا وَكَفَى  
 فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ      وَشَرَحِهِ وَالسَّيْرِ  
 فَضْلَهُ الرَّحْمَنِ      عَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ  
 يَا حَادِيَ الرِّكْبِ      بِاللَّهِ إِنْ جِئْتَ الْبَقِيعِ  
 نَجْمَةَ الْمَصِّبِ      بَلِّغْ إِلَى الْمَهَادِي الشَّفِيعِ  
 غُرُبْتُ بِالنَّوْبِ      عَنْ ذَلِكَ لِلْمَغْنَى الرَّفِيعِ  
 وَلَيْسَ لِي إِكْبَانُ      يُنْهَضِي لِلْسَفَرِ  
 إِلَّا مِنَ السُّلْطَانِ      الْمَلِكِ اللَّطْفَرِ  
 مَنْ لَمْ يَزَلْ يَسُو      إِلَى الْمَالِي كُلِّ حِينِ  
 ذَاكَ أَبُو حَمُو      الْمَوْلَى أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ  
 طَاعَتُهُ غُنْمُ      نَلْنَا بِهَا دُنْيَا وَدِينُ  
 أَظْهَرَ فِي الْبُلْدَانِ      مِنْ عَدْلِهِ الْمُشْتَهَرِ  
 وَعَمَّ بِالْإِحْسَانِ      لِبَدْوٍ ثُمَّ الْحَضَرِ

قَالَه إِسْعَادُ تَكَلَّ عَنْهُ الْأَلْسِنَةُ  
قَبِيلُ عَبْدِ الْوَادِ<sup>(١)</sup> بِهِ غَدَتْ فِي سُلْطَنِهِ  
أَيَّامُهُ أَعْيَادُ يَالَيْتَهَا أَقَامَا سَنَةً  
مُلْكُ بَنِي زَيْبَانَ بِالْمَشْرِقِ الذِّكْرُ  
أَحْيَاهُ إِذْ قَدْ كَانَ لَيْسَ لَهُ مِنْ خَيْرٍ  
تَاهَتْ تِلْكَ سُلْطَانُ بِمُلْكِهِ عَلَى الْبِلَادِ  
صَارَ لَهُمَا شَانُ وَسَعْدُهَا حِلْفُ ازْدِيَادِ  
قَدْ ضَلَّ إِنْسَانُ قَالَ بِهَا يَشْكُو الشَّهَادُ  
لَيْلُ الْهَوَى يَقْظَانُ وَالْحَبِّ تَرْبُ السَّهَرِ  
وَالصَّبْرُ لِي خَوَّانُ وَالنُّومُ مِنْ عَيْنِي بَرَى<sup>(٢)</sup>

وكان هذا السلطان أبو حو رحمه الله يقرض الشعر ، ويحب أهله ، وله  
رحمة الله تأليف حسن في السياسة ، لخص فيه « سُلُوانُ الْمَطَاعِ » لابن ظَفَر ،  
وزاد عليه فوائد ، وأورد فيه جملة من نظمه ، وأمورا جرت له مع معاصريه من  
ملوك بني مَرَيْن وغيرهم ، وصنّفه برسم ولي عهده أبي تاشفين ، وسمّاه « نظم  
السلوك ، في سياسة الملوك » .

وكان الفقيه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب المذكور آنفا كثيرا  
ما يوجّه إليه بالأمداح ، ومن أحسن ما وجّه له<sup>(٣)</sup> قصيدة سينية فائقة ، وذلك  
عند ما أحسن بتبشير سلطانه عليه ، فجعلها مقدمة بين يدي نجواه ، لتمهيد له مشواه ؛

(١) في ط : « الجواد » .

(٢) كذا في ط . وفي ت : « عن » .

(٣) برى : بريد : « برى » تسهيل لغير .

(٤) كذا في ط وفتح الطيب ( ج ٤ ص ٢٧ طبعة بلقي ) . وفي ت : « إليه » .

قصيدة  
ابن الخطيب  
السلطان أبي حو  
يستفيد

وتحصل له المستقر ، إذا أُلْجِأَ الأمر إلى المَفَرِّ ؛ فلم تساعده الأيام ، كما هو شأنها في أكثر الأعلام ؛ وهي هذه :

أُطْلِقَن في سُدْفِ الفُرُوعِ شُمُوسًا ضَحِكَ الظلام لها وكان عُبُوسًا  
وَعَطْفَن قَضْبًا لِلْقُدُودِ نَوَاعِمًا بُوْثُنْ أَدْوَا حِ النِّعَمِ غُرُوسًا  
وَعَدَلَنَ عَنِ جَهْرِ السَّلَامِ خَفَافَةً أَلْوَاشِي فِجْنِ بِلْفِظِهِ هَمُوسًا  
وَسَقَرَنَ مِنْ دَهَشِ الْوَدَاعِ وَقَوْمِنَ إِلَى التَّرَحُّلِ قَدْ أَنَاخُوا الْعِيسَا  
وَحَلَسَنَ مِنْ خَلَلِ الْحِجَالِ إِشَارَةً فَتَرَكْنَ كُلَّ حِجَالِهَا مَخْلُوسًا  
لَمْ أَنَسْهَا مِنْ وَخْشَةٍ وَالْحَيُّ قَدْ زَجَرَ الْحَوْلَ وَأَثَرَ التَّقْلِيسَا  
لَا الْمُلْتَقَى مِنْ بَعْدِهَا كَتَبَ<sup>(١)</sup> وَلَا عَوَجُ الرَّاكِبِ تَسَامُ التَّخْيِيسَا<sup>(٢)</sup>  
فَوَقَفْتُ وَفْقَةَ هَائِمِ بَرَحَاوَةٍ وَقَفْتُ عَلَيْهِ وَحُبِّسْتُ تَحْيِيسَا  
وَدَعَوْتُ عَيْنِي عَاتِبًا وَغَيُونَهَا بَعَا النَّوَى قَدْ بَجَحَسْتُ تَبْجِيسَا  
نَافَسْتُ يَا عَيْنِي دُرَّ دُمُوعِهِمْ فَعَرَضْتُ دُرًّا لِلدُّمُوعِ نَفِيسَا  
مَا لِلْحَيِّ بَعْدَ الْأَحْبَةِ مُوَحِّشًا وَلَكَمْ رَأَيْتُ أَهْلًا مَأْنُوسًا  
وَلَيْسَ بِهِ حَوْلُ الْخَيْمَةِ نَافِرًا عَمَّنْ يُحِصُّ بِهِ وَكَانَ أُنِيسَا  
وَلِظَلِّهِ الْمُرُودِ عَمْرُ قَلْبِهِ لَا يَقْتَضِي وَرْدًا وَلَا تَعْرِيسَا<sup>(٣)</sup>  
حَيِّئْتُهُ فَأَجَابَنِي رَجْعُ الصَّدَى لَا فَرَقَ بَيْنَهُمَا إِذَا مَا قِيسَا  
مَا إِنْ يَزِيدُ عَلَى الْإِعَادَةِ صَوْتُهُ حَرَفًا فَيَشْفِي بِالْمَزِيدِ نَسِيسَا<sup>(٤)</sup>

(١) كتب ، أى قريب .

(٢) كذا في ط . والتخييس : أن تدل الدابة وتراض بالركوب . وفي ت ونفع

الطيب : « التنجيسا » .

(٣) القليب : البئر . وعمره : أى ماؤه الفاسر . والتعريس : النزول آخر الليل .

(٤) النيس : غاية جهد الإنسان .

نَصَبَ الصَّعِينِ وَقَلَّصَ الظِّلَّ الَّذِي ظَلَمْنَا وَقُوفًا عِنْدَهُ وَجُلُوسًا  
 نَتَوَاعَدُ الرَّجْعَى وَنَفْتِمِ اللَّقَا وَنُدِيرُ مِنْ شَكْوَى الْغَرَامِ كُؤُوسًا  
 فَإِذَا سَأَلْتَ فَلَا تَسْأَلِ غَيْرًا وَإِذَا سَمِعْتَ فَلَا تُحْسِ حَسِبًا  
 عَهْدِي بِهِ وَالْدَهْرُ يُتَحِفُ بَالْتَنِي وَقَدْ اقْتَضَتْ نُهَاهُ أَنْ لَا يُوسَا<sup>(١)</sup>  
 وَالْعَيْشُ غَضُّ الرِّيعِ وَالْذُّنْيَا قَدْ اجْتَلَيْتْ بِمَفْنَاهُ<sup>(٢)</sup> عَلَى عَرُوسَا  
 أُرَى يُمِيدُ الدَّهْرُ عَهْدًا لِلصَّبَا دَرَسَتْ مَعَانِي الْأَنْسِ فِيهِ دُرُوسَا  
 [أَوَطَانِ أَوَطَارٍ تَعَوَّضَ أَفْقَهَا مِنْ رَوْنَقِ الْبِشْرِ الْبَهِيِّ عُبُوسَا]<sup>(٣)</sup>  
 هِيَاةَ لَا تُقْنِي لَمَلٍّ وَلَا عَسَى فِي مِثْلِهَا إِلَّا لَآيَةً عَيْبِي  
 وَالْدَّهْرُ فِي دَسْتِ الْقَضَاءِ مُدَرَّسٌ فَإِذَا قَضَى يَسْتَأْنِفُ التَّحْدِيسَا  
 تَقَنَّنَ فِي جُمُحِلِ الْوَرَى أَبْحَانَهُ لَا سِيَّامًا فِي بَابِ رَنَمٍ وَبِيسَا  
 وَسَجِيَّةُ الْإِنْسَانِ لَيْسَ بِنَاصِلٍ مِنْ صِبْغِهَا حَتَّى يُرَى مَرْمُوسَا  
 يَغْتَرُّ مَهْمَا سَاعَدَتْ أَمَالُهُ فَإِذَا عَرَا الْخَطْبُ كَانَ يُثُوسَا  
 فَلَوْ أَنَّ نَفْسًا مَكَّنَتْ مِنْ رُشْدِهَا يَوْمًا وَقَدَّسَهَا الْهُدَى تَقْدِيسَا  
 لَمْ تَسْتَفِزْ رَسُوخَهَا الثُّغْمَى وَلَا هَلَكَتْ إِذَا كَثُرَتْ<sup>(٤)</sup> إِلَيْهَا الْبُوسَا  
 قُلْ لِلزَّمَانِ إِلَيْكَ عَنْ مَتَدَمٍّ<sup>(٥)</sup> بَضْمَانٌ عِزٌّ لَمْ يَكُنْ لِيَخِيسَا<sup>(٦)</sup>

[١٦٦]

(١) لا يوسا : لا يؤسا ، فسهل .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « معناه » .

(٣) الكلمة عن ت ونفع الطيب .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي ت : « كسرت » . وفي ط : « كثرت » وكلاهما تحريف .

(٥) التذم : المستنكف .

(٦) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « يخيسا » .

فإذا استعرج جِلادُه فأنَا الذي اسْتَنْشِيتُ مِنْ مَرَدٍ <sup>(١)</sup> اليقين لبوساً <sup>(٢)</sup>  
 وإذا طفا فِرْعَوْنُه فأنَا الذي مِنْ حُرِّه وأذاه عُدْتُ بِموسى  
 أنا ذا أبوشواه <sup>(٣)</sup> مِنْ يَحْمِي الحِمَى لَيْثًا وَيُعْلِمُ بِالزَّيْرِ الحِيسَا  
 بِحِمَى أَبِي حَمُو حَطَطْتُ رِكَابِي لَمَّا اخْتَبَرْتُ اللَّيْثَ والعَرِيسَا  
 أَسَدُ الهِجَابِ إِذَا خَطَا قَدُمَا سَطَا فَيُخَلِّفُ الْأَسَدَ الهِزْبُ فَرِيسَا  
 بَذَرُ الهُدَى يَبْأِي الظَّلَالُ ضِيَاؤُه أَبَدًا فَيَجْلُو الظِّلَّةَ الحِنْدِيسَا <sup>(٤)</sup>  
 جَبَلُ الوَقَارِ رَسَا وَأَشْرَفَ وَاعْتَلَى وَسَمَا فَطَاطَتِ الجِبَالُ رُومَا  
 عَيْثُ النِّوَالِ إِذَا الْعَامُ حَلَوْبُهُ مَثَلْتُ بِأَيْدِي الحَالِبِينَ بَسُومَا <sup>(٥)</sup>  
 تَلْقَاهُ يَوْمَ الْأَنْسِ رَوْضًا نَاعِمًا وَتَرَاهُ بَاسًا فِي الهِجَابِ بَثِيسَا  
 كَمْ غَمْرَةٍ جَلَى وَكَمْ خَطْبٍ كَفَى إِنْ أَوْطَأَ الجُرْدُ العِتَاقَ وَطِيسَا  
 كَمْ حِكْمَةٍ أَبْدَى وَكَمْ قَصْدٍ هَدَى لِلسَّالِكِينَ أَبَانَ مِنْهُ دَرِيسَا <sup>(٦)</sup>  
 أَعْلَى بَنَى زِيَانَ وَالْفَذَّ الذي لَيْسَ الكَمَالُ فَزَيْنَ التَّلْبُوسَا  
 جَمَعَ النَّدى والبَاسَ والشِّيمَ المَلَا وَالشُّودَدَ للتَوَاتَرِ القُدُومَا <sup>(٧)</sup>  
 والحِلْمَ لَيْسَ يُبَايِنُ الخُلُقَ الرِّضَا والعِلْمَ لَيْسَ يَمَارِضُ النَامُوسَا

(١) سرد اليقين : أى درع من اليقين .

(٢) كَذَا فِي ط وَنَفَحَ الطَّيْبُ . وَفِي ت : « الْبُوسَا » .

(٣) كَذَا فِي نَفَحَ الطَّيْبُ . وَفِي الْأَسْلِينَ : « مَوَاهِي » .

(٤) الجنديس : الشديد الظلة .

(٥) البسوس : الناقة التي لا تمر إلا على الإبل ، أى التلطف ، بأن يقال لها : بس بس ، فكينا لها .

(٦) الدريس : الطريق الحق .

(٧) القدموس : القديم .

والسعد يغني حكمه عن نصبة      تستخيرُ التربعَ والتسديسا  
 كم راض صعبا لا يراضُ مُعاصيا      كم خاض حربا لا يُخاضُ ضرُوسا  
 بلغَ التي لا فوقها متهولا      وعلا الشها واستغفلَ البرجيسا<sup>(١)</sup>  
 يا خيرَ مَنْ خفقت عليه سحابة      للنصر تُنظره أجشُّ بجيسا<sup>(٢)</sup>  
 وأجلَ مَنْ حَلَّتْهُ صهوةُ ساج      إن كرهَ ضعيفُ كرهه الكرُدوسا<sup>(٣)</sup>  
 قَمَماً بَيْنَ رُفَعِ السَّمَاءِ بغيرِ ما      عَمَدٍ وَرَفَعَ فوقها إدريسا  
 ودحا البسيطة فوق لُججٍ مَزِيدٍ      ما إن يَرال على القَوارِ حَبِيسا  
 حتَّى يُهَيِّبَ بأهلِهِ الوعدُ الذي      حَشَرَ الرئِيسَ إِلَيْهِ والمرهوسا  
 ما أنتَ إِلَّا ذِخْرُ دِهْرِكَ دُمْتَ فِي الصَّوْنِ الحَرِيزِ مُتَمَتِّعا محروسا  
 لو ساومتَ الأرضُ فَيَكُ بِما حوتُ      لَرَأَاكَ مُسْتَمَاتاً بِهَا مَبْخُوسا  
 حلفُ<sup>(٤)</sup> البُرُورِ بِهَا أَلِيَّةٌ صَادِقِ      وَيَمِينُ مَنْ عَقَدَ اليَمِينَ عَمُوسا<sup>(٥)</sup>  
 مَنْ قَاسَ ذَاتَكَ بِالذَّوَاتِ فَإِنَّهُ      جَهَلَ الوِزَانَ وَأَخْطَأَ للتَقْيِيسا  
 لَا تَسْتَوِي الْأَعْيَانُ فَضْلَ مَرْيَمَ      وَطَبِيعَةَ فَطَرَ الْإِلَهَ وَسُوسا<sup>(٦)</sup>  
 لِعَنَاءِ التَّخْصِيسِ سَرٌّ غَامِضُ      مِنْ قَبْلِ ذَرَّةِ الْخَلْقِ خَصَّ نَفُوسا  
 مَنْ أَنْكَرَ الْفَضْلَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ      جَحَدَ الْعِيَانِ وَأَنْكَرَ الْحُوسا

[١٦٧]

(١) البرجيس (بالكسر) : نجم ، أو هو المشتري .

(٢) بجيسا : غزيرا .

(٣) الكرُدوس : القطة العظيمة من الحيل .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « كلف » .

(٥) يمين : يكذب . واليمين النمس : التي تنفس صاحبها في الإثم ثم في النار ، وهي

الكاذبة التي يعمدها صاحبها علما بأن الأمر بخلافه .

(٦) الوس : الطبيعة والسجية .

من دَانِ بالإخلاص فيكَ فَقَدْهُ      لا يَقْبَلُ التَّوْبَةَ      والتَّوْبَةَ  
 والْمُنْتَمَى الْعَلَوِيُّ عَيْصُكَ لَمْ تَكُنْ      لَتَرَى دَخِيلًا فِي بَيْتِهِ دَسِيسًا<sup>(١)</sup>  
 بَيْتَ الْبَتُولِ وَمُنْتَمَى الشَّرَفِ الَّذِي      تَحْيَى الْمَلَائِكُ دَوْحَهُ التَّغْرُوسَا  
 أَمَّا سِيَاسَتُكَ الَّتِي أَخْكَمْتَهَا      فَرَمَيْتَ بِالتَّقْصِيرِ أَشْطَالِيَا  
 فَلَوْ أَنَّ كِسْرَى الْفَرَسِ أَبْصَرَ بَعْضَهَا      مَا كَانَ يَطْمَعُ أَنْ يُعْذِرَ سَوْسَا<sup>(٢)</sup>  
 لَوْ سَارَ عَدْلُكَ فِي السَّنِينَ مَا اشْتَكَتْ      بَخْسًا وَلَمْ يَكُ بَعْضُهُنَّ كَبِيسَا  
 وَلَوْ الْجَوَارَى الْخُنُسُ انْتَسَبَتْ إِلَى      أَقْوَامٍ عَزَّكَ مَا خَسَّنَ خُنُوسَا<sup>(٣)</sup>  
 قُدَّتِ الصَّعَابُ فَكُلَّ صَغْبٍ سَامِعٌ      لَكَ بِالْقِيَادِ وَكَانَ قَبْلُ شُمُوسَا  
 تَلَقَّى اللَّيْثُ وَلِلْقَتَامِ عَسَامَةٌ      قَدَحَ الصَّفِيحُ وَمِصْغَا التَّقْبُوسَا  
 وَكَانَتْهَا تَحْتَ الثَّرْوَعِ أَرَاقِمُ      يَنْظُرُنَ مِنْ خَلَلِ الْمَغَافِرِ شُوسَا<sup>(٤)</sup>  
 مَا لَبَنَ مَامَةً فِي الْقَدِيمِ وَحَاتِمُ      ضَرَبَ الزَّمَانُ بِجُودِمِ نَاقُوسَا<sup>(٥)</sup>  
 مِنْ جَاءَ مِنْهُمْ مِثْلَ جُودِكَ كَلَمَا      حَسِبُوا الْمَكَارِمَ كُسُوةَ أَوْ كِيَا  
 أَنْتَ الَّذِي افْتَكَّ السَّفِينِ وَأَهْلَهُ      إِذْ أَوْسَمْتَ سُبُلَ الْإِخْلَاصِ طُمُوسَا  
 أَنْتَ الَّذِي أَمْدَدْتَ ثَغْرَ اللَّهِ بِالْصَّدَقَاتِ تُبْلِسُ كَرَّةً إِبْلِيسَا  
 وَأَعْنَتَ أُنْدُلُسَا بِكُلِّ سَبِيكَةٍ      مَوْسُومَةٍ لَا تَعْرِفُ التَّدْلِيسَا

(١) العيس : الأصل .

(٢) في نفع الطب الطبوع والمخطوط : « بسوسا » .

(٣) الجوارى الخنس : منها زحل والريخ والشمس وعطارد والزهرة ؛ وخنوسها : اختفاؤها .

(٤) شوسا : ناظرة بمؤخر العين غضبا .

(٥) ابن مامة : هو كعب ، وهو من أجواد العرب .



وَسَحَنَتْهُ بِالْبَرْ فِي سُبُل الرضا والبرِّ قارب قاعُها القاموسا  
 إِن لم تَجْرَ بها الخَيْسَ فطالما جَهَزَتْ فيها للنَّوَالِ خيما  
 وَمَلَأَتْ أَيْدِيهَا وقد كَادَتْ على حُكْم القضاء تُشابه التَّكْلِيسا  
 صَدَقَتْ لِلآمالِ صَنْعَةُ جَابِرٍ<sup>(١)</sup> وَكَفَيْتَهَا التَّشْمِيعَ والتَّشْمِيسا<sup>(٢)</sup> [١٦٨]  
 وَالْحَلَّ والتَّقَطِيرَ والتَّصْمِيدَ والدَّ خَيْرَ والتَّصْوِيلَ والتَّكْلِيسا<sup>(٣)</sup>  
 فَسَبَكَتْ مِنْ آمَالِهَا مَالًا وَمِنْ أَوْرَاقِهَا وَرِقًا وَكُنَّ طُرُوسًا  
 يَهْتَوُونَ فَلَمَّا اسْتَخْبِرُوا لم يُنْكِرُوا وَزَنَا وَلَا لَوْنَا وَلَا مَلُوسًا  
 تَذِيرَ مَنْ قَلَبَ السُّطُورَ مَبَائِكَا مِنْهَا وَمَنْ طَبَعَ الحُرُوفَ قُلُوسًا  
 وَنَحَوَتْ نَحْوَ الفَضْلِ تَعْقِدُ مِنْهُ بِالسُّمُوعِ مَا أَلْقَيْتَ مِنْهُ مَقِيسًا  
 وَجَبَرَتْ بِمَدِّ الكَسْرِ قَوْمَكَ جَاهِدَا تُغْنِي التَّدِيمَ وتُطْلِقُ التَّخْبُوسَا  
 وَنَشَرَتْ رَايَةَ عِزِّهِمْ مِنْ بَعْدَمَا دَالَ الزَّمَانُ فَسَامَهَا تَشْكِيسَا  
 أَحْكَمَتْ حِيلَةَ بُرْهَانِهِمْ بِلَطَافَةٍ قَدْ أَعْجَزَتْ فِي الطَّبِّ جَالِينُوسَا  
 وَقَلَّتْ مِنْ حَذِّ الزَّمَانِ وَإِنِّهِ أَوْحَى وَأَمْنَى مِنْ غِرَارِ الثُّومَى  
 وَشَحَذَتْ حَذًّا كَانَ قَبْلُ مُثْلَا وَنَعَشَتْ جَدًّا كَانَ قَبْلُ نَعِيسَا

(١) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ١٧١ من هذا الجزء) .

(٢) التَّشْمِيعُ : تلين الشيء وتصفيره كالشمع . (عن مفاتيح العلوم للخوارزمي) .

(٣) الحل : أن يجعل المتعدات مثل الماء . والتقطير : مثل صنعة ماء الورد ، وهو أن يوضع الشيء في القمع ويوقد تحته ، فيصعد ماؤه إلى الأنبيق ، وينزل إلى القابلة ، ويجمع فيه . والتصعيد : شبيه بالتقطير ، إلا أن أكثر ما يستعمل في الأشياء اليابسة . والتصويل : أن يجعل الشيء الذي يرسب في الرطوبات مائيا ، وذلك أن يصير مثل الهباء حتى يصول على الماء . والتكليس : أن يجعل جسد في ميزان مطينة ويجعل في النار حتى يصير مثل الدقيق . والشيء يكلس ثم يصول . (عن مفاتيح العلوم) .

لم تَرْجُ إِلَّا اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ      فِي شِدَّةٍ تُكْنَى وَجُرْحَ يُوسَى  
 قَدِمْتَ صَبِيحًا فَاسْتَضَاتْ بِنُورِهِ      وَوَجَدْتَ عِنْدَ الشَّدَةِ التَّنْفِيسَا  
 مَا أَنْتَ إِلَّا فَالِحٌ <sup>(١)</sup> مُتَيَقِّنٌ      بِالنَّجْحِ تَعْمُرُ ثَمَرًا وَيَبْسِيَا  
 وَمُتَاجِرٌ جَلَّ الْأَرِيكَةَ صَهْوَةً      عَرَبِيَّةً وَالْمَتَكَ الْقَرْبُومَا <sup>(٢)</sup>  
 مَا إِنْ تَبَايَعَ أَوْ تُشَارَى <sup>(٣)</sup> وَانْقَا      بِالرَّيْحِ إِلَّا الْمَالِكَ الْقُدُومَا  
 وَالْعَزْمُ يَفْتَرِعُ النُّجُومَ بِنَاوِهِ      مَهْمَا أَقَامَ عَلَى التَّقَى تَأْسِيَا  
 وَمَقَامَ صَبْرِكَ وَاتَّكَالِكَ مُذْ كِرٌ      بِحَدِيثِهِ الشَّيْلَى أَوْ طَاوُومَا <sup>(٤)</sup>  
 وَمَنْ ارْتَضَاهُ اللَّهُ وَفَّقَ سَعْيَهُ      فَرَأَى الْعَظِيمَ مِنَ الْحِفْظِ خَسِيَا  
 مَا أَزْدَدَتْ بِالْمُتَحِيصِ إِلَّا جِدَّةً      وَنُضُوتَ مَنْ خِلَعَ الزَّمَانَ لَبِيسَا  
 وَلَطَالَمَا طَرَقَ الْخُصُوفُ أَهْلَةً      وَلَطَالَمَا اعْتَرَضَ الْكُصُوفُ شُمُوسَا  
 ثُمَّ انْجَلَتْ نَسَائُهَا عَنْ مَشْرِيقِ      لِلسَّعْدِ لَيْسَ بِحَاذِرِ تَعْمِيسَا  
 خُذْهَا إِلَيْكَ عَلَى التَّوَيِّ سَيْنِيَّةٍ      تُرْضِي الطَّبَاقَ وَتُشْكِرُ التَّجْنِيسَا  
 إِنْ طُوِلَتْ <sup>(٥)</sup> بِالذَّرِّ مِنْ حَوْلِ الطُّلَى      يَوْمَا تَشْكُتُ حَظَهَا الدَّوْكُومَا  
 لَوْلَاكَ مَا أَضْفَتِ لِحِطْبَةِ خَاطِبِ      وَلَمُنَسَّتْ فِي بَيْتِهَا تَعْنِيسَا  
 قَصَدَتْ سَلْيَانَ الزَّمَانِ وَقَارَبَتْ      فِي الْخَطْوِ تَحْسِبُ نَفْسَهَا بَلْقِيسَا

(١) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَنَفَحَ الطَّيْبُ . وَفِي ت : « وَالْج » .

(٢) الْفَرَبُوسُ : حَنُورُ السَّرَجِ .

(٣) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيْبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « مَا إِنْ يَبَايَعَ أَوْ يُشَارَى » .

(٤) الشَّيْلَى : هُوَ أَبُو بَكْرٍ دَلْفُ بْنُ جَعْدَرِ الصُّوفِيِّ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٣٣٤ هـ .

وَطَاوُوسٌ : هُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ أَبُو سَعِيدٍ الْمَالِي الصُّوفِيِّ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ

سَنَةَ ٤١٢ هـ .

(٥) كَذَا فِي ط وَنَفَحَ الطَّيْبُ . وَفِي ت : « طُولُ » .

لى فيك ودّ لم أكن من بعدما أعطيت صفة عهد لأخيسا  
 كم لى بصحة عقده من شاهد لا يحذر التجريح والتأديسا  
 يفتو الشهادة باليمين وإنه لمؤمن من أن يُعدّ فيسا<sup>(١)</sup>  
 لا يستقر قرار أفكارى إلى أن أشتقر لدى علاك جليسا  
 وأرى تجهاك مستقيم السير للقفد الذى أعملته معكوما [١٦٩]  
 هى دين أياى فإن سمحت به لم يبق من شىء عليه يؤسى  
 لا زال صنع الله مجنوبا إلى مثواك يهذى البشر والتأديسا  
 مبتابما كتتابع الأيام لا يذرّ التعاقب جمعة وخميسا  
 فلو أنصفتك إيالة لللك التى رُضت الزمان لها وكان شريسا  
 قوتت بذكرك واللاء لك الذى تختاره التسبيح والتفديسا  
 القلب أنت لها رئيس حياتها لم تعتبر مها صلحت رئيسا  
 قال الحافظ أبو عبد الله التّنىسى، رحمه الله ورضى عنه : هذا ابن الخطيب  
 فى هذه السّينية حدّو أبى تمام فى قصيدته التى أولها :

أقشيب ربهم أراك دريسا تقرى ضيوفك لوعة ورّيسا  
 واختلس كثيرا من ألفاظها ومعانيها . انتهى .

نثر له أيضا  
 وصل به  
 القصيدة

ووصل ابن الخطيب هذه السّينية بنثر بارع يخاطب به السلطان أبا سمّو  
 للذكور، ونصه :

(١) السّيس : الأحمق الضيف العقل . وفى ت : « قيسا » بالالف بدل الفاء ،  
 وهو تصحيف .

« هذه القصيدة ، أبقى الله أيام المثابة المولوية الموسوية ممتعة بالشمل المجموع ،  
والثناء للمسموع ، والملك للنصور الجموع ؛ نَفَثَةٌ من باح بسرّ هواه ، ولقي دعوة  
الشوق العابث بلبه <sup>(١)</sup> وقد ظفّر بمن يهدي خير جواه إلى محلّ هواه ؛ ويختلس  
بعث تحييته ، إلى مُثِير أريحته ؛ وهي بالنسبة إلى ما يعتقد من ذلك الكمال ، الشاذّ  
عن الآمال ؛ عُنوان من كتاب ، ودَوّاق من أوقار ذات أفتاب ؛ وإلا فن يفوم  
بحق تلك المثابة لسانه ، أو يكافئ إحسانها إحسانه ؛ أو يستقل بوصفها يراعه ،  
أو تهض بأيسر وظيفها ذراعه ؛ ولا مكابرة بعد الاعتراف ، والبحر لا ينفد  
بالاعتراف ؛ لا سيما وذاتكم اليوم والله يُقيّمها ، ومن المكارة يقيّمها ، وفي معارج  
القرب من حضرة القدّس برّقيها ، ياقوتة اختارها واعتبرها ، ثم بلاها بالتحخيص  
في سبيل التخصيص واختبرها ، وسبيكة خلصها وسجّرها ، نخلصها بسجّره  
من الشوب ، وأبرزها من لباب الذّوب <sup>(٢)</sup> ؛ وقصرت عن هذه الأثمان ، وسرّ  
بصدق دعواه <sup>(٣)</sup> البهرمان <sup>(٤)</sup> ؛ ليفاضل بين الجّهام والصيّب ، ويميّز الله الخبيث  
من الطيّب ؛ فأراكم أن لا جدوى للعديد ولا للمُدّه ، وعرفكم بنفسه في حال  
الشّدّه ، ثم فسّح لكم بعد ذلك في المُدّه ؛ لتعرفوه إذا دال الرّخاء ، وهبّت بعد  
تلك الزعازع الرّيح الرّخاء ؛ وملاكم من التجارب ، وأوردكم من أطافه أعذب  
المشارب ؛ ونقلكم بين إصرار الزمان وإحلاله ، ولم يسلبكم إلا حقيرا عند أولياته ؛

(١) وردت هذه البارة محرفة في ت هكذا : « ودعوة الشوق الثابت بلبه » .

(٢) وردت هذه البارة في الأصلين هكذا : « وسبيكة خلصها وشعرها نخلصها  
الصغيرة من الشوب وأبرزتها من ... الخ » . وفي فتح الطيب : وسبيكة خلصها  
وسخرها ، نخلصها لتسخيره من الشوب ... الخ » . والعبارة في كل ذلك قلقة ،  
ولعل ما أبتناه أقرب إلى المعنى المراد . والسجّر : مصدر سجر التنور ونحوه ،  
إذا أحمأ .

(٣) كذا في فتح الطيب . وفي ت : « دموعه » . وفي ط : « دعوته » .

(٤) البهرمان : الصفر ، وهو دون الأرجوان شدة حمرة .

وأعادكم المعاد المطهر ، وألبسكم من أثواب اختصاصه المُعَلَّم المشهر ؛ فأنتم اليوم  
 بعين العناية ، بالإفصاح والكناية ، قد وقف الدهر بين يديكم موقف الاعتراف  
 بالجناية ؛ فإن كان الملك اليوم علماً يُدْرَس ، وقوانين في قوة الحفظ تُعْرَس ،  
 وبضاعة برصد التجارب تُحْرَس ؛ فأنتم مالك دار هجرته المحسوبة ، وأصمعي  
 شعوبه المنسوبة ؛ إلى ما حُزِمَ من أشات الكال ، الرُبية على الآمال ؛ فالبيت  
 علوى المنتسب ، والمُلك بين الموروث والمكتسب ؛ والجود يترف به الوجود ،  
 والدين يشهد به الركوع والسجود ؛ والبأس تعرفه التهام والتجود ، والخلق  
 يحسده الروض التجود ؛ والشعر يفترف من عذب غير ، ويصدق من قال  
 بُدئى بأمرٍ وختم بأمر ؛ وإن مملوكم حوَم من بابكم على العذب البرود ،  
 ففاهه الدهر عن الورود ؛ واستقبل أفعه ليحقق الرشد ، ولكنه أخطأ القصد ؛ [١٧١]  
 ومن أخطأ الغرض أعاد ، ورجا من الزمان الإسعاد ؛ فر بما خبي نصيب ، أو كان  
 مع الخواطي سهم مُصيب ؛ وكان يؤمل حبة ركاب الحجاز ، فانتقلت الحقيقة  
 منه إلى المجاز ؛ وقطعت القواطع التي لم ينلها الحساب ، ومنعت الموانع التي خلص  
 منها إلى الفتنة الانتساب ؛ ومن طلب الأيام أن تجري على اقتراحه ، وجب  
 العمل على أطراحه ؛ فإنما هي البحر الزاخر ، الذي لا يدرك منه الآخر ؛ والرياح  
 متفابره ، والسفينة الحاثره ؛ فتارة يتعذر من الرضى الصرف ، وتارة تقطع المسافة  
 البعيدة قبل أن يرتد الطرف ؛ هذا إن سالها عطبها ، وأعفى من الوقود حطبها ؛  
 ولقد علم الله جلّ جلاله أن لقاء ذلك اللقّام الكريم عند الملوك تمام المطلوب ،  
 من<sup>(١)</sup> يجبر كسر القلوب ؛ فإنه مما انعد على كاله الإجماع ، وصح في عوالم  
 معاليه السماع ، وارتفعت في وجود مثاله الأطماع ؛ أخلاقاً هذبها الكرم الوضاح ،

(١) كذا في ط ونسخ الطيب . وفي ت : « فن » .

وسجية كَلَّفَ بها السَّكَّالَ الفَضَّاح ؛ وحِرْصاً على الذِّكْرِ الجليل ، وما يتنافس فيه  
إلا من سميت هممه ، وكرُمَت ذممه ، وألَّفت الخلد رِمْمَهُ ؛ إذ الوجود سراب ، وما  
فوق التراب تراب ؛ ولا يبقى إلا عمل راق ، أو ذكر بالجميل يُسَطَّرُ في أوراق<sup>(١)</sup> ؛  
حسباً قلت من قصيدة كتبها على ظهر [مكتوب]<sup>(٢)</sup> موضوع ، أشار به من  
كانت له طاعة ، فوفت بمقترحه استطاعه :

يمضي الزمان فكلٌّ فانٍ ذاهبٌ      إلا جميل الذِّكْرِ فهو الباقي  
لم يبق من إخوان كسرى بعد ذا      لك الحقل إلا الذِّكْرُ في الأوراق  
هل كان للسفاح وللنصور والسمهدهى من      ذِكْرٍ على الإطلاق  
أو للرشييد وللأمين وصنوه      لولا شمسبأة راعية الزقاق  
رجع التراب إلى التراب بما اقتضت      في كلِّ خلقٍ حِكْمَةُ الخَلْقِ [١٧٧٢]  
إلا الثناء الخالد العطر الشذا      يَهْدِي حديث مكارم الأخلاق

والرغبة من مقامكم الرفيع الجناب ، أن يَمَكِّنْها من حُسْنِ الثَّابِ<sup>(٣)</sup> ؛ فتحظى  
بجُلُولِ ساحته ، ثم بِلُحْمِ راحته ؛ ثم بالإصغاء ، ولا مزيد للابتغاء ؛ إلى أن ترتفع  
الوساطه ، وتغنى عن التركيب البساطه ؛ ويُنسى الأثر بالعين ، ويُحسِن الدهر  
قضاء الدين ؛ ونسأل الذي أغرى بها التريجه ، ولم يجعل الباعث إلا المحبة الصريحة ؛  
أن يُبْقِيَ تلك اللَّثَابَةَ زِينَةً للزمان ، ودُخْرًا مكنوناً باليمن والأمان ، مظلاً برحمة  
الرحمن ، بفضلهِ وكرمه . انتهى .

ومن مقطوعاته ، أي ابن الخطيب ، البديعة في مخاطبة هذا السلطان أبي حمز  
صاحب تِلْسان ، قوله يشكره على ما كان أعان به أهل الأندلس :

بعض مقطوعات  
لابن الخطيب  
في السلطان  
أبي حمز

(١) في ط : « أو ذكر جيل » .

(٢) زيادة عن نفع الطيب .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « الثاب » .

لقد زارَ الجزيرة منك بحرٌ      يُدّ فليس تعرف منه جزراً  
أعدتَ لها بهدك عهد موسى      سمّيك فهي تلو منه ذِكراً  
أفتَ جدارها وأفدتَ كنزاً      ولو شئت اتخذت عليه أجراً

وقوله :

وقالوا الجزيرة قد صوّحتُ      فقلت : غمامَ الندى تنتظرُ  
إذا وكفتُ كفُّ موسى بها      غماما يعود الجنابُ الخضرُ  
ومخاطبات الوزير ابن الخطيب للسلطان أبي هو كثيرة جدا ، ولتقتصر منها  
على ما ذكرناه .

ومن نظم ابن الخطيب رحمه الله :

يا إمام الهدى وأى إمام      أوصَحَ الحقَّ بعد إخفاء رُسمه  
أنتَ عبدُ الحليم حليمك نرجو      فالمسمى له نصيبٌ من اسمه

[وله يخاطب عبد الواحد بن زكرياء بن أحمد اللحياني أبا مالك ابن سلطان  
إفريقية مودّعا :

أبا مالك أنتَ نجمُ الملوكِ      غيوثِ الندى وليوثِ التّزالِ  
ومثلك برتاح للسكرُ ماتِ      ومالكَ بين الورى من مثالِ  
عزيرِ بأنفسنا أن نرى      ركابك مؤذنةً بارتحالِ  
وقد خبّرتُ منك خلقاً كريماً      أناف على درجاتِ الكمالِ  
وقازتُ<sup>(١)</sup> لديك بساعات أنس      كما زار في الليل طيفُ الخيالِ  
ولولا تعلُّنا أنسا      نزورك<sup>(٢)</sup> فوق بساطِ الجلالِ

(١) كنا في فتح الطيب ( ج ٤ ص ١٧٦ ) . وفي الأصلين : « وجازت » .

(٢) كنا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « بزورك » .

شعره يودع به  
عبد الواحد ابن  
سلطان إفريقية

وَنَبْلُغُ فِيكَ الَّذِي نَبْتَغِي وَذَاكَ عَلَى اللَّهِ سَهْلُ الْمُنَالِ  
لَمَّا فَتَرْتُ أَنْفُسَ مَنْ أُمِّي وَلَا بَرَحْتُ أَدْمَعُ فِي انْهَمَالِ  
تَلَقَّيْتُكَ حَيْثُ احْتَلَّتِ السَّعُودُ وَكَانَ لَكَ اللَّهُ فِي كُلِّ حَالٍ  
وَتَوَفَّى أَبُو مَالِكٍ الْمُخَاطَبُ بِهَذَا بَيْلِدَ الْبَرِيدِ سَنَةَ خَمْسِينَ وَسَبْعِينَ مِثَّةً <sup>(١)</sup>

وَمَنْ أَبْدَعَ مَا وَقَعَ لِابْنِ الْخَطِيبِ لِامِيَّتِهِ الَّتِي أَوْهَا :

\* الْحَقُّ يَعْلُو وَالْأَبَاطِلُ تَسْفَلُ \*

قَالَ ابْنُ حِجَّةٍ فِي شَرْحِ بَدِيعِيَّتِهِ ، الَّذِي سَمَاهُ بِتَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ ، مَا نَصَهُ :  
« وَمَا يَشْعُرُ بِالتَّهْنِئَةِ وَالنَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، بِرَاعَةِ الْاسْتِهْلَالِ لِلْعَلَامَةِ إِمَامِ  
الْمَغْرِبِ ، ذِي الْوِزَارَتَيْنِ لِسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ ، وَهِيَ :

مِنْ قَصِيدَةٍ  
« الْمَنْحُ الْغَرِيبُ »  
لـ

الْحَقُّ يَعْلُو وَالْأَبَاطِلُ تَسْفَلُ وَاللَّهُ <sup>(٢)</sup> عَنْ أَحْكَامِهِ لَا يُسْأَلُ [١٧٣]

فَإِنَّهُ قَالَ : نَظَّمْتُ لِلسُّلْطَانِ أَسْعَدَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَا بِمَدِينَةِ سَلَا ، لَمَّا انْفَضَلَ  
طَالِبًا حَقَّهُ بِالْأَنْدَلُسِ ، قَصِيدَةً كَانَ صَنَعَ اللَّهُ بِرَاعَةِ اسْتِهْلَالِهَا <sup>(٣)</sup> ، وَوَجَّهَتْ بِهَا إِلَيْهِ  
إِلَى رُنْدَةٍ قَبْلَ الْفَتْحِ ، ثُمَّ لَمَّا قَدِّمْتُ أَنْشَدْتُهَا [بَيْنَ يَدَيْهِ] <sup>(٤)</sup> بَعْدَ الْفَتْحِ وَفَاءً  
بِنَذْرِي ، وَسَمَّيْتُهَا : « الْمَنْحُ الْغَرِيبُ ، فِي الْفَتْحِ الْغَرِيبِ » ، مِنْهَا قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَإِذَا اسْتَحَالَتْ حَالَةٌ وَتَبَدَّلَتْ فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَبَدَّلُ  
وَالْيَسْرُ بَعْدَ الْعُسْرِ مَوْعُودٌ بِهِ وَالصَّبْرُ بِالْفَرَجِ الْغَرِيبِ مُوَكَّلُ  
وَالْمُسْتَعِدُّ لِمَا يُوْتَلُّ ظَافِرٌ وَكَفَاكَ شَاهِدٌ « قَيِّدُوا وَتَوَكَّلُوا »

(١) فِي نَحْوِ الطَّيِّبِ : سَنَةُ ٧٤٠ .

(٢) فِي شَرْحِ بَدِيعِيَّةِ ابْنِ حِجَّةٍ : « وَالْحَقُّ » .

(٣) فِي شَرْحِ الْبَدِيعِيَّةِ الْمَذْكُورِ : « كَانَ صَنَعَ اللَّهُ مُطَابِقًا لاسْتِهْلَالِهَا » .

(٤) الزِّيَادَةُ عَنْ شَرْحِ الْبَدِيعِيَّةِ لِابْنِ حِجَّةٍ .



أحمد والحمد منك سجية      بحليتها دون<sup>(١)</sup> الورى تتجمل  
أما سعادك فهو دون منازع      عَقْد بأحكام القضاء مُسَجَّل  
ولك السجيا الغرّ والشيم التي      بغريهما يتَمَثَّل المُتَمَثَّل  
ولك الوقار إذا تَزَلَّزَتِ الرُّبا      وهَفَّت من الرُّوع المضاب المَثَل  
عوذ كالك ما استطعت فإنه      قد تنقصُ الأشياء مما تكمل  
تاب الزمان إليك مما قد جَنَى      والله يأمر بالعتاب ويُقَبَل  
إن كان ماضٍ من زمانك قد مضى      بإساءةٍ قد مَرَّكَ المُسْتَقْبَل  
هذا بذاك فشفع الثاني<sup>(٢)</sup> الذي      أرضاك<sup>(٣)</sup> فيما قد جناه الأول  
والله قد ولّاك أمرَ عباده      لما ارتضاك ولايةً لا تُنْزَل  
وإذا تغمّذك الإله بنصره      وقضى لك الحُسنى فن ذا يَخْذُل  
وظعنن عن أوطان ملكك راكبا      مَن<sup>(٤)</sup> العُباب فأى صبر يجمل ؟  
والبحر قد حُنيبت<sup>(٥)</sup> عليك ضلوعه      والريح تقطع للزفير<sup>(٦)</sup> وترُمِل  
ولك الجوارى للنشأت قد أغتدت      تحتالُ في بُرْدِ الشباب وترْفُل  
جَوَاء يحملها ومن حملت به      من يعلم الأثنى وماذا تحمل  
صَبَّحَتَهُم غُرَّرَ الحِياد كأنما      سَدَّ<sup>(٧)</sup> الثَّيْبَةَ عارضُ متهلّل

(١) في شرح البديعية : « بين » .

(٢) كذا في البديعية . وفي الأصولين : « الجاني » .

(٣) كذا في ط . وفي ت : « ارتضاك » .

(٤) كذا في البديعية . وفي الأصولين : « بين » .

(٥) كذا في تنقيح الطيب ، وفي ط : « خفت » وفي ت : « خفت عليه » .

(٦) في البديعية : « تبطلع الزفير » .

(٧) كذا في البديعية . وفي ت : « كأنها يد الثنية » أى بطريق الثنية . وفي ط :

« كأنها أسد الثنية » وهي معرفة عما أنبتاه في صلب الكتاب .

مِنْ كُلِّ مَنْجَرِدٍ أَغْرَ مُحَجَّلٌ      يرى الجياد<sup>(١)</sup> به أغرٌ مُحَجَّلٌ  
زَجَلَ الْجَنَاحَ إِذَا أَجَدَ لِنَارِهِ<sup>(٢)</sup>      وإذا تَفَقَّى لِلصَّهِيلِ قُبْلُبُلٌ  
جِيدَ كَمَا تَفَتَّ الظَّلِيمُ وَفَوْقَهُ      أُذُنٌ مَمَشَّقَةٌ وَطَرْفٌ أَكْحَلُ  
ومنها :

وخليج هندٍ راقٍ حسنُ صفائه      حتى يكاد يعوم<sup>(٣)</sup> فيه الصيقل  
غرقت بصفحته النِّمَالُ وأوشكت      نبى النجاة فأوثقتها الأرجل  
فالصرح منه ممرّد، والصفح منه مؤرّد، والشطّ منه مُصْنَدَلٌ<sup>(٤)</sup>  
وبكل أزرق إن شكت الحَاظُهُ      مرّة العيون فبالعجاجة يُكْحَلُ<sup>(٥)</sup>  
مُتَأَوِّدٌ أعطافه في نشوة      مما يُقَلُّ من الدماء ويُنْهَلُ  
عجياً له أن النجيع بطرفه      رَمَدٌ ولا يخفى عليه مُقْتَلُ  
لله موقفك الذى وثباته      وثباته مَثَلٌ به يُتَمَثَلُ  
والنَّصْلُ خط، والبعجال صحيفة      والسر تنقُط، والصوارم تشكّل  
والبيض قد كسرت حروفُ جُفُونِهَا      وعوامل الأسل المثقف تفعل

وهي طويلة، وجميعها فرائد؛ ولم أكثر منها إلا لعلنى أن كلام لسان الدين  
ابن الخطيب غريب في هذه البلاد. انتهى كلام ابن حجة رحمه الله.

ومن هذه بعد قوله «وطرف أكحل» :

فكأنما هو صورة في هيكل      من لطفه وكأنما هو هيكل

(١) كذا في البديعة. وفي الأصلين : «الجلاد» .

(٢) في ت والبديعة : «لناية» .

(٣) في البديعة . «يقول» .

(٤) في ط والبديعة ونجح الطيب : «مهدل» .

(٥) مره العيون : خلوها من السكحل ، أو فسادها لتركه .

ومنها ، بعد قوله : « والبيض قد كسرت » البيت ، قوله :

لَهُ قَوْمُكَ عِنْدَ مُشْتَجَرِ الْقَنَا إِذْ تَوَّبَ الدَّاعِيَ الْمُهَيَّبَ وَأَقْبَلُوا  
قَوْمَ إِذَا لَفَحَ الْهَجِيرُ وَجُوهَهُمْ حَجَبُوا بِرَايَاتِ الْجِهَادِ وَظَلَّلُوا

ومن مقطوعات ابن الخطيب قوله لما أشرف على مراکش :

مَاذَا أُحْدِثَ عَنْ بَحْرِ سَبَّحَتْ بِهِ مِنَ الْبَحَارِ فَلَا إِثْمَ وَلَا حَرَجَ  
دَحَاهُ مَبْتَدِعُ الْأَشْيَاءِ مُسْتَوِيَا مَا إِنْ بِهِ دَرَكٌ كَلًّا وَلَا دَرَجَ  
حَتَّى إِذَا مَا لِلنَّارِ الْفَرْدُ لَاحَ لَنَا صَحَّتْ أَبْشَرِي بِأَمْطَايَا<sup>(١)</sup> جَاءَكَ الْفَرَجُ  
قَرُبْتُ مِنْ عَامِرٍ دَارًا وَمَنْزِلَةً وَالشَّاهِدُ الْمَدْلُ هَذَا الطَّيِّبُ وَالْأَرْجُ  
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

كَأَنَّا بِتَامِسُنَا نَجْمُوسُ خِلَالَهَا وَمَمْدُودَهَا فِي سِيرِنَا لَيْسَ يُقْصَرُ  
مَرَاكِبُ فِي الْبَحْرِ الْحَيْطُ تَحْبُطُ وَلَا جِهَةٌ تَذَرِي وَلَا الْبَرُّ يُبْصَرُ

قال ابن الخطيب : ولما قضى الله عز وجل بالإدالة ، ورجعنا إلى أوطاننا  
من المُدَوَّة ، واشتهر عنى ما اشتهر من الانتقياض عن الخدمة ، والتَّيَّه على  
السلطان ، والدَّالَّة<sup>(٢)</sup> والتَّكْبَرُ على أَعْلَى رَتَبِ الْخِدْمَةِ ، وتطارحتُ على السَّاطِئِ  
في استنجاز وَعَدِ الرَّحْلَةِ ، ورغبت في تَبَرُّة<sup>(٣)</sup> النِّمَّة ، ونفرت عن الْأَنْدَلُسِ بِالْجُمْلَةِ ،  
خَاطِبُنِي ، يعنى أبا جعفر بن خاتمة ، بعد صدر بلغ من حسن الإشارة ، وبراعة  
الاستهلال الغاية ، بقوله :

(١) هذه الكلمة ساقطة في ت .

(٢) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « والدولة » .

(٣) كذا في فتح الطيب . وفي ت : « تدية » وفي ط : « تنويت » .

من مقطوعات له  
لما أشرف على  
مراكش

كتاب ابن خاتمة  
إلى ابن الخطيب

« وإلى هذا يا سيدي ومحل تعظيمي وإجلالي ، أمتع الله تعالى بطول بقائكم ، وضاعف في العز درجات ارتقاكم <sup>(١)</sup> ؛ فإنه من الأمر الذي لم ينب عن رأي العقول ، ولا اختلف فيه أرباب العقول ؛ أنكم بهذه الجزيرة شمس أقمها ، وتاج منرقها ؛ وواسطة سلكها ، وطراز ملكها ؛ وقلادة نحرها ، وفريدة دُرّها <sup>(٢)</sup> ، وعقد جيدها [ المنصوص ] <sup>(٣)</sup> ، وكال زينها <sup>(٤)</sup> على العموم والخصوص ؛ ثم أتم مدار أفلاكها ، وسر سياسة أملاكها ؛ وترجمان بيانها ، ولسان إحسانها ، وطبيب <sup>(٥)</sup> مازستانها ؛ والذي عليه عقد إدارتها ، وبه قوام إمارتها ؛ فلدّيه يُحلّ المشكل ، وإليه يلتجأ في الأمر المعضل ؛ فلا غرو أن تنقيد بكم الأسماع والأبصار ، ونحذق بحكم الأذهان والأفكار ؛ ويُزجر عنكم السائح والبارح ، ويُستنبأ ما تطرّف عنه العينُ وتختلج الجوارح ؛ استقراء لمرامكم ، واستطلاعاً لطالع اعتزامكم ، واستكشافاً عن مراعى سهامكم ؛ لا سيما مع إقامتكم على جناح خُفوق ، وظهوركم في مُلتَمَع بُروق ، واضطراب الظنون فيكم مع الغروب والشروق ؛ حتى تستقر بكم الديار ، ويلقي عصاه التسيار ؛ ولها العذر في ذلك ، إذ صدّعها بفراقكم لم يندمل ، وسرورها ببقائكم لم يكتمل ؛ فلم يَبْرَ بَعْدُ جناحها التهيّض ، ولا جَمَ ماؤها المنقيض ، [ ١٧٦ ] ولا تميزت من داجيها لياليها البيض ؛ ولا استوى نهارها ، ولا تألّقت أنوارها ؛ ولا اشتملت نعاؤها ، ونسيت غماؤها ؛ بل هي كالناقة ، والحديث العهد بالمكاره ، تستشعر نفس العافية ، وتمسح منكم باليد الشافية ؛ فبحنانكم عليها ، وعظيم

(١) في ط : « ارتفاعكم » .

(٢) في ط : « دهرها » .

(٣) الكلمة عن نفع الطبيب .

(٤) في نفع الطبيب : « وتام زينتها » .

(٥) كذا في نفع الطبيب : « وفي الأصلين : « وطب » .

حرمكم على من لديها ؛ لا تشبوا لها عذب المُجَاج بالأجَاج ، وتقطعوها عما  
 عُودت من طيب اليزاج ؛ فإلدائها — وحية قريبكم — غير طيبكم من علاج ؛ وإني  
 ليخطر بخاطري محبة فيكم ، وعناية بما يقينكم ، ما نال جانبكم — صانه الله — بهذا  
 الوطن من الجفاء ، ثم أذكر ما نالكم من حسن العهد وكرم الوفاء ؛ وأن الوطن  
 إحدى الحواضر الأنظار ، التي يحق لها جميل الاحتفاء ، وما يتعلق بكم من حرمة  
 أولياء القرابة وأوداء الصفاء ؛ فيقلب على ظني أنكم لحسن العهد أجنح ، وبحق  
 نفسكم عن حق أوليائكم أسمع ، ولتي هي أعظم قيمة من فضائلكم أوهب وأسبح .  
 وهب أن الدُر لا يحتاج في الإثبات ، إلى شهادة النحور واللبات ؛ والياقوت  
 غنى المكان ، عن مظاهرة الفلايد والتيجان ، أليس أنه أعلى للعيان ، وأبعد  
 عن مكابرة البرهان ، تألقها في تاج الملك أنوشروان ؛ فالشمس وإن كانت أم  
 الأنوار ، وجلاء الأبصار ، مها أغنى مكانها من الأفق قيل : أليل هو أم نهار ؛  
 وكافى علمكم ما فارق ذوو الأرحام ، وأولو الأحلام ؛ مواطن استقرارهم ، وأما كن  
 قراهم ، إلا برغمهم واضطراهم ، واستبدال دار خير من دارهم ؛ ومتى توازن  
 الأندلس بالمغرب ، أو يعوض عنها إلا بمكة أو يثرب ؟ ما تحت أديمها أشلاء  
 أولياء وعباد ، وما فرقه مرابط جهاد ، ومما قد ألوية في سبيل الله ومضارب  
 أوتاد ؛ ثم يَبْوَى ولده مُبَوِّأً أجداده ، ويجمع له بين طارفه وتلاذه ؛ أعيد  
 أنظركم المسددة من رأى قاتل ، وسعى طويل لم يحل منه بطائل ، فحسبكم من  
 هذا الإياب السعيد ، والقود الحميد . وهي طويلة .

[١٧٧]

قال ابن الخطيب : فأجبت بقبولي :

رد ابن الخطيب  
على كتاب  
ابن عاتمة

لَمْ فِي الْهَوَى الْعُذْرَى أَوْ لَا تَلَمْ  
 شَأْنُكَ تَقْنِينِي وَشَأْنِي الْهَوَى  
 فَالْمَذْلُ لَا يَدْخُلُ أَسْمَاعِي  
 كُلُّ امْرِئٍ فِي شَأْنِهِ سَامِي

أهلاً بِمُحَفَّةِ التَّادِمِ ، وَرِيحَانَةِ الْمُنَادِمِ ، وَذِكْرِي الْهَوَى الْمُتَقَادِمِ ؛ لَا يُصِفِرُ<sup>(١)</sup> اللَّهُ  
مَسْرَاكَ ، بِمَا أَسْرَاكَ ؛ لَقَدْ جُبْتُ<sup>(٢)</sup> إِلَى مَنْ هَوَى لَيْلَا ، وَجِئْتُ رَجُلًا وَخِيَلَا ،  
وَوَقَّيْتُ مِنْ صَاعِ الْوَفَاءِ كَيْلَا ، وَظَنَنْتُ بِي الْأَسْفَ عَلَى مَا فَاتَ فَأَعْلَتُ الْإِلْتِفَاتَ  
لِكَيْلَا ؛ فَأَقْسَمُ لَوْ أَنَّ أَمْرِي الْيَوْمَ بِيَدِي ، أَوْ كَانَتْ اللَّيْمَةُ السُّودَاءُ مِنْ عُدَدِي ؛  
مَا أَقَلْتُ شِرَاكِي الْمَنْصُوبَةَ لِأَمْثَالِكَ ، حَوْلَ الْمِيَاهِ وَبَيْنَ الْمَسَالِكِ ، وَلَا عَلِمْتُ  
مَا هُنَاكَ ؛ لَكِنَّكَ طَرَقْتَ حِمِّي كَسَعْتَهُ الْفَارَةُ السَّمَوَاءُ ، وَغَيَّرْتَ رَبْعَهُ الْأَنْوَاءُ ؛  
نَحْمَدُ بَعْدَ ارْتِجَاجِهِ ، وَسَكَتِ أَذِينُ دَجَاجِهِ ، وَتَلَاعَبْتَ الرِّيَّاحُ الْهُوجَ فَوْقَ بَخَاجِهِ ؛  
وَطَالَ عَهْدُهُ بِالْزَمَانِ الْأَوَّلِ ، وَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مَعْوَلٍ ؛ وَحَيَّا اللَّهُ نَذْبَا  
إِلَى زِيَارَتِي نَذْبَكَ ، وَبَادَا بِهِ الْحِكْمِيَّةُ أَدْبَكَ :

فَكَانَ وَقَدْ أَفَادَ بِكَ الْأَمَانِي كَمَنْ أَهْدَى الشِّفَاءَ إِلَى الْعَلِيلِ

وَهِيَ شَيْمَةٌ بَوْرَكَتٍ مِنْ شَيْمِهِ ، وَهَبَةُ اللَّهِ قَبْلَهُ مِنْ لَدُنِ الشَّيْمَةِ ، وَمِنْ مِثْلِهِ  
فِي صَلَةٍ رَغْنِي ، وَفَضْلٍ سَعْنِي ، وَقَوْلٍ وَوَعْنِي ؟

قَسَمًا بِالْكَوَاكِبِ الزُّهْرِ وَالزَّهْرِ عَاتِمِهِ

[١٧٨]

إِنَّمَا الْفَضْلُ مِثْلُهُ خَتَمْتُ بِابْنِ خَاتِمِهِ

كَسَانِي حُلَّةَ فَضْلِهِ ، وَقَدْ ذَهَبَ زَمَانُ التَّجَمُّلِ ، وَحَمَلَنِي شُكْرُهُ وَكَغِدَدِي وَاهٍ عَنْ  
التَّحَمُّلِ ، وَنَظَرَنِي بِالْعَيْنِ الْكَلِيلَةِ عَنِ الْعَيْبِ فَهَلَا أَجَادُ التَّأَمُّلِ ، وَاسْتَطَلَعَ طَلْعُ  
نَقْيٍ ، وَوَالَى فِي مَبْرَكِ الْمَعْجَزَةِ حَقِّي ، إِنَّمَا أَشْكُو بَقْيِي :

\* وَلَوْ تَرَكْتُ الْقَطَا لَيْلَا لَنَامَا \*

(١) فِي طَوْعِ الطَّيِّبِ : « لَا يُصِفِرُ » .

(٢) كُنَّا فِي تَحِ الطَّيِّبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « جُبْتُ » .

وما حال شمل وِئده مفروق ، وقاعدته فَرُوق ، وصُواع بنى أَيْسه  
مسروق ؛ وقلب قرُحه من عضة الدهر دام ، وجرة حَسْرته ذات احتدام ؛ هذا  
وقد صارت الصغرى ، التى كانت الكبرى ؛ لَشَيْب<sup>(١)</sup> لم يَدَعْ أَنْ يَهِيمَ لَهَا  
نَجم ، ثم تهلل عارضه وانسجم :

لا تجمى هَجْراً على غُربةٍ فالهجر فى تَلَفِ الغريب سريع  
نظرتُ فإذا الجنب ناب ، والنفس فريسة ظُفْر وناب ، والمال أِكيلة آتِهاب ،  
والمر رَهْن ذهاب ، واليد صِفر من كل اكتساب ، وسوق اللعاد مترامية  
والله سريع الحساب :

ولو نُعْطِيَ الخِيَارَ لما افترقنا ولكن لا خيارَ مع الزَّمانِ  
وهبْ أن العمر<sup>(٢)</sup> جديد ، وظل الأمن مديد ، ورأى الاغتياب بالوطن شديد ،  
فما الحُجَّةَ لنفسى إذا صرت بمطَارح جفوتها ، وملاعب هفوتها ؛ ومثاقف قناتها ،  
ومظاهر عُرْها ومَنَاتِها ؛ والزمان ولود ، وزناد الكون غير صُلُود !  
وإذا امرؤ لَدَغَتْهُ أفتى مرة تركته حين يُجَرُّ حَبْلٌ يَفْرُق  
ثم إن الرغْبَ قد ذهب ، والدهر قد استرجع ما وَهَبَ ، والعارض قد اشتبه ؛  
وآراء الاكتساب مرجوحة<sup>(٣)</sup> مرفوضة ، وأسماؤه على الجوار مخفوضة ، والنية  
مع الله على الزهد فيما بأيدي الناس معقودة ، والتوبة بفضل الله عز وجل منقودة ،  
غير معتضة ولا منقودة<sup>(٤)</sup> ؛ والمعاملة سامرية ، ودروع الصبر سابرية ؛ والاقتصاد

[١٧٩]

(١) كذا فى فتح الطيب . وفى الأصلين : « لسيب » وهو تصحيف .

(٢) فى ط : « الأمر » .

(٣) فى ط : « مرجومة » .

(٤) منقودة (الأولى) : من نقد الثمن ، وهو تعجيله . و(الثانية) : من النقد ، وهو

تمييز ما فى الشيء من حسن وقبح .

قد قررت العين بصحبته ، والله قد عوض حب الدنيا بمحبته ؛ فإذا راجعها مثلى  
من بعد الفراق ، وقد رَفَى لَدَغَتَهَا ألف راقٍ ؛ وجمعتني بها الحجرة ، فما الذى تكون  
الأجرة ؟ جل شانى ، وإن رضى الوامق<sup>(١)</sup> وسخط الشانى ؛ إني إلى الله هاجر ،  
وللعرض الأدنى هاجر ، ولأظمان الشرى زاجر ، لنَجْدِ إن شاء الله تعالى أو حاجر ؛  
لكن دعائى للهوى ، إلى هذا المولى النعم هوى ؛ خلعتُ نعلَى الوجود وما خلعت ،  
وشوقى أمرنى فأطعته ، وغالبَ صبرى والله فما استطعته ؛ والحال أغلب ، وعسى  
ألا ينجيب اللّطلب ؛ فإن يسرّ رضاه فأمل كَمَل ، وراحل احتمل ، وحاذر أشجى  
الناقة والجل ؛ وإن كان خلاف ذلك ، فالزمان جم العوائق ، والتسليم بمقامى لائق :

ما بين غمضة عين وانتباهتها يصرف الأمرُ من حال إلى حال

وأما تفصيله هذا الوطن على غيره ، لئمن طيره ، وعموم خيره ؛ وبركة جهاده ،  
وعُمران رُباه ووهاده . بأشلاء عُباده وزُهاده ؛ حتى لا يفضلهُ إلا أحد الحرمين ،  
فحقى برى من المين ؛ لكننى للحرمين جَنَحْتُ ، وفى جو الشوق إليهما سَنَحْتُ ؛  
فقد أفضتُ إلى طريق قصدى مَحَجَّتْ ، ونصرتنى والننهُ لله حُجَّتْ ؛ وقصد سيدى  
أَسْنَى قَصْد توخاه الحمد والشكر ، ومعروف عُرف به التُكْر ؛ والآمال من فضل  
الله بعد تُمْتار ، والله يخلق ما يشاء ويختار ؛ ودعاؤه بظهر النيب مَدَد ، وعُدَّة  
وعَدَد ، وبره حَالِي الظنن والإقامة معتمِل ومعتد ، وبحال المعرفة بفضلهِ لا يَحْصِرهُ  
أمد . والسلام . انتهى .

وقال فى الإحاطة فى ترجمة السلطان أبى سالم ابن السلطان أبى الحسن المربنى ،

بعد كلام كثير ، ما نصه :

من رثاء السلطان  
أبى سالم

(١) كذا فى نفع الطيب . وفى الأصلين : « المواقى » .



[١٨٠]

« فلقد كان بقية البيت ، وآخر القوم دمانة وحياة ، وبعداً عن الشر ، وركونا للعافية ، وأنشدت على قبره الذي وُوريت به جُثته بالقلة من ظاهر المدينة ، قصيدة أدبت فيها بعض حقه ، وهي :

بنى الدنيا بنى لَمْعَ السَّرَابِ      لدوا للموت وابنوا للخرابِ  
انتهى المقصود منه .

ومن نظم ابن الخطيب في الرغبة إلى الله تعالى :

إِلْهِىَ بِالْبَيْتِ الْقُدْسِ وَالْمَسْعَى      وَتَجَمَّعَ إِذَا مَا الْخَلْقُ قَدْ نَزَلُوا جَمْعَا  
وَبِالْمَوْقِفِ لِلشُّهُودِ يَا رَبِّ فِي مَنَى      إِذَا مَا أَسْأَلَ النَّاسُ مِنْ خَوْفِكَ الدِّمْعَا  
وَبِالْمِصْطَفَى وَالصَّحْبِ عَجَلٌ إِقَالَتِي      وَأَنْجَحْ دُعَاؤِي فِيكَ يَا خَيْرَ مَنْ يُدْعَى  
صَدَعْتُ وَأَنْتَ الْمُسْتَغَاثُ جَنَابِهِ      أَقْلُ عَثْرَتِي يَا مَأْمُلِي وَاجْبُرِ الصَّدْعَا

وقال رحمه الله عقب الإياب من الرحلة المراكشية :

أَفَادَتْ وَجْهَتِي بِنَدَاكَ مَالَا      قَضَى دَيْنِي وَأَصْلَحَ بَعْضَ حَالِي  
وَمَتَّعَتْ الْخَوَاطِرَ بِإِنْشِرَاحٍ      وَأَطْرَفَتْ النُّوَائِظَ بِاِكْتِحَالِ  
وَأَبَتْ خَفِيفَ ظَهْرِ وَالْمَطَايَا      بِجَاهِكَ تَشْتَكِي ثِقَلَ الرَّحَالِ  
وَشَانِي لِلْعَالَمِ غَيْرَ شَانِي      وَحَالِي بِالْمَكَارِمِ جِدُّ حَالِ  
فَحُبُّ عِلَاكَ إِيْمَانِي وَعَقْدِي      وَشُكْرُ نَدَاكَ دِينِي وَاتِّحَالِي  
كَأَنَّ قَدْ صَحَّ لَكَ انْقِطَاعِي      بِتَأْمِينِي جَنَابَكَ وَارْتِحَالِي  
وَمَا يَبْقَى سِوَى فِئَلٍ جَمِيلِ      وَحَالُ الدَّهْرِ لَا يَبْقَى بِجِئَالِ  
وَكُلُّ بَدَايَةِ قَالِي أَتْمَاءُ      وَكُلُّ إِقَامَةٍ قَالِي ارْتِحَالِ  
وَمِنْ سَامِ الزَّمَانِ دَوَامُ أَمْرِ      فَقَدْ وَقَفَ الرَّجَاءُ عَلَى الْمُحَالِ

شعره في  
الرغبة إلى الله

شعره  
بعد عودته  
من الرحلة  
المراكشية

وقال رحمه الله في الضراعة إلى مولاه :

مولاي إن أذنبت، يُنكَرُ أن يُرَى منك الكمالُ ومنى النقصان ؟  
والعفو عن سبب الذنوب مُسَبَّب لولا الحِنَاية لم يَكُنْ غُفْرانُ  
[وقال سامحه الله مما كُتِبَ في حيطان المدرسة التي بناها السلطان أبو الحجاج :

وله في مدرسة

ألا هكذا بُنِيَ للدارس للعلم  
وتُبَقِّ عهود المجد ثابتة الرسم  
ويُقصد وجه الله بالعمل الرضا  
وتُجَنَّى ثمار العز من شجر العزم  
تفاخر مني حضرة الملك كلما  
تقدّم خصم في القنار إلى خصم  
فأجدي إذا ضن الغام من الحيا  
وأهدى إذا جَنَّ الظلام من النجم  
فيا ظاعناً للعلم يطلب رحلة  
كفيت اعتراض البيدأ ولُجج اليم  
يباني حُطَّ الرُحْل لا تنو وجهة  
قد فزت في حال الإقامة بالغنم  
فكم من شهاب في سماء ثاقب  
ومن هالة دارت على قر تيم  
يُفيضون من نور مبين إلى هدى  
ومن حكمة تجلو القلوب إلى حكم  
جزى الله عني يوسفًا خير ما جرى  
ملوك بني نصر عن الدين والعلم

وقال ابن الخطيب مررت يوماً مع شيخنا أبي البركات ببعض مسالك  
غُرناطة، فأُشِد من نظمه :

وله في غرناطة

« غُرناطة ما مثلها حَضْرَة الماء والبهجة والخضرة

واستجازني رحمه الله تعالى، قلت <sup>(١)</sup> :

سكانها قد أَشْكِنُوا جَنَّةً فَهَمُّ يُلقَوْنَ بها نَصْرُهُ <sup>(٢)</sup>

وكتب رحمه الله عن سلطانه أبي عبد الله بن نصر يخاطب الضريح المقصود،  
والنهل المورود، والمرعى المنتجع، والحِوان الذي يكفي الرُفَى، ويمرّض الرضَى،

وله يخاطب قبر  
الولي السابق

(١) ما بين هذين القوسين « عن فتح الطيب وهو ساقط من ت .

(٢) ما بين القوسين ساقط في ط .

[١٨١] ويقولون الزماني ، ويتعمداهم إلى أهل الجدة زعموا والفني ، قبر ولي الله سيدي  
أبي العباس السبتي<sup>(١)</sup> ، نعمنا الله به وجبر جالنا ببركاته النعم ، ودفع علينا النعم :

يا وليّ الإله أنت جواد وقصدنا إلى رحماك للنعم  
راعنا الدهر بالخطوب فحننا نرتجي من علاك حُسن الصنيع  
فقدنا لك الأكف نرجي عودة المزمحت شمل جميع  
قد جعلنا وسيلة تَرْبُك الزا كي وزُلّقي إلى العلم السميع  
كم غريب أسرى إليك فواقى رضاً عاجلٍ وخير سريع

يا وليّ الله الذي جعل جاهه سبباً لقضاء الحاجات ، ورفع الأزمات ،  
ونصره نافعاً بعد الملمات ، وصدق نقل الحكايات ظهور الآيات ؛ نعمني الله  
بنيتي في بركة تربك ، وأظهر عليّ أثر توصل بك إلى الله ربك ؛ مُزّق شملِي ،  
وفُرق بيني وبين أهلي ؛ وتعدّني عليّ ، وصرفت وجوه<sup>(٢)</sup> للكايدي إلى ؛ حتى<sup>(٣)</sup>  
أخرجت من وطني وبلدي ، ومالي وولدي ؛ ومحل جهادي ، وحق الذي صار لي  
طوعاً عن آبائي وأجدادي ؛ عن بيعة لم يحلّ عُقدتها الدين ، ولا ثبوت جريئة  
تَشِين ؛ وأنا قد قرعت باب الله بتأميلك ، فالتمس لي قبوله بقَبُولك ؛ ورُدّني إلى  
وطني على أفضل حال ، وأظهر عليّ كرامتك التي تُشد إليها ظهور الرجال ؛ فقد  
جعلت وسيلتي إليك رسول الحق ، إلى جميع الخلق ؛ والسلام عليك أيها الولي  
الكريم ، الذي يأمن به الخائف وينتصف القريم ، ورحمة الله .

(١) أبو العباس السبتي هو الولي الصالح الشيخ أحمد بن جعفر السبتي الخزرجي ، وهو غير  
أبي العباس الشريف السبتي الذي تقدم ذكره في هذا الجزء في صفحة ٣٢ وما بعدها .

(٢) في ت : « وجهة » .

(٣) في ت : « حين » .

وله يورى  
بدم الأخوين  
وقال ساعده الله في معنى التورية الطبية ، بالدواء المسمى بدم الأخوين ،  
في شأن سلطان الأندلس القائم عليهم وأخيه ، وشأن ذلك الدواء النفع من الجراح :  
باسماعيل ثم أخيه قيس تأذن هم ليلى بانبلج  
دم الأخوين داوى جرح قلبي وعالجني وحشبك من علاج  
وقال مقتبساً في غير ذلك :

شمر له في  
التورية بالطب  
يامن بأكناف فؤادى رجع<sup>(١)</sup> قد ضاق بي في حبك المتسع  
ما فيك لي جدوى ولا أروعى شح مطاع وهوى متبع  
وقال في التورية بالطب :

وقال يخاطب  
ابن مزروق  
إني وإن كنتُ ذا اعتلالٍ رثتُ القوى بين الهزال  
في «عارض التيس» لي شفاء فكيف في عارض الفزال  
وقال يخاطب الحاجب النقيب الخطيب ، سيدي أبا عبد الله بن مزروق ،  
وطفا على بيت المشاركة في العذار :

[١٨٢]

أما والذي تُبلى لديه السرائرُ لما كنتُ أرضى الخسف لولا الصرائرُ  
غدوتُ لضم ابن الربيب فريسةً أما ثار من قومي لنصرى ناثر<sup>(٢)</sup>  
إذا التمت كفى لديه جراحتي كائن جان<sup>(٣)</sup> أوبقتَه الجرائر  
وما كان ظني أن أنال جراحة يُحكَم من جرائها في جائر  
متى جاد بالدينار أخضر زائفاً ودارته دارت عليها الدوائر  
وقد أخرج التعنيتُ كيسَ سمراني ورقتَ لبسواي النفوس الأخابر

(١) رجع : أقام وسكن .

(٢) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « ناصر » .

(٣) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « جار » وهو عمره .

تذكرت بيتاً في العِذار لبعضهم له مثل بالحُسن في الأرض سائر:  
 « وما اخضرَّ ذاك العُذْ نبتاً وإعما لكثرة ما شئت عليه المرائر »<sup>(١)</sup>  
 وجاء ابن مرزوق لدى ذخيرة وللشدة المُطسى تُعدّ الدخائر  
 ولو كان يدري مادها في لسانه وأنكر ما صارت إليه المصائر  
 وكان ابن الريب هذا من خُدام السلطان أبي سالم ، وكانت جِراية  
 ابن الخطيب وغيره ممن قدم من أعيان الأندلس على يده ، فكان لا يورثُ بحقهم ،  
 فاشتكى ابن الخطيب به إلى الحاجب ابن مرزوق بهذا النظم المذكور ، وإلى الله  
 ترجع الأمور .

شعر له في مخاطبة  
 أحد الصرّاف

وقال رحمه الله يخاطب أحد الشرفاء الكرام :

أعياء اللقاء على إلا لحمة في جُملة لا تقبل التفصيل  
 لجعلت بابك عن يمينك نائباً أهديه عند زيارتي تقبيل  
 فإذا وجدتكَ نلتُ ما أملتُهُ أو لم أجِدكَ فقد شَفيت غليلاً<sup>(٢)</sup>

وقال يشكر  
 السلطان أبا ساد  
 على تخليصه لاه

[١٨٢] وقال في مخاطبة السلطان أبي سالم رحمه الله في سبيل الشكر ، عند ما خلاصه  
 من الورطة بشفاعته التي قدّمنا ذكرها :

سمي خليل الله أحييت مُهجتي وعالجني منك الصريحُ على بُعد  
 فإن عشتُ أبلغ فيكَ نفساً عذرها وإن لم أعش فآله يمجّزِكَ من بعدى

قال : وقلت في التفرّج ، وما أبعدهُ عني في الوقت ، والحمد لله :

(١) هذا البيت لميسى بن سنجر المعروف بالحاجري التوفي سنة ٦٣٢ هـ من قصيدة مطلعها :

على دمع عيني من فراقك ناظر يرفقه إن لم تره الحاجر

(٢) كذا في ط ونهج الطيب .. وفي ت : « فإ » .

أصبح الخلد منك جنة عدن      مجتلى أعينٍ وشم أنوفٍ  
ظلتها من الجفون سُيوف      جنةُ الخلد تحت ظل السيوف  
وخطب صاحب الأشغال أبا عبد الله بن أبي القاسم بن أبي مدين يهنته  
بتقليد الخطبة من رسالة :

من رسالة له  
في تهمة ابن أبي  
مدين بتقليد الخطبة

تعود الأمانى بعد انصراف      ويستدل الشيء بعد انحراف  
فإن كان دهرك يوماً جنى      فقد جاء ذا خجل واعتراف  
طلع البشير ، أبقاك الله ، بقبول الخلافة المربنية ، والإمامة السنية <sup>(١)</sup> ،  
خصها الله بنيل الأمانى ؛ على تلك الذات التى طابت أرونتها وزكت ، وتأوّهت  
العليا لتذكر عهدا وبكت ، وكاد السرور ينقطع لولا أنها تركت منك الوارث  
الذى تركت ؛ فلو لا المذر الذى تأكدت ضرورته ، والمانع الذى ربما تفرّرت  
لديكم صورته ؛ لكنت أولُ مُشافه بالهناء ، ومُصارف لهذا الاعتناء ، الوثيق البناء ،  
فنقول والحمد لله والثناء . وهى طويلة .

وقال يخاطب السلطان أبا سالم عند انقطاعه بضريح والده بشالة سلا ، حيث  
مدفنُ ملوك بني مرين :

رسالة إلى  
السلطان  
أبي سالم  
مستبانه

عن باب والدك الرضا لا أبرحُ      يأسو الزمان لأجل ذاك ويبحرُ <sup>(٢)</sup>  
ضربتُ خيامي في حِماه فصيّتُ      تجنيّ الحميم <sup>(٣)</sup> به وبهوى تشرح  
حتى يُراعى وجهه في وجهي      بعناية تشفي الصدور وتشرح  
أيسوغ عن مثواه مسيرى خائباً      ومتأبر الدنيا بذكرك تصدح

(١) فى ط : « السرية » :

(٢) فى ط : « لأجل ذا أو يبحر » .

(٣) كذا فى الأصلين واللاوى ، ولعلها مصحفة عن « الحميم » وهو النبت الكبير .

يريد أنهم فى بسطة من العيش .

أنا في حماء وأنت أبصر بالذى يرضيه منك فوزن عقلك أرجح  
 في مثلها سيف الحمية يُنتَضَى في مثلها زُند الحفيظة يُقَدَح  
 وعسى الذى بدأ الجليل يُعيدُه وعسى الذى سد المذاهب يفتح  
 [١٨] وعما كتب به إلى السلطان أبى سالم من مدينة سلا ، بعد عودته من  
 مرّا كش .

مولاي المرجو لإتمام الصنيعة ، وصلة النعمة ، وإحراز الفخر ، أبقاكم الله  
 تُضَرَّب بكم الأمثال في البر والرضا ، وعلو الهمة ، ورعى الوسيلة .

مقبّل موطئ قدمكم ، للنقطع إلى تربة المولى والدكم ابن الخطيب ، من  
 الضريح المقدس بشالة ، وقد حطّ رحل الرجاء في القبة المقدسة ، وتيمّم<sup>(١)</sup> بالتربة  
 الزكية ، وقصد بإزاء لحد المولى أبيكم ، ساعة إيايه من الوجبة المباركة ، وزيارة الرُّبُط  
 المقصودة ، والترّب المعظمة ، وقد عنزم ألا يبرح طوعاً من هذا الجوار الكريم ،  
 والدخيل الرعى ، حتى يصله من مقامكم ما يناسب هذا التطارح على قبر هذا المولى ،  
 العزيز على أهل الأرض ثم عليكم ، والتماس شفاعته في أمر سهل عليكم ، لا يجر  
 إنفاذ<sup>(٢)</sup> مال ، ولا اقتحام خطر ، إنما هو إعمال<sup>(٣)</sup> لسان ، وخطّ بَنان ، وصرف  
 عنزم ، وإحراز نغز وأجر ، وإطابة ذكر ، وذلك أن العبد عرفكم يوم وداعكم ،  
 أنه ينقل عنكم إلى المولى المقدس بلسان اللقال ، ما يحضر مما يفتح الله فيه ،  
 ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ، ما يتلقى عنه من الجواب . وقال لى صدر  
 دولتكم وخالصتكم وخالصة المولى والدكم ، سيدى الخطيب ، سقى الله أمله ، من

(١) كذا في السلاوى (ج ٢ ص ١١٥) . وفي الأصلين : « وتسم » .

(٢) في السلاوى : « إنفاذ » .

(٣) في ت : « عمل » .

سعادة مقامكم ، وطول عُمركم : يا فلان ، أنت والحمد لله ممن لا يُنكر عليه الوفاء بهذين القرضين ، وصدر عنكم من البشر والقبول والإنعام ما صدر ، جزاكم الله جزاء المحسنين . وقد تقدم تعريف مولاي بما كان من قيام العبد بما نقله إلى التربة الزكية عنكم ، حسبما أداه من حضر ذلك المشهد من خدامكم ، والعبد الآن يعرض عليكم الجواب ، وهو أني لما فرغت من مخاطبته بمرأى من اللأ الكبير ، والجم الغفير ، أكتبت على اللحد الكريم ، داعياً ومخاطباً ، وأصغيت [ ١٨٥ ] بأذني نحو<sup>(١)</sup> قبره ، وجعل فؤادي يتلقى ما يوحيه إليه لسان حاله ، فكأنني به يقول لي : قل لمولائك : يا ولدي ، وقرة عيني ، المخصوص برضاي وبري ، الذي ستر حريمي ، ورد ملكي ، وصان أهلي ، وأكرم صنائي ، ووصل علي ، أسلم عليك ، وأسأل الله أن يرضى عنك ، ويُقبل عليك ؛ الدنيا دار غرور ، والآخرة خير لمن اتقى ، وما الناس إلا هالك وإبن هالك ، ولا تجد إلا ما قدمت من عمل يقتضى العفو والمغفرة ، أو ثناء يجلب الدعاء بالرحمة ، ومثلك من ذكر فتذكر ، وعرف فأنكر ؛ وهذا ابن الخطيب [ قد<sup>(٢)</sup> وقف على قبري ، وتهتم بي ، وسبق الناس إلى رثائي ، وأنشدني ومجّدي ، وبكائي ودعائي ، وهنأني بمصير أسرى إليك ، وعمر وجهه في تربى ، وأملني لما انتقطت مني آمال الناس ، فلو كنت يا ولدي حياً لما وسعني أن أعمل معه إلا ما يليق بي ، وأن أستقل فيه الكثير ، وأحتقر العظيم ، لكن لما عجّزت عن جزائه ، وكَلَّتُهُ إليك ، وأحلتني يا حبيب قلبي عليك ، وقد أخبرني أنه سليل المال ، كثير العيال ، ضعيف الجسم ، قد ظهر في عَدَم<sup>(٣)</sup> نشاطه أثر السن ، وأمل أن ينقطع بجوارى ، ويستتر بدخلى

(١) كذا في السلاوى . وفي الأصلين : « عند »

(٢) التكلّة عن السلاوى .

(٣) في ط : « في عظيم » .



وخدمتي ، وِرَدَّ عليه حقُّه بحرمتي ، ووجيى ووجوه من ضاجني من سلفي ،  
وَيَعْبَدُ اللهَ تحتَ حرمتك وحرمتي ، وقد كنت تشوفت إلى استخدامي في الحياة ،  
حسباً يلمه حبيبنا الخالص المحبة ، وخطيبنا العظيم للزينة القديم القُرْبَة ، أبو عبد الله  
ابن سرزوق ، فسلمه يذكرك ، واستخبره يخبرك ، فأنا اليوم أريد أن يكون هذا  
الرجل خديمي بعد الممات ، إلى أن نلتحق جميعاً برضوان الله ورحمته التي وسعت [١٨٦]  
كل شيء ، وله يا ولدي ولد نجيب يخدم بيابك ، وينوب عنه في ملازمة بيت  
كُتَابك ، وقد استقر بدارك قراره ، وتعين بأمرك مَرْتَبُهُ وِدْنَارُهُ ، فيكون  
الشيخ خديم الشيخ ، والشاب خديم الشاب ، هذه رغبتى منك ، وحاجتي  
إليك . واعلم أن هذا الحديث لا بد له أن يذكر ويُتَحَدَّثَ به في الدنيا ، وبين  
أيدي الملوك والكبراء ، فاعمل ما يبق لك نغره ، ويتخذ ذكره ، وقد أقام  
مجاوراً ضريحى ، تالياً كتاب الله على ، منتظراً ما يصله منك ، وبقروه على ،  
من السعى في خلاص ماله ، والاحتجاج بهذه الوسيلة في جبره ، وإجراء ما يليق  
بك من الحرمة والكرامة والنعمة ، فالله الله يا إبراهيم ، اعمل ما يُسْمَعُ عنى  
وعنك فيه ، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال . [ انتهى ] (١) .

والعبد يا مولاي مقيم تحت حرمة وحرمة سلفه ، منتظر منكم قضاء حاجته ،  
ولتعلموا وتتحققوا أنى لو ارتكبت الجرائم ، وَرَزَّاتِ الأموال ، وسفكت الدماء ،  
وأخذت حسانف (٢) الملوك الأعزّة ممن وراء النهر من التتر ، وخلف البحر من  
الروم ، ووراء الصحراء من الحبشة ، وأمكنهم الله منى من غير عهد ، بعد أن  
بلغهم تدمسى بهذا الدخيل ، ومقامى بين هذه القبور الكريمة ، ما وسع أحداً  
منهم من حيث الحياء والحشمة من الأميات والأحياء ، وإيجاب الحقوق ، التي

(١) التكلة عن السلاوى .

(٢) الحاسف : المداوات ، جمع حيفة .

لا يغفلها الكبار للكبار ، إلا الجود الذي لا يتعقبه البخل ، والغفو الذي لا تقسده المؤاخذه ، فضلا عن سلطان الأندلس ، أسعده الله بموالاةكم ، فهو فاضل ، وابن ملوك أفاضل ، وحوله أكياس ، ما فيهم من يجمل قدركم وقدر سلفكم ، لاسيما مولاي والدكم ، الذي أتوسل به إليكم وإليهم ، فقد كان يتبنّى مولاي أبا الحجاج ، ويشمله بكنفه ، وصارخه بنفسه ، وأمهه بأمواله ، ثم صير الله ملكه إليكم ، وأنتم من [١٨٧] أتم ذاتا وقبيلا ، قد قدرت يا مولاي عين العبد بما رأت في هذا الوطن المراكشي ، من وفور حشودكم ، وكثرة جنودكم ، وترادف أموالكم وعددكم ، زادكم الله من فضله . ولا شك عند عاقل ، أنكم إن انحلت عروة تأميلكم ، وأعرضتم عن ذلك الوطن ، استولت عليه يد عدوه ، وقد علّم تطارحى بين الملوك الكرام ، الذين خضعت لهم التيجان ، وتعلّق بثوب الملك الصالح ، والد الملوك [الكرام] <sup>(١)</sup> ، مولاي والدكم ، وشهرة حرمة شاة معروفة ، حاش الله أن يضيعها أهل الأندلس ، وما تؤسّل إليهم قطّ بها إلا الآن ، وما يجهلون اغتنام هذه الفضيلة القريبة ، وأملى منكم أن يتعين من بين أيديكم خديم ، بكتاب كريم ، يتضمن الشفاعة في رد ما أخذ لي ، ويخبر بمشاي متراميا على قبر والدكم ، ويقرر ما لزمكم بسبب هذا الترامى ، من الضرورة المهمة ، والوظيفة الكبيرة ، عليكم وعلى قبيلكم حيث كانوا ، وتطلبون منهم عادة المكارمة بحل هذه العقدة ، ومن العلوم أنى لو طلبت بهذه الوسائل من طيب <sup>(٢)</sup> ما لم ، ما وسعهم بالنظر العقلى إلا حفظ هذا الوجه مع هذا القبيل وهذا الوطن ، فالحياء والحشمة يأيان المذرع عن هذا في كل ملة ونحلة ، وإذا تم هذا الفرض ، ولا شك في إتمامه بالله ، تقع صدقتكم على القبر الكريم

(١) النكلة عن السلاوى .

(٢) في ت : « صلب » .

في ، وتعينوني لخدمة هذا المولى وزيارته وتفقده ، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المولد في جواره ، وبين يديه ، وهو غرض غريب مناسب لبركم به ، إلى أن أحج بيت الله بعبادة مقامكم ، وأعود داعيا مثنيا ، مستدعيا للشكر والثناء من أهل المشرق والمغرب ، وأتعوض من ذمتي بالأندلس ذمة بهذا الرباط المبارك ، يرثها ذريتي ، وقد ساومتُ في شيء من ذلك ، منتظرا ثمنه ، مما يباع بالأندلس بشفاعتكم ، ولو ظننت أنهم يتوقعون لكم في مثل هذا ، أو يتوقع فيه وحشة أو جفاء ، والله ما طلبته ، لكنهم أسرى وأفضل ، واقتطاعى أيضا لوالدكم مما لا يسع مجدكم إلا عمل ما يليق بكم فيه ، وهأنا أرتقب جوابكم ، بما لي عندكم من القبول ، ويسعني مجدكم في الطلب ، وخروج الرسول لاقتضاء هذا الغرض ، والله يطالع من مولاى على ما يليق به . والسلام .

وكتبه في الحادى عشر من رجب ، عام أحد وستين وسبع مئة .

وفي مدرج الكتاب بعد نثر هذه القصيدة :

مولاى هأنا فى جوار أبيكا	فأبذل من البر للمقدّر فيكا
أسمعه ما يرضيه من تحت الثرى	والله يسمعك الذى يرضيك
واجعل رضاه إذا نهدت كتيبة	تهدى إليك النصر أو تهديكا
واجبرّ لجبرى قلبه تنل المنى	وتطالع الفتح البين وشيكا
فهو الذى من البرور بأمره	وأيسه فاشرع شرعه لبنيك
وابعث رسولا منك منذرا ومحذرا	وبما تؤمل نيله يأتيك
قد هز عزمك كل قطر نازح	وأخاف مملوكا به ومليكا
فإذا سموت إلى مرام شامع	ففضونه نمر المنى تجنيكا
ضمنت رجال الله منك مطالي	لما جعلتك فى الثواب شريك

فلئن كَفَيْتَ وُجُوهاً في مقصدي ورعيتها بركانها تصفيك  
 وإذا قضيت حوائجي وأريتني أُملي فربك ما أردتَ بريكا  
 واشدد على قولي يدا فهو الذي برهانه لا يقبل التشكيكا  
 مولاي ما استأثرت عنك بمهجتي أنى ومهجتي التي تصديكا  
 لكن رأيت جناب شالّة مغنا يُضني على المرّ في ناديك  
 وفروض حقك لا تقوت فوقها باق إذا استجزيته بجزيك  
 ووعدتني وتكرر الوعد الذي أبت المكارم أن يكون أفيكا  
 أضني عليك الله ستر عناية من كل محذور الطرّ يفيكا  
 ببقائك الدنيا تحاط وأهلها فالله جل جلاله يُبفيكا

رد السلطان  
 أبي سالم على  
 ابن الخطيب

ولما وصل هذا السلطان أبا سالم رحمه الله راجعه بما نصه ، بعد البسملة [ ١٨٩ ]  
 والصلاة :

من عبد الله المستعين بالله إبراهيم أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ،  
 ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، [ أبي الحسن ، ابن مولانا  
 أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ] <sup>(١)</sup> أبي سعيد ، ابن مولانا أمير المسلمين  
 المجاهد في سبيل رب العالمين يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، أيد الله أمره ،  
 وأعز نصره ، إلى الشيخ الفقيه الأجل الأسنى ، الأعز الأخطى ، الأوجه الأنوه ،  
 الصدر الأحنف ، المصنف البليغ ، الأعرف الأكمل ، أبي عبد الله ابن الشيخ  
 الأجل الأعز الأسنى ، الوزير الأرفع الأنجد ، الأصيل الأكمل ، المرحوم المبرور  
 أبي محمد بن الخطيب ، وصل الله عزته ، ووالى نعمته <sup>(٢)</sup> .

(١) ما بين القوسين زيادة عن ت وعن اللاوى .

(٢) في ت : « رفته » .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد حمد الله تعالى ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم المصطفى ، والرضا عن آله وصحبه أعلام الإسلام ، وأئمة الرشيد والهدى ، وصلة الدعاء لهذا الأمر العلى العزيز المنصور المستعنى ، بالنصر الأعز ، والفتح الأسنى .

فإنا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم بلوغ الأمل ، ونُجِّح القول والعمل ، من منزلنا الأسعد ، بضعة وادى ملويه ، يمنه الله ، وصنع الله جميل ، ومثله جزيل ، والحمد لله ، ولكم عندنا المكانة الواضحة الدلائل ، والعناية المتكفلة<sup>(١)</sup> برعى الوسائل ، ذلك لما تميزتم به من التمسك بالجناب العلى المولوى العلوى ، جدد الله عليه ملابس غفرانه ، وسقاء غيوث رحمته وحنانه ، وبما أهديتم إلينا ، من التقرب لدينا ، بخدمة ثراه الطاهر ، والاشتغال بمطارف حرمة السامية المظاهر ، وإلى هذا وصل الله حظوتكم ، وإلى رفعتكم ، فإنه ورد علينا خطابكم الحسن عندنا قصده ، المقابل بالإسعاف المستعذب وردده ، فوقفنا على ما نصّه ، واستوفينا ما شرحه وقصّه ، فأثرنا حسن تلمظكم فى التوسل بأكبر الوسائل إلينا ، ورعيناً أكل الرعاية حق ذلك الجناب العزيز علينا ، وفى الحين<sup>(٢)</sup> عيّنا لكالم مطلبكم ، ونعام مأربكم ، والتوجه بخطابنا فى حقكم ، والاعتمال بوفقكم ، خديمينا أبا البقاء بن تاشكورت ، وأبا زكرياء بن فراقجة ، أنجدهما الله وتولاهما ، وأسى تاريخه انقصلا مودعين إلى الغرض المعلوم ، بعد التأكيد عليهما فيه ، وشرح العمل الذى يوفيه ، فكونوا على علم من ذلكم ، وابسطوا له جملة آمالكم ، وإنا لندرجو نواب الله فى جبر أحوالكم ، وبره اعتلاككم ، والله سبحانه يصل

(١) فى ت : « المتكفلة » .

(٢) فى ت : « فى الحسن » ، وهو تحريف .

مبترنكم ، ويتولى تكمركم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتب في الرابع والعشرين لرجب عام واحد وستين وسبع مئة .

فراجعه ابن الخطيب بما نعه :

رد ابن الخطيب  
على السلطان أبي  
سالم شاكرا

مولاي خليفة الله بحق ، وكبير ملوك الأرض عن حجة ، ومعدن الشفقة والرحمة ، بيرهان وحكمة ، أبقاكم الله على الدرجة في المنعمين ، وافر الحظ عند جزاء المحسنين ، وأراكم ثمرة بر أبيكم في البنين ، وصنع لكم في عدوكم الصنع الذي لا يقف عند معتاد ، وأذاق المذاب الآليم من أراد في مثابكم بالحداد .

عبدكم الذي ملستم زقه ، وآوئتم غربته ، وسترتم أهله وولده ، وأسنتم رزقه ، وجبرتم قلبه ، يُقبل موطىء الأخص الكريم من رجلكم الطاهرة ، المستوجبة بفضل الله لموقف النصر ، الفارعة هضبة المز ، المملة الخطو في مجال السعد <sup>(١)</sup> ، ومسير <sup>(٢)</sup> الخط ، ابن الخطيب من شأله التي توكّد بملككم الرضى احترامها ،

وتجدد برصمكم عهدا ، واستبشر بملككم دفينها ، وأشرق بمحسنتكم نورها ، [١٩١]

وقد ورد على العبد الجواب المولوى ، البر الرحيم ، المنعم المحسن ، بما يليق بالملك الأصيل ، والقدر الرفيع ، والهمة السامية ، والعزة القماء ، من رعى الدخيل ، والنصرة <sup>(٣)</sup> للذمام ، والاهتزاز <sup>(٤)</sup> لبر الأب الكريم ، فتاب الرجاء ، وانبعث الأمل ، وقوى العصد ، وزار اللطف ، فالحمد لله الذي أجرى الخير على يديكم الكريمة ، وأعانكم على دمام الصالحين ، المتوسّل إليكم أولا بقبورهم

(١) في ط : « السمة » .

(٢) كذا في السلاوى . ذا الأصلين : « وميسر » .

(٣) في ت : « وللمرة » .

(٤) في ت : « والاعتزاز » .

ومتعبداتهم ، و تراب أجدانهم ، ثم بقبر مولاي ومولاكم ومولى الخلق أجمعين ،  
الذى تسبب في وجودكم ، واختصكم بحبه ، وغمركم بلطفه وحنانه ، وعلمكم آداب  
الشريعة ، وأورثكم ملك الدنيا ، وهياتكم دعواته بالاستقامة إلى ملك الآخرة ،  
بعد طول المدى ، وانفساح البقاء ، وفي علومكم المقدسة ما تضمنت الحكايات  
عن العرب ، من النصرة<sup>(١)</sup> عن طائر داست أفرأخه ناقة في جوار رئيس  
منهم ، وما انتهى إليه الامتعاض لذلك ، مما أهينت فيه الأنفس ، وهلكت  
الأموال ، وقصارى من امتعض لذلك أن يكون كبعض خدامكم ، من  
عرب تميمنا ، فما الظن بكم وأتم الكريم ابن الكريم [ابن الكريم]  
فيمين لجأ أولاً إلى حماكم بالأهل والولد ، عن حسنة تبرعتم بها ، وصدقة حملتكم  
الحرية على بذلها ، ثم فيمين خطّ رحل الاستجارة بضريح أكرم الخلق عليكم ،  
دامع العين ، خافق القلب ، دامى القرحة<sup>(٢)</sup> ، يتغلى بردائه ، ويستجير بعليائه ،  
كأننى تراميت عليه في الحياة أمام الذعر الذى يُذهل العقل ، ويحجب عن  
التمييز ، بقصر داره ، ومضجع رقادته ، ما من يوم إلا وأجر بعد التلاوة :  
يا ليعقوب ، يا لمّين ، نسال الله ألا يقطع عنى معروفكم ، ولا يسلبنى عنايتكم ،  
ويستعملنى ما بقيت في خدمتكم ، ويتقبل دعائى فيكم ، ولحين وصول الجواب  
الكريم ، نهضت إلى الثبر المقدس ، ووضعت بإزائه ، وقلت : يا مولاي ، يا كبير  
الملوك ، وخليفة الله ، وبركة بنى مرّين ، صاحب الشهرة والذكر في المشرق  
والغرب ، عبدك المنقطع إليك ، للترأى بين يدي قبرك ، المتوسل إلى الله ثم إلى  
وليك بك ، ابن الخطيب ، وصله من مولاة ولدك ما يليق بمقامه ، من رعى وجهك ،  
[والترتب إلى الله برّعيك] ، والاشتهار في مشرق الدنيا ومغربها ببرك ، وأتم من

[١٩٢]

(١) كذا في ط واللاوى . وفي ت : « النمرة » .

(٢) في اللاوى بدل هذه العبارة : « دامى القرحة » .

أتم ، من إذا صنع صنعة كُلمها ، وإذا بدأ مئة تمَّها ، وإذا أسدى يدا أبرزها  
طاهرة بيضاء غير ممسبة ولا ممنونة ولا منتقصة ، وأنا بعد تحت ذيل حرمتك ،  
وظل دخيلك ، حتى يتم أملى ، ويخلص قصدى ، وتحف نمتك بى ، ويطمئن  
إلى ما منك قلبى .

ثم قلت للطلبة : أيها السادة ، بينى وبينكم [تلاوة] كتاب الله منذ أيام ،  
ومناسبة التحلة ، وأخوة التألف بهذا الرِّباط المقدس ، والسكنى بين أظهركم ،  
فأمَّنوا على دعائى بإخلاص من قلوبكم ، واندفعت فى الدعاء والتوسل ، الذى  
نرجو أن يتقبله الله ولا يضيعه ، وخاطب العبد مولا شاكراً لنعمته ، مُشيداً  
بصنيعته ، مسروراً بقبوله ، وشأنه من التعلق والتطارح شأنه ، حتى يكُلِّ القصد ،  
ويتم الغرض ، معبور الوقت بخدمة يرفعها ، ودعاء يردده ، والله المستعان .

تهنئة للسلطان  
أبى سالم  
بفتح تلسان

وفى يوم الخميس سابع عشر من شعبان ، من العام المورخ ، ورد كتاب فتح  
تلسان ، فأصدر ابن الخطيب إلى باب السلطان أبى سالم ما نصه :

[١٩٣]

مولاي فَتَاحَ الأَقْطَارِ والأَمْصار ، فائِدةَ الزَّمانِ والأَعْصار ، أَثِيرَ هَبَاتِ الله  
الْآمِنَةِ مِنَ الاعتصار ، قدوةَ أُولَى الأَيْدِي والأَبْصار ، ناصرَ الحقِّ عندَ قُعودِ  
الْأَنْصار ، وهى طويْلةٌ ، انْظُرْها فى الرِّيحانة ، وبعدها قصيدة بدعية مظلها :

أطاع لسانى فى مديحك إحسانى وقد لهجت نفسى بفتح تلسانٍ

ومن مخاطباته للحاجب ابن مرزوق .

من مخاطباته  
لابن مرزوق

سيدى ، بل مالكى ، بل شافى ، ومنتشلى من المفوة ، ورافى وعاصى  
عند تجويد حروف الصنائع ، ونافى الذى بجأه أجزأت المنازل قراى ، وفضلت  
أولاي ، والنته لله أخراى ، وأصبحتُ وقول الحسن هجرأى :



عَلَقْتُ بِحَبْلٍ مِنْ حَبَالِ مُحَمَّدٍ أُمْنْتُ بِهِ مِنْ طَارِقِ الْحَدَثَانِ  
تَغَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعِنِّي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي  
فَلَوْ تَسَأَلَ الْأَيَّامُ مَا اسْمِي مَا دَرْتُ وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنِي مَكَانِي  
وصلت مكناسة ، حرسها الله تعالى ، تحت غيثِ حَذَانِي حَذُونِ دَاكِ ، وسحاب  
لولا الخصال للبيرة قُلْتُ يَدَاكِ ، وكَأَنَّ الْوَطْنَ لَاغْتِبَاطُهُ بِجَوَارِي ، وما رآه من  
اتِّبَابِ زُوَّارِي ، أَوْعَى إِلَى بَهْتٍ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ ، وَأَطْلُقُ يَدَهُ عَلَى التَّفْرِيقِ ،  
وَأَشْرَاقِ الْغَوَافِلِ مَعَ كَثْرَةِ الْمَاءِ بِالرِّيقِ ، فلم يَسِعْ إِلَّا الْقَامُ أَيَّامًا ، فَعُودًا فِي الْبَرِّ  
وقياما ، واختيارا لضروب الأنس واعتياما ، ورأيت بلدةَ معارفها أعلام ،  
وهواؤها برد وسلام ، ومحاسنها تعمل فيها ألسنة وأقلام ، فحيا الله سيدي ، فلكم  
من فضل أفاد ، وأنس أحياء وقد باد ، وحفظ منه على الأيام الذُّخْرَ والعِتَادَ ، كما  
[١٩٤] مَلَّكَه زِمَامُ الْكَالِ فَاقْتَادَ ، وَأَنَا أَنْطَارِحُ عَلَيْهِ فِي صَلَةٍ تَقْطَعُهُ ، وَمَوَالَاةٍ يَدُهُ ، بَأَنَّ  
يسمئني في فرض مخاطباته هما مخاطب ، معتبرا في هذه الجهات ، ويصحبني من  
مناصحتي بكنوس مسرة ، يعمل فيها هاك وهات ، فالعز بعزه معقود ، والسعد بوجوده  
موجود ، ومَهْلُ السُّرُورِ بِسُرُورِهِ مُورُود ، والله عز وجل يبقيه ببقاء الدهر ،  
[ويجمل حبه وظيفه السر ، وحده وظيفه الجهر ، ويحفظ على الأيام من زمنه  
زين الدهر] ويصل لنا تحت إيلائه العام بالعام والشهر بالشهر ، آمين آمين . انتهى .  
وقال رحمه الله :

شيء من صراحة  
ابن الخطيب في  
مجلس السلطان  
أبي عنان

حضرت يوما بين يدي السلطان أبي عنان في بعض وفاداتي عليه ، لفرض  
الرسالة ، وجرى ذكر بعض أعدائه ، قللت ما اعتقدت في اطراء ذلك العدو ،  
وما عرفته من فضله ، وأنكر على بعض الحاضرين ، ممن لا يحطِبُ إِلَّا فِي حَبْلِ  
السلطان ، فصرفت وجهي وقلت : أَيْدِيكُمْ اللَّهُ ! تحطير عدو السلطان بين يديه

ليس من السياسة في شيء ، بل غير ذلك أحق وأولى ، فإن كان السلطان غالبا عدوه كان قد غلب غير حقير ، وهو الأولى بفخره ، وجلالة قدره ، وإن غلبه العدو لم يغلبه حقير ، فيكون أشد للحسرة ، وأؤكد للفضيحة . فوافق رحمه الله على ذلك ، واستحسنه ، وشكر عليه ، وخجل المعارض . انتهى .

ومن نظمه رحمه الله :

شعره في  
مكنسة

مِكنَسةٌ مُجِمتُ بها زُمرُ العِدا      فدى بريدٍ فيه ألف بريد  
من واصلٍ للصوم لا لرياضة      أو مدمن للجوع غير مُريد  
فإذا سلكت طريقها متصوفا      فأبى السلوك بها على التجريد

ولما دخل رحمه الله مدينة آتني ، ومر منها على دار عظيمة ، تنسب إلى والي جبايتها « عيو » من بني الترجمان ، قارون قومه ، وغنى صنفه ، قال :

شعره في  
مدينة آتني

قد صررنا بدار « عيو » الوالى      وهى تَكَلَّى تشكو صروف الليالى  
أفصَدَتْ ربهَا الحوادث لما      رشقته بصائبات نبال  
كان بالأمس واليا مستطيلا      وهو اليوم ما له من وال

ومن نظمه رحمه الله في الشيخ ابن بطان الصنهاجى :

شعره في  
ابن بطان

لله درك يا ابن بطان فـ      لشهير جودك فى البسيطة جاحد  
إن كان فى الدنيا كريم واحد      يزن الجميع فأنت ذاك الواحد  
أجريت فضلك جفرا يحيا به      ما كان من مجد فذكركَ خالد  
فالتوم منك تجمعوا فى مفرد      ولد كما شاء العلاء ووالد  
وهى الليالى لا تزال صروضا      يشقى بموقعها الكريم الماجد  
وعِستعين الله يصلح منك ما      قد كان أفسده الزمان الفاسد

وقال رحمه الله وقد انتابه البرغوث :

شمر له  
في البرغوث

زَحَّتْ إِلَى رَكَائِبِ الْبُرْغُوثِ      نَمَ الظَّلَامُ بِرَكْبِهَا الْحَثُوثِ  
بِالْحَبَّةِ السُّودَاءِ قَابِلٌ مَقْدَمِي      اللَّهُ أَيُّ قِرْمِي أَعْدَ خَبِيثِ  
كَسَحَتْ بِهِنَ ذُبَابٌ سَرَحَ تَجَلْدِي <sup>(١)</sup>      لَيْلَا فَخَبِّلِ الصَّبْرَ جِدُّ رَثِيثِ  
إِنْ صَابَرْتَ قَمِي أَذَاهُ تَعَبِدْتَ      أَوْ حِجَّتْ مِنْهُ أَرْقَتْ مِنْ تَحْنِيثِ  
جَيْشَانِ مِنْ لَيْلٍ وَبُرْغُوثِ فَهَلْ      جَيْشِ الصَّبَاحِ لَصَرُخَتِي بِمُغِيثِ

شمر له  
في ابن روح

[ومن نظمه رحمه الله في عثمان بن يحيى بن عمر بن روح :

أَسْمَى ذِي النُّورَيْنِ وَجْهَهُ فِي الْوُغَى      شَمْسُ الضُّحَى حَلَّتْ بِلَيْثِ عَرِينِ  
إِنْ تَقْتَضِرَ بَرِّي أَرْضُ الْمُدَّةِ الْقُصْوَى      أَنْتَ نَفَرِ مَرِينِ <sup>(٢)</sup>

شمر له صدر  
به رسالته إلى  
ابن حصون

وقال يخاطب الوالي محمد بن حشون بن أبي العلاء ، وصدر بها رسالة :  
لَمْ يَبْقَ لِي جُودُ الْوَلَايَةِ <sup>(٣)</sup> حَاجَةً      فِي الْأَمْنِ أَوْ فِي الْجَاهِ أَوْ فِي السَّالِ  
جَدُّ الْإِقْدَاءِ أَوْ لَوْ الْفَضَائِلُ يَنْتَقِي      وَرَأَيْتَ هَذَا الْقَصْدَ شَرْطَ كَمَالِ  
أَجَلْتَهُ وَتَشَوَّفْتُ لِبَيَانِهِ      هِمَمٌ فَكُنْتُ مَفْسِرَ الْإِجْمَالِ  
وَحَصَصْتُ بِالْإِنْفَاءِ غَيْرَكَ غَيْرَةً      وَجَعَلْتُ ذِكْرَكَ شَاهِدَ الْأَعْمَالِ  
أَلَيْسَ <sup>(٤)</sup> يَا بْنَ أَبِي الْقَلْقُشُبِ الْمَلَأَ      وَرَكَتَ أَهْلَ الْأَرْضِ فِي أَسْمَالِ  
إِنْ دَوَّنَ الْفَضْلَاءُ فَضْلًا مُمَثَّلًا      فَلَقَدْ أَتَيْتَ عَلَيْهِ بِالْإِمَالِ  
تُنْنِي عَلَيْكَ رَعِيَّةً آمَالَهَا      فِي أَنْ تَقُوزَ يَدَاكَ بِالْأَمَالِ

(١) كذا في نسخ الطيب والساوي . وفي الأصلين : « به دياج » . وهو محرف عما أثبتناه .

(٢) ما بين القوسين زيادة عن ت .

(٣) في الأصلين : « الخلافة » . وقد أثبتنا رواية نفع الطيب للملاءمتها للسياق .

(٤) في نسخ الطيب : « أليست » .

أَزْعِيَّتَهَا مَمْلَأَ فَلَمْ يَطْرُقْ لَهَا بَمَنْعِ سُورِكَ طَارِقُ الْإِهْمَالِ  
 مِنْ كُنْتُ وَالِيهِ تَوَلَّاهُ الْمَلَأَ وَمِنْ أَطْرَحْتُ فَسَالَهُ مِنْ وَالِي  
 وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ وَقُوفِهِ عَلَى سَرَاكِشٍ ، وَاعْتِبَارِهِ بِمَا صَارَ إِلَيْهِ أَمْرُهَا<sup>(١)</sup> :

شعره في نذب  
 سرها كئيد  
 الموحدين

بَلَدٌ قَدْ غَزَاهُ صَرْفُ اللَّيَالِي وَأَبَاحَ التَّصَوُّنَ مِنْهُ يُبِيحُ  
 فَالْقَى خَرَّ مِنْ بِنَاهُ قَتِيلَ وَالَّذِي خَرَّ مِنْهُ بَعْضُ جَرِيحِ [١٩١]  
 وَكَأَنَّ الَّذِي يَزُورُ طَبِيبٌ قَدْ نَأَى لَهُ بِهَا التَّشْرِيحِ  
 أَغْمِجَتْ مِنْهُ أَرْبَعُ وَرُسُومِ كَانَ قَدْ مَا بِهَا اللِّسَانُ النَّصِيحِ  
 كَمْ مَعَانٍ غَابَتْ بِتِلْكَ اللَّغَايِ وَجَمَالِ أَخْفَاهُ ذَاكَ الضَّرِيحِ  
 وَمُلُوكٌ تَعَبَدُوا الدَّهْرَ لَنَا أَصْبَحَ الدَّهْرُ وَهُوَ عَبْدُ صَرِيحِ  
 دَوَّخُوا نَازَحَ الْبَسِيطَةَ حَتَّى قَالَ مَا شَاءَ ذَابِلِ وَصَفِيحِ  
 حَيْثُ<sup>(٢)</sup> شُبَّتْ لَهْمٌ مِنَ الْبَاسِ نَارِ ثُمَّ هَبَّتْ لَهْمٌ مِنَ النَّصْرِ رِيحِ  
 أَثَرِ يَنْدُبُ الْمُؤَثِّرَ لَنَا طَالَ<sup>(٣)</sup> بَعْدَ الدَّوْرِ مِنْهُ التَّزْوِجِ  
 سَاكُنُ الدَّارِ رُوحَهَا كَيْفَ يَبْقَى جَسَدَ بَعْدَ مَا تَوَلَّى الرُّوحِ

وَقَالَ يَخَاطَبُ عَمِيدَ سَرَاكِشٍ<sup>(٤)</sup> ، لِتَعْيِزِ بِالرَّأْيِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْهَمَّةِ ، وَإِفَاضَةِ  
 الْعَدْلِ ، وَكَفِّ الْيَدِ ، وَالتَّجَانِي عَنْ مَالِ الْجَبَايَةِ ، عَامِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَلِيٍّ الْهَنْتَانِي :  
 تَقُولُ لِي الْأَطْعَامُ وَالشُّوقُ فِي الْحَشَى لَهُ الْحُكْمُ يَمْضِي بَيْنَ نَاوٍ وَأَسْمِرِ  
 إِذَا جَبَلَ التَّوْحِيدَ أَصْبَحَتْ قَارَعَا نَحْيِمُ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي دَارِ عَامِرِ

شعره يخاطبه  
 عامر الهنتاني

(١) كَذَا فِي الْأَصْنَيْنِ وَفِي نَفْحِ الطَّيِّبِ . وَفِي السَّلَاوِي زِيَادَةٌ فِي هَذِهِ الْبَيَارَةِ يَنْصَحُ بِهَا

الْمَقَامُ ، قَالَ : « وَلَا وَقْتُ عَلَى مَصَانِعِ سَرَاكِشٍ وَقُصُورِهَا وَقَصَبَتِهَا وَاعْتَبِرْ

مَا صَارَ إِلَيْهِ أَمْرُهَا بَعْدَ الْمَوْحِدِينَ قَالَ » .

(٢) فِي ط : « حِينَ » .

(٣) فِي ط : « كَانَ » .

(٤) فِي السَّلَاوِي : « عَمِيدُ الْبِلَادِ الْمَرَكَشِيَّةِ » .

وَزُرَّ تربة المعلوم إن مزارها هو الحج يُقضى نحوه كل ضامر  
 سَتَلَقَى بِمَشْوَى عامر بن محمد ثغور الأمانى من ثنايا البشار  
 ولله ماتبلوه من سعد وجهه ولله ما تلقاه من يُنن طائر  
 وتُستعمل الأمثال في الدهر منكما بخير مَرُور أو بأعبط زائر

تريف  
 بعامر الهذلي

أقول : عامر بن محمد هذا ، هو قريع <sup>(١)</sup> هُنْتَانَة ، وكانت له مع أبي الحسن  
 التريفي في الوفاء أحاديث ، صححت عند أبي عِنان وغيره مُثَناته ، ولم يزل في رياسته  
 مدة أبي عِنان ومن بعده من ملوك بني عَرِين ، إلى زمن أبي فارس عبد العزيز  
 ابن أبي الحسن ، فناله بجنوده ، وحاصره بمعتقله ، حتى استولى عليه وقتله .  
 وقد ساق أمره ابنُ خَلْدُون واستوفاه ، ومنعني من الإتيان به ما حصل  
 من التطويل في هذه الترجمة ، وقد أشار إليه ابن الأحرر في « تثير فرائد الجُبان »  
 عند ما ذكر الشريف الشبوكي ، ونصه :

[١٩٧] « صاحبنا الفقيه ، محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف ، يُكَنَّى أبا  
 عبد الله ، ويعرف بالشبوكي ، رأيتُه وصحبته ، ونُسبته حسبًا ثقلته من خطه على

شيء من الشريف  
 الشبوكي

متن كتاب ، وأخبرني هو به ، وسمعتُه أيضا بفاس ، من بعض الناس ، وهو محمد  
 ابن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عمران بن عبد الرحيم بن نوح بن  
 شعيب بن علي بن أبي محمد بن حَيَّان بن فضل بن طاهر بن مطهر بن حمود بن زياد  
 ابن محمد بن الحسن <sup>(٢)</sup> بن علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، ويعرف بالشبوكي .  
 وشبوكة : قرية بينها وبين مدينة فاس ثلاثة أميال <sup>(٣)</sup> ؛ وأخبرني أن جده عبد الرحيم

(١) القريع : السيد التريفي .

(٢) في ط : « الحسين » .

(٣) في ت : « أيام » .

أتى من المشرق إلى الغرب ، واستوطن بشبوكه ، وهو شريف ؛ ويوسف أبوه كان رحمه الله جميل الوجه جدا ، شاعرا مجيدا فقيها ، وبرز عذلا في سباط شهود فاس ، واستخدمه أمير المؤمنين التوكل على الله أبو عنان اليربني شاهدا في دار صناعته ؛ وأحمد والد يوسف كان فقيها صوفيا ؛ ومحمد والد أحمد كان فقيها صالحا ؛ ويوسف والد محمد كان فقيها عالما صالحا مكاشفا بحجاب الدعوة ، من أهل الطبقة العليا في الصلاح ؛ وأبو عبد الله هذا كتب الوثيقة بشهود فاس .

شعر لشبوك في مدح أبي فارس والتعريض على المنتقى

هاله أكرم الله : هو فارس القريض ، وحامل لوائه الطويل العريض ، وله وجه وسيم ، وحياء جسيم ، ومثوّمته لم يبلغها إنسان ، ولم يُسمع بمثله في سالف الأزمان ، ويؤثر عزّة نفسه على هواه ، ويختار مهيّج السمو على ما سواه ، وأشدني لنفسه يمدح أمير المسلمين أبا فارس عبد العزيز اليربني ، بمدقته لوزيره المتغلب على أمره ، عمر بن عبد الله بن علي الياباني ، ويحرضه على قتال الشيخ [١٩٨] أبي ثابت عامر بن محمد بن علي المنتقى ، صاحب جبل هنتاة ، من حوز سراكش ، حين خرج عليه به ، بالسلطان المعتمد على الله أبي الفضل محمد بن أخى السلطان عبد العزيز هذا :

أبان في حبّه ما قال عاذلهُ دمعٌ جرى فوق صفح الخلد هاملهُ  
فبات من وطأة التفريق ذا وجل<sup>(١)</sup> يستنجد الصبر عونا وهو خاذله  
صَبَّ إذا ما بدا بالرفقتين له ويميض برق الحلى هاجت بلبله  
بيكى لمنزل أنس بان آمله وظامن عنه قد شطّط منزلته  
يا حسن عصر بهم قضيته زمتا رقت حواشيه إذ رقت أصالته

كَانَ صَوْبَ دُمُوعِي بَعْدَ بُعْدِهِمْ      سَبَّ الْمَلِيكَ إِذَا وَاغَاهُ سَائِلُهُ  
 عِيدَ الْعَزِيزِ الَّذِي عَزَتْ بِدَوْلَتِهِ      مَرَاتِبَ الْحَقِّ وَالتَّاحَتِ دَلَالَتُهُ  
 وَأَصْبَحَ لِلْمَلِكِ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَاةٍ      مِنَ الَّذِي كَانَ غَالَتِهِ غَوَائِلُهُ  
 عَادَتْ بِعِيدِنَا مِنْهُ نَضَارَتُهُ      فَعَادَ يَاقَعَهُ وَاشْتَدَّ كَاهِلُهُ  
 كَالرُّوْضِ بِأَكْرَهٍ طَلَّ عَلَى ظُلْمَا      وَجَادَهُ بِمَدِّ ذَاكَ الطَّلِّ وَابِلُهُ  
 هُوَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ أُمَّ سَاحَتِهِ      جَادَتْ عَلَيْهِ بِجَذْوَاهَا أَنْامِلُهُ  
 وَمَنْ تَخَلَّفَ جَهْلًا عَنْ إِبَاجَتِهِ      سَارَتْ إِلَيْهِ عَلَى عِلْمٍ صَوَاهِلُهُ  
 قُلٌّ لِلَّذِي عَنْهُ أَقْصَتُهُ جَرَائِمُهُ      وَعَقَلْتَهُ عَنْ الْعَلِيَا مَعَاقِلُهُ  
 رَزُّ حَضْرَةِ الْمَلِكِ الْمَيْمُونِ طَالَمُهُ      تَحْفَظُ بِمَا أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ آمَلُهُ  
 فَطَبَعَهُ الصَّفْحَ وَالْمَعْرُوفَ شِيَمَتُهُ      وَالْحِلْمَ وَالصُّوْنَ وَالتَّقْوَى شِمَائِلُهُ  
 أَبْلَغَ جَمِيعِ الْعِدَا أَنْ سَوْفَ يَسْلُمُهُمْ      مِنَ الظُّبَى كُلِّ مَاضِي الْحَدِّ فَاصِلُهُ  
 هَذَا الْمَلِيكَ أَنَا هُمْ فِي كِتَابَتِهِ      لَنَسْخِ آجَالَهُمْ تُنْفَى رَوَاحِلُهُ  
 بِكُلِّ خِرْقٍ طَوِيلٍ الْبِيَاعِ مُتَثَدِّدٍ      مَقْصَرٍ عَمَرَ مِنْ تَلَقَّى مَنَاصِلُهُ<sup>(١)</sup>  
 وَجَعَلُ فِيهِ سُتْرَ الْخَطِّ مُشْرَعُهُ      قَدْ حَجَبَتْ أَنْجَمَ الشُّعْرَى قَسَاطِلُهُ  
 سَيَعْلَمُ الْفُتُورُ عُنُقِي مَا جَنَاهُ إِذَا      كَلَّتْ مَوَاضِيهِ وَانْقَضَتْ كَلَالُهُ  
 وَحَاطَ بِالْجِبِلِ الْبَحْرَ الْحَيِيطَ وَلَا      حَتَّ فَوْقَ أَرْوَاحِهِمْ مِنْهُ جَدَاوِلُهُ  
 فَانْهَضْ إِلَيْهِمْ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ      أُعْطِيَتْ كُلُّ الْمُسْنَى فِيهَا تَحَاوِلُهُ  
 مِنْ ذَا يُنَازِلُ جَيْشًا أَنْتَ قَائِدُهُ      يَوْمَ الْكَرْيَةِ أَوْ مَنْ ذَا يُنَاضِلُهُ

[١٩٩]

(١) المنازل : السيوف ؛ الواحد : منصل ( يضم الميم وسكون النون مع ضم الصاد وفتحها ) .

ألا ترى المارقَ الرَّعِيدَ حينَ عتا      وأضمر المَكْرَ صادَتَه حبالُه  
ظنَّ الضَّئِينَ بأنَّ يسمو ويعلوَ في      دنيا صَمَتْ وعلتَ فيها بواطله  
فنادرتَه الصَّعادُ الرُّزْقَ مُنْجِدِلا      فوق الصَّعِيدِ تُسَادِيه جنادله  
دنياه تَضْحَكُ منَ أحواله عجبا      به وفي الحقِّ تَبْكِيه أرامله  
فَلَيْتَ دِينِ الهدى من بعد مدته      أَنْ أَنْتِ يا ذا المُحَيَّا الطَّلُقَ كافله  
لم ينتصب قَطُّ في الدنيا لواءَ علَا      إلَّا ومنَ آلِ عبدِ الحقِّ حامله  
مولاي مولاي دُمُ مَاعَشَتْ مُصْطَحِبَا      عُلَا ونفرا وعزًّا لا تزايله  
إن سار جيشك فالْتَأَيِدْ بِقَدُمِهِ      والنصر عاجله يقفوه آجله  
اتمى كلام ابن الأحرر .

وأقارب هذا الشريف الشبوكي لم يزالوا إلى الآن ، ولم مصاهرة مع ولينا  
الغنيِّه المحدث ، الحاجِّ الرِّحَالِ البرِّكة ، القدوة الصالح الناصح ، أبي عبد الله سيدي  
محمد بن الوليِّ الصالح سيدي أبي بكر بن محمد ، صاحب الدِّلال<sup>(١)</sup> ، أبقى الله علام ،  
وأعانهم على ما أولاهم .

ولنرجع إلى ابن الخطيب فنقول :

وقال رحمه الله ، وقد شاهد بجبل هَنَتَاتِه محلَّ وفاة السلطان أبي الحسن  
الكريني ، حيث أصابه طارق الأجل ، الذي فَصَلَ الخُطَّةَ ، وأصمَّت الدَّعْوَةَ ،  
ورفع النازعة ، وعانيه مَرَقَهَا<sup>(٢)</sup> عن الابتذال بالسكنى ، مفترشا بالخصباء ،  
مقصودا بالابتهال والدعاء ، فلم يبرح يومَ زيارة محلِّ وفاته أن قال :

شمر لابن الخطيب  
على قبر السلطان  
أبي الحسن الرضي

(١) كذا وردت هذه الكلمة في الأصلين ، ولم تفهم المراد منها ، ولم نشر على مرجع  
آخر لهذا الكلام المنقول عن ابن الأحرر ، لنعارض به هذا النص .

(٢) كذا في الأصلين . وفي نفع الطيب : « مرصعا » .



يا حسنًا من أزيغ وديار      أنحت لباغى الأمن دار قرار  
وجبال عز لا تذلل أنوفها      إلا لمر الواحد القهار  
ومقر<sup>(١)</sup> توحيد وأس خلافة      آثارها تنبى عن الأخبار  
ما كنت أحسب أن أنهار الندى      تجرى بها فى جملة الأنهار  
ما كنت أحسب أن أنوار الحجا      تلتاح فى قنن وفى أحجار  
نجت جوانبها البرود وإن تكن      شبت بها الأعداء جذوة نار  
هدت بناها فى سبيل وفاتها      فكانت صرعى بغير عقار  
لما توعدنا على المجد العدا      رضىت بعيث النار لا بالعار  
عمرت بحيلة<sup>(٢)</sup> عامر وأعزها      عبد العزيز بمرفق بتار  
قرسار هان أحرزا قصب الندى      والبأس فى طلق وفى مضار  
ورثا عن النذب الكبير أبيهما      محض الوفاء ورفعة المقدار<sup>(٣)</sup>  
وكذا الفروع تطول وهى شبيهة      بالأصل فى ورق وفى أثمار  
أزرت وجوه الصيد من هنتاة      فى جوها بمطالع الأقمار  
لله أى قبيلة تركت لها النظراء      دغوى الفخر يوم نثار  
نصرت أمير المسلمين<sup>(٤)</sup> وملكه      قد أسلته عزائم الأنصار  
وارت عليا عندما ذهب الردى      والروع بالأمعاع والأبصار  
وتخاذل الجيش اللهم وأصبح الأبطال      بين تقاعد وفراز

(١) فى ط : « ومحل » .

(٢) كذا فى نسخ الطيب . وفى الأصلين والساوى : « جملة » . ويريد بعامه :

عامر بن محمد المتتاني .

(٣) كذا فى ط ونسخ الطيب . وفى ت : « الأقدار » .

(٤) فى ط : « المؤمنين » .

كُفِّرَتْ صَفَاتُهُ فِيَّ دَارَهَا      مُسْتَظْهِرًا مِنْهَا بِمَسْرِ جَوَارِ  
وَأَقَامَ بَيْنَ ظُهُورِهَا لَا يَتَّقِي      وَقَعَ الرَّدَى وَقَدْ ارْتَمَى بِشَرَارِ  
فَكَأَنَّهَا الْأَنْصَارُ لَمَّا آنَسَتْ      فِيهَا تَقَادُمٌ <sup>(١)</sup> غُرْبَةً الْمُخْتَارِ  
لِمَا غَدَا لِحَظًا وَهُمْ أَجْفَانُهُ      نَابَتْ شِفَارُهُمْ عَنِ الْأَشْفَارِ  
حَتَّى دَعَاهُ اللَّهُ بَيْنَ بَيْوتِهِمْ      فَأَجَابَ مُتَمَثِّلًا لِأَمْرِ الْبَارِ  
لَوْ كَانَ يُنْمَعُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ مَا      خَلَصَتْ إِلَيْهِ نَوَافِذُ الْأَقْدَارِ  
قَدْ كَانَ يَأْمُلُ أَنْ يَكْفَى بَعْضُ مَا      أَوْلَوْهُ لَوْلَا قَاطِعُ الْأَعْمَارِ  
مَا كَانَ يَقْنَعُهُ لَوْ امْتَدَّ الْمَدَى      إِلَّا الْقِيَامُ بِحَقِّهَا مِنْ دَارِ  
فِيمِيدَ ذَاكَ الْمَاءِ ذَائِبَ فِضَّةٍ      وَيَعِيدُ ذَاكَ الْقَرَبَ تَبَرُّ <sup>(٢)</sup> نُضَارِ  
حَتَّى تَفُوزَ عَلَى النَّوَى أَوْطَانُهَا      مِنْ مُلْكِهِ بِجَلَالِ الْأَوْطَارِ  
حَتَّى يُلَوِّحَ عَلَى وَجْهِهِ وَجْهَهُمْ      أَرَّرَ الْعَنَاءَ سَاطِعَ الْأَنْوَارِ  
وَيُسَوِّغُ الْأَمَلَ الْقَصَى كِرَامَتَا      مِنْ غَيْرِ مَا تُنْيَا وَلَا اسْتِعْصَارِ <sup>(٣)</sup>  
مَا كَانَ يَرْضَى الشَّمْسُ أَوْ بَدْرَ الدَّجَى      عَنْ دِرْهِمٍ فِيهِمْ وَلَا دِينَارِ  
أَوْ أَنْ يَتَوَجَّعَ أَوْ يَقْلُدَّ هَامَتَا      وَنَحْوَرَهَا بِأَهْلَةٍ وَدَرَارِ  
حَقٌّ عَلَى الْمَوْلَى ابْنِهِ <sup>(٤)</sup> إِشَارُ مَا      بِذَلُولِهِ مِنْ نَصْرٍ وَمِنْ إِشَارِ  
فَلَمَّا ذُخِرَ الْجَزَاءُ وَمِثْلُهُ      مِنْ لَا يُضَيِّعُ صَنَائِعَ الْأَحْرَارِ  
وَهُوَ الَّذِي يَقْضَى الدِّيُونَ وَيَرْثُهُ      يُرْضِيهِ فِي عِلْفٍ وَفِي إِسْرَارِ

(١) في ط ونفع الطيب : « تقدم » .

(٢) في نفع الطيب والسلاوى : « ذوب » .

(٣) التنيا : الاستثناء . والاستعصار : استعمال من العسر بمعنى المنع . ولم ترد صيغة

« استعمل » من العسر في المعاجم التي بأيدينا .

(٤) يريد بالمولى : ابنه السلطان أبا سالم بن أبي الحسن المريني .

[٢٠١]

حتى تُصَحَّحَ حِمْلُهُ رَفَعُوا بِهَا عِلْمَ الْوَفَاءِ لِأَعْيُنِ النَّظَارِ  
فِيصِيرُ مِنْهَا الْبَيْتُ بَيْتًا ثَانِيًا لِلطَّائِفِينَ إِلَيْهِ أَيْ يِدَارِ  
تَغْنِي قُلُوبَ الْقَوْمِ عَنْ هَذَى بِهِ وَدَمْعُهُمْ تَكْفِي لِرُمَى جِارِ  
حُيُوتٍ مِنْ دَارِ تَكْفُلِ سَعْيِهَا الْمَحْمُودِ بِالْزُّلْفَى وَعُقْبَى الدَّارِ  
وَضَفَّتْ عَلَيْكَ مِنَ الْإِلَهِ عَنَابَةٌ مَا كَرَّ لَيْلُ فَيْكِ لَيْلُ نَهَارِ

شعر  
لابن الخطيب  
على قبر المتمدن

وقال رحمه الله ، حين زار بخارج أغمات قبر المتمدن بالله أبي القاسم  
ابن عباد ، أمير خص<sup>(١)</sup> وقرطبة والجزيرة ، وما إلى ذلك الصقع الغربي ،  
ونص كلامه الذي رتبته في ذلك أنه قال :

وقفت على قبر المتمدن بالله بمدينة أغمات ، في حركة راحة أعملتها إلى  
الجهات التراكشية ، باعثها لقاء الصالحين ، ومشاهدة الآثار عام واحد وستين  
وسبع مئة ، وهو بمقبرة أغمات ، في نَشْرٍ مِنَ الْأَرْضِ ، قد حَفَّتْ بِهِ سِدْرَةٌ ، وإلى  
جنبه قبر اعتماد حَظِيَّتِهِ مَوْلَاةَ رَمِيكَ ، وعليهما هيئة<sup>(٢)</sup> التَّغْرِبِ ، ومعاناة الخمول  
من بعد الملك ، فلا تملك العين دمعها عند رؤيتهما ، فأنشدت في الحال :

قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ عَنْ طُوعٍ بِأَغْمَاتِ رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْ أَوَّلِي الْمَهَامِ  
لَمْ لَا أَزُورُكَ يَا أُنْدَى الْوَلُوكِ يَدَا وَيَا سِرَاجَ اللَّيَالِي الدَّلَامِ  
وَأَنْتَ مَنْ لَوْ تَخَطَّى الدَّهْرُ مَضْرَعَهُ إِلَى حَيَاتِي لَجَادَتْ فِيهِ أَيْتَانِ  
أَنَافَ قَبْرُكَ فِي هَضْبٍ يَمِيزُهُ فَتَنْتَحِيهِ حَفِيَّاتُ التَّحِيَاتِ  
كُرُمْتُ حَيًّا وَمَيِّتًا وَاشْتَهَرْتُ غَلًّا فَأَنْتَ سُلْطَانُ أَحْيَاءٍ وَأُمُوتِ

(١) يريد بمصر (هنا) : مدينة إشبيلية بالأندلس ، لأن العرب الذين نزلوها عند الفتح  
أسموها باسم بلدكم في الشرق .  
(٢) في فتح الطب : « أثر » .

مارى<sup>(١)</sup> مثلك في ماضٍ، ومُعْتَقْدِي أن لا يُرَى الدهرَ في حالٍ ولا آتِي  
وقال رحمه الله مخاطباً أحمد بن يوسف حفيد الولي الصالح سيدي أبي محمد  
صالح النائم في ظل صيته ، رحمه الله :

شعر له  
في مخاطبة  
ابن يوسف

يا حفيدَ الوليِّ يا وارثَ القُصْرِ الذي نال في مقالٍ<sup>(٢)</sup> وحالٍ  
لك يا أحمد بن يوسف جُبناً كل قفر<sup>(٣)</sup> يعي أكف الرجال  
ولما خرج رحمه الله من آسَى<sup>(٤)</sup> سار إلى منزل ينسب لأبي خدو<sup>(٥)</sup> ؛ فيه [٢٠٢]  
رجل من بني النسوب إليه ، اسمه يعقوب ، قال في نفاضة الجراب ، فألطف  
وأجزل وآنس في الليل ، وطلبي بتذكرة تثبت عندي معرفته ، فكتبت له :

نزلنا على يعقوبَ نجبل أبي خَدُو فمرّفنا الفضل الذي ما له حَدُّ  
وقابلنا بالبشر واحتفل القري فلم يبق لحم لم ننله ولا زُبْد  
يحق علينا أن نقوم بحقه ويلقاه منا البر والشكر والحمد  
وقال مخاطب السلطان :

وله في مخاطبة  
السلطان

أنت للمسلمين خير عماد وملاد وأي حِرْزٍ حريز  
لو رأى ما شرعت للخلق فيه عمرُ الفاضل ابن عبد العزيز  
لجزى ملكك المبارك خيراً وقضى بالشفوف<sup>(٦)</sup> والتبريز  
فاشكر الله ما استطعت بفعل وبقول مُطَوَّل أو وجيز

(١) رى : أصله (رئ) بالياء للمجهول ، قدمت اللام على العين .

(٢) في ت : « مقام » .

(٣) في نفع الطيب : « قطر » .

(٤) آسَى : من الثغور المراكشية .

(٥) في نفع الطيب : « خدو » .

(٦) يريد بالشفوف ( هنا ) : الزيادة .

كل ملك يرى بضجة أهل العلم قد باء بالحل العزير  
فإذا ما ظفرت منهم باكسير ملأت البلاد من إبريز  
والبرايا تبديد والملك يفنى أين كسرى للوك مع أبروز

وقال : أنشدت ابني عبد الله وقد وصل لزيارتي من الباب السلطاني ،  
حيث [ جرابته ووظيفته ، وأنجز حديث ] <sup>(١)</sup> ما قُيد بفرناطة في شجون الكلام :

يا بني عبد الإله احتساباً عن أثاث ومنزل وعقار  
كيف يأتى على خسارة جزء من يرى الكل في سبيل العصار  
هَدَف لا تَنى سِهَامُ الليالى عن سِباق تَجَاهَهُ ويدار  
واحد طائش وثان مصيبٌ ليس ينجى منها اشتال حِذار  
غير ذى الدار صُرِفَ المم فيها فنائح الرحيل ليس بدار  
وقال : أنشدته وأمرته بحفظه ، والتأدب به ، واللمح بحكته :

إذا ذهبَ يَمِينُكَ لا تُضَيِّعْ زَمَانَكَ فى البكاء على المصيبة  
وَيُسْرَاكَ اغْتَنِمْ فَالْقَوْسَ تَرْمِي وما تَدْرِي أَرْشَقْتُهَا قَرِيبَهُ  
وما بَنَرِيَّةَ نَوْبِ الليالى ولكن النَّجَاةَ هِىَ الْقَرِيبَهُ  
وقال رحمه الله :

يَا هَلْ هَذَا الْقَطْرُ سَاعِدُهُ الْقَطْرُ يُبْلِغُ فَذَلُّونِي لِمَنْ يُرْفَعُ الْأَمْرُ  
تَشَاغَلْتُ بِالدُّنْيَا وَنَمْتُ مَفْرُطًا وَفِي شُغْلِي أَوْ نَوْمِي سُرِقَ الْعَمْرُ  
وقال رحمه الله :

مَالِي أَهْذَبُ نَفْسِي فِي مَطَالِبِهَا وَالنَّفْسُ تَأْتَفُ تَهْذِيبِي وَتَهْذِي بِي

(١) ما بين القوسين تكملة عن ت .

وله في مخاطبة  
ابنه وقد وصل  
لزيارته

بيني  
مقطوعات له

إذا استمنتُ على دهرى بتجربة تأبى المقاديرُ تجريبي وتجري بي  
وقال رحمه الله مَوْزِيَا حِينَ أَكَلَ مُشْرِفُ الدَّارِ الْقَابِضُ<sup>(١)</sup> ، أَى أَخَذَ مَالَهُ :

وله في مصروف  
الدار حين أكل  
القابض

مُشْرِفُ دَارِ الْمَلِكِ مَا بَالُهُ مُنْتَفِخَ الْجُوفِ شَكَ نَافِضَا  
قَعِيلٌ لِي لَيْسَ بِهِ عِلَّةٌ لَكِنَّهُ قَدْ أَكَلَ الْقَابِضَا  
وقال رحمه الله :

يَا نَقْسَ لَا تُضَيِّعْ إِلَى سَلَوَةٍ كَمْ أَخْلَفَ الْمَوْعِدَ عُرْقُوبُ  
وَأَنْتَ يَا قَلْبِي وَصَّالِكَ إِبْرَاهِيمَ بِالْحَزَنِّ وَيَعْقُوبَ  
قال : وقلت في رأس القادر بالدولة حين عرض على :

وله في رأس  
القادر بالدولة

فِي غَيْرِ حِفْظِ اللَّهِ مِنْ هَامَةٍ هَامَ بِهَا الشَّيْطَانُ فِي كُلِّ وَادٍ  
مَا تَرَكْتُ حَدًّا وَلَا رَحْمَةً فِي فَمِ إِنْسَانٍ وَلَا فِي فَوْادٍ  
وقال رحمه الله :

وله في الفزل

يَا كَوَكَبَ الْحَسَنِ يَا مَعْنَاهُ يَا قَرَّةَ يَا رَوْضَهُ الْمُتَنَاهَى الرَّيْعَ يَا ثَمَرَةَ  
أَمْرَتِي بِسُلُوكِ عَنْكَ مَمْتَنِعَ مَأْمُورِ حَسَنِكَ لَنَا يَقْضِي مَا أَمَرَهُ  
[ وقال رحمه الله في السعيد أبي بكر ابن السلطان أبي عنان :

شعره في  
السعيد أبي بكر

أَمِيرًا كَانَ قَسِيرَ الدَّجَى أَفَاضَ الضِّيَاءَ عَلَى صَفْحَتِيهِ  
تَمَلَّأَ قَلْبِي مِنْ حَبِّهِ غَدَاةً نَظَرْتُ بِمَعْنَى إِلَيْهِ  
فَلَا بَسَطَ الدَّهْرُ كَفَّ الرَّمْدِ لَذَاكَ الشَّخِصِ وَذَاكَ الْوُجْهِ<sup>(٢)</sup> ]

(١) القابض : من الألفاظ الأدبية ، ومع هنا بمعنى المال المأخوذ .

(٢) ما بين القوسين ساقط في ت .

وقال عندما انصرف عنه ابنه إلى مدينة فاس ، لإقامة رحمه من الخلعة ،  
قال : وأشجاني انصرافه لوقوع قرحة على قرح ، وللمستمان الله :

بان<sup>(١)</sup> يوم الخميس قرّة عيني      حسبي الله أي موقف بيني  
لوجني موقف النوى حين حني      حان يوم الوداع والله حيني  
ضابقتني صروف هذي الليالي      وأطالت همي وألوت بديني  
وطن نازح وشمل شتيت      كيف يبقى مُعذّب بين دَين ؟  
يا إلهي أدرك بلفظك ضعفي      إن ما أشتكيه ليس بهين

[٢٠]

وله في السيادة  
الخطيبية

قال : وخاطبت السيادة الخطيبية<sup>(٢)</sup> مع طيفور طعام :  
تعلّم طيفوري خلال سمّيه<sup>(٣)</sup>      وإن كان منسوباً إلى غير بسطام  
وجاء فقير الوقت لابس خِرقة      فليس براض غير محبة صوام  
فدبتك لا تردده عنك محبباً      ودرّسه يا مولاي قصّة بلعام<sup>(٤)</sup>  
قال : وكتبت إلى النيادة الخطيبية ، ووصل ولدها إلى سلا ، ومنعني عن  
لقائه عذر من مرض ، وكان نزوله بزاوية النساك :

صدّني عن لقاء نَجْلك عذر      يمنع الجسم من تمام العبادة  
واختصرت القرى لأن حطّ رحلا      في محلّ النني ودار الزّهادة

(١) في ت : ه فات .

(٢) يريد بالسيادة الخطيبية ، الخطيب ابن مرزوق حاجب الدولة الفرنطالية .

(٣) طيفوري : يريد طباقاً عليه مأكول . وسميه : يريد به القطب طيفور بن عيسى  
ابن سروشان ، المكنى بأبي يزيد البسطامي ، شيخ الصوفية ، وصاحب الأحوال  
المصهورة . (انظر شرح القاموس) .

(٤) له يريد بلعام بن باعوراء من بني إسرائيل ، وكان محاب الدعوة ، وله قصة  
مصهورة .

وَلَوْ أَنِّي احْتَفَلْتُ لَمْ يُعِنِ الدُّعْرُ وَلَا نِلْتُ بَعْضَ بَعْضِ أَرَادَهُ  
وعلى كل حالة قَصُورَى عادة إذ قَبُولُكَ المَذَرَ عَادَهُ  
لا عَدَمَتِ الرِّضَا مِنْ اللَّهِ وَالْحُسْنَى كَمَا نَصَّ وَجْهِهِ وَالزِّيَادَةَ  
وَقَالَ يَخَاطِبُهُ مِنْ ضَرْحِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ بِشَاةٍ ، لَاسْتِنَاضَ عَزِيمَتِهِ  
فِي قَضَاءِ غَرَضِهِ :

بَرِثَ اللَّهُ مِنْ حَوْلِي وَمِنْ حِجْلِي  
أَصْبَحْتُ مَالِيٍّ مِنْ عَطْفِ أَوْقَلِهِ  
مَا كُنْتُ أُحْسِبُ أَنْ أَزْمِيَ بِقَاصِيَةِ  
مِنْ بَعْدِ مَا خَلَّصْتُ نَحْوِي الشَّفَاعَةَ مَا  
إِنْ كُنْتُ لَسْتُ بِأَهْلٍ لِلَّذِي طَمَحْتُ  
فَكَيْفَ يُلْغَى وَلَا تُرْعَى وَسِيلَتُهُ  
مِنْ بَعْدِ مَا اشْتَهَرَتْ حَالِي بِهِ وَسَرَّتْ  
وَالرَّسْلُ تَتَرَى وَلَا تَخْفَى نَتَائِجُهَا  
وَلَا لِلْحَيِّ مِنْ صُبْحِ أَطَالَمِهِ  
لَوْ أَنَّنِي بَابِنَ مَرْزُوقٍ عَقَدْتُ يَدِي  
لَكُنَّ كَرْبِي قَدْ أَفْضَى إِلَى فَرْجٍ  
أَلْتَمْتُ <sup>(١)</sup> بِالْعَتَبِ لَمْ أَحْذَرْ مَوَاقِعَهُ  
وَلَسْتُ أَنْجِدُ مَا خَوَّلْتُ مِنْ نِعَمٍ  
وَلَسْتُ أَيْأَسُ مِنْ وَعْدٍ وَعُدْتُ بِهِ

إِنْ نَامَ عَنِّي وَلَيْتِي فَهَوَ خَيْرٌ وَلِي  
مِنْ غَيْرِهِ فِي مُهِمَّاتٍ وَلَا بَدَلَ  
لِلْهَجْرِ أَقْطَعُ فِيهَا جَانِبَ الْأَمَلِ  
بَيْنَ الْفَلَا <sup>(٢)</sup> وَالذَّجْبِ وَالْبَيْضِ وَالْأَسَلِ  
إِلَيْهِ تَقْمَى وَأَهْوَى نَحْوَهُ أُمْلَى  
دَخِيلُ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ عَلِيٍّ  
بِهَا الرِّكَائِبُ فِي سَهْلٍ وَفِي جَبَلٍ  
عِنْدَ التَّأَمُّلِ مِنْ قَوْلٍ وَلَا عَمَلٍ  
كَأَنَّ هَمِّي قَدْ مَدَّ الدُّجْنَ لِي  
وَكُنَّ مُحْتَكِمًا فِي خَيْرَةِ الثُّوَلِ  
وَكُنَّ حُزْنِي قَدْ أَوْفَى عَلَى جَدَلٍ  
« أَنَا الْفَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ »  
لَكِنَّا النَّفْسُ لَا تَنْفَكُ عَنْ أَمَلٍ  
وَإِنَّمَا « خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ »

[٧٠٠]

(١) فِي نَجْعِ الطَّيْبِ : « الْبَلَاءُ » .

(٢) فِي نَجْعِ الطَّيْبِ : « الْهَلَكَةُ » .



وله في مخاطبة  
السلطان  
أبي الحجاج

وقال رحمه الله يخاطب السلطان أبا الحجاج :

أَمْوَلَايَ إِنْ الشَّعَرَ دِيَوَانُ حِكْمَةٍ      يَفِيدُ النَّفَى وَالْمَرْ وَالْجَاهُ مَنْ كَانَ  
وَقَدْ وَجِدَ الْمُخْتَارُ فِي الْحَقْلِ مُنْصَتَا      لَهُ وَحَبَا كَعَمْبَا عَلَيْهِ وَحَسَانَا  
وَفِيهَا رَوَاهِ النَّاقِلُونَ وَأَثْبَتُوا      بِذَلِكَ دِيَوَانًا صَحِيحًا فَدَيَوَانَا  
بَأَنَّ أبا بكر خَلِيفَتَهُ الرِّضَا      وَفَارَوْقَهُ الْأَدْنَى إِلَيْهِ وَعِثَانَا  
وَأَمَّ عَلِيَا قَدَسَ اللَّهُ جَمْعَهُم      وَكَرَمَنَا بِالْقُرْبِ مِنْهُمْ وَحِكْمَانَا  
لَمْ فِي ضُرُوبِ الْقَوْلِ إِذْهُمْ فُخُولُهُ      خُطَابَ وَشِعْرَ يَسْتَقِرَّانَ تَبْيَانَا  
وَمَضَى عَلَى أَهْلِ الْقَرِيضِ نَوَالَهُم      فَرُوضُ رَوْضُ الْقَوْلِ سَحَا وَنَهْتَانَا  
وَأَنْتَ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ تَفْعَلَ الَّذِي      بِهَا<sup>(١)</sup> فَعَلَ الْمُخْتَارُ دِينًا وَإِيمَانَا  
فَإِذَا زِلْتَ تَهْدِي فِي الْبَرِيَّةِ هَدِيَّةً      وَتَقْضَى بِمَا يُرْضِيهِ سِرًّا وَإِعْلَانَا  
وَإِنْ قِيلَ قَدَرُ الْمَرْءِ مَا هُوَ مُحْسِنٌ      فَصَنَعْتَ نَظْمَ الْقَوْلِ أَرْفَعَهُ شَانَا  
وَقَالَ رحمه الله في فن التورية :

وله في التورية

بِنَفْسِي حَبِيبٌ فِي ثَنَائِهِ « بَارِقٌ »      وَلَكِنَّهَا لِلْوَارِدِينَ عِذَابُ  
إِذَا كَانَ لِي مِنْهُ عَنِ الْوَصْلِ « حَاجِرٌ »      فَدُمِي « عَتِيقٌ » بِالْجُفُونِ مُذَابُ  
وَقَالَ :

قَدَّ بَتَّ عَلَيَّ بِالْمَهْوَى قَتِيَامُهُ      فِي نَارِ هَمْرِكَ دَائِمًا وَقَمُودُهُ  
وَلَقَدْ عَيْدْتُ الْقَلْبَ وَهُوَ مُوَحَّدٌ      فَمَلَامٌ يُقْفَى فِي الْعَذَابِ خُلُودُهُ  
وَقَالَ فِي التَّجْنِيسِ :

وله في التجنيس

وَهُوَ مِثْلُكَ لَوَدَّ النَّفْسُ جَنَابَاتَهُ      تَدَاخَتْ مِثْلَانِيهَا وَهَمَّتْ بِأَنْ تَهَيَّ

وقلتُ لهدِّ الوصل والقربِ بصد ما      تنأى أأسلو عن حياتي<sup>(١)</sup> وأنت هي  
ومن شام من جو الشيبة بارقا      ولم ته عنه التهي كيف يتهي ؟  
وقال أيضاً :

ناديتُ دمعى إذ جدَّ الرحيلُ بهم      والقلبُ من فَرَقِ التوديع قد وجبا  
سَقَطَتْ يادمعُ من عيني غداة نأى      عنى الحبيبُ ولم تقض الذى وجبا  
وقال مُورِّيا :

وله في التورية  
أيضا

كسبتُ بدمع عيني صفحَ خدّى      وقد مَنَعَ الكرى هجرُ الخليل  
وراب الحاضرين فقلت هذا      كتاب « العين » ينسب للخليل  
وتذكرت بهذا قول الشيخ أبي حيان :

سبقَ الدمع بالسير المطايا      إذ نوى من أحب عني نُقله  
وأجاد السطور في صفحة الخدِّ      ولم لا يجيد وهو ابن مقله  
والبيت الثاني أردت ، ولكن ابن الخطيب قد قصد تورية أخرى لم يقصدها  
أبو حيان ، وكلاهما قد أحسن في توريته .

وقال ابن الخطيب :

سن شعره

ولما رأت عزمي حثيثاً على الشرى      وقد راها صبرى على موقف البين  
أنت بصباح الجوهرى دموعها      فعارضتُ من دمعى بمختصر العين  
وقال أيضاً :

بحق ما بيننا يا ساكني القصبه      رُدُّوا على حياتي هي مغتصبه  
ماذا جنيتم على قلبي بينكم      وأتمُّ الأهلُ والأحباب والعصبه

(١) في نفع الطيب : « وهل أسلو حياتي » .

وقال عفا الله عنه :

مَضْجِي فِيكَ عَنْ قَتَادَةَ يَرْوِي      وَرَوَى عَنْ أَبِي الزِّنَادِ فُزَادِي  
وَكَذَا النُّومُ شَاعِرُ فِيكَ أَمْسَى      مِنْ دُمُوعِي يَهِيمُ فِي كُلِّ وَادِي  
وقال رحمه الله :

حِينَ سَارُوا عَنِّي وَقَدْ خَنَقْتَنِي      عَبْرَاتٍ قَدْ أَعْرَبْتَ عَنْ وَكُوعِي  
صَحْتُ مِنْ يَنْصُرِ الْغَرِيبِ فَلَمَّا      لَمْ أَجِدْ نَاصِرًا بَلَقْتُ دُمُوعِي  
وقال عفا الله عنه :

قَالَ لِي وَالِدُومُوعُ تَهَلُّ سُحْبًا      فِي عِرَاضٍ <sup>(١)</sup> مِنَ الْخُدُودِ مُحُولِ  
بِكَ مَا بِي فَقُلْتُ مَوْلَايَ عَافَا      لَكَ الْمَعَانِي مِنْ عَبْرَتِي وَنُحُولِ  
أَنَا جَفْنِي الْقَرِيحُ يَرْوِي عَنْ الْأَعْمَشِ      وَالْجَفْنُ مِنْكَ عَنْ مَكْحُولِ

وقال ، وقد جلس السلطان في يوم شديد البرد للسلام :

جَلَسَ الْمَوْلَى لِتَسْلِيمِ الْوَرَى      وَلِقَاصِلِ الْبَرْدِ فِي الْجَوِ احْتِكَامُ  
فَإِذَا مَا سَأَلُوا عَنْ يَوْمِنَا      قُلْتُ هَذَا الْيَوْمُ بَرْدٌ وَسَلَامُ

وقال رحمه الله تعالى :

[٢٠٧]

بَأَبَى بِدَرٍ <sup>(٢)</sup> غَزَانِي      مَسْتَبِيحًا مَرَحٍ <sup>(٣)</sup> صَدْرِي

فَأَنَا الْيَوْمَ شَهِيدُ السَّحْبِ مِنْ غَزْوَةِ بِدَرٍ

وقال :

أَشْكُو لِمَسْمِهِ الْحَرِيقَ وَقَدْ حَمَى      عَنِّي لَمَاهُ الشَّتَمَى وَرَحِيقَهُ  
يَا رَيْقَهُ حَيْرَتِي وَمَطْلَتَنِي      مَا أَنْتَ <sup>(٤)</sup> إِلَّا بَارِدٌ يَا رَيْقَهُ

(١) كَذَا فِي الْأَصْنَافِ وَنَفَعَ الطَّيِّبُ ، وَنَبِيلٌ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَحْرُفَةٌ عَنْ «مَرَّاسٍ»  
بِالضَّادِ الْمُهْمَلَةِ ، فَهِيَ أَلْيَقُ بِهَذَا الْقِيَامِ .

(٢) كَذَا فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ . وَفِي الْأَصْنَافِ : «طَلِي» .

(٣) كَذَا فِي ت ، وَالسَّرْحُ : نَهَاءُ الْهَارِ . وَفِي ط : «مَرَحٍ» . وَالصَّرْحُ : الْقَصْرُ .

(٤) فِي ط : «مَا كُنْتُ» .

آيات له  
في المحنات  
البدية

وقال فيمن ركب البحر وماد :  
ركب السفينة واستقل بأفقيها  
فكأنما ركب الهلال القرد  
وشكوا إلى بئيدم فأجبتهم<sup>(١)</sup>  
لا غرو أن ماد القضيبي الأملد  
وقال أيضاً :

يا مالكي بخللال تهدي إلى الفكر<sup>(٢)</sup> خيرة  
أضمرت قلبى نارا يا مالك بن نويرة  
وقال عند ما خرج السلطان ابن الأحمر من فاس متوجهاً إلى الأندلس  
لطلب حقه :

ولما حثت السير والله حاكم  
حكى في السطرنج طرفك لا يرى  
لملكك في الدنيا بعر وفي الأخرى  
يُنقل من بيضاء إلا إلى حمرا  
وقال رحمه الله تعالى :

تعجلت وخط الشيب في زمن الصبا  
فهما رأيتم شيبة في مفارق<sup>(٣)</sup>  
لخوضي غمار الهمة في طلب المجدي  
فلا تنكروها إنها شيبة الحمد  
وقال رضى الله عنه :

يا من تقلد للعلاء سلوكا  
كاتبتي متفضلاً فلكتنى  
والفضل أضحى نهجته مسلوكا  
لا زلت منك مكاتباً مملوكا

(١) كذا ورد هذا الشعر في ط . وفي ت : « وشكا إلى بئيدم فأجبتهم » ؛ وفي هج

الطيب : « وشكوا إليه بئيدم فأجبتهم » .

(٢) في فتح الطيب : « القلب » .

(٣) في فتح الطيب : « فوق مفارق » .

وقال عفا الله عنه :

أجاد يراع الحسن خطَّ عذارِهِ وأودَّعه السرَّ المصون الذي يَدْرِي  
ولم يفتقر فيهِه نلْتم وطابع فبسمه أغناه عن طابع السر  
وقال في رجل حلف وأقسم أنه ذو مال وأمانة ، وطلب من السلطان الخدمة :  
حلفتَ لهم بأنك ذو يسار وذو ثقة وبر في اليمين  
ليستندوا إليك بحفظ مال فتأكل باليسار وباليمين  
وقال في الفخر :

ما ضرتني أن لم أكن<sup>(١)</sup> متقدما فالسبق يُعرَف آخرَ المضمارِ  
ولئن غدا زرع البِلاغة بَلَقما فلربَّ كنزٍ في أساس جِدَارِ  
وقال في مدح السلطان أبي الحجاج :

في مصر قلبي من خزائن يوسفٍ حَبَّ وعيرُ مدائحٍ تمتازُهُ  
حليتُ شمرى باسمه فكأنه في كل قُطرٍ حَلَّه ديناره  
وقال يخاطب ابنه السلطان أبا عبد الله :

قالوا لخدمته دعاك محمدٌ فكرهتها وزهدتُ في التنويهِ  
فأجبتهم أنا والمهينِ كاره في خدمة اللولى مُحِبِّ فيه  
ومن قوله في غرناطة :

أحْيِكْ يا مَعْنَى<sup>(٢)</sup> الكمالِ بواجب<sup>(٣)</sup> وأقطع في أوصافك الفُرَّ أوقاتي  
تقسَم منك التربَّ قومي وجيرتي ففي الظَّهر أحيائي وفي البطن أمواتي

(١) كذا في الأصلين ؛ وفي نفع الطيب : « أن لم أكن » .

(٢) في نفع الطيب : « أحْيِكْ يا مَعْنَى » .

(٣) الواجب : القلب .

وقال في غرض ينحويه نحو المارقة :

رَمَوْا بالسُّؤِّ حليف الغرامِ وأدمعه كالحيا الماطلِ  
أعوذُ بعزك يا سيدي لئلا من دَعوة الباطلِ

وقال أيضاً :

يا ليلُ طُلْتَ ولم تجدِ بتبسمٍ وأزيتي خُلِقَ القَبوسُ النادمِ  
هلا رحمتَ تغرَّبِي وتفرَّقِي لله ما أقساك يا بنِ الخادمِ

وقال في سكين الأضاحي للسلطان أبي الحجاج رحمه الله :

لى الفضلُ أن شاهدتني واختبرتني على كل مصقول الغرارين مرهفٍ  
كفاني غمراً أن ترائي قائماً بسنة إبراهيم في كف يوسف

وقال في مروحة سلطانية :

كأنني قوس<sup>(١)</sup> الشمس عند طلوعها وقد قَدِمْتُ من قبلها نَسْمُ الفجرِ  
وإلا كما هيت بمُحتدِمِ الوسخي بنصرٍ ولكن من بُنود بني نصر<sup>(٢)</sup>

وقال يخاطب شيخه ابن الجياب :

بين السَّهامِ وبين كُتُبِكَ نسبة فيها يُصاب من العدو المَقْتَلُ  
وإذا أردت لها زيادةً نسبة هذي وهذي في السِّكَنَةِ تُجَعَلُ

وقال بتغرُّلٍ ، وفيه معنى غريب :

إن اللَّحَاطَ هي السيوف حقيقة ومن استرأبَ فحجتي تكفيه  
لم يَدْعُ غدُ السيفِ جَفَنًا باطلاً إلا لِسبه اللحظ يُقَنَدُ فيه

قيل : وأحسن منه قول غيره :

إن العيون التُّجَلُّ أمضى موقداً من كل هندی وكل يمانٍ

وله في سكين  
الأضاحي

وله في مروحة  
سلطانية

وله يخاطب  
ابن الجياب

وله في الغزل

(١) في ت : « ظل » .

(٢) بنو نصر : هم بنو الأحمر ملوك غرناطة .

فضل العيون على السيوف بأنها<sup>(١)</sup> قتلَتْ ولم تخرُج من الأجفان  
وأصل ما قال ابن الخطيب قول الآخر :

بين السيوف وعينيهِ مشاركة<sup>(٢)</sup> من أجلها قيل للأعماد أجفانُ

وله في البراغيث  
أيضا

وقال ابن الخطيب أيضا في البراغيث :

بِتْنَا نَكَابِدُ مَمَّ الْقَحْطُ لِيَلْتَنَا وَأُنْجِدُ الشَّهْدَ وَالْكَرْبَ الْبِرَاغِيثَا<sup>(٣)</sup>

وَكَاثُ يُخْتَلُّ مَا كُنَّا نَكَابِدُهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ لَوْ أَنَّ الْبِرَاغِيثَا<sup>(٤)</sup>

وقال في خالد البلوي صاحب الرحلة ، وقد استكثر من سرقة كتاب

« البرق الشامي » للعاد الأصهباني :

خَلِيلِيْ إِنْ يُلْفَ اجْتِمَاعُ بِخَالِدٍ قَتُولَا لَهُ قَوْلَا وَلَنْ تَعْدُوَا الْحَقَا

سَرَقَتِ الْعَادُ الْأَصْهَبَانِيْ بَرْقَهُ وَكَيْفَ تَرَى فِي شَاعِرٍ سَرَقَ الْبَرْقَا ؟

وله في النجاة

وقال في النجاة :

تَأْتِلُ الرَّمْلُ فِي الْمَنْجَانِ مَنْقَطَمَا يَجْرِي وَقَدَّرَهُ عَمْرًا مِنْكَ مِنْتَهِيَا

وَأَقْبَهُ لَوْ كَانَ وَادِي الرَّمْلِ يُنْجِدُهُ مَا كَانَ<sup>(٥)</sup> كَامِلُهُ إِلَّا وَقَدْ ذَهَبَا

وله في النزول

وقال :

أَقُولُ لِمَا ذَلَى لِمَا نَهَانِي وَقَدْ وَجَدَ الْمَقَالَةَ إِذْ جَفَانِي

عَلِمْتُ بِأَنَّهُ مُرٌّ التَّجْنِي وَفَاتَكَ أَنَّهُ حُلُوُّ اللِّسَانِ

(١) في ت : « لأنها » .

(٢) في ط : « بين الحافظ وعينيهِ مناسبة » .

(٣) رواية هذا البيت في فتح الطيب :

بِتْنَا نَظَارِحُ مَمَّ الْقَحْطُ لِيَلْتَنَا وَأَيَّدُ الْمَمَّ وَالشَّهْدَ الْبِرَاغِيثَا

(٤) البري : التراب . ورصمت ( البري ) بالألف ليم الجناس بين البيتين . وغيت : أصابه الفيت .

(٥) في ت : « ما طال » .

وله في التصوف

وقال في غرض صوفي :

لا تنكروا أن كنتُ قد أُحْبَبْتُكُمْ      أو أنتى استولى على هواكُم  
طوعاً وكرهاً ما تزوّن فأتى      طُفْتُ الوجود فما وجدتُ سواكم

وله في المدح  
موريا

وقال بمدح وفيه تورية :

وإن نظرتَ إلى لألاءِ غُرْمِهِ      يوم الهياج رأيتَ الشمس في الأسدِ  
ونسب إليه الحافظ أبو عبد الله التَّنْسِي رحمه الله ، قصيدة يخرج منها أكثر  
من ثلاث مئة بيت ، ونسبها غير التَّنْسِي إلى بعض المشارقة ، فإله أعلم ، وهى :

شعره يشك  
أه للشارقة

داه نوى بفؤادى شَفَهُ سَمَّ<sup>(١)</sup>      لِحَنَتِي من دواعى الهمِّ والكَمَدِ  
بأضلى لَهَبٍ تَذَكُّو<sup>(٢)</sup> شَرَارَتِهِ      من الضنى في محل الرُّوح من جسدِي<sup>(٣)</sup>  
يومَ النوى حل في قلبى له ألم<sup>(٤)</sup>      وحُرْقَتِي وبلاؤى فيه بالرصدِ  
توجعُ من جوى شُبَّتْ حرارته      مع العناقِ قد رَنَى لى فيه ذو الحسدِ  
أصل الهوى مُلِيسى وجدا به عَدَمُ      لمهجتى من رشا بالحسن منفردِ  
تَنَبَّعَى وَجْهِهِ<sup>(٥)</sup> من تزهو نضارته      إذا انثنى قاتلى عمداً بلا قَوَدِ  
مُهْدَى الجوى مُوَلِّعٌ بالهجر منتقم      ما حيلتى قد كوى قلبى مع الكَبِدِ  
لمصرعى معتد تحلو مزارته      يا قومنا<sup>(٦)</sup> آخذ نحو الرَّدَى بيدي  
قلبى كَرَى ملكٌ فى النفس محتكم      لقصتى فهو سؤلى وهو معتدى  
مُرُوعَى قَرَسَ بِي إشارته      إذا رنا ساطع الأنوار فى البلدِ

(١) فت هنا : « ألم » .

(٢) فط : « تبدو » .

(٣) فت هنا : « ... الروح والجسد » .

(٤) فت : « يوم النوى ظل في قلبى به ألم » .

(٥) فت : « وجد » .

(٦) فط : « يا قومنا » .



هَذَا الْقَوَى حَسَنَ كَالْبَدْرِ مَبْتَسَمٍ لِقِتْنَتِي مُوهِنٍ عِنْدَ النَّوَى بَجَلْدِي  
مُودِّعِي النَّارَ قَدْ شَبَّتْ زِيَارَتُهُ لِمَا جَنَى مُورَتِي وَجَدَا مَعَ الْأَبَدِ  
قلت : وعندي أنها بعيدة من نَفْسِ ابْنِ الْخَلِيطِ ، مع أن الحافظ التَّنَسِّي  
نسبها له ، وغيره نسبها لبعض المشارقة ، وذكر التَّنَسِّي أنه يخرج منها ثلاث مئة  
بيت ونيف وستون بيتاً<sup>(١)</sup> ، والله ولي التوفيق .

ثم وقفت بعد هذا على كراسة من بعض تأليف الصَّفْدِيِّ بخطه ، عبر<sup>(٢)</sup> فيها  
أنها لبعض المشارقة ، وأورد القطعة مع تقديم وتأخير ، فأردت أن أذكره إتماماً  
للفائدة ؛ ونصه :

صالح بن أحمد بن عثمان صلاح الدين القَوَّاس الشاعر الخِلاطِي ثم البعلبكي ،  
توفي سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، كان رجلاً خيراً متواضعاً ، صاحب  
الفقراء ، وسافر الكثير ، وكان يعبرُ الرؤيا ؛ قال الصَّفْدِيُّ : أنشدني من  
لقظه الشيخ الحافظ الذهبي ، قال : أنشدني المذكور قصيدته السائرة ذات  
الأوزان ، وهي :

دَلَا نَوَى بَعْدَ نَوَى شَفَّهَ سَقَمُ لِحْنَتِي مِنْ دَوَاعِي الْمَمِّ وَالْكَدِ  
بِأَضْلَمِي لَهَبَ تَذَكُّو شَرَارَتِهِ مِنْ الضَّغْنِ فِي حِلِّ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِي  
يَوْمَ النَّوَى ظَلَّ فِي قَلْبِي بِهِ أَلَمَ وَخُرْقَتِي وَبِلَايِي فِيهِ بِالرَّصَدِ  
تَوَجَّي مِنْ جَوَى شَبَّتْ حَرَارَتِهِ مَعَ<sup>(٣)</sup> الْعَنَا قَدْ رُئِيَ فِيهِ ذُو الْحَمْدِ  
أَصْلَ الْهَوَى مُلْبِسِي وَجَدَا بِهِ عَدَمَ لِمَجْتَى مِنْ رَشَا بِالْحَسَنِ مَنْفَرِدِ

(١) طريقة ذلك أن يؤخذ الشطر الأول من كل بيت كما هو أو مع تغيير في بعض كلماته ،  
ثم يوضع مع ما يناسبه معنى من الشطور الثواني في القصيدة كلها ، فتخرج من ذلك  
صور كثيرة لبيت الواحد .

(٢) في ت : « عين » .

(٣) في ط : « من » .

تَبِعَى وَجْهَهُ <sup>(١)</sup> مِنْ تَزْهَوِ نَفَارَتِهِ      لَمَّا جَنَى مُورِنِي وَجْدًا مَعَ <sup>(٢)</sup> الْأَبْدِ  
هَذَّ الْقَوَى حَسَنَ كَالْبَدْرِ مَبْتَسِمٍ      لَفِئْتَنِي مُوهِنَ عِنْدَ النَّوَى جَلَدِي  
مُودِعِي قَمَرٍ تَسْبِيحِي إِشَارَتِهِ      إِذَا رَنَا سَاطِعَ الْأَنْوَارِ فِي الْبَلَدِ  
مُهْدِي الْجَوَى مُوَلِّعَ بِالْهَجَرِ مُنْتَمِمْ      مَا حِيلَتِي قَدْ كَوَى قَلْبِي مَعَ الْكَبِدِ  
لِمَصْرَعِي مُعْتَدٍ تَحْلُو مِرَارَتِهِ      يَا قَوْمَنَا آخِذْ نَحْوَ الرَّدَى بِيَدِي  
قَلْبِي كَوَى مَلَكَ فِي النَّفْسِ مُحْتَكِمٍ      لَقِصْتِي وَهُوَ سُؤْلِي وَهُوَ مَعْتَدِي  
مُوَلِّعِي النَّارِ قَدْ شَطَّتْ <sup>(٣)</sup> زِيَارَتِهِ      لَمَّا انْتَهَى قَاتِلِي عَدَا بِلَا قَوْدِ  
قَالَ الصَّفْدَى : قَالَتْ : هَذِهِ الْقَصِيدَةُ تَقْرَأُ عَلَى ثَلَاثِ مِثَّةٍ وَبِشْتَيْنِ وَجْهًا .

[ وَقَالَ فِي الْمَشِيبِ :

وَلَهُ فِي الْمَشِيبِ

إِنِّي لَمُتَّلِي بِالْمَوَى مِنْ بَعْدِ مَا      لَلْوُخْطِ بِالْقَوْدَيْنِ أَيْ دَيْبِ  
لَبَسَ الْبَيَاضَ وَحَلَّ ذِرْوَةَ مَنبَرٍ      مَنَى وَوَالَى الْوَعْظَ فَعَلَّ خَطِيبِ  
وَكُتِبَ بِبَعْضِ الْحَيْطَانِ لَمَّا أَجَازَ سَبْتَهُ :

وَلَهُ وَقَدْ أَجَازَ  
بِسَبْتِهِ

أَفْنَا بُرْهَةً ثُمَّ ارْتَحَلْنَا      كَذَاكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالِ  
وَكُلَّ بِدَايَةِ قَالِي اتِّهَاءٍ      وَكُلَّ إِقَامَةٍ قَالِي ارْتِحَالِ  
وَمِنْ سَامِ الزَّمَانِ دَوَامِ أَمْرٍ      قَدَّ وَقَفَ الرَّجَاءُ عَلَى الْمُحَالِ  
وَقَدْ قَدَّمْنَا بِبَعْضِ هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ عَلَى غَيْرِ هَذَا الرَّجَاءِ <sup>(٤)</sup> .

وَقَالَ مِمَّا يَكْتُبُ فِي طَائِقِ الْمَاءِ بِيَابِ الْقُبَةِ :

وَلَهُ فِي طَائِقِ الْمَاءِ

أَنَا طَائِقُ تَزْهَوِ بِيَ الْأَيَّامِ      تَعَيَّيْتُ فِي بَدَائِمِ الْأَفْهَامِ

(١) فِي ت : « تَبِعَى وَجْدَ » .

(٢) فِي ت : « وَجَدِي مَدَى » .

(٣) فِي ت : « مَرْوَعِي سَارَ لَا شَطَّتْ » .

(٤) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ جَاءَ مُتَأَخِّرًا فِي ط بَعْدَ قَوْلِهِ : « قَلْبِي الثَّانِي » .

وَبَشَّيْتُ لِلنَّوَظِرِ مِحْرًا      بَا كَأَنَّ الْإِنَاءَ فِي إِمَامٍ<sup>(١)</sup>  
وَأَقِفْ لِلصَّلَاةِ حَتَّى إِذَا مَا      جِئْتَ لِلشَّرْبِ حَانَ مِنْهُ السَّلَامُ  
وَقَالَ فِي ذَلِكَ أَيْضًا :

يَا صَانِي اللَّهِ مَا أَحْكَمْتَهُ      فَلَأَنْتَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ رَئِيسُ  
أَحْكَمْتَ تَاجِي يَوْمَ صُفْتِ رُقُوشَهُ      فَصَبَّتْ إِلَيْهِ مَفَارِقُ وَرَدُوسِ  
وَأَقِفْتُ فِي مَحْرَابِهِ فَكَأَنَّهُ      مَجْلَى<sup>(٢)</sup> إِنْهَاءِ الْمَاءِ فِيهِ عَرُوسِ  
وَكُتِبَ إِلَيْهِ شَيْخُهُ ابْنُ الْجَنَابِ بِقَوْلِهِ :

بين ابن الجباب  
وابن الخطيب

أَيَا كِتَابِي إِذَا مَا جِئْتَ مَا لَقَّةً      دَارَ الْمَكَارِمِ مِنْ ثَنِي وَوُحْدَانِ  
فَلَا تُسَلِّمْ عَلَى رَنْجٍ بَذَى سَلَمَ      بِهَا وَسَلِّمْ عَلَى رَجٍ لَسَلَانِ  
فَأَجَابَهُ ابْنُ الْخَطِيبِ بِقَوْلِهِ :

[٢١٢]

يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يُنْقَضَى تَأَلُّفُنَا      وَبِثْنَى الشُّوقِ عَنْ غَايَاتِهِ الثَّانِي  
أَوْ هَلْ يَحْنُ عَلَى نَفْسِي مَعَذِبُهَا      أَوْ هَلْ يَرِقُّ لِقَلْبِي قَلْبِي الثَّانِي  
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

بعض أبيات له

عَدَّ عَنْ كَيْتٍ وَكَيْتٍ      مَا عَلَيْهَا غَيْرُ مَيْتٍ  
كَيْفَ تُرْجَى حَالَةُ الْبُقَايَا      لِمَصْبَاحٍ وَزَيْتٍ  
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَاللَّهُ مَا جَانٍ عَلَى مَالِهِ      أَوْ جَاهِهِ مَنْ ذَادَ عَنْ عَرَضِهِ<sup>(٣)</sup>

(١) ق ط : « الإمام في قيام » .

(٢) ق ط : « يمحى » .

(٣) ق ط : « من حاط من عرضة » .

والناس في خير وفي<sup>(١)</sup> ضده هم شهداء الله في أرضه  
وقال رحمه الله : ومما قلته من الموشحات التي انفراد باختراعها الأندلسيون ،  
وطمس الآن رسمها :

موشحة له في مدح  
السلطان يوسف  
أبي الحجاج

رُبَّ لَيْلٍ ظَفَرْتُ بِالْبَدْرِ وَنَجُومِ السَّمَاءِ لَمْ تَدْرِ  
حَفِظَ اللَّهُ لَيْلَنَا وَرَعَى  
أَيُّ شَيْءٍ مِنْ هَوَى جَمًّا  
غَفَلَ الدَّهْرُ وَالزَّيْبُ مَعَا  
لَيْتَ نَهَرَ النَّهَارِ لَمْ يَجْرِ حَكَمَ اللَّهُ لِي عَلَى الْفَجْرِ  
عَلَّلَ النَّفْسَ يَا أَخَا الْعَرَبِ  
بِمُحِثِ أَحْلَى مِنَ الضَّرْبِ  
فِي هَوَى مَنْ وَصَالُهُ أَرَى  
كَلِمًا مَرَّ ذَكَرَ مِنْ تَدْرِ قُلْتُ يَا بَرْدَ عَلَى صَدْرِي  
صَاحٍ لَا تَهْتَمُّ بِأَمْرِ غَدٍ  
وَأَجِزْ صِرْفَهَا يَدًا يَبِيدُ  
بَيْنَ نَهْرٍ وَبِلْبَلٍ عَمِيدٍ  
وَعَصُونَ تَمِيدَ مِنْ سُكْرِ أَغْلَنْتُ يَا غَمَامُ بِالشَّكْرِ  
يَا مَرَادِي وَمُنْتَهَى أَمَلِي  
هَاتِهَا عَشْجَدِيَّةَ الْحَلَالِ  
حَلَّتِ الشَّمْسُ مَنَزَلَ الْحَمَلِ  
وَبُنُودِ الرَّبِيعِ فِي نَشْرِ وَالصَّبَا عَنْبَرِيَّةَ النَّشْرِ

[٢١٣]

غُرَّةُ الصَّبِيحِ هَذِهِ وَضَعْتُ  
 وَقِيَانُ النِّصُونِ قَدْ صَدَحَتْ  
 وَكَأَنَّ الصَّبَا إِذَا تَفَحَّتْ  
 وَهَذَا طَيْبُهَا عَنِ الْخَصْرِ مِدْحَةٌ فِي عُلَا بَنِي نَصْرِ  
 هُمْ مَلُوكُ الْوَرَى بِلا تُنْيَا  
 مَهَّدُوا الدِّينَ زَيْنُوا الدُّنْيَا  
 وَحَمَى اللَّهُ مِنْهُمْ الْقَلْبَا  
 بِالْإِمَامِ الرُّفْعِ الْخَطَرِ وَالنِّعَامِ الْمُبَارَكِ الْقَطَرِ  
 إِنَّمَا يُوسُفُ إِمَامٌ هُدَى  
 حَازِي الْمَمْلُوكَاتِ كُلِّ مَدَى  
 قَلْ لَدُمُ بَيْتِكَ سَعْدَا  
 افْتَخِرْ جَمَلَةً عَلَى الدَّهْرِ كَافْتَخِرِ الرِّبْعَ بِالزَّهْرِ  
 يَا عِمَادَ الْعِلَاءِ وَالْمَجْدِ  
 أَطْلَعَ الْعَيْدُ طَالِعَ السَّعْدِ  
 وَوَفَى الْفَتْحُ فِيهِ بِالْوَعْدِ  
 وَتَجَلَّتْ فِيهِ عَلَى الْقَصْرِ غُرُرٌ مِنْ طَلَائِعِ النَّصْرِ  
 فَتَهَنَّا مِنْ حُسْنِهِ الْبَهْجِ  
 بِحَيَاةِ النِّفُوسِ وَالْمُهْجِ  
 وَاسْتَمَهَّمَا وَدَعَا مَقَالَ شَيْخِي  
 قَسَمًا بِالْهَوَى لِدُنَى حَجَرٍ مَا لِلَّيْلِ الشُّوقُ مِنْ فُجْرِ  
 وَمَنْ بِدِيْعِ مَوْشِحَاتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَوْلُهُ :

كَمْ لِيَوْمِ الْفِرَاقِ مِنْ غُصَّةٍ      فِي قَوَادِ الْعَمِيْدِ  
 تَرَفُّعِ الْأَمْرِ فِيهِ وَالْقِصَّةِ      لِلْوَلِيِّ الْحَمِيْدِ

رحل الركب يقطع البيدا      بسفين النياق  
كل وجناء تُتْلِعُ الجيدا      وتُبْذِرُ الرِّفاق  
حَسِبْتُ ليلةَ اللقاء عيدا      فهي ذات اشتياق  
صائمات لا تقبل الرخصة      قبل فطر وعيد  
فهي مذ أُمَّلَتْه غمته      بجهاد جميد

ومنها وهو آخرها :

يا إمام القلا والفخر      ذا السنا الذهبج  
ها كها لا عِدِمَتْ في الدهر      آيلا يرتجى  
عارضت قول بائع التمر      بمقال شجر  
غروبك الجلال يا حفصه      من مكان بعيد  
من سجالسة ومن قفصة      وبلاد الجريد

ومن بديع نظمه رحمه الله في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه القصيدة

المشهورة وهي :

وله في مدح  
النبي صلى الله  
عليه وسلم

سَلِّ مَا لَسَلَّمِي بنار الهجر تَكْوِينِي      وحبها في الحشَى مِنْ قَبْلِ تَكْوِينِي  
وَفِي مُنَاكَاهَا تَمَيَّنْتُ الثَّمَنِي فَقَدَا      قلبي ككثيباً بَبْلَواهُ يُنَاجِينِي  
وَفِي قِيَابِ قُبَا قَامَتْ لَنَا بَقَا      طَارِزُهَا مُذْهَبٌ فِي حُسْنِ تَزِينِ  
لَمَّا انْتَفَتِ فِي الْحِلِّي تَزْهُو بِهَيْجَتِهَا      وبالفزلة تَزُرِي والسَّراحين  
لَمَّا تَقَنَّنَتْ فِي أَفْئَانِ قَامَتْهَا      تَقَنَّنَتْ بِغُنُونِ الصَّدِّ تَفْنِينِي  
وَبِحَسْبِ الصَّبِّ يُسَلِّينِي مَحَبَّتِهَا      هيهات لو أَنَّ جَمَّ النَّارِ يُصَلِّينِي  
النَّارُ فِي كَيْدِي وَالشُّوقُ يُقَلِّتُنِي      والقُربُ يُفْشِرُنِي والبُعدُ يَطْوِينِي

تَمَكَّنَ الحُبُّ فِي أَيْ تَمَكَّنَ  
وَالطَّرْفُ وَالطَّرْفُ يُبَكِّفِي وَيَكُوْنِي  
بِالْكُسْرِ عَلَّ بِرَشَفِ الضَّمِّ تَحْيِيْنِي  
وَانْظُرْ لِعُجْبِ أَثِيْلَاتِ الْبَسَاتِيْنِ  
جَاذِرِ الْحَيِّ بَيْنَ الْخُرْدِ الْعَيْنِ  
وَحَيَّ سَلَمًا وَسَلَّ عَنْ حَالِ مِسْكِيْنِ  
وَاقْرَأِ السَّلَامَ عَلَى خَيْرِ النَّبِيِّيْنِ  
آيَاتِهِ قَتَسَلَّى كُلُّ مُحْزُونِ  
مَا نَالَهَا مُرْسَلٌ قَدْ جَاءَ بِالْدِيْنِ  
شُهْبِ الدِّيَاجِي رُجُومًا لِلشَّيَاطِيْنِ  
وَالْمَاءِ مِنْ كَفِّهِ يَزْرِي بِجِيْنُحُوْنِ  
بَرًّا رَوْفًا رَحِيْمًا بِالسَّكَانِ  
وَإِنْ عَلَا الصَّخْرَ عَادَ الصَّخْرُ كَالْعَالِيْنِ  
شَوْقًا وَبِالصَّخْرِ مَا بِالرَّمْلِ مِنْ لِيْنِ  
وَالْعِدْقُ أَنْ إِلَيْهِ أَيْ تَأْنِيْنِ  
فِي مَنَطِقِ مُفْصِحٍ مِنْ غَيْرِ تَلَكِّيْنِ  
لَا شَيْءَ أَعْظَمَ مِنْ طِهِ وَيَسِيْنِ  
لَكِنْ لِي قَبُولًا مِنْهُ يَكْفِيْنِي  
وَالْيَمُّ التُّرْبَ عَلَّ الْوَصْلَ يَحْيِيْنِي  
مُنَادِيًا بِفَوَائِدِ مِنْهُ مُحْزُونِ  
وَأَحْسَنَ النَّاسِ مِنْ حُسْنٍ وَتَزْيِيْنِ

وَرُكْنِ صَبْرِي تَخَلَّى فِي الْفَرَامِ وَقَدْ  
وَقَدْ رَأَيْتُ مَسِيرِي عَنْهُ مَطْلَبُهُ  
نَصَبْتُ حَالِي لِرَفْعِ الضَّمِّ مَنْجَزِمِ  
يَا صَاحِبَ عُجْبِ الْحَيِّ وَانْزِلْ بِهِمْ سَحْرًا  
وَفَوْقَ سَفْحِ عَقِيْقِ الدَّمْعِ عُجْبٌ لَتَرَى  
وَمِلْ عَلَى أَثْلَاتِ الْبَنَانِ مُنْعَطِفًا  
نَمَّ أَتٍ جَزَعًا وَجُزْءًا عَنْ حَيِّ كَاطِمَةِ  
مُحَمَّدِ الْمُصْطَفَى الْخِتَارِ مَنْ ظَهَرَتْ  
مَنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْقُرْآنِ مُعْجَزَةً  
وَمِنْ شَهَابٍ بَدَأَ مِنْ نُورِهِ رُجُمَتْ  
وَفَوْقَ رَاحَتِهِ صُمُّ الْعَصَى نَقَطَتْ  
وَهُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ الْبَارِي وَأَرْسَلَهُ  
إِنْ سَارَ فِي الرَّمْلِ لَمْ يَظْهَرْ لَهُ أَثَرُ  
كَأَنَّ بِالرَّمْلِ مَا بِالصَّخْرِ مِنْ جَلَدٍ  
وَفِي الصَّحِيْحِيْنِ أَنَّ الْجِدْعَ حَنَّ لَهُ  
وَقَدْ سَمِعْنَا بَأْنَ الطَّيْرِ خَاطِبِهِ  
وَالظُّبَى وَالضَّبَّ جَاءَا يَشْهَدَانِ بَأْنَ  
فَكَيْفَ أَحْسَنَ مَذْحَا فِي مُحَاسِنِهِ  
أَقْبَلَ الْأَرْضَ إِجْلَالًا لِهَيْبَتِهِ  
وَقَدْ أَقُولُ ابْنَ حَمْدَانَ الْغَرِيْبُ أَيْ  
يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ نَحْبِهِمْ

إِنِّي أَتَيْتُكَ فَأَقْبَلْنِي وَخُذْ يَدِي  
وَقَدْ مَدَحْتُكَ فَارْحَمْنِي وَجُدْ نَفْسِي  
وَكَنْ شَفِيعِي مِنَ النَّيرانِ يَا أُمِّي  
صَلِّ عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا صَدَحَتْ  
صَلِّي عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا غَرَدَتْ  
صَلِّي عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا وَفَدَتْ  
صَلِّي عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا هَطَلَتْ  
صَلِّي عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا ضَحَكَتْ  
وَأَلْفُ أَلْفِ صَلَاةٍ لَا نَفَادَ لَهَا  
عَلَيْكَ يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ قَاطِبَةً  
وَأَلْفُ أَلْفِ الْغُرِّ وَالْأَحْصَابِ كُلِّهِمْ  
مَاعِطَارُ الرُّوضِ فِي الْأَسْحَارِ عُرِفَ صَبَا  
وَمَا شَدَّ مُنْشِدُ لَفَرْطِ جَوَى

إِ وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وله في الرجوع  
إلى الله

لَبِسْنَا فَلَمْ تُبْدِلِ الزَّمَانَ وَأَبْلَانَا  
وَنَفَسَتْ بِالْأَمَالِ وَالْعُمُرُ يَنْقُضُ  
وَمَاذَا عَسَى أَنْ يَنْظُرَ الدَّهْرُ مَا عَسَى  
جَزَيْنَا صَنِيعَ اللَّهِ شَرَّ جَزَائِهِ  
فِيَارَبِّ عَالَمِنَا بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ

انتهى .

(١) يريد : « أجرني » .

(٢) ما بين القوسين زيادة عن نث .

[٢١٦]

وَمِنْ لَهَيْبِ لَفْظِي جِرْفِي <sup>(١)</sup> وَسَجَّيْنِ  
مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقَا وَالْحُشْرِ تَنْجِيْنِي  
لَعْلَ أَحْظَى بِأَجْرِ غَيْرِ تَمْنُونِ  
قُمْرِيَّةٌ فَوْقَ أَفْسَانِ الرِّيَاحِينَ  
حَمَائِمُ فَوْقَ أَغْصَانِ الْبَسَاتِينِ  
نُورِيَّةٌ لِحِمَى الْأَطْلَالِ تَبْرِينِي  
مَدَامِ السَّحْبِ أَوْ عَيْنِ الْحَبِّينِ  
مَبَاسِمِ الزَّهْرِ فِي ثَمَرِ الْأَفَانِينِ  
مَضْرُوبَةٌ فِي ثَمَانِ أَلْفِ تَسْعِينَ  
وَأَلْفِ أَلْفِ سَلَامٍ فِي ثَمَانِينَ  
وَتَابِعِيهِمْ لِيَوْمِ الْحُشْرِ وَاللَّيْنِ  
وَفَاحِ نَشْرِ خُرَامِي مِنْهُ نَشْرَيْنِ  
سَلِّ مَا لَسَلَمِي بِنَارِ الْهَجْرِ تَكْوِينِي

يَتَابِعِ أَخْرَانَا عَلَى النَّفَى أَوْلَانَا  
فَمَا كَانَ بِالرُّجْعَى إِلَى اللَّهِ أَوْلَانَا  
فَمَا انْقَادَ لِلزَّجْرِ الْحَثِيثِ وَلَا لَانَا  
فَلَمْ تَرْعَ مَا مِنْ سَابِقِ الْقَضَلِ أَوْلَانَا  
مِنْ الْعَفْوِ وَاجِبِ صَدْعِنَا أَنْتَ مَوْلَانَا <sup>(٢)</sup>



ولنقتصر من نظمته على هذا القدر ، فإنه طويل عريض ، وإنما أطلت النفس في ترجمة ابن الخطيب ، رحمه الله ، علماً متى بأن الذين رغبوا في تأليف هذا الموضوع ، لم تشوف إلى أنباء ابن الخطيب ، وكلامه وجلية أحواله ليست عندهم ، وإنما يحفظون بعض نظمته ونثره ، ولا يدرون ابتداء أمره وانتهاه ، وقد حكى غير واحد أنه رأى رحمه الله بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي بسبب بيتين ، وهما :

يا مصطفى من قبل نشأة آدم والكون لم تفتح له أغلاق  
أبروم مخلوق ثناءك بعد ما أثنى على أخلاقك الخلاق

وقد رأيت على هذين البيتين تجميعاً لا بأس به ، لأبي عبد الله بن جابر الفسائي اللكناشي ، رحمه الله ، وهو :

ياسائرًا لقريح خير العالم يُنبئني إليه مقال صب هام  
بالله نادٍ وقلّ مقالة عالم يامصطفى من قبل نشأة آدم  
والكون لم تفتح له أغلاق

بئناك قد شهدت ملائكة السماء والله قد صلى عليك وسلمًا  
يا مجتبي ومظلمًا ومكرمًا أبروم مخلوق ثناءك بعد ما  
أثنى على أخلاقك الخلاق

اتمى .

\*\*\*

أولاد  
ابن الخطيب

وأولاد ابن الخطيب رحمه الله ثلاثة : عبد الله ، ومحمد ، وعلي . وكلهم حدث عن أبيه وعن ابن الجنياب ، وعلي منهم هو صاحب السلطان أحمد للريني

[٢١٧] لللقب بالمستنصر .

وحكى أنه حضر معه في بستان ، سح فيه ماء المذاكرة الهتان ؛ وقد  
أبدى الأصيل شواهد الاصفرار ، وأزعم النهار لما قديم الليل على الفرار ؛  
فقال المستنصر<sup>(١)</sup> لما لان جانبه ، وسالت بين سرحات البستان جداوله  
ومذانيه :

على بن الخطيب  
والستنصر  
في بستان

يا فاس إني وأنيم الله ذو شغف في كل ربع له معناه يشيني  
وقد أنست بقرب منك يا أملى ونظرة فيكم بالأنس تحييني  
فأجابه على بن الخطيب بقوله [العذب المصيب] <sup>(٢)</sup> :

لا أوحش الله ربعا أنت زائرهم يا بهجة الملك والدينامع الدين  
يا أحمد الحمد أبقاك الإله لنا نغر الملوك وسلطان السلاطين

وأما عبد الله فقد كتب بالمؤدوتين ، عن ملوك الحضرتين . وأما محمد فقد  
نال حظا من التصوف ، ولم يكن له إلى خدمة الملوك تشوف .

عن  
عبد الله ومحمد  
ابن الخطيب

ولا بد أن نلم بوصية ابن الخطيب ، رحمه الله ، لأولاده المذكورين ، لما  
فيها من الحكم والوصايا النافعة لمن عمل بها ، وهي :

وصية  
ابن الخطيب  
لأولاده

الحمد لله الذي لا يزوعه الحماكم الرقوب ، إذا شيم نجمة الملقوب ، ولا ينفته  
الأجل المكتوب ، ولا يفتجوّه القراق المعتوب ، ملهم الهدى الذى تطمئن به  
القلوب ، وموضح السبيل المطلوب ، وجاعل النصيحة الصريحة في قديم الوجوب ،  
لا سيما للولي المحبوب ، والولد المنسوب ، القائل في كتابه المعجز الأسلوب ، « أم  
كذبت شهداء إذ حصر يعقوب » ، « ووصى بها إبراهيم بنه ويعقوب » ؛ والصلاة

(١) في ط : « السلطان » .

(٢) زيادة عن ث .

والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله أكرم من زُرْتُ على نوره جُيوب الغيوب ،  
 [٢١] وأشرف من خُلْتُ عليه حُلَل التهاية والعصمة ، فلا تقتحمه العيون ولا تَصِفُه<sup>(١)</sup>  
 العيوب ، والرضا عن آله وأصحابه المثابرين على سبيل الاستقامة بالمهوى المغلوب ،  
 والأمل المسلوب ، والافتداء الموصل للرعوب ، والعز والأمن من اللغوب .

وبعد ، فإني لما عَلَّاني للشيب بِمُتته<sup>(٢)</sup> ، وقادني السكبر في رُمته ، واذ كرتُ  
 الشباب بعد أُمته ؛ أَسِفْتُ لِمَا أَضَفْتُ ، وَنَدِمْتُ بعد الفِطَام على ما رَضِعْتُ ؛  
 وتأنكد وجوب نُصْحِي لمن لَزِمْنِي رَعْيُهُ ، وتعلق بِسَمِي سَعْيِهِ ، وأملت أن تَتَعَدَّى  
 إلى ثمرات استقامته ، وأنا رهين قَوَات ، وفي برزخ أموات ؛ ويأمن<sup>(٣)</sup> العُشور  
 في الطريق التي اقتضت عِثَارِي ، إن سلك — وعسى ألا يكون ذلك — على  
 آثارِي ؛ فقلت أخطب الثلاثة الولد ، وثمرات الخلد ؛ بعد الضراعة إلى الله  
 في توفيقهم<sup>(٤)</sup> ، وإيضاح طريقهم ، وجمع تفريقهم ؛ وأن يَمُنَّ على فيهم بحسن  
 الخلف ، والتلافي من قبل التلّف ، وأن يرزق خلفهم التسك بهدى السلف ؛  
 فهو وليّ ذلك ، والمهادى إلى خير المسالك .

اعلموا هداكم مَنْ بَأَنواره يَهْتَدَى الضُّلَال ، وبرضاه تُرْفَع الأغلال ، وبالتماس  
 قربه يحصل السكّال ، إذا ذهب المال ، وأخلفت الآمال ، وتبرأت من يمينها  
 الشّمال ؛ أنى مودعكم وإن سألنى الردى ، ومُفارقكم وإن طال اللدى ، وما عدا

(١) كذا في نفع الطيب ؛ وفي ط : « ولا تصفه » ، وهو تحريف .

(٢) في ط : « الهرم » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « وليأمن » .

(٤) في ط : « تفضيلهم » .

(٥) في نفع الطيب : « هداكم الله تعالى الذي بَأَنواره ... الخ » .

مما بدا<sup>(١)</sup> ؛ فكيف وأدوات السفر تُجمع ، ومنادى الرحيل يُسمع ؛ ولا أقل للحبیب المودّع من وصية محتضّر ، وعُجالة مقتصر ؛ ورتيمة تُعقد في خنصر ، ونصيحة تكون نشيدة واعٍ ومُبصر ؛ تتكفل لكم بحسن العواقب من بعدى ، وتوضح لكم في الشفقة والحنو قصدى ، حسناً تضمن وعدُ الله من قبل وعدى ؛  
فهي أربكم الذى لا يتغير وقفه ، ولا ينالكم السكره ما رَفَ عليكم سقفه ؛ وكأني [١٩]  
بشبابكم قد شاخ ، وبراحلكم قد أناخ ؛ وبشاطكم قد كسل ، واستبدل الصاب من العسل ، ونُصول الشيب ترُوع بأسل ، لا بل [ السام ]<sup>(٢)</sup> من كل حَدَب قد نسل ، والمعاد اللحد ولا نسل ؛ فبالأمس كنتم فِراخ حَجَر ، واليوم آباء<sup>(٣)</sup>  
عسكر حَجَر ، وغدا شيوخ مَضِيعَة وهَجَر ؛ والقبور فاغره ، [ والنفوس عن المألوفات صاغره ]<sup>(٤)</sup> ؛ والدنيا بأهلها ساخره ، والأولى تعقبها آخره ؛ والحازم من لم يُعَظ به في أسر ، وقال : بيدى لا بيد عمرو ؛ فاقتنوها من وصيته ، ورام في النصيح قصيه ؛  
وخُصُوا بها أولادكم إذا عَقَلُوا ، ليجدوا زادها إذا انتقلوا ؛ وحسبى وحسبكم الله الذى لم يخلق الخلق هملاً ، ولكن ليبلوهم أيهم أحسن عملاً ؛ ولا رضى الدنيا منزلاً ، ولا لطف بمن أصبح عن فئة الخير منزلاً ؛ ولتلقنوا تلقينا ، وتعلموا علمًا يقينا ؛ أنكم لن تجدوا بعد أن أنفردَ بذنبي ، ويفترش التراب جنبي ؛ ويسح انسكابي ، وتهزل عن المصلى ركابي ؛ أحرص منى على سعادة إليكم تجلب ، أو غاية كمال بسببكم تُرتاد وتطلب ؛ حتى لا يكون في الدين والدنيا أوزف

(١) ماعدا مما بدا : أى ما اتى بصرف الإنسان عن إتمام ما بدا منه . يريد أنه لا يمنعه من الرحيل عن هذه الدنيا مانع .

(٢) زيادة عن فتح الطيب . والسام (بضم السين) : الموت .

(٣) في فتح الطيب : « آباء » .

(٤) زيادة من فتح الطيب .

منكم ظلاً ، ولا أشرف محلاً ، ولا أغبط نهلاً وعلاً ؛ وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تُصيخوا إلى قولي الآذان ، وتعلموا صُبْحَ نصحي فقد بان ، وسأعيد عليكم وصية لقمان :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « وَإِذْ قَالَ لِقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُفْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » . « يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْمُحَمِّيرِ » . [٢٢٠]

وأعيد وصية خليل الله وإسرائيل ، حسبما تضمنه محكم تنزيله : « يَا بُنَيَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » . والدين الذي ارتضاه واصطفاه ، وأكمله ووفّاه ، وقرّره مصطفاه ، من قبل أن يتوفّاه ، إذا أعمل فيه افتقاد ، فهو عمل واعتقاد ؛ وكلاهما مقرر ، ومستمد من عقل أو نقل محرر ؛ والعقل متقدم ، وبنائه مع رفض أخيه متهدم ؛ فالله واحد أحد ، فرد صمد ، ليس له والد ولا ولد ؛ تنزهه عن المكان والزمان ، وسبق وجوده وجود الأكواف ؛ خالق الخلق وما يعملون ، والذي لا يسأل عن شيء وهم يسألون ؛ الحى العليم المدبر القدير ، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ؛ أرسل الرسل رحمة لتدعو العباد<sup>(١)</sup> إلى النجاة من الشقاء ، وتوجّه<sup>(٢)</sup> الحجة في مصيرهم

(١) في ط : « توجب » .

(٢) في فتح الطيب : « الناس » .

إلى دار البقاء ، مؤيَّدة بالمعجزات التي لاتنصف أنوارها بالاخفاء ، ولا يجوز على تواترها دعوى الانتفاء ؛ ثم ختم ديوانهم بنبيِّ مِلَّتِنَا المُرْعِيَةِ للهْمَل ، الشاهدة على المِلَل ، فتلخَّصت الطاعة ، وتبينت <sup>(١)</sup> له الإمرة الطاعة ، ولم يبق بعده إلا ارتقاب الساعه ؛ ثم إن الله قبضه إذ كان بشرا ، وترك دينه يضم من الأمة نَشْرًا ؛ فمن اتبعه لحق به ، ومن حاد عنه تورط في مُنْتَسَبِهِ <sup>(٢)</sup> ، وكانت نجاته على قدر سببه .

روى عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم <sup>(٣)</sup> تضلوا بملدى : كتاب الله وسنتي ، فعضوا عليهما بالنواجذ » . [٢٢٩]

فاعملوا يا بَنِيَّ بوصيةً مِنْ ناصح جاهد ، ومُشْفِق شفقة والد ؛ واستشعروا حبه الذي توفرت دواعيه ، وعُوا مَرَاشِدَ هديه فيافَوْزِ واعيه ؛ وصلُّوا السبب بسببه ، وآمنوا بكل ما جاء به مجلًا [ أو مفصلاً ] <sup>(٤)</sup> على حَسَبِهِ ، وأوجبوا التجلَّة لصحبه ؛ الذين اختارهم الله لصحبته ، واجعلوا محبتكم إياهم من توابع محبته ؛ واشملوهم بالتوقير ، وفضلوا منهم أولى الفضل الشهير ؛ وتبرءوا من العصبية التي لم يدعكم إليها داع ، ولا تبع التشاجر بينهم أذنُ واع ؛ فهو عنوان السداد ، وعلامة سلامة الاعتقاد ؛ ثم اسحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء الملَّة ، وأتمتها الجِلَّة ؛ فهم صَقَلَةٌ نصولهم ، وفروعُ ناشئة عن أصولهم ، وورثتهم وورثة رسولهم ؛ واعلموا أني قطعت في البحث زمانى ، وجملت النظر شانى ، منذ برانى الله وأنشأتى ، مع نبيل يعترف به الشانى ، وإدراك يسلمه العقل الإنسانى ؛ فلم أجد خابط وِزْق ، ولا مصيب عَرَق ؛ ولا

(١) كذا في ط . وفي ت : « نقتت » . وفي نفع الطيب : « تمينت » .

(٢) كذا في الأسلين . وفي نفع الطيب : « ومن تركه نوط عنه في منسبه » .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « لن تضلوا » .

(٤) زيادة عن نفع الطيب .

فازع خطام ، ولا متكلف فطام ، ولا مقتحم بحر طام ؛ إلا وغايته التي يقصدها  
 قد فضلتها الشريعة وسبقها ، وفرغت ثنيتها وارتقتها ؛ فليكم بالتزام جادتها  
 السابله ، ومصاحبة رُفقتها الكافله <sup>(١)</sup> ، والاهتداء بأقمارها غير الآفله ؛ والله يقول وهو  
 أصدق القائلين : « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ  
 مِنَ الْخَاسِرِينَ » ؛ وقد علت <sup>(٢)</sup> شرائعه ، وراع الشكوك رائعه ؛ فلا تستنزلكم  
 الدنيا عن الدين ، وابدلوا دونه النفوس فعل المهتدين ، فلن ينفع متاعٌ بعد الخلود  
 في النار أبد الآبدن ، ولا يضرّ مفقود مع الفوز بالسعادة والله أصدق الواعدين ،  
 ومتاع الحياة الدنيا أخسّ ما ورث الأولاد عن الوالدين ، اللهم قد بلغت ، فأنت  
 خير الشاهدين ؛ فاحذروا المعاطب التي توجب في الشقاء الخلود ، وتستدعي شوه  
 الوجوه ونُضج الجلود ؛ واستمعيذوا <sup>(٣)</sup> برضا الله من سُخطه ، واربثوا بنفوسكم عن  
 غمطه ؛ وارفعوا آمالكم عن الفنوع بغرور قد خدع أسلافكم ، ولا تحمدوا على  
 جيفة القرص الزائل ائتلافكم ؛ واقنعوا منه بما تيسر ، ولا تأسوا على ما فات  
 وتعدّر ؛ فإنما هي دُجّة <sup>(٤)</sup> ينسخها الصباح ، وصفقة يتعقبها الخسار والرباح ؛  
 ودونكم عقيدة الإيمان ، فشدّوا بالنواجذ عليها ، وكشفوا الشبه أن تدنو إليها ؛  
 واعلموا أن الإخلال بشيء من ذلك خرق لا يرفؤه عمل ، وكل ما سوى الراعي  
 همل ، وما بعد الرأس في صلاح الجسم أمل ؛ وتمسكوا بكتاب الله حفظًا وتلاوة ،  
 واجعلوا حله على حمل التكليف علاوة ؛ وتذكروا في آياته ومعانيه ، وامثلوا  
 أوامره واتهوا عن مناهيه ، ولا تتأولوه ولا تغلّوا فيه ؛ وأشربوا قلوبكم حب

(١) في نفع الطيب : « السكاملة » .

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « علت » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « واستمعيوا » .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « دجية » .

من أنزل على قلبه ، وأكثروا من بواث حبه ؛ وصنّوا شمائر الله صَوْنَ المحترّم ، واحفظوا القواعد التي ينبني عليها الإسلام حتى لا ينخرم .

الله الله في الصلاة ذريعة التجلّه ، وخاصة المله ، وحاقنة الدم ، وغنى المستأجر للمستخدّم ؛ وأمّ العبادة ، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة ؛ والناهيّة عن الفحشاء والمنكرهما <sup>(١)</sup> عرض الشيطان عرضهما ، ووطأً للنفس الأمارّة سماءها وأرضها ؛ والوسيلة إلى بَلِّ الجوانح ببرود الذكر ، وإيصال تحفة الله إلى مريض الفكر ؛ وضابطة <sup>(٢)</sup> حسن العشرة من الجار ، وداعية المسائلة

من الفجّار ؛ والواسمة بسمّة السلامة ، والشاهدة للعقد برفع الملامه ؛ وغاسول الطبع [٢٢٣] إذا شانه طبع ، والخير الذي كل خير له تبع ؛ فاصبروا النفس على وظائفها بين إبداء وإعاده ، [فالخير عاده] <sup>(٣)</sup> ؛ ولا تفضلوا عليها الأشغال البدنية ، [وتؤثروا على التليّة الدنيّة] <sup>(٤)</sup> ؛ فإن أوقاتها المعينة بالانقلاّت تنبّس <sup>(٥)</sup> ، والفلك بها من أجلكم لا يحبس ؛ وإذا قرنت <sup>(٦)</sup> بالشواغل فلها الجاه الأصيل ، والحكم الذي لا يغيره الغدو ولا الأصيل ؛ والوظائف بعد أدائها لا تفوت ، وأين حق من يموت ، من حق الحي الذي لا يموت ؟ وأحكموا أوضاعها إذا أقتموها ، وأتبعوها النوافل ما أظفتموها ؛ فبالإتقان تفاضلت الأعمال ، وبالمرعاة استحقّق <sup>(٧)</sup> الكمال ،

(١) كذا في الأصلين . وفي فتح الطيب : « وإن » .

(٢) في فتح الطيب : « ضامنة » .

(٣) زيادة عن فتح الطيب .

(٤) زيادة عن فتح الطيب .

(٥) تنبّس : تبرع .

(٦) في ط : « قورنت » .

(٧) في فتح الطيب : « استحققت » .



ولا شكر مع الإهمال ، ولا ربح مع إضاعة رأس المال ؛ وثابروا<sup>(١)</sup> عليها في الجماعات ، وبيوت الطاعات ؛ فهو أرفع للام ، وأظهر لشرائع الإسلام ؛ وأبرّ بإقامة القرض ، وأدعى إلى مساعدة البعض البعض .

والطهارة التي هي في تحصيلها سبب موصل ، وشرط لمشروطها محصل ؛ فاستوفوها ، والأعضاء نظفوها ، ومياهاها بنفّر أوصافها الحيدة فلا تصفوها ؛ والحجّول والثرر فأطيلوها ، والنيات في كل ذلك فلا تهملوها ؛ فالبناء بأساسه ، والسيف برئاسه<sup>(٢)</sup> . واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطهور ، وذكر مجهور وغير مجهور ؛ تستغرق الأوقات ، وتتنازع شتى الخواطر المفترقات ؛ فلا يضبطها إلا من ضبط نفسه بعقل ، وكان في درجة الرجولة ذا انتقال<sup>(٣)</sup> ، واستعاض صدأه بصقال ؛ وإن تراخى تهقر الباع ، وسرقة الطباع ، وكان لما سواها أضيع فشمل الضياع .

والزكاة أختها الحبيبة ، ولدتها القريبة ؛ مفتاح الساحة بالعرض الزائل ، وشكران المسئول على الضد من درجة السائل ؛ وحق الله في مال من أغناه ، لمن أجده في المعاش وعناه ؛ من غير استحقاق ملء يده وإخلاء يد أخيه ، [٢٢٤] ولا علة القدر الذي يخفيه ، وما لم ينله حظ الله فلا خير فيه ؛ فاسمحوا بفرقتها للحاضر لإخراجها ، واختيار عرضها ونتاجها ؛ واستحيوا من الله أن تبخلوا عليه ببعض ما بذل ، وخالفوا الشيطان كلما عذل ؛ واذكروا خروجكم إلى الوجود لا تمسكون ، ولا تدرون أين تسكون ؛ فوهب وأقدر ، وأورد

(١) البارة من قوله : « وثابروا » إلى قوله : « وأبر » ساقطة في نسخ الطيب .

(٢) في نسخ الطيب : « برأسه » .

(٣) هذه الجملة ساقطة في نسخ الطيب .

بفضله وأصدر ؛ ليرتب بكرمه الوسائل ، أو يقيم الحجج والدلائل ؛ فابتغوا إليه الوسيلة بماله ، واغتنموا رضاه ببعض نواله .

وصيام رمضان عبادة السر الملقبة إلى الله زُلْفَى ، الممحوضة لمن يعلم السر وأخفى ؛ مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام ، والقيام بير القيام ؛ والاجتهاد ، وإيثار السهاد على المهاد ؛ وإن وَسِعَ الاعتكافُ فهو من سننه [ المرعيه ، ولواحقه <sup>(١)</sup> ] الشرعيه ؛ فبذلك تَحَسَّنُ الوجوه ، وتحصل النفوس من الرقة على ما ترجوه ؛ وتهذب الطباع ، ويمتد في ميدان الوسائل إلى الله الباع .

والحج مع الاستطاعة الركن الواجب ، والفرض على العين لا يحجبه الحاجب ؛ وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدره فيما فرض عن ربه وسنَّه ، وقال : ليس له جزاء عند الله إلا الجنة .

ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ؛ فكونوا ممن يسمع نفيده ويُطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه .

هذه عُمد الإسلام وفروضة ، وتقود سَهْره وغُروضه ؛ لحافظوا عليها تمشوا مبرورين ، وعلى من يُناوئكم ظاهرين ، وتلقوا الله لا مبدلين ولا مغيرين ، ولا تضيئوا حقوق الله قهلكوا مع الخاسرين .

واعلموا أن بالعلم تُستكملُ وظائف هذه الألقاب ، وتُجلى محاسنها من بعد الانتقاب ؛ فليكم بالعلم النافع ، دليلا بين يدي الشافع ؛ فالعلم مفتاح هذا [ ٢٢٥ ] الباب ، والموصل إلى الألباب ؛ والله عز وجل يقول : « هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ » . والعلم وسيلة النفوس

الشريفه ، إلى المطالب المُنِيفه ، وشرطه الخشية لله والخيفه ؛ وخاصة الملائ  
الأعلى ، وصفه الله في كتبه التي تُتلى ؛ والسبيل في الآخرة إلى السعاده ،  
وفي الدنيا إلى التَّجَلَّة عاده ؛ والنُّذْر الذي قليله يشفع وينفع ، وكثيره يُغلي  
ويرفع ؛ لا يغصبه الغاصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ؛ ولا يبتزه الدهر إذا مال ،  
ولا يستأثر به البحر إذا هال ؛ من لم ينله فهو ذليل وإن كثرت آماله ، وقليل  
وإن جَمَّ ماله ؛ وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطَّى حسابكم ؛ فالتسوم  
لبنيكم ، واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم ؛ وأحلوهم على جمعه ودرسه ،  
واجعلوا طباعهم تُرعى لغرسه ؛ واستسهلوا ما ينالهم من تعب من جرّاه ، وسهر بهجُر  
له الجفن كراه ؛ تَعَقِدُوا لهم ولاية عِزٍّ لا تُعزل ، وتُحَلِّمُوا مثابة رفعة لا يُحط فارعا  
ولا يستنزل ؛ واختاروا من العلوم التي يُنَفِّقها الوقت ، ما لا يناله في غيره المقت ؛  
وخير العلوم علوم الشريفه ، وما نجم بمنابها التريعه ؛ من علوم لسان لا تستغرق  
الأعمارَ فصولها<sup>(١)</sup> ، ولا يضايق ثمرات المعاد محصولها ؛ فإنما هي آلات لغيره ،  
وأَسباب إلى خير منها وخير ؛ فمن كان قابلا منها لازدياد ، وألنى فهمه ذا اتقياد ؛  
فليخص تجويد القرآن بتقديمه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيميه ؛  
ثم الشروع في أصول الفقه ، فهو العلم العظيم اللّته ، المُهْدَى كنوز الكتاب  
والسُّنَّة ؛ ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجله ، والتدرب في طرق النظر وتصحيح  
الأدلة ، وهذه هي الناية القصوى في اللّله ؛ ومن قصّر إدراكه عن هذا المرعى ،  
وتقاعد عن التي هي أسمى ؛ فليزو الحديث بعد تجويد الكتاب وإحكامه ،  
وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه ؛ وإياكم والعلوم القديمة ، والفنون  
المهجورة التميميه ، فأكثرها لا يفيد إلا تشكيكا ، ورأيا ركيكا ؛ ولا يشمر في

العاجلة إلا اقتحام العيون ، وتطريق الظنون ؛ وتطويق الاحتقار ، وسمية الصغار ، وخول الأقدار ، والخسف من بعد الإبدار ؛ وجادة الشريعة أعرق في الاعتدال ، وأوفى<sup>(١)</sup> من قطع العمر في الجدال ؛ هذا ابن رشد قاضي المصّر<sup>(٢)</sup> ومفتيه ، وملتصم الرشد ومؤتبه ؛ عادت عليه بالسخط الشنيعة ، وهو إمام الشريعة ؛ فلا سبيل إلى اقتحامها ، والتورط في ازدحامها ، ولا تخطوا سامكم بحماها ؛ إلا ما كان من حساب ومساحه ، وما يعود بجدوى فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة ؛ وما سوى ذلك فمحجور ، وضّرّم منسجور ، وممقوت مهجور .

وأمرؤا بالمعروف أمراً رفيقاً ، وإنهؤا عن المنكر نهياً حرياً بالاعتدال حقيقة ، واغبطوا من كان من سنة الغفلات مُفِيقاً ، واجتنبوا ما تُهون عنه حتى لا تسلكوا منه طريقاً ؛ وأطيعوا أمر من ولّاه الله من أموركم أمراً ، ولا تقربوا من الفتنة جراً ، ولا تداخلوا في الخلاف زيداً ولا عمراً .

وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وأهم ما أضرم على الآباء السنة البنين ؛ وأكرم منسوب إلى مذهبه ، ومن أكثر من شيء عرف به . وإياكم والكذب فهو العورة التي لا توارى ، والسوءة التي لا يُرتاب في عارها ولا يُتبارى ؛ وأقل عقوبات الكذاب ، بين يدي ما أعد الله له من العذاب ، ألا يُقبل صدقه إذا صدق ، ولا يعول عليه إن كان بالحق قد نطق .

[٢٢٧]

وعليكم بالأمانة فالحيانة لؤم ، وفي وجه الديانة كُلوّم ؛ ومن الشريعة التي

(١) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « وأشفق » .

(٢) كان ابن رشد قاضي الجماعة بقرطبة .

(٣) يقال : أضرم بالشيء إذا أضرم به وعوده إياه ، وكأنه ضمن الفعل معنى : صرته

على الشيء .

لا يُعَذَّر بِجَهْلِهَا ، أداء الأمانات إلى أهلها ؛ وحافظوا على الحِشْمَةِ والصِيَانَةِ ، ولا تَجْزُوا من أقرضكم دِينَ الْخِيَانَةِ ؛ ولا توجدوا للقدَرِ قَبُولًا ، ولا تقروا عليه طبعًا مجبولًا ؛ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولًا ؛ ولا تستأثروا بكنز ولا خَزَنَ ، ولا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين في مَهَلٍ ولا خَزَنَ ، ولا تَبْخَسُوا الناس أشياءهم في كَيْسٍ أو وزن ؛ والله الله أن تعينوا في سفك الدماء ولو بالإشارة أو بالكلام ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام ؛ واعلموا أن الإنسان في فُسْحَةٍ ممتدة ، وسبيل الله غير منسدة ؛ ما لم يَنْفِذِ إلى الله بأمانِهِ ، ويفس في الدم الحرام بيده أو لسانه ، قال الله تعالى في كتابه الذي هدى به سَنَنًا قويمًا ، وجَلَى من الجهل والضلال ليلًا بهيما : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » .

واجتناب الزنا وما تعلق به من أخلاق من كرم طباعه ، وامتد في سبيل السعادة باعه ، ولو لم تلتق <sup>(١)</sup> نور الله الذي لم يهد <sup>(٢)</sup> شعاعه ، فالخلال لم تضق عن الشهوات أنواعه ، ولا عدم إقناعه ؛ ومن غلبت عليه غرائز جهله ، فلينظر هل يجب أن يُزْنَى بأهله ؟ والله قد أعد للزاني عذابًا وبئلا ، وقال : « وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا » .

والخُرَامُ الكبائر ، ومفتاح الجرائم والجرائر ؛ والله لم يجعله الله في الحياة شرطًا ، والمحرم قد أغنى عنه بالخلال الذي سَوَّغَ وأعطى ؛ وقد تركها [٢٢٨] في الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد ، ولا لنفوسهم بالمضرة في مَرَضَةِ

(١) في ط : « تلو » .

(٢) في ت : « يهد » .

الأجساد ، والله قد جعلها رجساً محرماً على العباد ، وقرّنها بالأنصاب والأزلام في مبانة السداد .

ولا تقرّبوا الربا فإنه من مناهي الدين ، والله تعالى يقول : « وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . وقال : « فَإِنْ لَمْ تَقْعُولُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » في الكتاب البين . ولا تأكلوا مال أحد [بغير حق يبيحه] <sup>(١)</sup> ، وانزعوا الطمع عن ذلك حتى تذهب ربحه ؛ واتمسوا الحلال يسمى فيه أحدكم على قدمه ، ولا يكل اختياره إلا للثقة من خدمه ، ولا تلجئوا إلى التشابه إلا عند عدمه ؛ فهو في السلوك إلى الله أصل مشروط ، والمحافظة عليه مفبوط .

وإياكم والظلم ، فالظالم ممقوت بكل لسان ، مجاهر لله بصريح العصيان ، والظلم ظلمات يوم القيامة كما ورد في الصّحاح الحسان ؛ والتميمة فساد وشتات ، لا يبقى عليه مئآت ، وفي الحديث : « لا يدخل الجنة قتّات » . واطرحوا الحسد فما ساد حسود ، وإياكم والغيبة فباب الخير عنها مسدود ، والبخل فما رقى البخل وهو مودود <sup>(٢)</sup> ؛ وإياكم وما يعتذر منه ، فواقف الحزى لا تستقال عثراتها ، ومظنّات الفضائح لا تؤمن غمراتها ؛ وتفقدوا أنفسكم مع الساعات ، وأفسدوا السلام في الطرق والجماعات ، ورقوا على ذوى الزّمانات والعاهات ، وتاجروا مع الله بالصدقة يُربحكم في البضاعات ؛ وعولوا عليه وحده في الشدائد ، واذكروا المساكين إذا نصبتكم الموائد ؛ وتقرّبوا إليه باليسير من ماله ، واعلموا أن الخلق عيال الله وأحب الخلق إليه المحتاط لعياله ؛ وازعوا حقوق الجار ، [٢٢٩]

(١) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٢) كذا في نفع الطيب وفي الأصلين : « إلا وهو مردود » .

واذكروا ما ورد في ذلك من الآثار ؛ وتماهدوا أولى الأرحام ، والشانج البادية  
 الالتحام ؛ واحذروا شهادة الزور فإنها تقطع الظهر ، وتقصد السر والجهر ؛  
 والرشا فإنها تحط الأقدار ، وتستدعى المذلة والصفار ؛ ولا تسامحوا في لعبة  
 قمر ، ولا تشاركوا أولى البطالة في أمر ؛ وصونوا المواعد من الإخلاف ،  
 والأيمان من حنث الأوغاد والأجلاف ، وحقوق الله من الازدراء والاستخفاف ،  
 ولا تلهجوا بالآمال العجاف ، ولا تكلفوا بالكهانة والإرجاف ؛ واجعلوا العمر  
 بين معاش ومعاد ، وخصوصية وابتعاد ، واعلموا أن الله بمرصاد ، وأن الخلق  
 بين زرع وحصاد<sup>(١)</sup> ؛ وأقلوا بنير الحالة الباقية المموم ، واحذروا القواطع عن  
 السعادة كما تُعذر السموم ، واعلموا أن الخير أو الشر في الدنيا محال أن يدوم ؛  
 وقابلوا بالصبر أذية المؤذين ، ولا تقارضوا<sup>(٢)</sup> مآلات الظالمين ، فإله لمن بُنى  
 عليه خير الناصرين ؛ ولا تستعظموا حوادث الأيام كلما نزلت ، ولا تضجوا<sup>(٣)</sup>  
 للأمراض إذا أغصلت ؛ فكل منقرض حقير ، وكل منقضي وإن طال  
 قصير ؛ وانتظروا الفرج ، وانتشقوا من جناب الله الأرج ؛ وأوسعوا بالرجاء  
 الجوانح ، [ واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى فطوبى لعبد إليه جافح ]<sup>(٤)</sup> ،  
 وتضرعوا إلى الله بالدعاء ، والجنثوا إليه في البأساء والضراء ؛ وقابلوا نعم الله  
 بالشكر الذي يقيد منها الشارد ، ويغذب الموارد ؛ وأسهموا منها للمساكين ،  
 وأفضلوا عليهم ، وعينوا المخطوط منها لديهم ؛ فمن الآثار : « يا عائشة أحسني جوار

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « وأن الخلق زرع حصاد » .

(٢) في نفع الطيب : « ولا تعارضوا » .

(٣) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « تضجروا » .

(٤) زيادة عن نفع الطيب .

نِعَمَ اللهُ ، فإنها قلما زالت عن قوم فعادت إليهم . « ولا تُطْفِئُكُمُ النِّمَّ فَتَقْصُرُوا فِي »<sup>(١)</sup> [٢٣٠]  
شكرها ، وتلفك الجمالة بسكرها ؛ وتوهوا أن سعيكم جلبها ، وجِدَّكم حلها ؛  
فالله خير الرازقين ، والمأقبة للمعتقين ، ولا فعل إلا الله إذا نظر بعين اليقين .  
والله الله لا تنسوا الفضل بينكم ، ولا تُذهِّبوا بذهابه رَيْنُكُمْ ؛ وليلتزم كل منكم  
لأخيه ، ما يشتد به تواخيه ؛ بما أمكنه من إخلاص وبر ، ومراعاة في علانية  
وسر ؛ وللإنسان مزية لا تُجْهَل ، وحق لا يُهْمَل ؛ وأظهروا التعاضد والتناصر ،  
وصِلُّوا التعاهد والتزاور ؛ تَزُغِرُوا بذلك الأعداء ، وتستكثروا الأوداء ؛ ولا تنافسوا  
في المحفوظ السخيف ، ولا تَهَارِشُوا تَهَارُشُ السباع على الجيفة ؛ واعلموا أن  
المعروف يُكَدَّرُ بالامتنان ، وطاعة النساء شر ما أفسد بين الإخوان ؛ فإذا  
أسديتم معروفا فلا تذكروه ، وإذا برز قبيح فاستروه ، وإذا أعظم النساء أمرا  
فاحتقروه ؛ والله الله لا تنسوا مقارضة سَجَلِي ، وبرُّوا أهل مودتي من أجلى ؛  
ومن رَزَقَ منكم مالا بهذا الوطن القَلِقِ المهاد ، الذي لا يصلح لغير الجهاد ؛ فلا  
يستهلكه أجمع في العقار ، فيصبح عريضة للمذلة والاحتقار ، وساعيا لنفسه إن  
تَغَلَّبَ العدو على بلده في الافتضاح والافتقار ؛ ومُعَوِّفاً عن الانتقال ، أمام الثوب  
الثقال ؛ وإذا كان رزق العبد على المولى ، فالإجمال في الطلب أولى ؛ وازهدوا  
جُهدكم في مصاحبة أهل الدنيا ، غيرها لا يقوم بشرها ، ونفعها لا يفي بقصرها ؛  
وأعقاب من تقدم شاهده ، والتواريخ لهذه الدعوى عاضده ؛ ومن يُبلى منكم بها  
فليستظهر بسمة الاحتمال ، والثقل من المال ، ويحذر مُعاداة الرجال ، ومزلات  
الإذلال ، وفساد الخيال ، ومداخلة العيال ؛ وإفشاء الأسرار ، وسكر الاعتقار<sup>(٢)</sup> ؛ [٢٣١]

(١) في نفع الطيب : « ولا تطفئوا في النعم فتقصروا عن شكرها » .

(٢) في شح الطيب : « وإفشاء السر ، وسكر الاعتقار ، فإنه دأب الفر » .



وليصن الديانة ، ويؤثر الصمت ويلزم الأمانة ، ويسر من رضا الله على أوضح الطرق ، ومهما اشتبه عليه أمران قصد أقربهما إلى الحق ؛ وليقف في التماس أصحاب الجلال ، وسمو القدر ورفعة الحال دون الكمال ، فمابعد الكمال غير نقصان ، والزعرع تسالم اللدن اللطيف من الأغضان . وإياكم وطلب الولايات رغبة واستجلاباً ؛ واستظهاراً على الخطوط<sup>(١)</sup> وغلاباً ؛ فذلك ضرر بالمروءات والأقدار ، داع إلى الفضح<sup>(٢)</sup> والعار ؛ ومن امتحن منكم بها اختياراً ، أو جبر عليها إكراهاً وإيثاراً ؛ فليتلق وظائفها بسعة صدره ، وليبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ؛ فالولايات فتنة وبحنة ، وأسر وإحنة ؛ وهى بين إخطاء سعادة ، وإخلال بعباده ؛ وتوقع عزل ، وإدالة رخاء بأزل ، وبيع جد من الدنيا بهزل ؛ ومزلة قدم ، واستتباع ندم ؛ ومآل العمر كله قوت ومعاد ، واقتراب من الله وابتعاد ؛ جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه ، ومن لا ينقطع بسببه عمل أبيه .

هذه أسعدكم الله وصيتى التى أصدرتها ، وتجارتى التى لربحكم أدتتها ؛ فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ؛ وبقدر ما أمضيت من فروعها ، واستغشيت من دروعها ؛ اقتنيت من المناقب الفاخرة ، وحصلت على سعادة الدنيا والآخرة ؛ وبقدر ما أضعت من لآلئها النفيسة القيم ، استكثرتم من بواعث الندم ؛ ومهما ستم إطالتها ، واستغزرتهم مقالاتها ؛ فاعلموا أن تقوى الله فذلكم الحساب ، وضابط هذا الباب ؛ كان الله خليفة علىكم فى كل حال ، فالدنيا منأخ أرحال ، وتأميل الإقامة فرض محال ؛ فالموعد للالتقاء ، دار البقاء ؛ [٢٣٢]

(١) فى فتح الطيب : « الخطوب »

(٢) فى فتح الطيب : « الفضيحة » .

جعلها<sup>(١)</sup> الله من وراء 'خطة'<sup>(٢)</sup> النجاء ، وتَقَّ بضائعها المَرْجاء ، بلطائفه المرتجاء ؛  
والسلام عليكم من حبيبكم المودِّع ، والله يَلَامُهُ<sup>(٣)</sup> حيث شاء من شمل متصدِّع ؛  
والدِّكُم محمد بن عبد الله بن الخطيب ورحمة الله وبركاته .

اتتهت الوصية ، وهي غريبة في معناها .

قلت : ولأجل ذلك كان شيخ شيخنا الفقيه الإمام القاضي العلامة سيدي  
عبد الواحد الوائشري رحمه الله ، كثيراً ما يُدْخِلُ منها في خطبه ، على ما لا  
يُخْفِي على من طالعها ، وإلى الله ترجع الأمور .

وإذ بلغنا في ترجمة ابن الخطيب إلى هذا الحد الذي يستطيله الناظر فيه ،  
وهو والله لا يتم التعريف بابن الخطيب ولا يوفيه ، فلنذكر القاضي النبأه  
والسكاتب ابن زَمْرَك ، اللذين كان لهما مع ابن الخطيب أول الأمر مصافاة  
يومئذ ، ثم استحالَت إلى ما علمت من المداوة ذات البتات .

انتهى الجزء الأول من أزهار الرياض في أخبار عياض  
وبليه الجزء الثاني ، وأوله : أخبار القاضي النبأه

(١) في ط : « جعله » ، وفي نفع الطيب : « جعل » .

(٢) في نفع الطيب : « خطته » .

(٣) كذا في نفع الطيب . ولأم الصدع من باب منع : أصله . وفي الأصلين : « يله » .

# فهارس الكتاب

---

٣٤٨ — ٣٣٩	١ — فهرس الأعلام
٣٥٠ — ٣٤٩	٢ — فهرس الشعراء
٣٥٢ — ٣٥١	٣ — فهرس القبائل
٣٥٧ — ٣٥٣	٤ — فهرس الأماكيم
٣٦١ — ٣٥٨	٥ — فهرس الكتب
٣٦٦ — ٣٦٢	٦ — فهرس القوافي
٣٦٧	٧ — فهرس أنصاف الأبيات
٣٧١ — ٣٦٨	٨ — فهرس الموضوعات



## فهرس الأعلام

(١)

ابن الحسن النباهي : ٣٧ ، ٣٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦

ابن حيان : ٣٤

ابن خاتمة أبو جعفر : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦٥

ابن الخطيب : ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢

٣٣ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩

٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٧٩

١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ٢٠١

٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥

٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩

٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤

٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩

٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٦١ ، ٢٦٢

٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧

٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٣١١ ، ٣١٩

٣٢٠ ، ٣٢٦

ابن خلدون الحضرمي : ٧٦ ، ١٩٠ ، ٢٠٢

٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٢ ، ٢٢٤

٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٩

٢٩١

ابن خلكان : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧

ابن داود (الإمام) : ١٠٣

ابن الدراج = أبو علي الصدقي

ابن دراج القسطلي : ١٢٠

ابن دثون = ابن دثون

ابن دثون : ١٢٢

ابن ذي يزن : ٤٧

ابن الربيب : ٢٧٥

ابن رشيد : ٣٥

ابن رضوان عبداة : ١٢٤

آدم (عليه السلام) : ٢ ، ٨٨

إبراهيم بن أحمد بن فتوح الخليلي : ١٧١

إبراهيم الوصلي : ٩

أبرويز : ٢٩٩

ابن الأبار : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥

ابن أبي الأحوس : ١٨٨

ابن أبي دينار : ٣٧

ابن أبي عامر = للنصور محمد بن أبي عامر

ابن أبي العيش : ٢١٧

ابن أبي يفلوسن = عبدالرحمن بن أبي يفلوسن

ابن الأجر : ٢٤ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩١

١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣

٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢٥

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠

٢٩١ ، ٣٠٦

ابن أخلي : ١٢٤

ابن بشكوال : ٢٧

ابن بطان الصنهاجي : ١٢٣ ، ٢٨٨

ابن ثروان : ٨٥

ابن جابر : ٢٧

ابن جماعة = أبو الفضل بن جماعة

ابن الجباب = أبو الحسن بن الجباب

ابن الحاج السلي = أبو البركات بن الحاج

البليقي السلي

ابن حجر المقلاني : ٢٥

ابن حجة : ٢٦٢ ، ٢٦٤

ابن الحسن = أبو الحسن بن الحسن (القاضي)

ابن الحسن المستضي : ٦٣

أبو بكر بن أبي عثان : ٣٠٠  
 أبو بكر دلف بن جعفر الصوفي = الشبلي  
 أبو بكر بن أبي عبد الله بن الحكيمة : ١٨٨  
 أبو بكر بن شعيرين : ١٨٨  
 أبو بكر الصديق : ٣٠٣  
 أبو بكر بن عاصم : ١٧٣  
 أبو بكر بن غازی : ٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩  
 أبو بكر بن قرمان = ابن قرمان  
 أبو بكر بن منظور : ١٨٨  
 أبو تاشفين : ٢٤٢ ، ٢٤٩  
 أبو ثابت عاصم بن محمد الهنتاني = عاصم بن  
 محمد الهنتاني أبو ثابت  
 أبو ثور : ٢١٩  
 أبو جعفر = ابن خاتمة أبو جعفر  
 أبو جعفر بن جابر : ١٨٨  
 أبو جعفر بن الزبير : ١٩٠  
 أبو جعفر الطنبجالي : ١٨٨  
 أبو الحجاج المنتشافي : ١٨٨  
 أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن نصر  
 الحزري : ١٤٦ ، ١٦٧ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٧٢  
 ٢٨٠ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨  
 أبو الحسن التلسماني : ١٨٨  
 أبو الحسن بن الجباب : ١٧٩ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٥ ، ٢٢١  
 ٢٢٤ ، ٣٠٨ ، ٣١٩  
 أبو الحسن بن الحسن (القاضي) : ٢١١ ، ٢١٢  
 أبو الحسن بن سمعة : ١٤٥  
 أبو الحسن الفاري : ٣٦  
 أبو الحسن علي (القاضي) : ٤٢  
 أبو الحسن علي بن أحمد الحزري : ١٩  
 أبو الحسن علي بن الحسن = ابن الحسن  
 النباهي

ابن الزبير : ٢١٧  
 ابن زرزار : ٦٢  
 ابن زمرك = أبو عبد الله بن زمرك  
 ابن سجين أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم :  
 ١٢٤  
 ابن سعيد : ٣٠  
 ابن سكرة = أبو علي الصدقي  
 ابن سيدة : ٢٧  
 ابن شجاع : ١٢٣  
 ابن الصباغ العقيلي : ١٩٢ ، ١٩٣  
 ابن صفوان : ١٩٠  
 ابن عاصم = أبو يحيى بن عاصم  
 ابن عمر : ٣٦  
 ابن غازی : ٢٢٥  
 ابن الفرديس التتلي : ٢٤  
 ابن فتوح = إبراهيم بن أحمد بن فتوح العقيلي  
 ابن قزمان : ١٢٣  
 ابن قنقذ : ٢٤  
 ابن ماساي = مسعود بن ماساي  
 ابن مامة كعب : ٩٥ ، ٢٥٤  
 ابن ماهان علي بن عيسى : ١٢٠  
 ابن مرامة : ٣٧  
 ابن مرزوق = أبو عبد الله بن مرزوق  
 ابن الملقوم أبو القاسم : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥  
 ٢٧  
 ابن نصر الحزري = أبو الحجاج يوسف  
 ابن إسماعيل بن نصر الحزري  
 ابن هذيل : ٢١٩  
 أبو إسحاق = إبراهيم بن أحمد بن فتوح  
 العقيلي  
 أبو إسحاق إبراهيم بن هلال = الصابي  
 أبو إسحاق إبراهيم بن هلال  
 أبو الأصم بن سهل : ٢٢٢  
 أبو البركات بن الحاج البليقي : ٤١ ، ١٨٨



أبو عبيد البكري : ٦٠  
 أبو عثمان بن ليون : ١٨٨  
 أبو علي : ٢٢٤  
 أبو علي حسن بن يوسف : ١٨٨  
 أبو علي حسين بن محمد الصدقي : ٢١  
 أبو عمرو بن أبي جعفر : ١٨٨  
 أبو عثمان فارس المري : ٤٠ ، ٤٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٢  
 أبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن المري : ١٩٤ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥  
 أبو الفضل بن جماعة : ١٣٤  
 أبو الفضل الشيرازي = الشيرازي أبو الفضل  
 أبو الفضل محمد : ٢٩٢  
 أبو القاسم الطسكاني الشريف : ٢٠٣ ، ٢٠٧  
 أبو القاسم بن جزي : ١٨٧  
 أبو القاسم الجنيدي : ٢١  
 أبو القاسم الحسن بن الحسين = الواساني  
 أبو القاسم الحسن بن الحسين  
 أبو القاسم بن سراج : ١٤٥  
 أبو القاسم بن سلمون : ١٨٨  
 أبو القاسم بن محمد القساني : ٤٥  
 أبو القاسم الملاحي : ٢٣  
 أبو القاسم بن اللجوم = ابن اللجوم  
 أبو القاسم  
 أبو مالك = عبد الواحد بن زكريا أبو مالك  
 أبو محمد بن أيوب المائي : ١٨٨  
 أبو محمد بن الخطيب : ٢٨٢  
 أبو محمد بن سلمون : ١٨٨  
 أبو محمد صالح : ٢٩٨  
 أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم = ابن سبعين  
 أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم

أبو عبد الله بن عبد الولي القواد : ١٨٧  
 أبو عبد الله بن عسكر : ٢٢٢  
 أبو عبد الله بن الفخار : ١٨٨  
 أبو عبد الله محمد بن يوسف = اللواق أبو  
 عبد الله محمد بن يوسف  
 أبو عبد الله محمد بن أبي بكر : ٢٩٤  
 أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن علي النصرى : ٦٧  
 أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الرحمن الكبلي : ٣٥  
 أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل البسطي : ١٠٣  
 أبو عبد الله محمد أبي محمد القيلي : ١٠٣  
 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد الوادي  
 آشي : ٥٥ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧١ ، ١٧١ ، ١٨٦  
 أبو عبد الله محمد التميمي : ٢١٦  
 أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي : ٢٣  
 أبو عبد الله محمد بن حمادة البرنسي : ٣٦  
 أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاي =  
 ابن الأيار  
 أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن فرج : ١٤٦  
 أبو عبد الله محمد بن عباس : ٢٤ ، ٢٧  
 أبو عبد الله محمد القرني : ٥٥ ، ١٨٨  
 أبو عبد الله محمد بن يوسف بن إسماعيل  
 الخزرجي = أبو عبد الله بن الآخر  
 أبو عبد الله بن مزروق : ١٩٣ ، ٢٠٧ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠١ ، ٣٠٢  
 أبو عبد الله التنوري : ١٤٥  
 أبو عبد الله بن نصر = أبو عبد الله بن الآخر  
 أبو عبيد : ٢٢١



أشج بن مروان = عمر بن عبد العزيز

أليان : ١٢٠

امروء القيس : ١٧٤ ، ٩٠ ، ٧٤

الأمين : ٢٦٠ ، ١٢٠

أنطس بن يافت : ٣٠ ، ٢٩

أثو مروان : ٢٦٧

الوطاسي : ٧٢

أويس بن حارث القرن : ٨٩

لؤيس بن معاوية : ٨٩

### (ب)

بازيد = أبو يزيد خان الشامي

بجيد بن الحارث : ٩٥

برصيص : ١١٧

برقان : ١٢١

بر بن قيس : ٩٧

بسطام (بن قيس) : ١١٩

البسطي = أبو عداقة محمد بن أبي الفضل

البسطي

بلمام بن باعوراء : ٣٠١

بلقيس : ٢٥٦

بوران بنت الحسن بن سهل : ١٢٧

البوصيري : ٨٣

بنت جزي : ٢٢١

### (ت)

التنسي = أبو عداقة التنسي

### (ج)

جابر بن حيان الصوفي : ١٧١ ، ٢٥٥

الجاحظ : ٣٧

جارية بن الحجاج = أبو دواد

أبو محمد بن عبد الله بن : ١٨٨

أبو سلم الحراساني : ١١٩

أبو الوليد اسماعيل بن يوسف = ابن الأحر

أبو يحيى بن أبي بكر بن حاتم : ٥٥٠ ، ٥٥٠

٥٥٨ ، ٦٠ ، ١١٦ ، ١٤٥ ، ١٦٣

١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٩

١٨٦

أبو يحيى بن أبي مدين : ٢١٠ ، ٢١١

أبو يزيد البسطامي = طيفور بن يحيى

أبو يزيد خان الشامي : ١٠٨ ، ١٠٩

أبو يوسف : ٦٢٠

أبو يوسف = يعقوب عليه السلام

أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المروزي : ٦١

أحمد بن أبي سالم = أبو عباس أحمد بن

أبي سالم

أحمد بن جعفر السبيعي = أبو عباس السبيعي

أحمد بن حارثون : ١٣٣

أحمد بن الحسين = المتنبي

أحمد (بن حنبل) : ٢١٩

أحمد بن علي الأنصاري = ابن خاتمة

أحمد بن محمد أبو سعيد الماليني = طاووس

أحمد بن محمد الأندلسي = أبو عباس أحمد

الدقون

أحمد المروزي : ٣١٩ ، ٣٢٠

أحمد النبي صلى الله عليه وسلم = محمد النبي

صلى الله عليه وسلم

أحمد بن يوسف : ٢٩٨

إدريس (عليه السلام) : ٢٥٣

أرسطوطاليس : ٢٥٤

إسماعيل (عليه السلام) : ١٤٢

إسماعيل الموصلي : ٩

إسماعيل (عليه السلام) : ١٤٢

إسماعيل بن أبي الحجاج = ابن الأحر

الأسود بن قنان : ٩٥

داود (عليه السلام) : ٣٠

دن بطرة : ٦٢

دن جانحة : ٦١

(ذ)

القمي : ٣١١

ذوالدولتين = أبوالباس أحمد بن أبي سالم

ذو الودعات = ابن ثروان

(ر)

رسول الله صلى الله عليه وسلم = محمد

التي صلى الله عليه وسلم

الرشيد : ١٢٧ ، ٢٦٠

رضوان (الحاجب) : ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤

٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦

الرضي (الفريفه) : ٤٩

رفاش : \*

الرهصي : ٢٢٩

(ز)

زهير بن أبي سلمى : ٨٢

زياد = الثناينة القدياني

(س)

ساسان : ٤٧ ، ١١٩

سبت بن سالم بن نوح : ٢٩ ، ٣٦

سبت بن يافت : ٢٩

سراقة بن مالك الكناني : ١٤١

سعادة : ١٢٠

سمد بن عبادة : ١٦٧

جالوت : ٣٠

جالينوس : ٢٥٥

جبريل (عليه السلام) : ١٤٢ ، ٢١٨

جذعة : \*

جعفر بن عثمان الحاجب المصنف : ١٩٣

جليان = ألبان

(ح)

حام : ١٧١ ، ٢٥٤

الحاجب (ملك سبته) : ٣٧

الحارث الأكبر الفاسي : ٥٣

الحارث بن عباد : ٩٥

حبيب بن أوس الطائي : ١٧٥

الحجاج : ٨٦ ، ٨٧

الحباري : ٢٩

الحريري : ١٢٥

الحسن بن سهل : ١٢٢

حين الزروقي : ٢٤

حنظلة بن العرق الإيادي = أبو دواد

(خ)

خالد البلوي : ٣٠٩

خالد بن يزيد بن معاوية : ١٧١

الخطيب بن مسروق = أبو عبد الله بن

مسروق

خليل (بن إسحاق المالكي) : ١٣٠

خيران الصقلي : ١٢٠

(د)

دارا : ٤٧

## (ض)

الضليل = امرؤ القيس

## (ط)

طارق بن زياد : ٦١  
 طاهر بن الحسين : ١٢٠  
 طاووس : ٢٥٦  
 طيفور بن عيسى : ٣٠١

## (ع)

عاد : ٤٧  
 عامر بن محمد بن علي الهنتاني أبو ثابت :  
 ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢  
 عائشة : ٣٣٣  
 العباس (عم النبي) : ١١٣  
 العباس بن مرداس : ٤١  
 عبد الحميد الكاتب : ١١٩  
 عبد الرحمن بن أبي يفلوسن : ٢١٠ ، ٢٢٤  
 ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،  
 ٢٢٩  
 عبد الرحيم بن نوح : ٢٩٢ ، ٢٩٣  
 عبد العزيز بن أبي الحسن = أبو فارس  
 عبد العزيز بن أبي الحسن المزيبي  
 عبدالله (أبو لسان الدين بن الخطيب) : ٢٠٤  
 عبدالله بن لسان الدين بن الخطيب : ٢٩٩ ،  
 ٣١٩ ، ٣٢٠  
 عبد الواحد بن زكرياء أبو مالك : ٢٦١ ،  
 ٢٦٢  
 عبد الواحد الوائسري : ٢٧٤ ، ٣٣٦  
 عيو : ٢٨٨  
 عتيبة بن الحارث : ١١٩  
 عثمان بن عفان : ١٢١ ، ٣٠٣

الحيد بن أبي فارس : ٢٢٦

السفاح : ١١٩ ، ٢٦٠

سليمان (بن سعيد بن مسروق الثوري) :  
 ٩٦

سليمان (عليه السلام) : ٤٨ ، ٢٥٦

سليمان بن داود بن أمراء : ٢٢٩ ، ٢٣٠

سليمان بن عبد الملك : ٨٦ ، ٨٧

السموول : ٧٤

سوسان : ١٢٣

سيف بن ذي يزن = ابن ذي يزن

## (ش)

الشافعي (الإمام) : ٢١٩  
 الشبلي : ٢٥٦  
 الشبوكي محمد بن يوسف : ٢٩١ ، ٢٩٤  
 شداد : ٤٧  
 شرف الدين بن المقرئ : ١٥٨  
 الشريف = أبو العباس أحمد بن محمد  
 الشبكي الشريف  
 شمس الدين = أبو عبدالله محمد بن جابر  
 الوادي آفي  
 شمس الدين البغدادي : ٢٦  
 شمس الدين بن جابر : ١٨٨  
 شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي =  
 ابن حجر الصقلاني  
 شية : ١١٤  
 الشيرازي (أبو الفضل) : ٩٤

## (ص)

الصافي أبو إسحاق إبراهيم بن حلال : ١١٩  
 الصفدي : ٣١١ ، ٣١٢

(ق)

- القادر (الخليفة) : ٩٣  
قارون : ٤٧  
القاسم (بن موسى بن عياض) : ٢٨  
قحطان : ٤٧  
القضاع بن شور : ٩٦  
القضاعى : ١٣٣

(ك)

- كثير : ٥  
كب = ابن مامة كب  
كليب : ٩٥  
الكندى = التنى

(ل)

- لبنى (بنت الحباب الكمية) : ٢١٤  
لدرىق : ١٢٠  
لسان الدين = ابن الخطيب  
لهمان : ٣٢٣

(م)

- المأمون = ابن ذنون  
المأمون بن الرشيد : ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢  
مارية بنت ظالم : ٥٣  
مالك (الإمام) : ٣٦، ٢١٩  
مالك بن المرحل : ٣٢  
الماوردى : ٢١  
المنفى : ٧٤، ١٢٠، ١٧٥  
محمد الخلو = أبو عبد الله بن الأحمر  
محمد بن إبراهيم = أبو عبد الله العبران  
محمد (بن أبي الحجاج) = أبو عبد الله بن الأحمر

مهران بن يحيى بن عمر : ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٨٩

المربى = أبو عبد الله محمد بن محمد المظلى  
المزنى = أبو العباس المزنى  
مزة : ٥

مضد الدولة بن بويه : ١١٩، ١٢٠  
على بن أبي طالب : ٣٠٣  
على بن بدر الدين : ٢١٠  
على بن عيسى بن ماهان = ابن ماهان على  
ابن عيسى

على بن لسان الدين : ٣١٩، ٣٢٠  
المهاد الأصفهانى : ٣٠٩  
عمر (بن الخطاب) : ١٤١، ٣٠٣  
عمر (الفقيه) : ١٣٢  
عمر بن عبد العزيز : ٨٥، ٨٩  
عمر بن عبد الله بن على : ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٣٠، ٢١٠

عمر بن عبد الله اليابانى : ٢٩٢  
عمر اللاتى : ١١٦  
عمرو بن العباس : ١٢٩  
عمرو بن عدى : ٥  
عمرو بن موسى : ٢٣  
عنزة : ١٢٣

عياض بن موسى : ١٢، ١٩، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٣٦، ٤٤  
عيسى (بن موسى بن عياض) : ٢٨

(ف)

الفاروق = عمر بن الخطاب  
الفتح بن خافان : ١١٩  
الفرزدق : ٥  
فرعون موسى : ٢٥٣  
الفنش : ٦٢

صلى الله عليه وسلم

الملى : ٧٤

الملك الضليل = امرؤ القيس بن حجر

التورى (أحد) : ٢١

النذر بن ماء السماء : ٧٤

النصور (أبو جعفر) : ٢٦٠

النصور محمد بن أبي عامر : ٢٨ ، ١٢٠ ،

١٩٣

المهدى : ٢٦٠

مهمل : ٩٥

مبار (الدليلى) : ٤١

المواق أبو عبد الله محمد بن يوسف : ٢١

موسى (عليه السلام) : ٨٨ ، ٢٥٢

موسى بن يوسف = أبو حمو موسى بن

يوسف

موسى بن نصير : ٦١

ميمون : ١٢١

(ن)

الناقة الدياني : ٧٨

نافع : ٣٦

النباهى = ابن الحسن النباهى

النبي صلى الله عليه وسلم = محمد النبي

صلى الله عليه وسلم

النوار : ٥

نوح (عليه السلام) : ٢٩ ، ١٤٢

(هـ)

هامان : ١١٩

هبة القيسى يزيد بن ثروان = ابن ثروان

هراة أبو شامة = دن شامة

هرم بن سنان : ٨٢

هشام بن الحكم : ٢٨

محمد بن أبي عبد الرحمن : ٦٢

محمد بن أبي عبد الله : ٦٨

محمد بن الآخر = أبو عبد الله بن الآخر

محمد بن إسماعيل : ٢٠٢

محمد بن حصون بن أبي العلاء : ٢٨٩

محمد بن الحكيم : ٢٠٥

محمد بن الخطيب : ٢٢٤

محمد بن عبد الله = ابن الخطيب

محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض : ٢٤

محمد بن عثمان : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،

٢٢٩

محمد بن الفرديس = ابن الفرديس التلي

محمد بن فرج : ١٤٦

محمد بن لسان الدين : ٣١٩

محمد بن محمد بن عامر القيسى = أبو يحيى

ابن أبي بكر بن عامر

محمد (النبي صلى الله عليه وسلم) : ٢ ، ٨٣ ،

٨٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ،

١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ،

١١٧ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ،

١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ،

١٧٠ ، ١٨٥ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،

٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ،

٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ،

٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ،

٣٢١

محمد بن يوسف = الشوك محمد بن يوسف

محمد بن يوسف بن إسماعيل = أبو عبد الله

ابن الآخر

مدغليس : ١٢٣

مروان بن محمد : ١١٩

المستنصر = أحمد الرضى

مسعود بن ماساى : ٢١٠ ، ٢٢٥

المصطفى = جعفر بن عثمان الحاجب

المصطفى صلى الله عليه وسلم = محمد النبي

المتنانى = حاصر بن محمد المتنانى أبو ثابت

(و)

الوادى آشى = أبو عبد الله محمد بن أحمد بن  
الحداد الوادى آشى

الوادى آشى = أبو عبد الله محمد بن جابر  
الوادى آشى

الواسانى أبو القاسم الحسين بن الحسين : ١٢٣  
والفريقى (عبد الواحد) : ٦٦

ولى الدين بن خلدون = ابن خلدون الحضرمى  
وتزمار بن عريف : ٢٢٨

(ى)

يافث بن نوح : ٢٩

يحصب بن مدرك : ٢٧

اليحصى : ٢٧

يحيى بن حذيل = أبو زكريا يحيى بن حذيل

يزدجرد : ١٢٠

يزيد بن أبى مسلم : ٨٦

يسار : ٩١

يعقوب : ٢٩٨

يعقوب : (عليه السلام) : ٨٤ ، ٩٠

يليان = أليان

يوسف (عليه السلام) : ٩

يوسف بن أبى عبد الله : ٦٨

يوسف بن إسماعيل = أبو الحجاج يوسف

ابن إسماعيل

يوسف بن يعقوب بن عبد الحق الرقيق :

١٢٠

## فهرس الشعراء

(١)

ابن الجباب = أبو الحسن بن الجباب

ابن الحاج السلي = أبو البركات البليقي

ابن حجاج : ٩٤

ابن الخطيب : ٧ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ١٨٧ ،

١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٩ ،

٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ،

٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٩٤ ،

٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٣

ابن دراج القسطلی : ١٢٠

ابن عامر = أبو يحيى بن أبي بكر بن عامر

أبو البركات البليقي : ٤١ ، ٧٧٢

أبو تمام : ٢٥٧

أبو الحجاج النعني : ٣٥ ، ٣٦

أبو الحسن بن الجباب : ١١٥ ، ١٩٢ ، ٣١٣

أبو الحسن التهامي : ١٣٧

أبو الحسن علي بن أحمد الخزرجي : ١٩

أبو الحكم مالك بن المرحل : ٢٩

أبو حيان : ٣٠٤

أبو زكريا يحيى بن خليون : ٢٣٨ ، ٢٤٦

أبو سعيد الخزرجي : ٩٩

أبو الطيب = التني

أبو الطيب صالح بن شريف الرندي : ٤٧

أبو عباس أحمد الدقون : ١٠٤

أبو عباس العريف : ٣٨ ، ٤١

أبو عبد الله = الشوكي محمد بن يوسف

أبو عبد الله بن جابر : ٣١٩

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حجاج = ابن حجاج

أبو عبد الله بن الخطيب البجلي = ابن الخطيب

أبو عبد الله المران : ١٣٣ ، ١٣٤

أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة : ٢٤٧

أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الرحمن الكيلي

٣٥

أبو عبد الله محمد بن أبي محمد الطيلي : ٧٢ ،

١٠٣

أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربي =

أبو عبد الله محمد بن أبي محمد الطيلي

أبو الفتح : ٢١ ، ٨٧

أبو نواس : ٢٦

أبو يحيى بن أبي بكر بن عامر : ١٤٦ ،

١٧٩

أحمد المربني : ٣٢٠

(ت)

التلايلي = أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة

(ج)

جروول = الخطيطة

(ح)

الحاجري = عيسى بن سنبر

الحارث بن عباد : ٩٥

حسان بن ثابت : ٩٧

الخطيطة : ٩٧

(د)

الدقون = أبو عباس أحمد الدقون

(ر)

الرندى = أبو الطيب صالح بن شريف الرندى

(ش)

الشبوكة محمد بن يوسف : ٢٩٢

المران = أبو عبد الله المران

المرىف الرضى : ٩٣

(ص)

صالح بن أحمد بن عثمان : ٣١١

صالح بن شريف الرندى = أبو الطيب صالح

ابن شريف الرندى

الصبة القشيري : ٣

(ع)

العري = أبو عبد الله محمد بن أبي محمد العقيلي

عمر الملقب : ١١٦ ، ١٢٥

عياض : ٣٤

عيسى بن سنجر : ٢٧٥

(ف)

الفرزدق : ٥

(ق)

قيس بن ذريح : ٢١٤

قيس بن عامر : ٩٨

(م)

مالك بن المرحل = أبو الحكم مالك بن المرحل

المنهني : ١٢٠ ، ١٢٦ ، ٢٣٧

المستمر = أحمد المري

المنصفي = أبو الحجاج المنصفي

(ن)

الناطقة الديباني : ٧٨ ، ٩٨

(و)

الواساني : ١٢٣

(ي)

يحيى بن خلدون = أبو زكريا يحيى بن خلدون

يزيد بن عبد المدان : ٩٩



## فهرس القبائل

(١)

بكر : ٩٥  
بنو الأحمر = بنو نصر  
بنو إسرائيل : ١١٧ ، ١٢٩ ، ٣٠١  
بنو بوه : ١١٩  
بنو القرجان : ٢٨٨  
بنو تميم : ٧٤ ، ٩٨ ، ١١٩  
بنو جريد : ١٢  
بنو الحارث بن ثعلبة : ١٢  
بنو داود : ٧١  
بنو ذى النون : ١٢٢  
بنو زيان : ٢٥٢  
بنو الصباغ : ٢٣١  
بنو العافية : ٢٢٦  
بنو عبد الحق = آل هيد الحق  
بنو عبيد : ٢٨  
بنو العزق : ٤٥  
بنو عسكر : ٢٢٩  
بنو القاسم : ٢٤٢  
بنو مرين : ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٩ ، ٦٣  
١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٠  
٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦  
٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩١  
بنو نصر : ٥٠ ، ٥٣ ، ١٦٧ ، ٢٠٤  
٢٠٥ ، ٢٧٢ ، ٣٠٨  
بنو والبة : ١٢

(ت)

التار : ٨٩  
الترك : ١٠٩  
تغلب : ٩٥  
تميم = بنو تميم

آل شيان : ١١٩  
آل عامر : ١٩٣  
آل عبد الحق : ٢٣٠ ، ٢٩٤  
آل محمد صلى الله عليه وسلم : ١١٣  
آل يعقوب : ١٩٧  
إرم : ٨٠  
الأسبان : ٢٨  
أشيب : ٩٦  
الأنصار : ٢٩٦  
أهل الأندلس : ٢٦ ، ٣٠ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٦٨ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٨٨  
٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢١٤  
أهل الجزيرة = أهل الأندلس  
أهل حمص : ٤٨  
أهل رندة : ١٨٨  
أهل سبتة : ٢٩  
أهل الصفة : ١١٧  
أهل خرناطة : ٦٩  
أهل المشرق : ٢٥٠ ، ١٢٢  
أهل المغرب : ٢٥  
أهل المرية : ١٨٨  
أولاد حسين : ٢٢٨  
أولاد عبد الله المهدي = الفاطميون

(ب)

البربر : ٣٠ ، ٣٦ ، ٧٧  
البرجلونيين : ١٩٦  
برنس : ٣٦

(ط)

الطوائف : ١٢٢

(ع)

عاد : ٨٠ ، ١٠٠

طمر : ٢٩٥

عيس : ١١٨

المجم = الفرس

الغرب : ١ ، ١٢ ، ٤٣ ، ٧٧ ، ٨٧ ،

١٠٩ ، ٢٢٨ ، ٢٥٤ ، ٣١٧

عوف : ٩٦

(غ)

الغسانة : ٧٨ ، ٩٧

(ف)

الفاطميون : ٢٨

الفرس : ٤٧ ، ٧٧ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ،

٢٤٠ ، ٣١٧

فزارة : ١٢

(ق)

قريش : ١٤١ ، ٢٤٠

القوط : ١٢٠

(م)

مدين = بنو مدين

المقارعة = أهل للمقارعة

المثيون : ٧٧

متر : ٩٨

(ي)

اليمن : ٤٧

(ث)

ثور : ٩٦

ثود : ١٠٠

(ح)

حير : ٢٧

(خ)

الخزرج : ١٦٧

(د)

الدليم : ١٠٩

(ذ)

ذيان : ١١٨

(ر)

الرياب : ٩٦

الروم : ١١٠

(ز)

زناقة : ٢٢٨ ، ٢٣٠

(س)

سمد : ٩٨

(ش)

شيبان : ١١٩

(ض)

ضبة : ٩٦

# فهرس الأماكن

(ب)

باب الفريضة : ٦٨  
باديس : ٢٣٤  
بارق : ٢٣٧  
بحر الروم : ٢٢٨  
بحر الزقاق : ٢٧ ، ٢٩  
برقه : ٣٠  
برليانة : ٤١  
بسطة : ٢٨  
البصرة : ١١٤ ، ٦٧ ، ٦٦  
البصرة : ١٢١ ، ٨٩ ، ٧٠  
بطوية : ٢٢٦ ، ٢٢٥  
بلاد العرب : ٤٧  
بلاق : ١٩٨ ، ٢٩٥ ، ١٩٣ ، ١٨٨  
٢٤٩ ، ٢٢٤ ، ٢٠٢  
البلد الجديد : ٢٢٩  
بلقيق : ١١٤ ، ٤١  
بلنسية : ٤٨ ، ٤٦ ، ٣٥  
بليونش : ٣٥ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١  
٣٧ ، ٣٦  
البيازن : ٧٠  
أليرة : ١١٤  
البيضاء : ٢٢٨ ، ١٩٧

(ت)

تازا : ٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦  
تامنا : ٢٦٥

(١)

آسلى : ٢٩٨  
آنى : ٢٨٨  
أبان : ١٢  
الأبلة : ٧  
أحد : ٢٤٨  
أرفون : ٧٠  
أزمور : ٣٥  
أشيلية : ٢٩٧ ، ٢٧٠ ، ٢٦٩ ، ٢٤٨  
أصحات : ٢٩٧  
أفريجة : ٢٦١ ، ١٨٩  
أليرة : ١٨٦  
أندرش : ١٩٥ ، ١١٤ ، ٦٧  
الأندلس : ٤١٠ ، ٢٨٨ ، ٢٢٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٠ ، ٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١٧ ، ٢١٦ ، ٢١٥ ، ٢١٤ ، ٢١٣ ، ٢١٢ ، ٢١١ ، ٢١٠ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ١٩٩ ، ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٩٥ ، ١٩٤ ، ١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٩١ ، ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٧٢ ، ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٦ ، ١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٦٣ ، ١٦٢ ، ١٦١ ، ١٦٠ ، ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٤٧ ، ١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٣٩ ، ١٣٨ ، ١٣٧ ، ١٣٦ ، ١٣٥ ، ١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٤ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٩ ، ١١٨ ، ١١٧ ، ١١٦ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١١٣ ، ١١٢ ، ١١١ ، ١١٠ ، ١٠٩ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ١٠٠ ، ٩٩ ، ٩٨ ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٧٧ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٦١ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٥٥ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ ، ٠  
أوردية : ٨٢ ، ٧٥ ، ٧٣ ، ٦٦ ، ٣٧ ، ٢٧٠ ، ١٩٣ ، ١٩٥  
أويوان كسرى : ٤٧

حزوى : ١٠  
الحراء : ٦٧ ، ١٠٤ ، ١٣٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧  
حمس = لاشبيلة  
الحة : ٦٦

(خ)

خراسان : ١١٩

(د)

دار ابن الفرديس التخلي : ٢٤  
الغار البيضاء : ٥٩  
دار السلام : ١٢٧  
دار الكتب المصرية : ٢١ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٩٥ ، ٢١٤ ، ٢١٥  
دار همدان : ١٢١  
دانية : ٢٤  
دجلة : ٧  
الدهناء : ١٠ ، ١٢١  
الديار المصرية = مصر

(ر)

رابطة الفضال : ٤٧  
ربض اليازين : ٦٨  
رضوى : ١٢  
رعدة : ٦١ ، ٢٠٩ ، ٢٢٤  
رومة : ١١٣

(ز)

زاوية المحروق : ١٢١

طسان : ٧ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٦٦ ، ٧١ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٩٤ ، ٢٠٤ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٤٣ ، ٢٦٠  
تهامة : ٩٢  
التهوة : ٣٦

(ث)

تهلان : ٤٨

(ج)

جبل الفتح : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠  
جبل موسى : ٣٠  
الجريد : ٢٦٢  
الجزائر : ٦ ، ٢٤  
الجزيرة = الأندلس  
جمع : ٢٧١  
جنان العريف : ١٢٨ ، ١٢٥  
جنة الحانة : ٣٣  
جنة العريف = جنان العريف  
جنة القصار : ٢٠١  
جيان : ٢٨ ، ٤٨  
جيون : ١٢٣

(ح)

حاجر : ٢٣٥  
حبية أم يحيى : ٢  
الحبون : ٩

## (ط)

طليطة : ٤٦ ، ٢٧٢

طنجة : ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٧

## (ع)

طالج : ١٢١

العدوة : ٢٩ ، ٣٠ ، ٦٧ ، ٢٠٩

المنيب : ٢٣٧

الوراق : ٥٥

العقاب : ١٢٢

## (غ)

النييط : ١١٩

غمرناطة : ٧٣ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١

٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٣

٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩

٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٠٦ ، ١١٤

١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٤٥

١٦١ ، ١٦٧ ، ١٨٦ ، ١٩٣

٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨

٢٠٩ ، ٢٢٤ ، ٢٧٢ ، ٢٩٩

٣٠٧ ، ٣٠٨

غمدان : ٤٧

## (ف)

فارس : ٧ ، ١٢٠

فاس : ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٦٧

٦٨ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ١٢٠

١٢١ ، ١٨٨ ، ١٩٦ ، ٢٠٨

٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨

٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٠١

زرمون : ٢٢٨

زعة حجامة : ٢٤

الزرجون : ٢٢٨

## (س)

سجة : ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤

٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٣

٤٥ ، ٤٦ ، ١٤٦ ، ٧١١ ، ٧٢٦

٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٧٣٤ ، ٧٤٣ ، ٣١٢

سجلحاسة : ٢٢٨ ، ٢٢٩

سفاس : ٢٢٥

سلا : ١٩٣ ، ٢٠٨ ، ٢٦٢ ، ٢٧٧

سلح : ٣١٧

السوس : ٢٣٧

## (ش)

شاطبة : ٤٨

شالة : ٢٠٨ ، ٣٠٢

شالة سلا : ٢٧٦

الشام : ٤٨ ، ٥٥

شبوكة : ٢٩١ ، ٢٩٢

شعب بوان : ٧ ، ١٧٠

شنيل = شنيل

شنيل = شنيل

شنيل : ٢٠٤

## (ص)

الصفا : ٩

الصنارين : ١٣

صفلية : ٤٢

٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٠٨ ، ١٩٣  
 ٢٩٢ ، ٢٩٠  
 مربلة : ١٩٦  
 المراج : ٢٠٤  
 مرسية : ٤٦ ، ٤٨ ، ٦٦  
 المرة : ٢٣ ، ٤١ ، ١٢٠  
 مسجد النبي صلى الله عليه وسلم : ١١٧  
 المشارف : ٤٧  
 مصر : ٢٦ ، ٣٠ ، ٤١ ، ٥٤ ، ٥٥  
 ٣٠٧ ، ٨٢ ، ٦١  
 المطبعة الأزهرية : ٧٥  
 مطبعة الفتوح : ٨٧  
 للمرة : ١٧٥  
 المغرب : ٢٨ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٥٤ ، ٥٩  
 ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١١٦ ، ١٢٠  
 ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧  
 ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤  
 ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣  
 ٢٦٧ ، ٢٦٧ ، ٢٩٢  
 مقبرة أنعام : ٢٩٧  
 مقبرة باب المحروق : ٢٣٠  
 مكناسة : ٢٨٧ ، ٢٨٨  
 مكة : ٩ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٦٧  
 ملوية : ٢٢٨  
 مليانة : ٦٦  
 حلبلة : ٦٧  
 المنارة : ٢٨  
 منتصف : ٣٥  
 منى : ٢٣٩  
 منيفة : ١١٤  
 المية : ٣٧  
 منية العبا : ٣٣

فج خير : ٦٣  
 فلسطين : ٣٠  
 فيد : ١١٩

## (ق)

قبر السلطان أبي الحسن : ٢٠٨  
 قبر الحمد بالله أبي القاسم بن عباد : ٢٩٧  
 قبة العرض : ٢٠١  
 قرطبة : ٢٨ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ١٨٦ ، ٢٩٧  
 قسطنطينية : ١٠٩  
 قشتالة : ٦٢ ، ٧٠ ، ٩٢ ، ١٩٦ ، ٢٠١  
 القيروان : ٢٨

## (ك)

كدية العرائس : ٢٢٨  
 كندة : ١٢٠ ، ١٧٥  
 الكوفة : ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٧٥ ، ٢٣٧

## (ل)

لطة : ٥٤  
 لوشة : ١٨٦ ، ٢٠٤

## (م)

مالقة : ٤١ ، ٦٦ ، ١٢٥ ، ١٢٨  
 ١٣٠ ، ١٣٢ ، ٢٠٩ ، ٢٣٤  
 ٣١٣  
 المحصب : ٢٣٩  
 المدرسة اليوسفية : ٥٥  
 المدينة : ١٢ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٢٦٧  
 مراكنش : ٢٤ ، ٣٠ ، ٣٩ ، ١١٩

وادی النجا : ٢٢٨	(ن)	نجيد : ٩٢ ، ٩٣
الواسطة : ٧٠		
وانفريش : ٦٦	(هـ)	هنتاة : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤
وحرا : ١١٤		الهند : ٤٩
(ی)	(و)	وادی آش : ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧
يثرب $\equiv$ المدينة		
اليلمة : ١٢١		
الين : ٤٧ ، ٩٥		

# فهرس الكتب

بستان الدول لابن الخطيب : ١٩٠  
 البستان لابن صرم : ٢٤ ، ٣٣  
 بنية الراءد لما تضمنه حديث أبي زرع من  
 الفوائد لقاضي عياض : ٢  
 بنية المتصم لفضي : ٢١  
 البيان والتبيين للجاحظ : ٨٧  
 البزرة لابن الخطيب : ١٨٩  
 البيطرة لابن الخطيب : ١٨٩

## (ت)

تاج المروس : ٢٠ ، ٤١ ، ٩٦ ، ٩٧  
 ١١٩ ، ٣٠١  
 التاج المحلى فى مساجلة القدرح الملى لابن  
 الخطيب : ١٨٩  
 تاريخ ابن خلدون = المعبر وديوان البدأ  
 والخبر  
 تخليص الذهب فى اختيار صيون الكتب  
 لابن الخطيب : ١٩٠  
 تقديم أبي بكر لابن حجة : ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،  
 ٢٦٤  
 تقرير الشبه وتحرير الشبه لابن الخطيب :  
 ١٩٠  
 تهويم البلدان : ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤  
 ٣٥ ، ٦٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤

تكملة كتاب الصلة : ٦٦  
 تكملة المعجمات لدوزى : ٣٦ ، ٥٤ ، ٦١

## (ج)

جامع البيان والتحصيل : ١٢٩

## (١)

آداب الدين والدنيا = أدب الدنيا والدين  
 أبيات الأبيات لابن الخطيب : ١٩٠  
 الإحاطة لابن الخطيب : ٢٣٠ ، ٢٧ ،  
 ٥٥ ، ٥٦ ، ١٤٥ ، ١٨٩ ، ٢٠٤  
 ٢٣٠ ، ٢٧٠

أخبار الحق والمفطين لابن الجوزى : ٨٥  
 أخبار حى بن يقظان = أسرار الحكمة  
 المشرقية

أدب الدنيا والدين : ٢١  
 الأربعين النووية : ٨٨  
 الاستبصار فى عجائب الأمصار : ٣١ ، ٣٤  
 أسرار الحكمة المشرقية : ١٢٤  
 الاستقصا لسلوى : ٦١ ، ٦٢ ، ٧٨  
 استنزال الطيف الموجود فى سر الوجود  
 لابن الخطيب : ١٩٠  
 أعمال الأعلام فى من يبيع من ملوك الإسلام  
 لابن الخطيب : ١٩٠  
 الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني : ٢١٤  
 الإكليل الزاهر لابن الخطيب : ١٩٠  
 الإكمال لكتاب الملم لقاضي عياض : ٢  
 الأمالي لقالى : ٩٧ ، ٩٩  
 أنباء القمر : ٢٥ ، ٢٦

## (ب)

بده ابن سبعين = بده العارف  
 بده العارف لابن سبعين : ١٢٤  
 بديعة البيان : ٢٣  
 البرق الشامى لعماد الأصفهاني : ٣٠٩



رجز السياسة لابن الخطيب : ١٨٩

رجز الطب لابن الخطيب : ١٨٩

رجز في أصول الفقه لابن الخطيب : ١٩٠

الرجز في عمل الترياق لابن الخطيب : ١٨٩

الرد على أهل الإباحة لابن الخطيب : ١٩٠

رسالة تكون الجنين لابن الخطيب : ١٨٩

رسالة الطاعون : ١٨٩

رقم الحلل في نظم الدول لابن الخطيب : ١٩٠

الروض الأريض : ١٤٥ ، ٦٠ ، ٥٨ ، ١٧١

الروض المطار في أخبار الأفكار لأبي عبد الله

الجزيري : ٢

ريحانة الكتاب ونجمة المتأب لابن الخطيب :

٢٨٦ ، ١٨٩

### (ز)

الزبدة المنقوشة لابن الخطيب : ١٩٠

زهر الرياض : ١٢٤

### (س)

السمر والشعر لابن الخطيب : ١٨٩

سد القرمصة في تفصيل القرمصة لابن الخطيب :

١٩٠

سراج المريدين لابن العربي : ٢

سلوان المطاع لابن ظفر : ٢٤٩

سند المهتدين : ٢٢ ، ٢١

### (ش)

شرح بديعية ابن حجة = تقديم أبي بكر

شرح الشاطبية : ٢٧

شرح الفقاء للعصاف : ٢٧

شرح القاموس = تاج المروس

شرح المواهب الدنية للزرقاني : ١٤١

الجامع الصغير للسيوطي : ٢١٢

جنة الرضى في التسليم لما قدر الله وقضى

لابن حاتم : ٥٠ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٧١

جيش التوشيح لابن الخطيب : ١٩٠

الجواهر القاعة : ١٢١

### (ح)

الحلل المرقومة لابن الخطيب : ١٨٩

حل الجمهور على السنن المصهور لابن الخطيب :

١٩٠

### (خ)

خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف

لابن الخطيب : ١٩٠

خلق الرسن في أمر القاضي ابن الحسن لابن

الخطيب : ١٩٠

### (د)

الدرر الفاخرة والبيع الزاخرة لابن الخطيب :

١٩٠

دوزى = تسكئة المسببات

ديوان الصباة : ١٢٤

### (ذ)

الذخائر والأعلاق لأبي عبد الله الأشيبلي : ٢

### (ر)

راح الأرواح لابن الخطيب : ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥

رجز الأغذية لابن الخطيب : ١٨٩

(ق)

القاموس : ١٢٥ ، ٣٥ ، ٤٥  
الفرطى (الجامع لأحكام القرآن) : ٢١٥  
قلائد العقيان : ١١٩

(ك)

كتاب حجاب : ١٢٤  
كتاب السياسة لابن الخطيب : ٧١  
كتاب الوزارة لابن الخطيب : ١٩٠  
الكتيبة الكائنة فى أدباء المائة الثامنة :  
١٨٩

كشف الدك وإيضاح للشك : ١٢٣  
كشف الظنون لحامى خليفة : ١١٧ ، ٢٦ ، ١٥٨

كناسة الدكان لابن الخطيب : ١٩٠  
كنز المغربين : ٢

الكواكب الوفاة : ٤٠ ، ٣٨ ، ٣٣

(ل)

لسان العرب : ٣٥ ، ٩٦ ، ٩٢  
اللمعة البصرية لابن الخطيب : ١٨٩ ،  
٢٠٤ ، ٢٠١ ، ١٩٤

(م)

المباخر الطيبة فى المفاخر الخطيبية لابن  
الخطيب : ١٩٠  
مئلى الطريقة فى ذم الوثيقة لابن الخطيب :  
١٨٩

مجلة المجمع الملكى لفة الريية : ٤٦  
مجمع الأمثال للبندى : ٥  
الحكم لابن سيده : ٢٧  
مختارات ابن الشجرى : ٩٨

الشعر والشمراء لابن تقيية : ٩٥  
شمس المعارف لبونى : ١٢٣

(ص)

صبح الأعشى للقلقشندى : ٥٤ ، ٤٦  
صبح البخارى : ٨٨ ، ٣٧  
صبح مسلم : ٢١٦ ، ١٢٩  
الصلة لابن بشكوال : ٢٧ ، ٢١  
الصيب والجهم والماسى والكهام لابن  
الخطيب : ١٨٩

(ط)

طرفة مصر فى دولة بنى نصر لابن الخطيب :  
١٩٠

(ع)

طائفة الصلة لابن الخطيب : ١٩٠  
المير وديوان المبتدأ والخبر : ٢٠٢ ، ٢٦ ، ٢٠٣  
العقد الفريد : ١١٩  
عمل من طلب لمن حب لابن الخطيب : ١٩٠  
عنوان الصرف الواقع : ١٥٨

(غ)

غمر أخبار ملوك الفرس : ١٢٠  
الغنية للقاضى عياض : ٣٦ ، ٧  
الغيرة على أهل الحيرة لابن الخطيب : ١٩٠

(ف)

فئات الجوان ولقط الصوان لابن الخطيب :  
١٩٠  
فهرسة ابن غازى : ٧١

- منية الطالب لأمن الطالب : ٢  
الموطأ للإمام مالك : ٢  
المونس في أخبار إفريقية وتونس : ٣٧

## (ن)

- نثر فرائد الجنان : ١٨٦ ، ٢٩١  
نزهة المشتاق لالدريسي : ٣٠  
نظم الدرر والعيان : ٢٤٤ ، ٢٤٥  
نظم السلوك في سياسة الملوك : ٢٤٩  
نفاضة الجراب لابن الخطيب : ١٨٩ ، ٢٩٨  
نفع الطيب : ٢١ ، ٢٣ ، ٣٠ ... الخ  
النهاية لابن الأثير : ٩٢  
نيل الابتهاج بطريرك الدياج : ١٠٤ ،  
١٣٣ ، ١٣٥

## (و)

- الوصول لحفظ الصحة في الفصول لابن  
الخطيب : ١٨٩  
وفيات الأعيان : ٢٥ ، ٩٤ ، ١١٩

## (ي)

- يتمية الدهر لثعالي : ٩٤  
اليوسني في الطب لابن الخطيب : ١٨٩

- مختصر خليل : ٧١  
المختصر في فقه المالكية : ١٣٠  
مزة المرة على غيرها من البلاد الأندلسية :  
٢٣ ، ٢٥

- مسالك الأبصار للعمري : ٣٠  
المسائل الطبية لابن الخطيب : ١٨٩  
المسهب : ٢٩  
المصباح : ١٢٣  
المضائف والمنسوبة لثعالي : ٨٥ ، ٩٢ ،  
٩٥ ، ٩٦  
مطعم الأتس : ١١٩  
معجم أصحاب الصدوق : ٢٣  
معجم البلدان : ٢٤ ، ٣٧ ، ٤١ ، ١٨٦ ،  
٢٣٩

- معجم دوزي = تكملة المعجم لدوزي  
معجم ما استمع : ١٢  
العلم لفوائد مسلم : ٢١٦  
معار الاختيار لابن الخطيب : ١٨٩  
المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب : ٣١ ،  
٦٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨  
مفاتيح العلوم للخوارزمي : ٢٥٥  
مفاصلة مائة وسلا لابن الخطيب : ١٨٩  
مقامة السياسة لابن الخطيب : ١٩٠  
المتنبي في أخبار المغرب والأندلس : ٣٦  
مقدمة تاريخ ابن خلدون : ٧١  
المنتقى : ٢

## فهرس القوافي

طويل	سلام — خليفة : ١٠٩
»	أحبك — أوقات : ٣٠٧
بسيط	قد — المهمات : ٢٩٧
بجزوء الرمل	عد — ميت : ٣١٣
متقارب	بعدنا — صوت : ٢٣١
»	آيا — الثبوت : ٢٣١

### (ث)

بسيط	بتنا — البراغيتا : ٣٠٩
كامل	زحفت — المحدثون : ٢٨٩

### (ج)

بسيط	ماذا — حرج : ٢٦٥
وافر	يا سماعيل — بانيلاج : ٢٧٤
خفيف	قلت — احتجاجا : ١٤٤

### (ح)

كامل	عن — ويجرح : ٢٧٦
سريع	حيث — يروح : ٢٩
خفيف	بلد — مبيع : ٢٩٠
»	ما — جناح : ٢٣٧
»	ما — واقفناح : ٢٣٩

### (د)

طويل	أولئك — شدوا : ٩٧
»	أما — وده : ١٤٦
»	ترثنا — حد : ٢٩٨

### (ب)

طويل	بنفسى — عذاب : ٣٠٣
»	ومن — معاينه : ١٠٤
»	سلام — صحابي : ٦
»	بشت — مرقوب : ١٤٤
»	حننا — المصائب : ١٣
»	أمولاي — الرتب : ٢٤٦
بسيط	مالى — ي : ٢٩٩

»	قوم — الكركيا : ٩٨
»	سبحان — وجبا : ١٧٩
»	ناديت — وجبا : ٣٠٤
»	يحق — مقتصبه : ٣٠٤
مخلع البسيط	بلونش — عقاب : ٣٥
»	الطب — النجاة : ١٨٧
وافر	بنى — للخراب : ٢٧١
»	إذا — للصبيته : ٢٩٩
كامل	يا — وطيب : ٥

»	إلى — ديب : ٣١٢
بجزوء الكامل	فيقول — انتصب : ٣
سريع	يا — مرقوب : ٣٠٠
»	انظر — كاعب : ٣٦
»	فضالة — بالشارب : ٣٧
مجت	وقت — حسي : ٣٨
متقارب	سلام — يثرب : ٢٩

### (ت)

طويل	ألا — سبت : ٩
------	---------------

عذبت — وقوده : ٣٠٣	طويل	يا — ثمرة : ٣٠٠	بسيط
صبي — بدر : ٢٧٥	"	الناس — باختيارى : ٩٤	عظم البسيط
تمجلت — المجد : ٣٠٦	"	ما — الزاهر : ١٥٧	مجزوء البسيط
ولنا — فى الأسد : ٣١٠	بسيط	ندمت — نوار : ٥	وافر
دالى — والكند : ٣١٠	"	تمتع — مرار : ٣	"
قه — جاهد : ٢٨٨	كامل	لقد — جزرا : ٢٦١	"
ركب — الفرقد : ٣٠٦	"	بلد — عذاره : ٣	كامل
حاذا — ممد : ٦٥	"	إن — أخباره : ٢٠٨	"
مكناسة — بريد : ٢٨٨	"	فى — تمتاره : ٣٠٧	"
محمد — اهدى : ١٣٣	رجز	أحياء — الأزهار : ١٦	"
أنا — المتند : ٤٠	مجزوء الرجز	ماذا — إعداره : ١٣٤	"
كم — العيد : ٣١٥	رمل	فالميش — سارى : ١٣٧	"
ليس — واحد : ٢٦	سريع	أخليفة — البصر : ٢٤٦	"
فى — واد : ٣٠٠	"	يا — قرار : ٢٩٥	"
مضجى — فؤادى : ٣٠٥	خفيف	ما — المضار : ٣٠٧	"
مدنى — العباد : ٣٠١	"	يا — حيرة : ٣٠٦	مجزوء الكامل
		النازلون — الأزور : ٩٧	رجز
		لى — الدرر : ٢٤٧	مجزوء الرجز
		رب — تدري : ٣١٤	رمل
	طويل	بأبى — صدرى : ٣٠٥	مجزوء الرمل
	"	جشك — معفره : ١٣٢	سريع
	"	سكانها — ضره : ٢٧٢	"
	"	عزناطة — والحضرة : ٢٧٢	"
	"	خليفة — قمر : ٢٠٦	منسرح
	"	يا — ودر : ١٣٢	"
	"	تأثر — بدر : ١٥٤	خفيف
	"	يا — وعقار : ٢٩٩	"
	"	يا — أسره : ٢٤٦	مجت
	"	يا — عاكر : ٢٤٦	"
	"	وقالوا — تنتظر : ٢٦١	متقارب
		(ز)	
		فهو — لهز : ١٠١	خفيف
		أنت — حرز : ٢٩٨	"
	طويل	كان — سامر : ٩	
	"	سلا — الزهر : ١٩٦	
	"	كأنا — يقصر : ٢٦٥	
	"	أنا — الضرائر : ٢٧٤	
	"	تقول — وآمر : ٢٩٠	
	"	يا أهل — الأسر : ٢٩٩	
	"	هى — مضير : ١١	
	"	تخلصت — عامر : ١٩٣	
	"	على — المهاجر : ٢٧٥	
	"	أجاد — يدري : ٣٠٧	
	"	كأنى — الفجر : ٣٠٨	
	"	قدهر — وأكبرا : ١٥	
	"	ولما — الأخرى : ٣٠٦	
	بسيط	لأنه — أسمار : ٦	
	"	فهو — والقر : ١٢	
	"	وقلت — الضارى : ٩٨	

(غ)

حذا — وبني : ١٩٢ مجزوء الرجز  
وأظهر — في ارتقا : ١٩٢ د

(ف)

قبينا — ننتصف : ٩١ طويل  
لي — مرحف : ٣٠٨ د  
والزهر — صاق : ٨ كامل  
سبحان — لا تحنى : ١٧١ رجز  
فكل — يسرف : ٣٦ سريع  
أصبح — أنوفر : ٢٧٦ خفيف  
ربما — عفوا : ١٢٦ د  
تمود — انحراف : ٢٧٦ متقارب

(ق)

كان — زرق : ٨ طويل  
عقيدة — مخلوق : ١٣٢ د  
تذكرت — السوابق : ٢٣٧ د  
خليلي — الحفا : ٣٠٩ د  
فمرناطة — المراق : ٥٥ مخلص البسيط  
عظفا — لا تفرق : ٩٣ كامل  
وإذا — يفرق : ٢٦٩ د  
يا — أغلاق : ٣١٩ د  
وترعت — أشواق : ٩ د  
يمضي — الباقي : ٢٦٠ د  
أشكو — ورجيقه : ٣٠٥ د

(ك)

مولاي — فيكا : ٢٨١ كامل  
يا — ملوكا : ٣٠٦ د

(س)

صبي — ياديس : ٢٣٤ طويل  
أهلا — أليه : ١٢٣ كامل  
يا — رئيس : ٣١٣ د  
أطلن — عبوسا : ٢٥٠ د  
أهتصب — ورسيا : ٢٥٧ د

(ض)

سلام — الرياض : ١٨ وافر  
أملق — الرياض : ١٩ د  
واقة — مرته : ٣١٣ كامل  
سرح — الرياض : ١٨ مجزوء الكامل  
مصرف — نافضا : ٣٠٠ سريع

(ط)

رائق — يحاط : ١٤٤ طويل  
يأهل — الفلظ : ٤٦ بسيط  
بليوش — النياطا : ٣٤ مخلص البسيط

(ع)

جري — متوزع : ١١ طويل  
أجلكي — طائع : ٢١٤ د  
إلى — جما : ٢٧١ د  
لا — سريع : ٢٦٩ كامل  
يا — دعا : ١٤٥ د  
انظر — اللامع : ٣٧ سريع  
لم — أجماعي : ٢٦٧ د  
يا — المنيع : ٢٧٣ خفيف  
حين — ولوى : ٣٠٥ د  
يا — المنسج : ٢٧٤ متقارب

»	إلى — الهزال : ٢٧٤
»	لد — الليالي : ٢٨٨
»	يا — وحال : ٢٩٨
»	قال — محول : ٣٠٥
»	سبق — ثقله : ٣٠٤
بحث	تأثر — الوصل : ١٥٥
متقارب	أيا — التزال : ٢٦١
»	رموا — الهاطل : ٣٠٧

## (م)

طويل	وليس — وأسم : ٩٩
»	ألا — الرسم : ٢٧٢
»	تعلم — بظام : ٣٠١
مديد	ندد — أحكمها : ١٠٣
بسيط	مول — القمير : ٧٢
»	م — والنم : ٧٨
مجزوء البسيط	ما — الأليم : ١٥٦
كامل	لا — هواكم : ٣١٠
»	يا — النادم : ٣٠٨
»	يا — هائم : ٣١٩
مجزوء الكامل	لى — حيله : ١٤
رمل	جلس — أحكم : ٣٠٥
سريع	لى — التمام : ١٤٤
خفيف	أنا — الأنهام : ٣١٢
»	يا — رسمه : ٢٦١
مجزوء الخفيف	قسا — عاتمه : ٢٦٨

## (ن)

طويل	وما — الحيوان : ١٥
»	وكانت برهان : ٢٨
»	تمال — الجدندان : ١١٧
»	أطاع — نلسان : ٢٨٦

## (ل)

طويل	بلاد — قمول : ٤
»	إلى — صايل : ١٢٥
»	فلا — مهمل : ١٣٣
بسيط	أبان — حامله : ٢٩٢
»	لا — حائل : ٢١
»	قاضى — الدول : ٢٦
»	كفنا — آمال : ٤١
»	ماذا — وترحال : ٤١
»	لا — وجل : ٩٩
»	أمنت — وأحوال : ١٠٤
»	يا — مقبل : ٢٤٧
»	برئت — ولى : ٣٠٢
»	نال — حال : ٢٧٠
»	لكن — حملا : ١٥
مطلع البسيط	بليوتس — الجمال : ٣٥
»	وإذا — لا يتبدل : ٢٦٢
»	الحق — لا يسأل : ٢٦٢
»	كم — منزل : ٦
»	وما — بالرجل : ٩٢
»	قم — مؤجل : ١٤٣
»	فكان — الطليل : ٢٦٨
»	أفادت — حال : ٢٧١
»	لم — المال : ٢٨٩
»	أقنا — حال : ٣١٢
»	كتبت — الخليل : ٣٠٤
»	أعيا — التفصيلا : ٢٧٥
كامل	ين — القتل : ٣٠٨
مجزوء الكامل	والناس مثاله : ١٤
سريع	دوام — حال : ١٣٤
»	ما — النكال : ١٥٥
منسرح	يأهل — الحمل : ١٢٣
خفيف	قربا — حيايل : ٩٥

كامل	مولاي — التقصان : ٢٧٢	طويل	علقت — الحدائق : ٢٨٧
د	حيا — المكنون : ٧	د	ولما — البين : ٣٠٤
د	أسمى — مرين : ٢٨٩	د	أمولاي — كانا : ٣٠٣
د	إن — المكنون : ٣٠٨	د	لنا — أولانا : ٣١٨
د	بليونش — شانتا : ٣٤	مدید	رب — فن : ٨
سريع	أخطر — حسنه : ٢٩	بسيط	لكل — إنسان : ٤٧
خفيف	حاب — وشين : ١٤٤	د	ين — أطفان : ٣٠٩
د	بان — بين : ٣٠١	د	روعت — وجيران : ١١
	(هـ)	د	أيا — ووجدان : ٣١٣
طويل	نم — شكواه : ١٤	د	يا — الثاني : ٣١٣
د	إلهي — إلهي : ١٤٤	د	سل — تكوي : ٣١٦
د	دموتك — تهي : ٣٠٣	د	لا — الذين : ٣٢٠
كامل	قالوا — في التنويه : ٣٠٧	د	يا — يسبي : ٣٢٠
د	إن — تكفيه : ٣٠٨	د	تنائر — التين : ١٥٣
مفروح	خبر — وأجلاء : ١٠٣	عُلق البسيط	مضت — يمان : ١٤
	(ي)	وافر	وألقي — البنان : ١٢٠
طويل	أي — ثنيا : ١١٥	د	ولو — الزمان : ٢٦٩
بسيط	بأمل — منتهيا : ٣٠٩	د	خلقت — في البين : ٣٠٧
متقارب	أميرا — صفحية : ٣٠٠	د	أقول — جفاني : ٣٠٩
		د	لسائل — ما عيننا : ١٠
		كامل	لا — فطن : ٩٨
		د	لني — أفن : ٩٨



## فهرس أنصاف الآيات

---

(ل)	(ا)
لك الحير قد أوقى لمهدك خيران : ١٢٠ طويل	إذا عبروا قالوا مقادير قدرت : ٨٧ طويل إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر : ٨٧ رجز
(هـ)	(س)
هي المقادير فلقى أو فذر : ٨٧ رجز	سم العداة وآفة الجزر : ٩٧ رجز
(و)	(ش)
وطود موسى لها تاج على الراس : ٣٥ بسيط ولو ترك القطا ليلا لنا ما : ٢٦٨ وافر	عم الأنوف من الطراز الأول : ٩٧ كامل

---

## فهرس الموضوعات

صفحة	صفحة
دواة أبي عنان وشعر مكتوب عليها ... ٤٠	روضة الورد في أولية هذا الإمام الفرد
رجع إلى ذكر الصريف	نسب عياض ... ٢٣
شيء من كرم الصريف وشعره ... ٤١	عند الوادي آثم ... ٢٣
أشراف سبعة ... ٤٢	هند ابن الأبار ... ٢٣
دخل الصريف من مضرب البناء وما كان ... ٤٢	عند ابن خاتمة ... ٢٣
ينفقه فيه ... ٤٢	هند ابن المجوم ... ٢٣
حفاوة ملوك بني سمرين ... ٤٤	ترولة بدار ابن الفرديس ... ٢٤
سبب تعريف المؤلف بهذا الصريف ... ٤٤	عند ولده محمد ... ٢٤
استيلاء العدو على سبعة ... ٤٥	عند ابن خلكان ... ٢٥
رثاء طليطلة ... ٤٦	عند ابن خاتمة أيضا ... ٢٥
قصيدة الرندي في رثاء الأندلس ... ٤٧	له عن ابن خلكان وابن خلدون ... ٢٥
ابن عاصم وبعض ما جاء في كتابه عن ... ٥٠	الكلام في ضبط اليحصي ... ٢٧
انحلال أمر الأندلس ... ٥٠	محمد بن عياض يخبر عن موطن أجداده ... ٢٧
ذكر غرناطة ... ٥٥	شيء عن سبعة ... ٢٩
تعريض لابن عاصم على كتاب الإحاطة ... ٥٦	وصف ابن الخطيب لسبعة ... ٣٠
نبذة من كتاب الروض لابن عاصم عن ... ٥٨	الصريف أبو العباس وحفاوته بابن الخطيب ... ٣٢
ابن يوسف ... ٥٨	شعر لابن الخطيب في بليونش ... ٣٤
مثال من حرص ابن الخطيب على العوائد ... ٥٩	شعر لعياض فيها أيضا ... ٣٤
اضطراب أمر الأندلس بالخروج على ... ٦٠	وصف ابن حيان لها ... ٣٤
القواعد ... ٦٠	شعر للنصفي فيها أيضا ... ٣٥
وصف البكري للأندلس ... ٦٠	شعر الكليلي فيها ... ٣٥
وصف ابن الخطيب للأندلس ... ٦١	شعر للنصفي فيها ... ٣٦
أبو يوسف المروني ودن جائحه ومثل من ... ٦١	مثل من كرم الصريف أبي العباس ... ٣٧
عن الإسلام ... ٦١	ثناء أبي الحسن النباهي على الصريف ... ٣٨
تعقيب لابن الخطيب على قصة أبي يوسف ... ٦٢	وشيء عنه ... ٣٨
بعض ما كتب في استنهاض الهمم ضد ... ٦٣	شعر للصريف ... ٣٨
النصارى ... ٦٣	حفاوة أبي عنان بالصريف أبي العباس ... ٣٩
لابن زمرك ... ٦٣	ومنزله في سبعة ... ٣٩
لابن الخطيب ... ٦٤	وصف أحد كتاب الصريف له ... ٤٠

- موازنة بين ابن عاصم وصاحب عنوان { ١٥٨  
 الفرف الشامى ... ..  
 مختار من كتابه جنة الرضى ... ١٥٨  
 شيء من كلام ابن عاصم عن ابن فتوح ... ١٧١  
 منشور سلطاني بتولى ابن عاصم القضاء ... ١٧٢  
 تخسيس لابن عاصم ... .. ١٧٩  
 تعريف بابن الخطيب ... .. ١٨٦  
 أولته ونسبه ... .. ١٨٦  
 نشأته وشيوخه ... .. ١٨٧  
 مؤلفاته ... .. ١٨٩  
 رأى ابن الأحر فيه ... .. ١٩١  
 تولى الكتابة ... .. ١٩٦  
 كلام لابن الصباغ عنه وعن قوته { ١٩٢  
 بديته ... ..  
 أيام ابن الخطيب مع السلطان أبي عبدالله { ١٩٣  
 تفصيل لشكبة السلطان أبي عبدالله { ١٩٤  
 وذهابه إلى فارس ... ..  
 قصيدة ابن الخطيب بين مدى السلطان { ١٩٦  
 أبي سالم يتصرخه لمولاه ... ..  
 انصراف السلطان أبي عبدالله إلى { ٢٠١  
 الأندلس ... ..  
 خبر هذه القصة كما رواها ابن خلدون { ٢٠٢  
 شيء عن أحوال ابن الخطيب كما { ٢٠٤  
 رواها ابن خلدون ... ..  
 كتاب القاضي أبي الحسن إلى ابن الخطيب { ٢١٢  
 نكته ووقاته ... .. ٢٢٩  
 شعر له في محبة يبيك نفسه ... ٢٣١  
 تخسيس لبعض بني الصباغ ... ٢٣١  
 شعر ابن الخطيب ... .. ٢٣٤  
 قصيدة لابن الخطيب في المولد النبوي { ٢٣٧  
 قصيدة لأبي زكريا بن خلدون يحاكي { ٢٣٨  
 بها قصيدة ابن الخطيب ... ..  
 وصف ليالى مولد النبي أيام السلطان { ٢٤٣  
 أبي جود ... ..  
 شعر لأبي زكريا بن خلدون في المنجاة { ٢٤٦
- سقوط غرناطة في يد العدو والخلاف { ٦٥  
 في تاريخ ذلك ... ..  
 خروج أمير الحمراء ابن أبي الحسن إلى { ٦٧  
 فارس ... ..  
 وفاته وشيء عنه وعن عقبه ... ٦٨  
 حال المسلمين بعده بالأندلس ... ٦٨  
 رسالة في ذكر ما جرى للمسلمين في { ٦٩  
 الأندلس ... ..  
 تشكيل طاغية قشتالة وأرغون بالمسلمين { ٧٠  
 بعض من خرج من علماء الأندلس { ٧١  
 كتاب ابن الأحرار لصاحب فارس ... ٧٢  
 أبو عبدالله العربي وشيء من نظمه { ١٠٣  
 قصيدة الدقون في تدب الجزيرة ... ١٠٣  
 مما كتبه بعض أهل الجزيرة إلى بايزيد { ١٠٨  
 بلاغة أهل الأندلس ... .. ١١٥  
 مقامه الفقيه عمر : تسريح النصال إلى { ١١٦  
 مقاتل الفصال ... ..  
 شيء من نظمه ... .. ١٢٥  
 مقامه في أمر الوباء ... .. ١٢٥  
 بعض مقطوعاته ... .. ١٣٢  
 تعريف بالفران ... .. ١٣٣  
 شيء من نظمه ... .. ١٣٣  
 طريقة لابن جماعة وقد تولى الفران { ١٣٤  
 مكانه ... ..  
 شعر للفران يثاب ابن جماعة على { ١٣٤  
 إهمال دعوته إلى إغذار ... ..  
 قصيدته اللامية ... .. ١٣٤  
 بعض شعر له ... .. ١٤٣  
 تعريف بالرئيس ابن عاصم ... ١٤٥  
 قصيدة له تلد بنتين فوشحتين في مدح { ١٤٦  
 السلطان أبي الحجاج ... ..  
 البت الأولى ... .. ١٥٣  
 الموشحة الأولى ... .. ١٥٤  
 البت الثانية ... .. ١٥٥  
 الموشحة الثانية ... .. ١٥٦

- ٢٨٦ ... من مخاطباته لابن مرزوق ...
- ٢٨٧ { ... من صراحة ابن الخطيب ...  
... في مجلس السلطان أبي عنان ...
- ٢٨٨ ... شعر له في مكناسة ...
- ٢٨٨ ... شعر له في مدينة آتني ...
- ٢٨٨ ... شعر له في ابن بطان ...
- ٢٨٩ ... شعر له في البرغوث ...
- ٢٨٩ ... شعر له في ابن روح ...
- ٢٨٩ ... شعر له صدر به رسالته إلى ابن حسون ...
- ٢٩٠ ... شعر له في نذب مراکش بعد الوجدتين ...
- ٢٩٠ ... شعر له يخاطب به طامرا المقتاني ...
- ٢٩١ ... تعريف بطامر المقتاني ...
- ٢٩١ ... شيء عن الشريف الشبوك ...
- ٢٩٢ { شعر للشبوك في مدح أبي فارس ...  
... والتعريض على المقتاني ...
- ٢٩٤ { شعر لابن الخطيب على قبر السلطان ...  
... أبي الحسن المربني ...
- ٢٩٧ ... شعر لابن الخطيب على قبر المعتد ...
- ٢٩٨ ... شعر له في مخاطبة ابن يوسف ...
- ٢٩٨ ... وله في مخاطبة السلطان ...
- ٢٩٩ ... وله في مخاطبة ابنه وقد وصل لزيارته ...
- ٢٩٩ ... بعض مقطوعات له ...
- ٣٠٠ ... وله في مصرف الدارحين أكل القابض ...
- ٣٠٠ ... وله في رأس النادر بالهولة ...
- ٣٠٠ ... وله في الفزل ...
- ٣٠٠ ... شعر له في السيد أبي بكر ...
- ٣٠١ { وله في توديع ابنه لما انصرف عنه إلى ...  
... فاس ...
- ٣٠١ ... وله في السيادة الخطيبية ...
- ٣٠٣ ... وله في مخاطبة السلطان أبي الحجاج ...
- ٣٠٣ ... وله في التورية ...
- ٣٠٣ ... وله في التجنيس ...
- ٣٠٤ ... وله في التورية أيضا ...
- ٣٠٤ ... بعض شعر له ...
- ٢٤٧ موشعة لتلايس يخاطب بها أبو حو ...
- ٢٤٩ ... شيء عن السلطان أبي حو ...
- ٢٤٩ { قصيدة ابن الخطيب للسلطان أبو حو ...  
... يستعذ به ...
- ٢٥٧ ... نثر له أيضا وصل به القصيدة ...
- ٢٦٠ { بعض مقطوعات لابن الخطيب في السلطان ...  
... أبي حو ...
- ٢٦١ { شعر له يودع به عبد الواحد بن ...  
... سلطان إفريقية ...
- ٢٦٢ ... من قصيدة النج الفريب له ...
- ٢٦٥ { من مقطوعات له لما أشرف على ...  
... مراکش ...
- ٢٦٥ ... كتاب ابن خاتمة إلى ابن الخطيب ...
- ٢٦٧ ... رد ابن الخطيب على كتاب ابن خاتمة ...
- ٢٧٠ ... من رثاء السلطان أبي سالم ...
- ٢٧١ ... شعر له في الرغبة في الله ...
- ٢٧١ ... شعر له بعد عودته من رحلة المراكشية ...
- ٢٧٢ ... وله في مدرسة ...
- ٢٧٢ ... وله في غرناطة ...
- ٢٧٢ ... وله يخاطب قبر الولي السيقي ...
- ٢٧٤ ... وله يورى بدم الأخوين ...
- ٢٧٤ ... وله في اقتباس ...
- ٢٧٤ ... شعر له في التورية بالطب ...
- ٢٧٤ ... وقال يخاطب ابن مرزوق ...
- ٢٧٥ ... شعر له في مخاطبة أحد الصغفاء ...
- ٢٧٥ { وقال يشكر السلطان أبا سالم على ...  
... تخليصه لإياه ...
- ٢٧٥ ... وله في الفزل ...
- ٢٧٦ { من رسالة في تهشة ابن أبي مدين ...  
... بتقلد الحطة ...
- ٢٧٦ ... رسالته إلى السلطان أبي سالم مستعينا به ...
- ٢٨٢ ... رد السلطان أبي سالم على ابن الخطيب ...
- ٢٨٤ { رد ابن الخطيب على السلطان أبي سالم ...  
... شاكرًا ...
- ٢٨٦ ... تهشة للسلطان أبي سالم بفتح تلسان ...

وله في الخيب ... .. ٣١٢	وله في جلوس السلطان في يوم برد للسلام ٣٠٥
وله وقد أجاز بسقة ... .. ٣١٢	وله في الفزل ... .. ٣٠٥
وله في طاق الماء ... .. ٣١٢	أبيات له في المحنات البديعة ... ٣٠٦
بين ابن الجياب وابن الخطيب ... ٣١٣	وله في سكن الأضاحي ... .. ٣٠٨
بعض أبيات له ... .. ٣١٣	وله في مروحة سلطانية ... .. ٣٠٨
موشحة له في مدح السلطان ... { ٣١٤	وله يخاطب ابن الجياب ... .. ٣٠٨
يوسف أبي الجياح ... .. { ٣١٤	وله في الفزل ... .. ٣٠٨
وله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ٣١٦	وله في البراغيت أيضا ... .. ٣٠٩
وله في الرجوع إلى الله ... .. ٣١٨	وله في خالد البلوى ... .. ٣٠٩
خميس لقمان علي بيتين لابن الخطيب ٣١٩	وله في النجاة ... .. ٣٠٩
أولاد ابن الخطيب ... .. ٣١٩	وله في الفزل ... .. ٣٠٩
علي بن الخطيب والمستنصر في بيتان ٣٢٠	وله في التصوف ... .. ٣١٠
شء عن عبد الله ومحمد ابني الخطيب ٣٢٠	وله في المديح موريا ... .. ٣١٠
وصية ابن الخطيب لأولاده ... .. ٣٢٠	شعر له يشك أنه للشارقة ... ٣١٠

## تصويب أخطاء مطبعية

---

خطأ	صواب	ص	س
محمد بن الخلفاء	محمد ابن الخلفاء	٥٨	٤
لسان العربى	لسان العرب	٩٢	١٧
الأسود ابن قنان	الأسود بن قنان	٩٥	١٠
نظم بن صفوان	نظم ابن صفوان	١٩٠	١٣
ابن يفوسن	ابن أبى يفوسن	٢١٠	١٧
آسنى	آسنى	٢٩٨	٦

